تمـــــــــــــت

الجزء الثانى من تفسير

المنلا ابى السعود

نفعنا الله

تعالى به

آمين

## (فهرسة الجزء الثاني)

## (من تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم)


| السورة | صحيفة |
|---|---|
| سورة النحل | ٢ |
| سورة بني اسرائيل | ٣٩ |
| سورة الكهف | ٦٨ |
| سورة مريم | ٩٨ |
| سورة طه | ١١٧ |
| سورة الانبياء | ١٤٨ |
| سورة الحج | ١٧٠ |
| سورة المؤمنون | ١٩٠ |
| سورة النور | ٢٠٨ |
| سورة الفرقان | ٢٣٦ |
| سورة الشعراء | ٢٥٧ |
| سورة النمل | ٢٧٦ |
| سورة القصص | ٢٩٨ |
| سورة العنكبوت | ٣١٢ |
| سورة الروم | ٣٢٣ |
| سورة لقمان | ٣٣٤ |
| سورة السجدة | ٣٤٠ |
| سورة الاحزاب | ٣٤٥ |
| سورة سبا | ٣٦٣ |
| سورة الملائكة | ٣٧٦ |
| سورة يس | ٣٨٥ |
| سورة والصافات | ٤٠٠ |
| سورة ص | ٤١٤ |
| سورة الزمر | ٤٣٠ |
| (وفي صحيفة ٤٣٢ من هذه السورة قوله في حاشيتها ظهر أن الصواب اسقاطها) | |
| سورة المؤمن | ٤٤٤ |
| سورة حم السجدة | ٤٥٧ |
| سورة حم عسق وتسمى الشورى | ٤٦٧ |
| سورة الزخرف | ٤٧٦ |
| سورة الدخان | ٤٨٧ |
| سورة الجاثية | ٤٩١ |
| سورة الاحقاف | ٤٩٦ |
| سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال | ٥٠٤ |
| سورة الفتح | ٥١٠ |
| سورة الحجرات | ٥١٧ |
| سورة ق | ٥٢٣ |
| سورة والذاريات | ٥٢٩ |
| سورة والطور | ٥٣٤ |
| سورة والنجم | ٥٣٧ |
| سورة القمر | ٥٤٤ |
| سورة الرحمن | ٥٤٨ |
| سورة الواقعة | ٥٥٣ |
| سورة الحديد | ٥٦٠ |
| سورة المجادلة | ٥٦٦ |
| سورة الحشر | ٥٧١ |
| سورة الممتحنة | ٥٧٧ |
| سورة الصف | ٥٨١ |
| سورة الجمعة | ٥٨٣ |
| سورة المنافقون | ٥٨٥ |
| سورة التغابن | ٥٨٧ |
| سورة الطلاق | ٥٩٠ |
| سورة التحريم | ٥٩٣ |
| سورة الملك | ٥٩٥ |
| سورة ن | ٦٠١ |
| سورة الحاقة | ٦٠٦ |
| سورة المعارج | ٦٠٩ |
| سورة نوح عليه السلام | ٦١٢ |
| سورة الجن | ٦١٥ |
| سورة المزمل | ٦١٩ |
| سورة المدثر | ٦٢١ |
| سورة القيامة | ٦٢٦ |
| سورة الانسان | ٦٢٨ |
| سورة والمرسلات | ٦٣٢ |
| سورة النبا | ٦٣٤ |
| سورة والنازعات | ٦٤١ |
| سورة عبس | ٦٤٧ |
| سورة التكوير | ٦٥٠ |
| سورة انفطرت | ٦٥٣ |
| سورة المطففين | ٦٥٤ |
| سورة الانشقاق | ٦٥٨ |

| | صحيفة | | صحيفة |
|---|---|---|---|
| سورة البروج | ٦٥٩ | سورة والعاديات | ٦٨٤ |
| سورة الطارق | ٦٦٢ | سورة القارعة | ٦٨٥ |
| سورة الاعلى | ٦٦٣ | سورة التكاثر | ٦٨٦ |
| سورة الغاشية | ٦٦٥ | سورة والعصر | ٦٨٧ |
| سورة والفجر | ٦٦٧ | سورة الهمزة | ٦٨٧ |
| سورة البلد | ٦٧١ | سورة الفيل | ٦٨٨ |
| سورة والشمس | ٦٧٢ | سورة قريش | ٦٨٩ |
| سورة والليل | ٦٧٣ | سورة الماعون | ٦٨٩ |
| سورة والضحى | ٦٧٤ | سورة الكوثر | ٦٩٠ |
| سورة الم نشرح | ٦٧٦ | سورة الكافرون | ٦٩١ |
| سورة والتين | ٦٧٦ | سورة النصر | ٦٩١ |
| سورة العلق | ٦٧٨ | سورة تبت | ٦٩٢ |
| سورة القدر | ٦٨٠ | سورة الاخلاص | ٦٩٣ |
| سورة لم يكن | ٦٨١ | سورة الفلق | ٦٩٤ |
| سورة الزلزلة | ٦٨٣ | سورة الناس | ٦٩٦ |

## سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أتى أمر الله) أى الساعة أو ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بأن تحققه فى نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع فى سلك الواقع أو عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وأياما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله وتكميل لحسن موقع التفريع فى قوله عز وجل (فلا تستعجلوه) فان النهى عن استعجال الشئ وان صح تفريعه على قرب وقوعه أو على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأسا لا بعد ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بأمر الله ما ذكر أو العذاب الموعود للكفرة خاصة أما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة أو ما يعمها وغيرها من العذاب حتى يعمهم النهى عنه وأما الثانى فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازى يعمهما معا من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روى من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم أن القيمة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت أتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من أن التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل عن اباءه حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على أن المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهى عنه لما أن النهى عن الشئ يقتضى امكانه فى الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهى عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضى لعدم وقوع

المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائناً من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذى يقتضى به الاعجاز التنزيلى انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد أن احداً يحجزه عن انجاز وعده وامضاء وعيده وقد قالوا فى تضاعيفه ان صح مجىء العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها ردّ ذلك فقيل بطريق الاستئناف (سبحانه وتعالى عما يشركون) اى تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى الى صدور أمثال هذه الاباطيل عنهم اوعن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهى عنه بالمتنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب (ينزل الملائكة) بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيهاً اجمالياً ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن أن يحوم حوله شائبة أن يشاركه شئ فى شئ وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحى والتنبيه على طريق علم الرسول عليه الصلاة والسلام باتيان ما أوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بذلك واظهاراً لبطلان رأيهم فى الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بأن ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيساً أو هو ومن معه من حفظة الوحى بأمر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التاءين وعلى صيغة المبنى للمفعول من التنزيل (بالروح) اى بالوحى الذى من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل أو يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اى ملتبسين بالروح (من أمره) بيان للروح الذى أريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشئاً ومبتدأ منه او صفة له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم اى ينزلهم بأمره (على من يشاء من عباده) أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك (أن انذروا) بدل من الروح اى ينزلهم ملتبسين بأن انذروا أى بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والآمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للامر كما يشعر به الباء فى المبدل منه وأن اما مخففة من أنّ وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى ينزلهم ملتبسين بأن الشأن أقول لكم أنذروا او مفسرة على أن تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده أنذروا فلا محل لها من الاعراب أو مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك حسبما ذكر فى اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية أيضاً والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشئ اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذاراً أى أعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه كذا فى القاموس أى أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا) فالضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير له فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل أنذروا أن الشأن الخطير هذا وانباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف فى كون اعلامه انذاراً وقوله سبحانه (فاتقون) خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة أى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وأمرهم بأن ينذروا الناس أنه لا شريك له فى الالوهية فاتقون فى الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التى من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعى للتوحيد شرع فى تحرير الادلة العقلية فقيل (خلق السموات والارض بالحق) أى اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفائق والنمط اللائق (تعالى) وتقدس بذاته لاسيما بأفعاله

التى من جملتها ابداع هذين المخلوقين (عما يشركون) عن اشراكهم المعهود أو عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذى لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع فى تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال (خلق الانسان) أى هذا النوع غير الفرد الاول منه (من نطفة) جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا (فاذا هو) بعد الخلق (خصيم) منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم (مبين) لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيى العظام وهى رميم وهذا أنسب بمقام تعداد هنات الكفرة روى أن أبى بن خلف الجمحى أتى النبى عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد أترى الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت (والانعام) وهى الازواج الثمانية من الابل والبقر والضأن والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى (خلقها) او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذى بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى (لكم) اما متعلق بخلقها وقوله (فيها) خبر مقدم وقوله (دفء) مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقى من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة (ومنافع) هى درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقى الى الاعلى (ومنها تأكلون) اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما فى السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهى باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بأن الاكل منها هو المعتاد المعتمد فى المعاش وأن الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع أن فيه مراعاة للفواصل ويحتمل أن يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وبأثمان نتاجها وألبانها وجلودها (ولكم فيها) مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية (جمال) أى زينة فى اعين الناس ووجاهة عندهم (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية والاكناف بها وبتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها فى ذينك الوقتين وأما عند كونها فى المراعى فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها فى الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه فى استتباع ما ذكر من الجمال واتم فى استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على أن كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل أثقالكم) جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل أثقالكم أجرامكم (الى بلد) قال ابن عباس رضى الله عنهما أريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر أهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى أن أثقالهم وأحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة أمس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق (لم تكونوا بالغيه) واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل (الا بشق الانفس) فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية أو على تقدير مضاف اى الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء أى لم تكونوا بالغيه بشئ من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدار النعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بأن هذه النعمة ليست فى العموم بحسب المنشا وبحسب المتعلق وفى الشمول للاوقات والاطراد فى الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشا خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين فى الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها فى أحايين غير مطردة وأما سائر النعم المعدودة فموجودة فى جميع أصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما أو فى عامة

الاوقات (ان ربكم لرؤف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة (والخيل) هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اى خلق الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل أيضا مما لاريب فى تحققه (وزينة) عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتأخيره لكون الركوب اهم منه أو مصدر لفعل محذوف أى وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو أى خلقها زينة لتركبوها ويجوز أن يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اى متزينين بها او متزينا بها (ويخلق مالا تعلمون) اى يخلق فى الدنيا غير ما عدد من أصناف النعم فيكم ولكم مالا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة أو يخلق لكم فى الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية مالا تعلمون اى ماليس من شأنكم أن تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن يكون هذا اخبارا بأنه سبحانه يخلق من الخلائق مالا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم على طريقة الاستعارة أو على نهج اسناد حال سالكه اليه كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه أى حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذى هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه أو مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله أبو البقاء أى عليه عز وجل تقويمها وتعديلها أى جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت فى نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث أبدع هذه البدائع التى كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وأرسل رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحى الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادى الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن فيافى الضلالة ومهاوى الردى ألا يرى كيف بين أولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن أن يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم أوضح سر القاء الوحى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكيفية أمرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسمانى ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم فصل أفعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه فى معايشهم ثم بين قدرته على خلق مالا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق مالا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غب بيان وتعديل له اى ما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى (ومنها) فى محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ أى بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر (جائر) أى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التى لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثانى نفس السبيل المستقيم والضمير فى منها راجع اليها بتقدير المضاف أى ومن جنسها لما عرفت من أن تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وأيا ما كان فليس فى النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة أهم منه كما فى قوله سبحانه الذى يطعمنى ويسقين واذا

مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر أن يقال والذى يسقمنى ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تمادياً عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد بيان قصد السبيل بمجرد اعلام أنه مستقيم حتى يصح اسناد أنه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك فى مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بأن يقال وجائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضى الحال دفع ذلك بأن يقال لاجائرها ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة فى ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعى تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصى بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى (ولو شاء لهداكم أجمعين) أى لو شاء أن يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة فى تلك المشيئة لما أن الذى عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئى الذى عليه يترتب الاعمال التى بها نيط الجزاء هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلى من غير أن يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علواً كبيراً كما فى قوله تعالى هذا صراط على مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعاً الى الاول وانت خبير بأن هذا حق فى نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسطه بين ما سبق من أدلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السمعى للتوحيد على وجه اجمالى وفصل بعض أدلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعى اليه بعثاً للمخاطبين على التأمل فيما سبق وحثاً على حسن التلقى لما لحق أتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل (هو الذى انزل) بقدرته القاهرة (من السماء) أى من السحاب أو من جانب السماء (ماء) أى نوعاً منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مراراً من أن المقصود هو الاخبار بأنه أنزل من السماء شيأ هو الماء لا أنه انزله من السماء والسر فيه ما سلف من أن عند تأخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقباً له مشتاقاً اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن (لكم منه شراب) أى ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول أو مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثانى نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس فى تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بأنه لا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع فى الارض وقوله تعالى فأسكناه فى الارض وقيل الظرف الاول متعلق بأنزل والثانى خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بأن ما فيه من توسط المنصوب بين المجرورين وتوسط الثانى منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل (ومنه شجر) من ابتدائية أى ومنه يحصل شجر ترعاه المواشى والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق أولا أو تبعيضية مجازاً لانه لما كان سقيه من الماء جعل كأنه منه كقوله أسنمة الآبال فى ربابه يعنى به المطر الذى ينبت به الكلأ الذى تأكله الابل فتسمن أسنمتها وفى حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعنى الكلأ (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض (ينبت) أى الله عز وجل وقرئ بالنون (لكم به) بما أنزل من السماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب) بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وأنها سنته الجارية على مر الدهور أو لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر آنفاً مع ما فى تقديم أولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء

وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور أصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى (ومن كل الثمرات) للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر أو للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها أن يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بأمر نفسه أولان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فانه غذاء حيوانيّ للانسان وهو أشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثيّ مسندا الى الزرع وما عطف عليه (ان فى ذلك) أى فى انزال الماء وانبات ما فصل (لآية) عظيمة دالة على تفرّده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر فى أن الحبة أو النواة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط فى أعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة فى الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرّر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شئ فى شئ من صفات الكمال فضلا عن أن يشاركه أخس الاشياء فى أخص صفاته التى هى الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوّا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها (والشمس والقمر) يدأبان فى سيرهما وانارتهما أصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكوّنات التى من جملتها ما فصل وأجمل كل ذلك لما لحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرّفها كيف شاؤا كما فى قوله تعالى سبحان الذى سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى اياها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخيرا لهم وتصرّف من قبلهم حسب ارادتهم وفى التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما فى المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضى للدلالة على أن ذلك أمر واحد مستمرّ وان تجددت آثاره (والنجوم مسخرات بأمره) مبتدأ وخبر أى سائر النجوم فى حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى أو لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم فى الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شئ آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر أيضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اوّل لفعل مقدّر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له أى وجعل النجوم مسخرات بأمره أو على انه معطوف على المنصوبات المتقدّمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما فى سخر من معنى نفع أى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذى خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه أو مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع أى أنواعا من التسخير وما قيل من أن فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها بأن ذلك ان سلم فلا ريب فى انها أيضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بدّ لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فبناء حسبان ما ذكر أدلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وأنت تدرى أن ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم فى قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به الارض من بعد موتها ليقولنّ الله الآية وانما ذلك أدلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم أن يشاركه شئ فى شئ فضلا عن أن يشاركه الجماد فى الالوهية (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا (لآيات) باهرة متكاثرة (لقوم يعقلون) وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات

وعلمت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز أن يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة فى العلويات المدلول عليها بالتسخير التى لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب فى أن احتياجها الى التفكر اكثر (وماذرأ) عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل أى وما خلق (لكم فى الارض) من حيوان ونبات حال كونه (مختلفا ألوانه) أى أصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى اولما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات أوجعل ذلك مختلف الالوان أى الاصناف لتتمتعوا من ذلك بأى صنف شئتم وقد عطف على ماقبله من المنصوبات وعقب بأن ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بأن الاول لا يستلزم الثانى لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر أى خلق وانبت على أن قوله مختلفا ألوانه حال من مفعوله (ان فى ذلك) الذى ذكر من التسخيرات ونحوها (لآية) بينة الدلالة على أن من هذا شأنه واحد لا ندله ولا ضد (لقوم يذكرون) فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ماعسى يغفل عنه من العلوم الضرورية وأما مايقال من أن اختلافها فى الطباع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما اوضحنا به من حسبان ماذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد مايدل على اتصافه سبحانه بماذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة يجىء به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة أن يشاركه شئ فى الالوهية (وهو الذى سخر البحر) شروع فى تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا أى جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به فى الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ أكله وللايذان بكمال قدرته تعالى فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثورى أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن مبنى الايمان العرف ولا ريب فى أنه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو أمر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر ألا يرى الى أن الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة (وتستخرجوا منه حلية) كاللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) عبر فى مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم أو لكون لبسهن لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك (ولتبتغوا) عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادى الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية أو على علة محذوفة أى لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانبارى أو متعلقة بفعل محذوف أى وفعل ذلك لتبتغوا (من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) أى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع أحمال ثقيلة فى مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها فى تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا (وألقى فى الارض رواسى) أى جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه فى اول سورة الرعد (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب اولئلا تميد بكم فان الارض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو تتحرك بأدنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وانهارا) أى وجعل فيها أنهارا لان فى ألقى معنى الجعل (وسبلا لعلكم تهتدون) بها الى مقاصدكم (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل أن جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى وقرئ

بضمتين

بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيرى التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم فى أسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم (أفمن يخلق) هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة أو يخلق كل شئ (كمن لا يخلق) شيأ أصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضى ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآيتين والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها وأظهرها واستتباعه اياها أو لكون كل منها خلقا مخصوصا أى أبعد ظهور اختصاصه تعالى بمبدئية هذه الشؤن الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب فى انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة أو العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وأيا ما كان فدخول الاصنام فى حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بأنها هى المرادة بالموصول خاصة (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شئ سوى التذكر (وان تعدوا نعمة الله) تذكير اجمالى لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التى هى ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام أيضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال أى ان تعدوا نعمته الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا (لا تحصوها) أى لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه فى سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه (ان الله لغفور) حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك (رحيم) حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من أصناف الكفر التى من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأيما نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية (والله يعلم ما تسرون) تضمرونه من العقائد والاعمال (وما تعلنون) أى تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل أى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه فى سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر أقدم منه بالعلن اولان كل شئ يعلن فهو قبل ذلك مضمر فى القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية (والذين يدعون) شروع فى تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد أوصافها وأحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وأنهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح أى والآلهة الذين يعبدهم الكفار (من دون الله) سبحانه وقرئ على صيغة المبنى للمفعول وعلى الخطاب (لا يخلقون شيأ) من الاشياء أصلا أى ليس

من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق أثبت لهم ذلك صريحا فقيل (وهم يخلقون) أي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز أن يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم وأعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث أشركوا بخالقهم مخلوقهم وأما جعل الاول أيضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلا ولما أن اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقيل (اموات) وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل أو خبر مبتدا محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحياة سابقا أو لاحقا كأجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل (غير أحياء) أي لا يعتريها الحياة أصلا فهي أموات على الاطلاق وأما قوله تعالى (وما يشعرون أيان يبعثون) أي ما يشعر أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بأن البعث من لوازم التكليف وأن معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية (الهكم اله واحد) لا يشاركه شئ في شئ وهو تصريح بالمدعى وتمحيض للنتيجة غب اقامة الحجة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم (قلوبهم منكرة) للوحدانية جاحدة لها أو للآيات الدالة عليها (وهم مستكبرون) عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها والفاء للايذان بأن اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وتصديقه وأما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل في الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى (لا جرم) أي حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود (ان الله يعلم ما يسرون) من انكار قلوبهم (وما يعلنون) من استكبارهم وقولهم للقرآن أساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك (انه لا يحب المستكبرين) تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد أي لا يحب المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليها أو لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر (واذا قيل لهم) أي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم (ماذا أنزل ربكم) القائل الوافدون عليهم او المسلمون أو بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أي أي شئ انزل أو ما الذي انزله (قالوا أساطير الاولين) أي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية أحاديث الاولين وأباطيلهم وليس من الانزال في شئ قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام (ليحملوا) متعلق بقالوا أي قالوا ما قالوا ليحملوا (أوزارهم) الخاصة بهم وهي أوزار ضلالهم (كاملة) لم يكفر منها شئ بنكبة أصابتهم في الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين (يوم القيامة) ظرف ليحملوا (ومن أوزار الذين يضلونهم) وبعض أوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير أن يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل (بغير علم) حال من الفاعل أي يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون اليه طريق الضلال وأما حمله على معنى غير عالمين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزار الضلال والاضلال على أن يكون العامل في الحال قالوا وتأييده بما سيأتي من قوله

تعالى

تعالى وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ماذكر من أوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده أن الحمل المذكور انما هو يوم القيامة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه أو حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل (ألا ساء ما يزرون) أي بئس شيأ يزرونه ماذكر (قد مكر الذين من قبلهم) وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى أنفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين أصابهم ما أصابهم من العذاب العاجل اى قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى (فأتى الله) أي أمره وحكمه (بنيانهم) وقرئ بيتهم وبيوتهم (من القواعد) وهي الاساطين التي تعمده أو أساسه فضعضعت أركانه (فخر عليهم السقف من فوقهم) أي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي أرادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله اياها أسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى ذلك من قبل اساطينه بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين (وأتاهم العذاب) أي الهلاك والدمار (من حيث لا يشعرون) باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم أساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما أتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه (ثم يوم القيامة يخزيهم) فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء أو ما هو أعم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة يخزيهم أي يذلهم بعذاب الخزي على رؤس الاشهاد وأصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للايماء الى ما بين الجزاءين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيامة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بأن لهم جزاء آخر ويبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بأنه ماذا مع تيقنها بأنه في الآخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بأن المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيامة والضمير اما للمفترين في حق القرآن الكريم أولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما أشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق كما ستقف عليه (ويقول) لهم تفضيحا وتوبيخا فهو الخ بيان للاخزاء (أين شركاءي) اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شأنهم بأنهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة أو المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بأنه يجوز أن يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها أو بأنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا أماكنها على أن قوله ليتفقد والبس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون أي تشاقونني على أن مشاقة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين لا سيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل (قال الذين اوتوا العلم) من أهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما أوعدوهم به وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف (ان الخزي) الفضيحة والذل والهوان (اليوم) منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر المصدر باللام أو بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا أنه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق (والسوء) العذاب (على الكافرين) بالله تعالى وبآياته ورسله (الذين تتوفاهم الملائكة) بتأنيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى صيغة المضارع

لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول فى محل الجرّ على أنه نعت للكافرين أو بدل منه أو فى محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزى والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو فى آخر عمره أى على الكافرين المستمرين على الكفر الى أن يتوفاهم الملائكة (ظالمى انفسهم) أى حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم وأى ظلم حيث عرّضوها للعذاب المخلد وبدّلوا فطرة الله تبديلا (فألقوا السلم) أى فيلقون والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول أين شركاءى وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزى على رؤس الاشهاد أى فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه فى الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين (ما كنا نعمل) فى الدنيا (من سوء) أى من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز أن يكون تفسيرا للسلم على أن يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه أين شركاءى كما فى سورة الانعام لا عن قول اولى العلم اذ عاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزى والسوء (بلى) ردّ عليهم من قبل اولى العلم واثبات لما نفوه أى بلى كنتم تعملون ما تعملون (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه (فادخلوا أبواب جهنم) أى كل صنف بابه المعدّ له وقيل أبوابها أصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة (خالدين فيها) ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهى مقارنة (فلبئس مثوى المتكبرين) عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف أى جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك فى اعتقادنا روما للمحافظة على أن لا كذب ثمة يردّه الردّ المذكور وما فى سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم (وقيل للذين اتقوا) أى المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بأن ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) سلكوا فى الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير فى الصورة والمعنى أى أنزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال سبكا وللواقع فى نفس الامر مضمونا وأما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذى ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير وما ألمّ من انكار النزول روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى عليه السلام فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شرّ وافد ان رجعت الى قومى دون أن استطلع أمر محمد وأراه فيلقى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا (للذين احسنوا) أى أعمالهم أو فعلوا الاحسان (فى هذه) الدار (الدنيا حسنة) أى مثوبة حسنة مكافأة فيها (ولدار الآخرة) أى مثوبتهم فيها (خير) مما اوتوا فى الدنيا من المثوبة أو خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة (ولنعم دار المتقين) أى دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعدّ جوابهم المحكى من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابى الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب أو بدل من خيرا أو تفسير له أى أنزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل (جنات عدن) خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم جنات ويجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح (يدخلونها) صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك (تجرى من تحتها الانهار) او كلاهما حال على تقدير علميته (لهم فيها) فى تلك الجنات (ما يشاؤن) الظرف الاول خبر لما والثانى حال منه والعامل ما فى الاول أو متعلق به أى حاصل لهم فيها ما يشاؤن من أنواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة أو لما مرّ مرارا من أن تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن (كذلك) مثل ذلك الجزاء الاوفى (يجزى الله المتقين) اللام للجنس أى كل من يتقى من الشرك والمعاصى ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى أو للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة (الذين تتوفاهم الملائكة) نعت للمتقين وقوله تعالى (طيبين) أى طاهرين

عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان بأن ملاك الامر فى التقوى هو الطهارة عما ذكر الى
وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبى النفوس ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة أو طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس (يقولون) حال
من الملائكة أى قائلين لهم (سلام عليكم) قال القرظى رحمه الله اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت
عليه السلام فقال السلام عليك يا ولى الله الله تعالى يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (ادخلوا الجنة) اللام
للعهد أى جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها فى وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان
تراخى المبشر به لا دخول القبر الذى هو روضة من رياضها اذ ليس فى البشارة به ما فى البشارة بدخول نفس الجنة
(بما كنتم تعملون) بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة أو بالذى كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفى
التوفى للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق (هل ينظرون) أى ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم (الا ان
تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لا لانه يلحقهم البتة
لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده
وقرئ بتذكير الفعل (أو يأتى أمر ربك) التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
والسلام اشعار بأن اتيانه لطف به عليه الصلاة والسلام وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوى
لا القيامة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائمه العطف بأو لانها ليست نصا فى العناد
اذ يجوز أن يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين فى عذابهم بل لان قوله تعالى فيما
سيأتى ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم الآية صريح فى ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوى
(كذلك) أى مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء (فعل الذين) خلوا (من قبلهم)
من الامم (وما ظلمهم الله) بما سيحل من عذابهم (ولكن كانوا) بما كانوا مستمرين عليه من القبائح
الموجبة لذلك (أنفسهم يظلمون) كان الظاهر أن يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما فى سورة الزخرف لكنه اوثر
ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل أحد
على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه فى سورة يونس (فأصابهم)
عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان أن فعلهم ذلك ظلم لانفسهم (سيئات
ما عملوا) أى اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف
فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم (وحاق بهم) أى أحاط بهم من الحيق الذى هو احاطة الشر وهو أبلغ
من الاصابة وأفظع (ما كانوا به يستهزءون) من العذاب (وقال الذين اشركوا) أى أهل مكة وهو بيان
لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما فى حيز الصلة وذمهم بذلك من اول
الامر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ) أى لو شاء عدم عبادتنا لشئ غيره كما تقول لما عبدنا ذلك
(نحن ولا آباؤنا) الذين نقتدى بهم فى ديننا (ولا حرمنا من دونه من شئ) من السوائب والبحائر وغيرها
وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه الصلاة والسلام وطعنا فى الرسالة رأسا متمسكين بأن ما شاء الله تعالى يجب
وما لم يشأ يمتنع فلو أنه شاء أن نوحده ولا نشرك به شيأ ولا نحرم مما حرمنا شيأ كما يقوله الرسل وينقلونه من جهة
الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفى الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ
شيأ من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم فأجيب عنه بقوله عز وجل (كذلك) أى مثل ذلك الفعل
الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من الامم أى أشركوا بالله وحرموا احله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين
نبهوهم على الخطا وهدوهم الى الحق (فهل على الرسل) الذين يبلغون رسالات الله وعزائم أمره ونهيه
(الا البلاغ المبين) أى ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا أو موضحا وابانة طريق الحق واظهار
احكام الوحى الذى من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق
لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او أبوا كما هو
مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التى عليها يدور أمر التكليف فى شئ حتى يستدل
بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب

والعقاب من افعال العباد لابد فى تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئى الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجراء موجبهما على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بأنهم فى ذلك مأمورون أو بأن ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر أن حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم أى بعثنا فى كل أمة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم (ان اعبدوا الله) يجوز أن تكون أن مفسرة لما فى البعث من معنى القول وان تكون مصدرية أى بعثنا بأن اعبدوا الله وحده (واجتنبوا الطاغوت) هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة (فمنهم) أى من تلك الامم والفاء فصيحة أى فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم (من هدى الله) الى الحق الذى هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئى الى تحصيله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه الا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده (فسيروا) يا معشر قريش (فى الارض فانظروا) فى اكنافها (كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون فى منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بأنه غنى عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وأن ملاك الامر فى تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بأنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ (ان تحرص) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهى لغية (على هداهم) أى ان تطلب هدايتهم بجهدك (فان الله لا يهدى من يضل) أى فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز أن يكون المذكور علة للجزاء المحذوف أى ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدى من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على بناء المفعول أى لا يقدر أحد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وادغام تاء يهتدى فى الدال ويجوز أن يكون يهدى بمعنى يهتدى وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادى لمن يضل ولمن اضل (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم فى الهداية أو يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع فى الناصرين باعتبار الجمعية فى الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد لا لان المراد نفى طائفة من الناصرين من كل منهم (وأقسموا بالله) شروع فى بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث (جهد أيمانهم) مصدر فى موقع الحال أى جاهدين فى أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق (بلى) أى بلى يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه أو لمحذوف أى وعد بذلك وعدا (عليه) صفة لوعدا أى وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده أو لان البعث من مقتضيات الحكمة (حقا) صفة أخرى له أو نصب على المصدرية أى حق حقا (ولكن اكثر الناس) لجهلهم بشؤون الله عز شأنه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما يقتضيه الحكمة التى جرت عادته سبحانه براعاتها (لا يعلمون) أنه يبعثهم فيبتون القول بعدمه أو أنه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين (ليبين لهم) غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين أيضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين أى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم

من

من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن (الذي يختلفون فيه) من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا (وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق (أنهم كانوا كاذبين) في كل ما يقولون لاسيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث اذا كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك أزجر لهم عن انكاره وأدعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر أنك تصلي لأصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بأن يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بأن يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما تعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل أنفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك أيضا (انما قولنا) استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله (لشيء) أي أي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية أي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيأ قبل ذلك (اذا أردناه) ظرف لقولنا أي وقت ارادتنا لوجوده (ان نقول له كن) خبر للمبتدأ (فيكون) اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف أي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هنالك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه أحد المحالين اما خطاب المعدوم أو تحصيل الحاصل أو يقال انما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى انما امره اذا أراد شيأ ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول أو تشبيها له بجواب الامر (والذين هاجروا في الله) أي في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه (من بعد ما ظلموا) ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) أي مباءة حسنة أو تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فأما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين

الهجرتين وأما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه لنثوينهم مثواة حسنة أو لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل الشرق والغرب كافة (ولأجر الآخرة) أي أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة (أكبر) مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين أي لو علموا ذلك لازدادوا في الاجتهاد أو لما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها (الذين صبروا) على الشدائد من أذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب أو الرفع على المدح (وعلى ربهم) خاصة (يتوكلون) منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل أو حال من ضمير صبروا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله أجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ أي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بأن لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليهم بواسطة الملك أوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل (فاسئلوا أهل الذكر) أي أهل الكتاب أو علماء الاخبار أو كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك (ان كنتم لا تعلمون) حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة أو الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو في المهد لانها أعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر أو بما أرسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه أي ما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط أو على نية التقديم قبل أداة الاستثناء أي ما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تأخر صلة ما قبل الا الى ما بعده أو بما وقع صفة للمستثنى أي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية أو الحالية من القائم مقام فاعل يوحى وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسئلوا اعتراض أو بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فأعطني حقي (وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين (لتبين للناس) كافة ويدخل فيهم أهل مكة دخولا أوليا (ما نزل اليهم) في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الثاني أولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين أعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية أو غيرها ولعل قوله عز وجل (ولعلهم يتفكرون) اشارة الى ذلك أي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكروا السيئات) هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما أصاب أولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف أي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم أو مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل أي عملوا السيئات فقوله تعالى (ان يخسف الله بهم الارض) مفعول لأمن أو السيئات صفة لما هو المفعول أي أفأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم أي أنزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته أنباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا أو أتفكروا فأمنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن

بعد التفكر مما لا يكاد يفعله أحد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة أى أمكروا فأمن الذين مكروا الخ (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) باتيانه أى فى حالة غفلتهم أو من مأمنهم أو من حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكى فيما سلف مما نزل بالماكرين (أو يأخذهم فى تقلبهم) أى فى حالة تقلبهم فى مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين) بممتنعين أو فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما للتعليل الاخذ أو لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال عليه السلام ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفى لا نفى الدوام (أو يأخذهم على تخوف) أى مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم (تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن) أى يأخذهم على ان ينقصهم شيأ بعد شئ فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله سبحانه على اهلاكهم بأى وجه كان لا الحصر فيها (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها (أولم يروا) استفهام انكارى وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم ينظروا ولم يروا متوجهين (الى ما خلق الله من شئ) أى من كل شئ (يتفيؤ ظلاله) أى يرجع شيأ فشيأ حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتأنيث الفعل (عن اليمين والشمائل) أى ألم يروا الاشياء التى لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أى عن جانبى كل واحد منها استعيرا لهما ذلك من يمين الانسان وشماله (سجدا لله) حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لارادته تعالى فى الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى (وهم داخرون) أى صاغرون منقادون حال من الضمير فى ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما أن الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال أن أصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به أو كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التى لا يظهر لظلالها أثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها أو اختلاف مشارقها ومغاربها وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب منه تظهر آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربى المقابل له فان الظلال فى أول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقى منها وبعدما بين سجود الظلال وأصحابها من الاجرام السفلية الثابتة فى احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع فى بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال أولا فقيل (ولله يسجد) أى له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشئ غيره استقلالا أو اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا أن الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين (ما فى السموات) قاطبة (وما فى الارض) كائنا ما كان (من دابة) بيان لما فى الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما أتانى من رجل مثله وما أتانى من الرجال مثله (والملائكة) عطف على ما فى السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا أو على ان يراد بما فى السموات الخلق الذى يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (وهم) أى الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل فى يسجد مسند الى الملائكة او استئناف أخبر عنهم

قوله والجملة الخ لا يخفى ما فيه فتأمل اه مصححه

بذلك (يخافون ربهم) أى مالك أمرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم (من فوقهم) أى يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعدما بين أن جميع الموجودات يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعى وما يجرى مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلا لله عز وجل أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل (وقال الله) عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بأنه متعين الالوهية وانما المنهى عنه هو الاشراك به لا أن المنهى عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان أى قال تعالى لجميع المكلفين (لا تتخذوا الهين اثنين) وانما ذكر العدد مع أن صيغة التثنية مغنية عن ذلك للدلالة على ان مساق النهى هى الاثنينية وانها المنافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة فى قوله تعالى (انما هو اله واحد) للدلالة على أن المقصود اثبات الوحدانية وأنها من لوازم الالهية وأما الالهية فأمر مسلم الثبوت له سبحانه واليه أشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على رأى من اكتفى فى تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه (فاياى فارهبون) التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة فى القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل أى ان كنتم راهبين شيأ فاياى ارهبوا فارهبون لا غير فانى ذلك الواحد الذى يسجد له ما فى السموات والارض (وله ما فى السموات والارض) خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما فى اللام من معنى الاختصاص وكذا فى قوله تعالى (وله الدين) أى الطاعة والانقياد (واصبا) أى واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر أنه الاله وحده الحقيق بأن يرهب وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أى وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق أى اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعى ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذى شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون (وما بكم) أى أى شئ يلابسكم ويصاحبكم (من نعمة) أية نعمة كانت (فمن الله) فهى من الله فما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بأنها منه تعالى لا لكونها منه تعالى (ثم اذا مسكم الضر) مساسا يسيرا (فاليه تجأرون) تتضرعون فى كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى (يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا) وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفى ذكر المساس المنبئ عن أدنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس أدنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب (ثم اذا كشف الضر عنكم) وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادى زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخى رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه (اذا فريق منكم بربهم يشركون) فان ترتبها على ذلك فى أبعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كأنه قيل اذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية أيضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة

قوله تتقون فتطيعون هكذا فى النسخ ولعل الصواب تطيعون فتتقون اهـ مصححه

قوله والعائد الخ لا يخفى ما فيه فتأمل اهـ مصحح

الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عزوجل (فتمتعوا) أمر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهى السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز أن يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد أكيد منبئ عن أخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بأنه مما لا يوصف (ويجعلون) لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم أى يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون (لما لا يعلمون) أى لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التى يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف أو لما لا علم له أصلا وليس من شأنه ذلك فما موصولة أيضا والعائد اليها ما فى الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التى وصفوها بصفات العقلاء أو مصدرية واللام للتعليل أى لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه (نصيبا مما رزقناهم) من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها (تالله لتسألن) سؤال توبيخ وتقريع (عما كنتم تفترون) فى الدنيا بأنها آلهة حقيقة بأن يتقرب اليها وفى تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه وتقديس له عزوجل عن مضمون قولهم ذلك أو تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة (ولهم ما يشتهون) من البنين وما مرفوعة المحل على أنه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض فى حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات أى يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدى الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار (واذا بشر أحدهم بالانثى) أى اخبر بولادتها (ظل وجهه) أى صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشويش (وهو كظيم) ممتلئ حنقا وغيظا (يتوارى) أى يستخفى (من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء (أيمسكه) أى مترددا فى أمره محدثا نفسه فى شأنه أيمسكه (على هون) ذل وقرئ هوان (أم يدسه) يخفيه (فى التراب) بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالى عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز أن يكون مداره التعكيس لقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى (للذين لا يؤمنون بالآخرة) ممن ذكرت قبائحهم (مثل السوء) صفة السوء الذى هو كالمثل فى القبح وهى الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادى كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بأن مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة (ولله) سبحانه وتعالى (المثل الاعلى) أى الصفة العجيبة الشأن التى هى مثل فى العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا (وهو العزيز) المتفرد بكمال القدرة لاسيما على مؤاخذتهم بذنوبهم (الحكيم) الذى يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا أيضا من جملة صفاته العجيبة تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس) الكفار (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بأن ما أتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه (ما ترك عليها) على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى (من دابة) أى ما ترك عليها شيأ من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم أن لا يكون فى الارض دابة لما أنها مخلوقة لمنافع البشر

لقوله سبحانه هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا (ولكن) لا يؤاخذهم بذلك بل (يؤخرهم الى أجل
مسمى) لاعمارهم أو لعذابهم كى يتوالدوا أو يكثر عذابهم (فاذا جاء أجلهم) المسمى (لا يستأخرون) عن
ذلك الاجل أى لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له (ساعة) فذة وهى مثل
فى قلة المدة (ولا يستقدمون) أى لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيء
الاجل مبالغة فى بيان عدم الاستئخار بنظمه فى سلك ما يمتنع كما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع أنه
لا توبة له رأسا قد نظم فى سمط من لم تقبل توبته للايذان بأنهما سيان فى ذلك وقد مر فى تفسير سورة يونس
(ويجعلون لله) أى يثبتون له سبحانه وينسبون اليه فى زعمهم (ما يكرهون) لانفسهم مما ذكر وهو تكرير
لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى (وتصف ألسنتهم الكذب) أى يجعلون له تعالى ما يجعلون
ومع ذلك تصف ألسنتهم الكذب وهو (أن لهم الحسنى) العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن
رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع الكذوب على أنه صفة الالسنة (لا جرم) رد
لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه أى حقا (أن لهم) مكان ما أملوا من الحسنى (النار) التى ليس وراء
عذابها عذاب وهى علم فى السوء (وأنهم مفرطون) أى مقدمون اليها من افرطته اى قدمته فى طلب الماء
وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء
وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات وبكسر المخففة من الافراط فى المعاصى فلا يكونان حينئذ
من أحوالهم الاخروية كما عطف عليه (تالله لقد أرسلنا الى امم من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك أى أرسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك
(فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فعكفوا عليها مصرين (فهو وليهم) أى قرينهم وبئس القرين (اليوم) أى
يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية أو فى الدنيا أو يوم القيامة على طريق حكاية
الحال الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر أى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره
مبالغة فى نفى الناصر عنهم ويجوز أن يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو
ولى هؤلاء لانهم منهم وأن يكون على حذف المضاف أى ولى أمثالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) هو
عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (الا لتبين) استثناء مفرغ من أعم العلل أى ما أنزلناه عليك لعلة
من العلل الا لتبين (لهم) أى للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحكام الافعال وأحوال المعاد
(وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين أى وللهداية والرحمة (لقوم يؤمنون) وانما انتصبا لكونهما اثرى فاعل
الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه فى الوجود وتخصيص
كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره (والله أنزل من السماء) من السحاب أو من جانب السماء
حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من أدلة التوحيد (ماء) نوعا خاصا من
الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر (فأحيى به الارض) بما
أنبت به فيها من أنواع النباتات (بعد موتها) أى بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادى لا ينافيه ما بين
المعطوفين من المهلة (ان فى ذلك) أى فى انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به (لآية) وأية آية
دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون) هذا التذكير ونظائره سماع تفكر
وتدبر فكأن من ليس كذلك أصم (وان لكم فى الانعام لعبرة) عظيمة وأى عبرة تحار فى دركها العقول
وتهيم فى فهمها ألباب الفحول (نسقيكم) استئناف لبيان ما ابهم أولا من العبرة (مما فى بطونه) أى بطون
الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاكباش
وأخلاق كما ان تأنيثه فى سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس
لجميعها اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفى سورة المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا)
الفرث فضالة ما يبقى من العلف فى الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى فى المعاء وعن ابن عباس رضى
الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعل المراد

قوله فيه كذا فى النسخ والصواب اسقاطه

به أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه
بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث
أخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء
وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري على كل حقه على ما يليق به
بتقدير العزيز العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على
مزاجها فيندفع الزائد أولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه الى الضروع فيبيض
لمجاورته لحومها الغذوية البيض ويلذ طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على
ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته فمن الاولى تبعيضية لما أن اللبن
بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض أجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل
والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم
وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من أن تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه
عند وروده عليها لاسيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي
المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما
في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا أو حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه
موضع العبرة (خالصا) عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن
بغي أحدهما عليه مع كونه مكتنفا بهما (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص أحد باللبن
وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بما دل عليه الاسقاء
من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب أي ونطعمكم من ثمرات
النخيل ومن الاعناب أي من عصيرهما وقوله تعالى (تتخذون منه سكرا) استئناف لبيان كنه الاطعام
وكشفه أو بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد أو خبر لمبتدا محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات
النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من سائغ نحو قوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير أو لان المراد هو
الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم (ورزقا حسنا) كالتمر والدبس والزبيب
والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة
(ان في ذلك لآية) باهرة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل (وأوحى ربك
الى النحل) أي ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين (ان اتخذي) اي
بأن اتخذي على أن أن مصدرية ويجوز أن تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع أن
النحل مذكر للحمل على المعنى أولانه جمع نحلة والتأنيث لغة أهل الحجاز (من الجبال بيوتا) أي أوكارا مع
ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء (ومن الشجر ومما يعرشون) أي يعرشه الناس أي يرفعه من كرم
أو سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن
لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش
ولا في كل مكان منها (ثم كلي من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهينها حلوها ومرها (فاسلكي) ما اكلت منها
(سبل ربك) أي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكي
الطرق التي ألهمك في عمل العسل أو فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس (ذللا)
جمع ذلول وهو حال من السبل أي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك أو من الضمير في اسلكي أي
اسلكي منقادة لما أمرت به (يخرج من بطونها) استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من
تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما أمرت بما أمرت (شراب) أي عسل لانه مشروب واحتج
به وبقوله تعالى كلي من زعم أن النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء

ادخار الشتاء ومن زعم انها تلتقط بأفواهها أجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شئ كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه (مختلف ألوانه) ابيض وأسود وأصفر وأحمر حسب اختلاف سن النحل أو الفصل أو الذي اخذت منه العسل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي يشتكي بطنه فقال عليه الصلاة والسلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله تعالى من أحوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن (ان في ذلك) الذي ذكر من اعاجيب آثار قدرة الله تعالى (لآية) عظيمة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وأدوات انيقة وأنظار دقيقة جزم قطعا بأن له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله (والله خلقكم) لما ذكر سبحانه من عجائب أحوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل أشار الى بعض عجائب أحوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة (ثم يتوفاكم) حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة أطفالا وشبابا وشيوخا (ومنكم من يرد) قبل توفيه أي يعاد (الى ارذل العمر) أي اخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بأن بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة (لكيلا يعلم بعد علم) كثير (شيأ) من العلم أو من المعلومات أو لكيلا يعلم شيأ بعد علم بذلك الشئ وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيأ (ان الله عليم) بمقادير أعماركم (قدير) على كل شئ يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين فيه فأعطاكم منه أفضل مما أعطى مماليككم (فما الذين فضلوا) فيه على غيرهم (برادي رزقهم) الذي رزقهم اياه (على ما ملكت ايمانهم) على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية (فهم) أي الملاك والمماليك (فيه) أي في الرزق (سواء) أي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد أي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيأ يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شئ لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية (أفبنعمة الله يجحدون) حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي أن يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى أو حيث انكروا أمثال هذه الحجج البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل أي أيشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب أو ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيأ وانما هو رزقي أجريه على أيديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم ألا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على

زعم المفضلين أو على فعلهم المؤذن بذلك أو ما المفضلون برادّى بعض فضلهم على ما ملكت أيمانهم فيتساووا في ذلك جميعا مع أن التفضيل ليس الا ليبلوهم أيشكرون أم يكفرون ألا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كأنه قيل فلم يردّوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الردّ يحكى عن أبى ذرّ رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام (وجعل لكم من أزواجكم) وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بأن المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره (بنين) وبأن نتيجة الازواج هو التوالد (وحفدة) جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد أى جعل لكم خدما يسرعون فى خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن البيوت أتمّ خدمة وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب فى الموضعين عن المجرور لما مرّ من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من أول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له أى جعل لمصلحتكم مما يناسبكم أزواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ أو من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق فى الدنيا أنموذج لما فى الآخرة (أفبالباطل يؤمنون) وهو أن الاصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام والفاء فى المعنى داخلة على الفعل وهى للعطف على مقدر أى أيكفرون بالله الذى شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه (وبنعمة الله) تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان (هم يكفرون) حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أو لايهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه (ويعبدون من دون الله) لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخى أى أيكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه (ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ) ان جعل الرزق مصدرا فشيأ نصب على المفعولية منه أى ما لا يقدر على أن يرزقهم شيأ لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا أى كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا للايملك أى لا يملك رزقا ما شيأ من الملك (ولا يستطيعون) أن يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز أن يكون للكفرة على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين فى الامور لا يستطيعون من ذلك شيأ فكيف بالجماد الذى لا حس به (فلا تضربوا لله الامثال) التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشأن النهى أى لا تشركوا به شيأ والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهى عن الاشراك به تعالى فى شأن من الشؤن فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة أى لا تشبهوا بشأنه تعالى شأنا من الشؤن واللام مثلها فى قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهى على ما عدّد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من أن يملك لهم من أقطار السموات والارض شيأ من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل فى الرزق ونعمة الازواج والاولاد (ان الله يعلم) تعليل للنهى المذكور ووعيد على المنهى عنه أى انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه فى غاية العظم والقبح (وأنتم لا تعلمون) ذلك والا لما فعلتموه أو انه تعالى يعلم كنه الاشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الامر والنهى ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال فى هذا الباب فقال (ضرب الله مثلا) أى ذكر وأورد

شيأ يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا (عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه وقد أدمج فيه أن الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل أولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة (ومن رزقناه) من موصوفة معطوفة على عبدا أي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق (منا) من جنابنا الكبير المتعالي (رزقا حسنا) حلالا طيبا أو مستحسنا عند الناس مرضيا (فهو ينفق منه) تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فأنفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي (سرا وجهرا) أي حال السر والجهر أو انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى أصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بأن الاحرار أيضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وأن مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بأن رزقهم الله تعالى اياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين (هل يستوون) جمع الضمير للايذان بأن المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما أي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع أن الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وأن ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما أعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل أذل منه وهو الاصنام (الحمد لله) أي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسايط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من أن ما يظهر على يد من ينفق مما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه (بل اكثرهم لا يعلمون) ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلا) أي مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتتطلع النفس الى وروده وتترقبه حتى تتمكن لديها عند وروده بين فقيل (رجلين أحدهما ابكم) وهو من ولد أخرس (لا يقدر على شيء) من الاشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحدس أو فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه (وهو كل) ثقل وعيال (على مولاه) على من يعوله ويلي أمره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى (اينما يوجهه) أي حيث يرسله مولاه في أمر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه (لا يأت بخير) بنجح وكفاية مهم البتة (هل يستوي هو) مع ما فيه من الاوصاف المذكورة (ومن يامر بالعدل) أي من هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل (وهو) في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام (على صراط مستقيم) ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق ما يقابلها فان محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية وملخص هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن بأجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لرعاية الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم أن كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد أن يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه

سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي (ولله) تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا (غيب السموات والارض) أي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا أو مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبية لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بأن علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض (وما أمر الساعة) التي هي أعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما أو ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان انيتها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة أي ما شأنها في سرعة المجيء (الا كلمح البصر) أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها (أو هو) أي بل أمرها فيما ذكر (أقرب) من ذلك وأسرع زمانا بأن يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر عن حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى أبعاض هي ازمنة أيضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة أو ما أمرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر أو هو أقرب وأياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان (ان الله على كل شيء قدير) ومن جملة الاشياء أن يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك أو وما أمر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد أنكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر أو هو أقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما أن علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة (والله أخرجكم من بطون امهاتكم) عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها أيضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي (لا تعلمون شيأ) في موقع الحال أي غير عالمين شيأ أصلا (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على أن اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج أي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بأفئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن (لعلكم تشكرون) كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي اولان ادراكه أقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل (ألم يروا) وقرئ بالتاء (الى الطير) جمع طائر أي ألم ينظروا اليها (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى (في جو السماء) أي في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة (ما يمسكهن) في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن (الا الله) عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة

قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات أو من الطير واما مستأنف (ان في ذلك) الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة تتمكن بها منه بأن جعل لها اجنحة خفيفة وأذنابا كذلك وجعل أجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها وأذنابها لا يطيق ثقلها يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير (لآيات) ظاهرة (لقوم يؤمنون) أي من شأنهم أن يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به (والله جعل لكم) معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بأنه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى (من بيوتكم) أي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق (سكنا) فعل بمعنى مفعول أي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم أو تسكنون اليه من غير أن ينتقل من مكانه أي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) أي بيوتا أخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط (تستخفونها) تجدونها خفيفة سهلة المأخذ (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين (ويوم اقامتكم) وقت نزولكم في الضرب والبناء (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التنويع أي وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاثا) أي متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر أثيث (ومتاعا) أي شيئا يتمتع به بفنون التمتع (الى حين) الى أن تقضوا منه أوطاركم أو الى أن يبلى ويفنى فانه في معرض البلا والفناء وقيل الى أن تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل (والله جعل لكم مما خلق) من غير صنع من قبلكم (ظلالا) أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما أن تلك الديار غالبة الحرارة (وجعل لكم من الجبال أكنانا) مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة (وجعل لكم سرابيل) جمع سربال وهو كل ما يلبس أي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر أو لان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا (وسرابيل) من الدروع والجواشن (تقيكم بأسكم) أي البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام وأضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأويه الا الاظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال (كذلك) أي مثل ذلك الاتمام البالغ (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أي ارادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر أو لاظهار أن ذلك بالنسبة الى جانب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون أي تسلمون من العذاب أو من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له أي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما ألقي اليهم من البينات والعبر والعظات (فانما عليك البلاغ المبين) أي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب (يعرفون نعمة الله) استئناف لبيان أن توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلا فانهم يعرفونها ويعترفون أنها من الله تعالى (ثم ينكرونها) بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم انها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون أبناءهم ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق

من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا
كذلك لقوله سبحانه (واكثرهم الكافرون) أى المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكروا الحكم عليهم
بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافى كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل
ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا لنقصان العقل أو التفريط فى النظر أو لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد
التكليف فتدبر (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو
نبيها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على أن ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار
المنبئ عن الاقناط الكلى وهو عندما يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم
السلام عليهم وأطم (ولا هم يستعتبون) يسترضون أى لا يقال لهم أرضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار
العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما
لا يوصف وكذا قوله تعالى (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم (فلا
يخفف عنهم) ذلك (ولا هم ينظرون) أى يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم (واذا رأى الذين اشركوا
شركاءهم) الذين كانوا يدعونهم فى الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه
وقارنوهم فى الغى والضلال (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) أى نعبدهم او نطيعهم ولعلهم
قالوا ذلك طمعا فى توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه (فألقوا) أى شركاؤهم (اليهم القول انكم
لكاذبون) فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا
يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت
الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم
فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله سبحانه عن الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا
حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى
فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم أهواءكم (وألقوا) أى الذين اشركوا (الى الله يومئذ السلم)
الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه فى الدنيا (وضل عنهم) أى ضاع وبطل
(ما كانوا يفترون) من أن لله سبحانه شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم
(الذين كفروا) فى انفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا
فوق العذاب) الذى كانوا يستحقونه بكفرهم قيل فى زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال
تلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد
الى النار (بما كانوا يفسدون) متعلق بقوله زدناهم أى زدناهم عذابهم بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد
المذكور (ويوم نبعث) تكرير لما سبق تثنية للتهديد (فى كل امة شهيدا عليهم) أى نبيا (من انفسهم) من جنسهم
قطعا لمعذرتهم وفى قوله تعالى عليهم اشعار بأن شهادة أنبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم (وجئنا بك) ايثار لفظ
المجئ على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (شهيدا على
هؤلاء) الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على
امتك والعامل فى الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة (ونزلنا عليك الكتاب) الكامل فى الكتابية
الحقيق بأن يخص باسم الجنس وهو اما استئناف او حال بتقدير قد (تبيانا) بيانا بليغا (لكل شئ) يتعلق بأمور
الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم عليهم السلام فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم
وكذا من جملته ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم الصلاة
والسلام والتبيان كالتلقاء فى كسر أوله وكونه تبيانا لكل شئ من أمور الدين باعتبار أن فيه نصا على بعضها
واحالة لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبى عليه السلام وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا
على الاجماع وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابى كالنجوم بأيهم
اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة
الى تبيان الكتاب ولم يضر ما فى البعض من الخفاء فى كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية

كما قيل فى قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من أنصار (وهدى ورحمة) للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لامن جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة اويكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك (ان الله يأمر) أى فيما نزله تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار (بالعدل) بمراعاة التوسط بين طرفى الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) أى الاتيان بما أمر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذى القربى) أى اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشأنه (وينهى عن الفحشاء) الافراط فى متابعة القوة الشهوية كالزنى مثلا (والمنكر) ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط فى اظهار آثار القوة الغضبية (والبغى) الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التى هى حاصلة من رذيلتى القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس فى البشر شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت فى كونه تبيانا لكل شئ وهدى (يعظكم) بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال من الضميرين فى الفعلين (لعلكم تذكرون) طلبا لان تتعظوا بذلك (وأوفوا بعهد الله) هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (اذا عاهدتم) أى حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا تنقضوا الايمان) التى تحلفون بها عند المعاهدة (بعد توكيدها) حسبما هو المعهود فى أثناء العهود لا على أن يكون النهى مقيدا بالتوكيد مختصا به (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك (ولا تكونوا) فيما تصنعون من النقض (كالتى نقضت غزلها) أى ما غزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت أى كالمرأة التى نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه (انكاثا) طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على أنه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هى ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى لا تكونوا او فى الجار والمجرور الواقع موقع الخبر أى مشابهين لامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم وأصل الدخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه (أن تكون أمة) أى بأن تكون جماعة (هى أربى) أى ازيد عددا وأوفر مالا (من امة) من جماعة أخرى أى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة فى أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم (انما يبلوكم الله به) أى بأن تكون امة اربى من امة أى يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) حين جازاكم بأعمالكم ثوابا وعقابا (ولو شاء الله) مشيئة قسر والجاء (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن) لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل (يضل من يشاء) اضلاله أى يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره

المؤدى اليه (ويهدى من يشاء) هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها (ولتسألن) جميعا يوم القيامة (عما كنتم تعملون) فى الدنيا وهذا اشارة الى مالوح به من الكسب الذى عليه يدور أمر الهداية والضلال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى بيان قبح المنهى عنه وتمهيد القوله سبحانه (فتزل قدم) عن محجة الحق (بعد ثبوتها) عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بأن زلل قدم واحدة أى قدم كانت عزت أوهانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) أى العذاب الدنيوى (بما صددتم) بصدودكم او بصدكم غيركم (عن سبيل الله) الذى ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم) فى الآخرة (عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله) أى لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله عليه السلام او آياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان (ثمنا قليلا) أى لا تستبدلوا بها عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا (ان ما عند الله) عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروى (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم من أهل العلم والتميز وهو تعليل للنهى على طريقة التحقيق كما أن قوله تعالى (ما عندكم) تعليل للخيرية بطريق الاستئناف أى ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا (ينفد) وان جم عدده وينقضى وان طال أمده (وما عند الله) من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية (باق) لا نفاد له أما الاخروية فظاهرة وأما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات الصالحات وفى ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى (ولنجزين) بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات فى الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجركم بأحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليته للجزاء أى والله لنجزين (الذين صبروا) على أذية المشركين ومشاق الاسلام التى من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات (أجرهم) مفعول ثان لنجزين أى لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة (بأحسن ما كانوا يعملون) أى لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما فى قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال أحد لا سيما بعد قوله تعالى أجرهم او لنجزينهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا أنا نعطى الاجر بحسب أفرادها المتفاوتة فى مراتب الحسن بأن نجزى الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم فى تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه فى سلك الصبر الجميل أو لنجزينهم بجزاء أحسن من أعمالهم وأما التفسير بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه أيضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على أن ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب فى تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة فى مقام توسيع حماها (من عمل صالحا) أى عملا صالحا أى عمل كان وهذا شروع فى تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم فى الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى (من ذكر أو أنثى) مبالغة فى بيان شموله للكل (وهو مؤمن) قيده به اذ لا اعتداد بأعمال الكفرة فى استحقاق الثواب أو تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه فى سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح (فلنحيينه حيوة طيبة) فى الدنيا يعيش عيشا طيبا أما ان كان موسرا فظاهر وأما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة

نعيم لبله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه (ولنجزينهم) فى الآخرة (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع فى الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما أن الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما فى حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل (فاذا قرأت القرآن) أى اذا أردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بأن المراد هى الارادة المتصلة بالقراءة (فاستعذ بالله) فاسأله عز جاره أن يعيذك (من الشيطان الرجيم) من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على أنها لغيره عليه الصلاة والسلام وفى سائر الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام وفيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضى الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (انه) الضمير للشان اوللشيطان (ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أى اليه يفوضون أمورهم وبه يعوذون فى كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضى فى الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما أن اختيار صيغة الاستقبال فى الثانية لافادة الاستمرار التجددى وفى التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوى أى يعذك أونحوه (انما سلطانه) أى تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى وقد أفصح عنه قوله تعالى (على الذين يتولونه) أى يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك (والذين هم به) سبحانه وتعالى (مشركون) أو بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذى حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة فى الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى الشيطان وان كان بينهما واسطة فى المفهوم وأن من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم فى سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية فى الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددى كما أن اختيار الجملة الاسمية فى الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مقيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التى هى بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعى الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها (واذا بدلنا آية مكان آية) أى اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بأن نسخناها بها (والله أعلم بما ينزل) اولا وآخرا وبأن كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتض غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة فى وقت تنقلب فى وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد فى المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفى الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض أو حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال (قالوا) أى

الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ (انما انت مفتر) أى متقول على الله تعالى تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أى لا يعلمون شيأ أصلا أو لا يعلمون أن فى النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا (قل نزله) أى القرآن المدلول عليه بالآية (روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام أى الروح المطهر من الأدناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة فى ذلك الوصف كأنه طبع منه وفى صيغة التفعيل فى الموضعين اشعار بأن التدريج فى الانزال مما تقتضيه الحكم البالغة (من ربك) فى اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه صلى الله عليه وسلم ما ليس فى اضافته الى ياء المتكلم المنبئة على التلقين المحض (بالحق) أى ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على أن النسخ حق (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بأنه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال (وهدى وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت أى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار (ولقد نعلم أنهم يقولون) غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء (انما يعلمه) أى القرآن (بشر) على طريقة البت مع ظهور أنه نزله روح القدس عليه الصلاة والسلام وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددى فى متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى وانما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه مع كونه أدخل فى ظهور كذبهم للايذان بأن مدار خطاهم ليس نسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والآخرين (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى) الالحاد الامالة من ألحد القبر اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه أى لغة الرجل الذى يميلون اليه القول عن الاستقامة أعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان (وهذا) اى القرآن الكريم (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فان زعمتم أن بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذى أعجز جميع أهل الدنيا والتشبث فى أثناء الطعن بأذيال أمثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير معلمة من البشر (لا يهديهم الله) الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبههم ورد طعنهم وقوله تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده بتحقيق أنه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى أعلم أن المفترى هو الذى يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر أى تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بأن ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى فى كونه كذبا وافتراء كالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة فى بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه أعنى قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفترى الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله (هم الكاذبون)

على الحقيقة او الكاملون فى الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بأمثال هاتيك الاباطيل والسر فى ذلك أن الكذب الساذج الذى هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع فى نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى فى فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه فى فعله وقوله المنبئ عنه معاً أو الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر (من كفر بالله) أى تلفظ بكلمة الكفر (من بعد ايمانه) به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعدما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتى عليه أو هو خبرلهما معاً أو النصب على الذم (الا من اكره) على ذلك بأمر يخاف على نفسه او على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالايمان) حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا تجدى نفعا وانما المجدى مقارنته للكفر الواقع به أى الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى أنه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على أن الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من) لم يكن كذلك بل (شرح بالكفر صدرا) أى اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب) عظيم لا يكتنه كنهه (من الله) اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب (ولهم عذاب عظيم) اذ لا جرم أعظم من جرمهم والجمع فى الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما أن الافراد فى المستكن فى الصلة لرعاية جانب اللفظ روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فأباه أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئت بحربة فى قبلها وقالوا انما اسلمت من أجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين فى الاسلام وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل أن يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله أبواه وروى أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال فأنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم فأعاد ثلاثا فأعاد جوابه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة وأما الثانى فقد صدع بالحق (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور (بأنهم) بسبب أنهم (استحبوا الحيوة الدنيا) آثروها (على الآخرة وان الله لا يهدى) الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء (القوم الكافرين) فى علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدى اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بأن آثروا الآخرة على الدنيا او بأن هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثانى مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى (أولئك) أى أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة اذ لا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضى الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار الاسلام وهم عمار وأصحابه رضى الله عنهم أى لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر أعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز أن يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتى عليه ويجوز أن يكون ذلك خبرا لهما وتكون ان الثانية تأكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التى يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة (من بعد ما فتنوا) أى عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل أى عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا (ثم جاهدوا) فى سبيل الله (وصبروا) على مشاق الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد

المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له أو من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه السلام واشعار بأن افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم أتباعاً له (يوم تأتي كل نفس) منصوب برحيم وما رتب عليه أو باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين (تجادل عن نفسها) عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي (وتوفى كل نفس) أي تعطى وافياً كاملاً (ما عملت) أي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعاراً بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد (وهم لا يظلمون) لا ينقصون اجورهم أو لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم (وضرب الله مثلاً قرية) قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولاً أول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل مخل بتجاذب أطراف النظم وتجاوبها ولأن تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقباً لوروده وتشوقاً اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المؤخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة أي جعلها مثلاً لاهل مكة خاصة او لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولاً أولياً (كانت آمنة) ذات أمن من كل مخوف (مطمئنة) لا يزعج أهلها مزعج (يأتيها رزقها) أقوات أهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما أن اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر (رغداً) واسعاً (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت) أي كفر أهلها (بأنعم الله) أي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع او جمع نعم كبؤس وأبؤس والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة (فأذاقها الله) أي اذاق أهلها (لباس الجوع والخوف) شبه أثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً * غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريداً أو شبه أثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية وأخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فأومئ اليه بأن اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة أو لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه أيضاً عطفاً على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف وأصله ولباس الخوف (بما كانوا يصنعون) فيما قبل أو على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى أهل القرية تحقيقاً للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بأن كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة (ولقد جاءهم) من تتمة المثل جيء بها لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضاً أي ولقد جاء اهل تلك القرية (رسول منهم) أي من جنسهم يعرفونه

بأصله ونسبه فأخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون (فكذبوه) في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم (فأخذهم العذاب) المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك (وهم ظالمون) أى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذى هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال أهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال أهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شئ ولقد جاءهم رسول منهم وأى رسول يحار في ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف ما أصابهم من جدب شديد وأزمة حصت كل شئ حتى اضطرتهم الى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وأما ما أجمع عليه اكثر أهل التفسير من أن الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وأن المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه (فكلوا مما رزقكم الله) مفرع على نتيجة التمثيل وصدّ لهم عما يؤدى الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتى اولا وآخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله عليه السلام في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه (حلالا طيبا) وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها (واشكروا نعمة الله) واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالا طيبا وقد أدمج فيه النهى عن زعم الحرمة ولا ريب في أن هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذى يحذر ومن ذا الذى يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه التصدى لاستصلاحهم بالامر والنهى وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع أن ما يتلوه من خطاب النهى متوجه الى الكفار كما فعله الواحدى حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل (ان كنتم اياه تعبدون) أى تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) تعليل لحل ما أمرهم بأكله مما رزقهم أى انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها (فمن اضطر) بما اعتراه من الضرورة فتناول شيأ من ذلك (غير باغ) أى على مضطر آخر (ولا عاد) أى متجاوز قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم)[2] أى لا يؤاخذه بذلك فأقيم سببه مقامه وفى التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفى الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم[3] اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات أى لا تقولوا في شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحى او قياس مبنى عليه (الكذب) منتصب بلا تقولوا وقوله

تعالى

[2] قوله فان ربك غفور رحيم التلاوة فان الله غفور رحيم وحينئذ فلا حاجة لبيان نكتة التعبير بالربوبية المضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام بقوله وفى التعرض لوصف الربوبية الخ اه مصححه

[3] قوله الا ما ضم اليه لعله استثناء من محذوف يفهم من الحصر أى وما عداها حلال الا الخ لكن كان الانسب أن يقال ضم اليها أى الاجناس ولعل التذكير والافراد باعتبار ما ذكر فليتأمل اه مصححه

تعالى (هذا حلال وهذا حرام) بدل منه ويجوز أن يتعلق بتصف على ارادة القول أى لا تقولوا لما تصف
ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالا من ألسنتهم أى قائلة هذا حلال الخ
ويجوز أن ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية أى لا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف ألسنتكم الكذب
وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له فى المسامع كأن ألسنتهم لكونها منشأ الكذب ومنبعا للزور شخص
عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية
كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع
كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولهم
كذب كذابا ذكره ابن جنى (لتفتروا على الله الكذب) فان مدار الحل والحرمة ليس الا أمر الله تعالى فالحكم
بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام لام العاقبة
(ان الذين يفترون على الله الكذب) فى أمر من الامور (لا يفلحون) لا يفوزون بمطالبهم التى ارتكبوا
الافتراء للفوز بها (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة
قليلة (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) لا يكتنه كنهه (وعلى الذين هادوا) خاصة دون غيرهم من الاولين
والآخرين (حرمنا ما قصصنا عليك) أى بقوله تعالى حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الآية (من قبل) متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل
بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم فى ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت
محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا (وما ظلمناهم) بذلك التحريم (ولكن كانوا
انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم الآية ولقد ألقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روى أنه عليه الصلاة والسلام
لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات
لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا أوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم (ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة) أى بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة
الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله تعالى وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك) أى من بعد ما عملوا ما عملوا
والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة (وأصلحوا) أى أصلحوا أعمالهم أو دخلوا فى الصلاح
(ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله
تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام مع ظهور الاثر فى التائبين للايماء الى أن افاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه
عليه السلام وكونهم من أتباعه كما أشير اليه فيما مر (ان ابراهيم كان امة) على حياله لحيازته من الفضائل
البشرية ما لا تكاد توجد الا متفرقة فى امة جمة حسبما قيل ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد
وهو رئيس أهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقى ولا تذر
وأبطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة أو لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس
كلهم كفار وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا
يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف
مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام
وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه (قانتا لله) مطيعا له قائما بأمره (حنيفا) مائلا عن كل دين
باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال (ولم يك من المشركين) فى أمر من امور دينهم أصلا وفرعا صرح
بذلك مع ظهوره لا ردا على كفار قريش فقط فى قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين

بقولهم عزير ابن الله فى افترائهم وادعائهم أنه عليه الصلاة والسلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم أمر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا (شاكرا لانعمه) صفة ثالثة لامة وانما أوثر صيغة جمع القلة للايذان بأنه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق أيضا بمعونة قرينة الاجتباء (وآتيناه فى الدنيا حسنة) حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من أهل دين الا وهم يتولونه وقيل هى الخلة والنبوة وقيل قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه الصلاة والسلام (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أصحاب الدرجات العالية فى الجنة حسبما سأله بقوله وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم (ثم اوحينا اليك) مع علو طبقتك وسمو رتبتك (أن اتبع ملة ابراهيم) الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه أن الوضع الالهى مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما أن الملة لا تضاف الا الى النبى عليه السلام ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا فى جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذى عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم (حنيفا) حال من المضاف اليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمأمور به الاتباع فى الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما فى ثم من التراخى فى الرتبة للايذان بأن هذه النعمة من أجل النعم الفائضة عليه عليه السلام (وما كان من المشركين) تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله تعالى (انما جعل السبت) أى فرض تعظيمه والتخلى فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفى الكلى وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا فى كليته حسبما سلف فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الاسلام وأن ابراهيم عليه السلام كان محافظا عليه أى ليس السبت من شرائع ابراهيم وشعائر ملته التى امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة فى الجملة وانما شرع ذلك لبنى اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت (على الذين اختلفوا فيه) للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدى الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم فى شأنه قبل الوقوع ايثارا له على ما أمر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفى الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام أمر اليهود أن يجعلوا فى الاسبوع يوما واحدا للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله تعالى لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين (وان ربك ليحكم بينهم) أى بين الفريقين المختلفين فيه (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازى كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى أن ما وقع فى الدنيا من مسخ أحد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع فى الآخرة شئ لا يعتد به هذا هو الذى يستدعيه الاعجاز التنزيلى وقيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه أى أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم أن يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالاحلال

تارة

تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بأنه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التى كفرت بأنعم الله تعالى ولا ريب فى أن كلمة بينهم تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل مابين الفريقين من الاختلاف وأن توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبى صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبين أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتأمل (ادع) أى من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما فى قولهم يعطى ويمنع أى يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بأن عموم الدعوة غنى عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص (الى سبيل ربك) الى الاسلام الذى عبر عنه تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة ابراهيم عليه السلام وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشئ الى كماله اللائق شيأ فشيأ مع اضافة الرب الى ضمير النبى عليه الصلاة والسلام فى مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم بأحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والايماء الى وجه بناء الحكم مالا يخفى (بالحكمة) أى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) أى الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز أن يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين (وجادلهم) أى ناظر معانديهم (بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذى أمرك بدعوة الخلق اليه وأعرض عن قبول الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر (وهو أعلم بالمهتدين) اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى أعلم اسلك فى الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو أعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير أمره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلى فما شرعه لك فى الدعوة هو الذى تقتضيه الحكمة فانه كاف فى هداية المهتدين وازالة عذر الضالين أو ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن وأما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو أعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدى اليه فيجازى كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما أن مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذى هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جئ به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو أعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما أمره عليه الصلاة والسلام فيما يختص به من شأن الدعوة بما امره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال (وان عاقبتم) أى ان أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمى ان اكلت فكل قليلا (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) أى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين مآل الجدال الى القتال وأدى النزاع الى القراع فان الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهى موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبوده وادخال الاعناق فى قلادة غير معهوده قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظره وأرتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاوره وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة رضى الله عنه يوم أحد قد مثل به قال لئن أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا أى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة فى المثلة من غير تجاوز لكن فى تقييده بقوله وان عاقبتم حث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل (ولئن صبرتم) أى عن المعاقبة بالمثل (لهو) أى لصبركم ذلك (خير) لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل (للصابرين) مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر أو وصفا لهم بصفة تحصل

لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم فى جنس الصابرين دخولا أوليا ثم أمره عليه الصلاة والسلام صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤنه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل (واصبر) أى على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية (وما صبرك الا بالله) استثناء مفرغ من اعم الاشياء أى وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشئ من الاشياء الا بالله أى بذكره والاستغراق فى مراقبة شؤنه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهى من حيث تسهيله وتيسيره فقط (ولا تحزن عليهم) أى على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم (ولا تك فى ضيق) بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل أى لا تكن فى ضيق صدر وحرج ويجوز أن يكون الاول تخفيف ضيق كهين من هين أى فى أمر ضيق (مما يمكرون) أى من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهى عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثانى عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهى عنهما مع أن انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شئ من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فينكف عن الخوف من وقوعه (ان الله مع الذين اتقوا) تعليل لما سبق من الامر والنهى والمراد بالمعية الولاية الدائمة التى لا تحوم حول صاحبها شائبة شئ من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هى من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال فى قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعنى التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقى المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولى الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شئ من مطلوب أو محذور فضلا عن الحزن بفواته أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بعاية الصبر المأمور به حسبما أشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما فى قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على أحد التفسيرين كما حقق فى مقامه والا فمجرد التوقى عن المعاصى لا يكون مدارا لشئ من العزائم المرخص فى تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديفيه وانما مداره المعنى المذكور فكأنه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة فى الحث على الصبر بالتنبيه على أنه من خصائص أجل النعوت الجليلة وروادفه كما أن قوله تعالى (والذين هم محسنون) للاشعار بأنه من باب الاحسان الذى يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقد نبه على أن كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان فى قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين فى ولايته سبحانه من غير أن تكون احداهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أن ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما أن التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه الصلاة والسلام داخل فى زمرتهم دخولا أوليا واما هو عليه الصلاة والسلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز الى أن صنيعه عليه الصلاة والسلام مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضى الله عنهما عند التعزية

اصبر نكن بك صابرين فانما * صبر الرعية عند صبر الراس

قوله الجليلين فى بعض النسخ الجميلين ولعل الاولى اوفق اه مصححه

عن هرم بن حيان أنه قيل له حين الاحتضار أوص قال انما الوصية من المال وأوصيكم بخواتيم سورة النحل * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها اوليلته كان له من الاجر كالذى مات وأحسن الوصية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله اجمعين

## * (سورة بنى اسرائيل مائة واحدى عشرة آية مكية الا آيات فى آخرها) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سبحان الذى اسرى بعبده) سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لاعينا وجنسا لاشخصا لم تكن اضافته من قبيل ما فى زيد المعارك أوحاتم طيء واتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الخ وفيه مالايخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ماعطف عليه فى قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى (ليلا) لافادة قلة زمان الاسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالى يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لاظرفا له ويؤيده قراءة من الليل أى بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه الصلاة والسلام فى عبادته سبحانه وبلوغه فى ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين (من المسجد الحرام) اختلف فى مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به أولان الحرم كله مسجد فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان نائما فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه الصلاة والسلام لتمنعه خشية أن يكذبه القوم قال عليه الصلاة والسلام وان كذبونى فلما خرج جلس اليه ابو جهل فأخبره صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال أبو جهل يامعشر كعب بن لؤى بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبى بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى اصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله أنى يؤفكون * واختلف فى وقته أيضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن أنه كان قبل البعثة واختلف أيضا أنه فى اليقظة أو فى المنام فعن الحسن أنه كان فى المنام وأكثر الاقاويل بخلافه والحق أنه كان فى المنام قبل البعثة وفى اليقظة بعدها واختلف أيضا أنه كان جسمانيا أوروحانيا فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية أنه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما فى ضمنه من التعجب فان الروحانى ليس فى الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش وأحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت فى الهندسة أن قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل

الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها الها فى أقل من ثانية وقد تقرر أن الاجسام متساوية فى قبول الاعراض التى من جملتها الحركة وأن الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على أن يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها فى جسد النبى صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة (الى المسجد الاقصى) أى بيت المقدس سمى به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفى ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام (لنريه) غاية للاسراء (من آياتنا) العظيمة التى من جملتها ذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح فى ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم الصلاة والسلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقواله عليه الصلاة والسلام بلا أذن (البصير) بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى أن الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته والا فالاحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة (وآتينا موسى الكتاب) أى التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه الصلاة والسلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين فى المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبى عليه السلام الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين أى آتيناه التوراة بعد ما اسرينا به الى الطور (وجعلناه) أى ذلك الكتاب (هدى لبنى اسرائيل) يهتدون بما فى مطاويه (أن لا تتخذوا) أى لا تتخذوا نحو كتبت اليه أن افعل كذا وقرئ بالياء على أن أن مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بنى اسرائيل لئلا يتخذوا (من دونى وكيلا) أى ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما أن فعيلا مفرد فى اللفظ جمع فى المعنى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهى والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم فى ضمن انجاء آبائهم من الغرق فى سفينة نوح عليه السلام او على أنه احد مفعولى لا يتخذوا على قراءة النفى ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرئ ذرية بكسر الذال (انه) أى ان نوحا عليه الصلاة والسلام (كان عبدا شكورا) كثير الشكر فى مجامع حالاته وفيه ايذان بأن انجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلاة والسلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذى هو أعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام (وقضينا) أى أتممنا وأحكمنا منزلين (الى بنى اسرائيل) أو موحين اليهم (فى الكتاب) أى فى التوراة فان الانزال والوحى الى موسى عليه السلام انزال ووحى اليهم (لتفسدن فى الارض) جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كأنه قيل وأقسمنا لتفسدن (مرتين) مصدر والعامل فيه من غير جنسه أولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعياء عليه الصلاة والسلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولتعلن علوا كبيرا) لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه أو لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن فى ذلك افراطا مجاوزا للحدود (فاذا جاء وعد أولاهما) أى اولى كرتى الافساد أى حان وقت حلول العقاب الموعود (بعثنا عليكم) لمؤاخذتكم بجناياتكم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا (أولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش فى الحروب هم سنجاريب من أهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت (فجاسوا) أى ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا (خلال الديار) فى أوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية (وكان) ذلك (وعدا مفعولا) لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هى قتل بخت نصر واستنقاذ بنى اسرائيل أساراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك أنه لما ورث بهمن بن

اسفنديار

اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب ألقى الله تعالى فى قلبه الشفقة عليهم فردّ أساراهم الى الشام وملّك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر وقيل هى قتل داود عليه السلام لجالوت (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعدما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سبيت اولادكم (وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم من قبل أو من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعين (ان احسنتم) أعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير أى عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الابعد أن تكون الاعمال حسنة فى أنفسها او ان فعلتم الاحسان (احسنتم لانفسكم) لانّ ثوابها لها (وان أسأتم) أعمالكم بأن عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتى أو فعلتم الاساءة (فلها) اذ عليها وبالها وعن علىّ كرّم الله وجهه ما أحسنت الى أحد ولا اسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) حان وقت ما وعد من عقوبة المرّة الآخرة (ليسوءوا وجوهكم) متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أى بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية فى وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على أن الضمير لله تعالى او للوعد أو للبعث ولنسوء بنون العظمة وفى قراءة علىّ رضى الله عنه لنسوءنّ على أنه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام فى قوله عز وجل (وليدخلوا المسجد) عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به (كما دخلوه اوّل مرّة) أى فى اوّل مرّة (وليتبروا) أى يهلكوا (ما علوا) ما غلبوه واستولوا عليه أو مدّة علوّهم (تتبيرا) فظيعا لا يوصف بأن سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرد وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقونى فقتل على ذلك ألوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقى منهم أحدا فهدأ (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرّة الآخرة ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصى (وان عدتم) الى ما كنتم فيه من الفساد مرّة أخرى (عدنا) الى عقوبتكم ولقد عادوا فأعاد الله سبحانه عليهم النقمة بأن سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى محبسا لا يستطيعون الخروج منها أبد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن أن يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذمّا لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم (انّ هذا القرآن) الذى آتيناكه (يهدى) أى الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذى آتيناه موسى (للتى) للطريقة التى (هى أقوم) أى أقوم الطرائق وأسدّها اعنى ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التى هى من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدى اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حينئذ (ويبشر المؤمنين) بما فى تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف (الذين يعملون الصالحات) التى شرحت فيه (انّ لهم) أى بأن لهم بمقابلة تلك الاعمال (أجرا كبيرا) بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرّات فصاعدا (وانّ الذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما أمروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين أعمالهم وجزائها الذى انبأ عنه قوله عز وجل (اعتدنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب جهنم أى أعتدنا لهم فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة عذابا أليما وهو أبلغ فى الزجر لما أن اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وأفجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر أو على قوله تعالى أن لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السارّ وبالنبأ الضارّ حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم



قوله والمعين فى بعض النسخ والنفير فليحرر اهـ مصححه

وعقاب أعدائهم وقوله تعالى (ويدع الانسان بالشرّ) بيان لحال المهدى اثر بيان حال الهادى واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس أسند اليه حال بعض أفراده او حكى عنه حاله فى بعض أحيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذى لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشرّ الذى لا شرّ وراءه من العذاب الاليم وهو أى بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشرّ من العذاب المذكور امّا بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهمّ ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما بأعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم (دعاءه بالخير) أى مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى أنه اللائق بحاله (وكان الانسان) أى من أسند اليه الدعاء المذكور من أفراده (عجولا) يسارع الى طلب ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره أو مبالغا فى العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم تحمل العجولية على اللج والتمادى فى استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثانى ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو فى بعض أحيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شرّ وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى أن يزول عنه ما يعتريه روى أنه عليه الصلاة والسلام دفع الى سودة اسيرا فأرخته كأنه رحمة لأنينه بالليل من ألم القدّ فهرب فلما أخبر به النبىّ عليه الصلاة والسلام قال اللهمّ اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام انى سألت الله تعالى أن يجعل دعاءى على من لا يستحق من أهلى عذابا رحمة اويدعو بما هو شرّ وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر فى أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شرّ جدير بالاستعاذة منه (وجعلنا الليل والنهار آيتين) شروع فى بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التى كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضلّ من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودىّ اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن الليلة أضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة أى جعلنا الملوين بهيآتهما وتعاقبهما واختلافهما فى الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار فى فهمها العقول آيتين تدلان على أن لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد (فمحونا آية الليل) الاضافة امّا بيانية كما فى اضافة العدد الى المعدود أى محونا الآية التى هى الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوّة الضوء مطموسته لكن لا بعد أن لم يكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أى أنشأهما كذلك والفاء تفسيرية لانّ المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته (وجعلنا آية النهار) أى الآية التى هى النهار على نحو ما مرّ (مبصرة) اى مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال أهلها أو مبصرة للناس من ابصره فبصره وامّا حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر امّا خلقه مطموس النور فى نفسه فالفاء كما ذكروا اما نقص ما استفاده من الشمس شيأ فشيأ الى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة (لتبتغوا) متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما اشير اليه أى وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم فى بياض النهار (فضلا من ربكم) أى رزقا اذ لا يتسنى ذلك فى الليل وفى التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرّض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيأ فشيأ دلالة على أن ليس للعبد فى تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية (ولتعلموا) متعلق بكلا الفعلين أعنى محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور أى لتعلموا بتفاوت الجديدين أو نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما أو حركاتهما وأوضاعهما وسائر أحوالهما (عدد السنين) التى

قوله الآفاقية الذى فى الصحاح أن النسبة للآفاق على غير لفظها فقال أفقى بضمتين وأفقى بفتحتين لا الى لفظها بحيث يقال آفاقى فليراجع اهـ مصححه

يتعلق بها غرض على ٍ لاقامة مصالح الحكم الدينية والدنيوية (والحساب) أى الحساب المتعلق بما فى ضمنها من الاوقات أى الاشهر والليالى والايام وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذى تعلق به العد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة أعنى حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها أى بفنيها من غير أن يعتبر فى ذلك تحصل شئ معين وتحقيقه ما مر فى سورة يونس من أن الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شئ كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها أسام خاصة وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من أول الامر على أن متعلق الحساب ما فى تضاعيف السنين من الاوقات أولان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا أولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شئ آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب أولان العلم المتعلق بالاول أقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم فى مقام الامتنان والله سبحانه أعلم (وكل شئ) تفتقرون اليه فى المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى (فصلناه تفصيلا) أى بيناه فى القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ فظهر كونه هاديا للتى هى أقوم ظهورا بينا (وكل انسان) مكلف (ألزمناه طائره) أى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر أو ما وقع له فى القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه فى العلم الازلى من قولهم طار له سهم كذا (فى عنقه) تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط أى ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبدا بل يلزمه لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون (ونخرج له) بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على أن الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما فى قراءة يخرج من الخروج (يوم القيامة) والبعث للحساب (كتابا) مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين أو حال من المفعول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر فى الفعل من ضمير الطائر (يلقاه) أى يلقى الانسان أو يلقاه الانسان (منشورا) وهما صفتان للكتاب أو الاول صفة والثانى حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا أى يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (اقرأ كتابك) أى قائلين لك ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا أو شرا يحدث منه فى جوهر روحه أمر مخصوص الا أنه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة فى الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله فى مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافى ووضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما أهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال أو لانه مبنى على تأويل النفس بالشخص على أنها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث

يا نفس انك باللذات مسرور * فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها أى من اهتدى بهدايته وعمل بما فى تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد (ومن ضل) عن الطريقة التى يهديه اليها (فانما يضل عليها) أى فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) تأكيد للجملة الثانية أى لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو فى الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذى يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على أسلافهم الذين قلدوهم (وما كنا معذبين) بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها وعدم حرمان المهتدى من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها أى وما صح وما استقام منا بل استحال فى سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمنا الماضى وقضائنا السابق أن نعذب أحدا من أهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل (حتى نبعث) اليهم (رسولا) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما فى تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفى اما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ أبو منصور الماتريدى رحمه الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوى والاخروى وهو من أفراده وأيا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه فى وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروى لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوى أيضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان ألا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء ألف سنة وقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية) بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التى جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنها المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد فى وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتى بل دنو وقتها كما فى قوله تعالى أتى أمر الله أى واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذى بينا أنه لا يصح منا قبل البعثة أو بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب اعنى عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصى دنوا تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين (أمرنا) بواسطة الرسول المبعوث الى أهلها (مترفيها) متنعميها وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول فى الخطاب والباقى أتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به اما لظهور أن المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدى اليه واما لان المراد وجدنا الامر كما يقال فلان يعطى ويمنع (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الطاعة وتمردوا (فحق عليها القول) أى ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب اثر ما ظهر منهم من الفسق والطغيان (فدمرناها) بتدمير أهلها (تدميرا) لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز عن الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطرهم وأفضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت الشئ فأمر أى كثرته فكثر وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وأمّرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلتا من الامارة أى جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك أن طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة أبطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقا بأن يعبر عنه بالامر به (وكم أهلكنا) أى وكثيرا ما أهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهى عشرون

قوله أى ثبت الخ هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ما نصه أى كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها اهـ

أو ثلاثون أو أربعون أو ثمانون أو مائة وقد أيد ذلك بأنه عليه الصلاة والسلام دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة أو مائة وعشرون (من بعد نوح) من بعد زمنه عليه الصلاة والسلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت أحوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه الصلاة والسلام في تلك القرون المهلكة لظهور أمرهم على أن ذكره عليه الصلاة والسلام رمز الى ذكرهم (وكفى بربك) أى كفى ربك (بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التى هى مبادى الاعمال الظاهرة أو لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات أيضا وفيه اشارة الى أن البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه (من كان يريد) بأعماله التى يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كأعمال البر أو بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب أو بأعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة وأكثر الفسقة وعلى الثانى أهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة (العاجلة) فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الارادة فى قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز أن يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله (عجلنا له فيها) أى فى تلك العاجلة فان الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما فى قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها (ما نشاء) أى ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد (لمن نريد) تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير فى له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على أن الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن أراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما أن الحكمة التى عليها يدور فلك التكوين لا تقتضى وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه وأما ما يتراءى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة أعماله فقد أشير الى تحقيق القول فيه فى سورة هود بفضل الله تعالى (ثم جعلنا له) مكان ما عجلنا له (جهنم) وما فيها من أصناف العذاب (يصلاها) يدخلها وهو حال من الضمير المجرور أو من جهنم او استئناف (مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية فى المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة (ومن أراد) بأعماله (الآخرة) الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم (وسعى لها سعيها) أى السعى اللائق بها وهو الاتيان بما أمر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا يخالطه شئ قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر فى حيز الصلة (فأولئك) اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما فى حيز الصلة وما فى ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى أن الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع أى اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة أعنى ارادة الآخرة والسعى الجميل لها والايمان (كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله تعالى أحسن القبول مثابا عليه وفى تعليق المشكورية بالسعى دون قرينيه اشعار بأنه العمدة فيها (كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه أى كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط (نمد) أى نزيد مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية السعى وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى (هؤلاء) بدل من كلا (وهؤلاء) عطف عليه أى نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه أفراد الفريق الاخير وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى (من عطاء ربك)

أى من معطاه الواسع الذى لا تناهى له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على أن الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعى والعمل بل بمحض التفضل (وما كان عطاء ربك) أى دنيويا كان أو أخرويا وانما اظهر اظهار المزيد الاعتناء بشأنه واشعارا بعليته للحكم (محظورا) ممنوعا عمن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضى الحظر كالكافر وهو فى معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية فى الموضعين للاشعار بعبديتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) كيف فى محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب أحد العطاءين والاستدلال بها على مراتب الآخر أى انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما أمددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضالع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما أفصح عنه قوله تعالى (وللآخرة أكبر) أى هى وما فيها أكبر من الدنيا وقرئ اكثر (درجات وأكبر تفضيلا) لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التى لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز أن يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثانى ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوى محظورا من أحد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا فى ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضى كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوى بالفريق الثانى مع أنه لم يسبق فى الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب أو لكل احد ممن يصلح للخطاب (فتقعد) بالنصب جوابا للنهى والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه أى عجز عنه (مذموما مخذولا) خبران او حالان أى جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بأن الموحد جامع بين المدح والنصرة (وقضى ربك) أى امر أمرا مبرما وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك (أن لا تعبدوا) أى بأن لا تعبدوا (الا اياه) على أن أن مصدرية ولا نافية او أى لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعى للآخرة (وبالوالدين) أى وبأن تحسنوا بهما أو وأحسنوا بهما (احسانا) لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك فى كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب فى عندك وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهى كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المرام (فلا تقل لهما) أى لواحد منهما حالتى الانفراد والاجتماع (اف) وهو صوت ينبئ عن تضجر أو اسم فعل هو أتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون أى لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهى يفهم النهى عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل (ولا تنهرهما) أى لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهى والنهر والنهم اخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) ذا كرم أو هو وصف له بوصف صاحبه أى قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذى

يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن يقول يا أباه ويا أماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لابيه يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب ودين الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن برّ الوالدين فقال أن لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبىّ عليه الصلاة والسلام ان من ابرّ البرّ أن يصل الرجل اهل ودّ أبيه (واخفض لهما جناح الذل) عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل او جعل لذله جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام (من الرحمة) من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله لهما برحمته الواسعة الباقية (وقل ربّ ارحمهما) برحمتك الدنيوية والاخروية التى من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافى ذلك كفرهما (كما ربيانى) الكاف فى محلّ النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى رحمة مثل تربيتهما لى او مثل رحمتهما لى على أن التربية رحمة ويجوز أن يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر أحدهما فى احد الجانبين والآخر فى الآخر كما يلوّح به التعرض لعنوان الربوبية فى مطلع الدعاء كأنه قيل ربّ ارحمهما وربهما كما رحمانى وربيانى (صغيرا) ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أى لاجل تربيتهما لى كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل فى التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما فى سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر فى باب مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمته التى وسعت كل شئ مشبهة بتربيتهما وعن النبىّ عليه الصلاة والسلام رضى الله فى رضى الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى يفعل البارّ ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوىّ بلغا من الكبر أنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروى أن شيخا اتى النبىّ عليه الصلاة والسلام فقال ان ابنى هذا له مال كثير وانه لا ينفق علىّ من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد أنشأ فى ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فأنشدها الشيخ فقال

غذوتك مولودا ومنتك يافعا * تعل بما أجنى عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى وعينى تهمل
فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتى * فعلت كما الجار المجاور يفعل

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لابيك (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) من البرّ والعقوق (ان تكونوا صالحين) قاصدين للصلاح والبرّ دون العقوق والفساد (فانه) تعالى (كان للاوابين) أى الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر (غفورا) لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية اوقولية وفيه ما لا يخفى من التشديد فى الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجانى على ابويه دخولا أوليا (وآت ذا القربى) أى ذا القرابة (حقه) توصية بالاقارب اثر التوصية ببرّ الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى (والمسكين وابن السبيل) فان المأمور به فى حقهما المواساة المالية لا محالة أى وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهى عن التبذير وعن الافراط فى القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية (ولا تبذر تبذيرا) نهى عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه

فان التبذير تفريق فى غير موضعه ماخوذ من تفريق حبات والقائها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لاعن الاكثار فى صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذى هو تجاوز الحد فى صرفه وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) تعليل للنهى عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملذوذا فى قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة فى كل مالا خير فيه من صفات السوء التى من جملتها التبذير أى كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين أو الصداقة والملازمة أى كانوا أصدقاءهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف فى المعاصى فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم فى السمعة وسائر مالا خير فيه من المناهى والملاهى أو المقارنة أى قرناءهم فى النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) من تتمة التعليل اى مبالغا فى كفران نعمته تعالى لان شانه أن يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هى له من أنواع المعاصى والافساد فى الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما أمر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة للايذان بأن التبذير الذى هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذى هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هى له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من أقوى الدواعى الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان (واما تعرضن عنهم) أى ان اعتراك أمر اضطرك الى أن تعرض عن اولئك المستحقين (ابتغاء رحمة من ربك) اى لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء (ترجوها) من الله تعالى لتعطيهم وكان عليه السلام اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء فأمر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل (فقل لهم قولا ميسورا) سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد أوقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفى قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من أول الامر روعى ذلك فى التصوير بأقبح الصور ولما كان غائلة الاسراف فى آخره بين قبحه فى أثره فقيل (فتقعد ملوما) أى فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت (محسورا) نادما أو منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روى عن جابر رضى الله عنه انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ أتاه صبى فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له قل ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فيأباه أن السورة مكية خلا آيات فى آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزارى فجاء عباس بن مرداس فأنشأ يقول

أتجعل نهبى ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال عليه السلام يا أبابكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) تعليل لما مر أى يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما رهقك من الاضاقة التى تحوجك الى الاعراض عن السائلين أو نفاد ما فى يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) تعليل لما سبق أى يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله العالم بالسرائر والظواهر الذى بيده خزائن السموات والارض وأما العباد فعليهم أن يقتصدوا وأن يراد أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يراد أنه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وأن يكون تمهيدا لقوله (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أى مخافة فقر

قوله ويبذرون اموالهم فى بعض النسخ ويبذرون بالنون اه

وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك (نحن نرزقهم واياكم) لا أنتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهى المذكور بابطال موجبه فى زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع فى سورة الانعام للاشعار بأصالتهم فى افاضة الرزق أو لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكأنه قيل نرزقهم من غير أن ينتقص من رزقكم شئ فيعتريكم ما تخشونه واياكم أيضا رزقا الى رزقكم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) تعليل آخر ببيان أن المنهى عنه فى نفسه منكر عظيم والخطء الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك (ولا تقربوا الزنا) بمباشرة مباديه القريبة أو البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة فى النهى عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهى عنه بين النهى عن قتل الاولاد والنهى عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار أنه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد (وساء سبيلا) أى بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدى الى اختلال أمر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبى عليه السلام اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وعن حذيفة رضى الله عنه انه قال عليه السلام اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر وأما التى فى الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود فى النار (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بأن عصمها بالاسلام أو بالعهد (الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ أى لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق أو ملتبسين أو ملتبسة بشئ من الاشياء ويجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف أى لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق (ومن قتل مظلوما) بغير حق يوجب قتله أو يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولى انا أمرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا (فقد جعلنا لوليه) لمن يلى أمره من الوارث أو السلطان عند عدم الوارث (سلطانا) تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذه بالقصاص أو بالدية حسبما تقتضيه جنايته أو حجة غالبة (فلا يسرف) وقرئ لا تسرف (فى القتل) أى لا يسرف الولى فى أمر القتل بأن يتجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه المثلة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله أهل الجاهلية أو بأن يقتل القاتل فى مادة الدية وقرئ بصيغة النفى مبالغة فى افادة معنى النهى (انه كان منصورا) تعليل للنهى والضمير للولى على معنى انه تعالى نصره بأن أوجب له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمعونته فى استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دائرة أمر الناصر أو للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه فى شأنه أو للذى يقتله الولى ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد أن الضمير فى لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران فى التعليل عائدان الى الولى أو المقتول فالمراد بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف وتجاوز الحد فى القتل أى لا يسرف على نفسه فى شأن القتل كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم (ولا تقربوا مال اليتيم) نهى عن قربانه لما ذكر من المبالغة فى النهى عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى (الا بالتى هى أحسن) أى الا بالخصلة والطريقة التى هى أحسن الخصال والطرائق وهى حفظه واستثماره (حتى يبلغ أشده) غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسى كايفاء الكيل والوزن (ان العهد) اظهر فى مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشأنه أو لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود (كان مسؤلا) أى مسؤلا عنه على حذف الجار وجعل الضمير

بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود أي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على أن أصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز أن يكون تخييلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأي ذنب قتلت (وأوفوا الكيل) أي أتموه ولا تخسروه (اذا كلتم) أي وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما أن التطفيف هناك يكون وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية (وزنوا بالقسطاس) وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان أو كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف (المستقيم) أي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما أن عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما أن ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضا في قوله تعالى أوفوا الكيل والميزان بالقسط (ذلك) أي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي (خير) في الدنيا اذ هو أمانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس (وأحسن تأويلا) عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه (ولا تقف) ولا تتبع من قفا أثره اذا اتبعه وقرئ ولا تقف من قاف أثره أي قفاه ومنه القافة في جمع القائف (ما ليس لك به علم) أي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصل الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان أو ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومنه قول الكميت

ولا ارمي البريء بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان رمينا

(ان السمع والبصر والفؤاد) وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء (كل أولئك) أي كل واحد من تلك الاعضاء فأجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن أحوالها شاهدة على أصحابها هذا وان أولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم أيضا قال

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

(كان عنه مسؤلا) أي كان كل من تلك الاعضاء مسؤلا عن نفسه على أن اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز أن يكون الاسم ضميرا القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر أن يقال كنت عنه مسؤلا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد أسند اليه مسؤلا معللا بأن الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز أن يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز أن يكون مسؤلا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وأن يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جني أبا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فأين المرفوع فقال المصدر أي فيك يرغب الرغبة بمعنى تفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع أي يفعل الاعطاء والمنع وجوز أن يكون اسم كان أو فاعله ضمير كل بحذف المضاف أي كان صاحبه عنه مسؤلا أو مسؤلا صاحبه (ولا تمش في الارض) التقييد لزيادة التقرير والاشعار بأن المشي عليها بما لا يليق بالمرح (مرحا) تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال أي ذا مرح او تمرح مرحا أو لاجل المرح وقرئ بالكسر (انك لن تخرق الارض) تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بأن ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها أي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء (ولن تبلغ الجبال) التي هي بعض أجزاء الارض (طولا) حتى يمكنك أن تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه (كل ذلك) اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين

كان

(كان سيئه) الذى نهى عنه وهى اثنتا عشرة خصلة (عند ربك مكروها) مبغضا غير مرضى أو غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على أن جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهى عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر للايذان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية فى وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما أن البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما فى آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهى عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به أو مجرى على موصوف مذكر أى أمرا مكروها أو مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن فى كان أو فى الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شأنه (ذلك) أى الذى تقدم من التكاليف المفصلة (مما أوحى اليك ربك) أى بعض منه او من جنسه (من الحكمة) التى هى علم الشرائع أو معرفة الحق لذاته والعمل به أو من الاحكام المحكمة التى لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآيات الثمانى عشرة كانت فى ألواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ومن اما متعلقة بأوحى على انها تبعيضية أو ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من ضميره المحذوف فى الصلة أى كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار (ولا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته فى العقبى فقيل (فتلقى فى جهنم ملوما) من جهة نفسك ومن جهة غيرك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى وفى ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها فى التنور (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشئ جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور أى أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وأدناها كما فى قوله سبحانه ألكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير وتأكيده وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم أخرى وهى وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التى هى أخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (انكم لتقولون) بمقتضى مذهبكم الباطل الذى هو اضافة الولد اليه سبحانه (قولا عظيما) لا يقادر قدره فى استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شئ وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من أخس الاولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالانوثة التى هى أخس أوصاف الحيوان فيا لها من ضلة ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها (ولقد صرفنا) هذا المعنى وكررناه (فى هذا القرآن) على وجوه من التصريف فى مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف (ليذكروا) ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز أن يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له أى أوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح فى عراقيبها نصلى وقد جوز أن يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وأنت تعلم أن ابطالها من آثار القرآن ونتائجها (وما يزيدهم) أى والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ (الا نفورا) عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح

قوله عائدة الاشراك فى بعض النسخ غاية الاشراك اه

يعترى المشاعر فيبطلها وتنبيها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق لاحكاية لما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لاوقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه فى حق القرآن والنبى عليه الصلاة والسلام جهلا وكفرا من اتصافهما بأوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا وأساطير وقس عليه حال النبى عليه الصلاة والسلام لاالاخبار بأن هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولاريب فى أن ذلك المعنى مما لايكاد يلائم المقام (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده (ولوا على ادبارهم) أى هربوا ونفروا (نفورا) أوولوا نافرين (نحن اعلم بما يستمعون به) ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه الصلاة والسلام رجلان من بنى عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لاأن العلم يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى (واذهم نجوى) لكن لامن حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجى المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذى يستمعون ملتبسين به مما لاخير فيه من الامور المذكورة وبالذى يتناجون به فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون والثانى ليتناجون والمعنى نحن أعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجى وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف أى ذوو نجوى أوهو جمع نجى كقتلى جمع قتيل أى متناجون (اذ يقول الظالمون) بدل من اذهم وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بأنهم فى ذلك ظالمون مجاوزون للحد أى يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم (ان تتبعون) ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا أوما تتبعون باللغو والهزء (الارجلا مسحورا) أى سحر فجن أورجلا ذا سحر أى رئة يتنفس أى بشرا مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أى مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك عن منهاج المحاجة (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لايرتاب فى بطلانه أحد أوالى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مالايخفى (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) استفهام انكارى مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من التنافى كأن استحالة الامر من الظهور بحيث لايقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ فى دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها مادل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لانفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لايعمل فيما قبلها وهو نبعث أونعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم أئنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لالانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لاانكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالامزيد عليه (خلقا جديدا) نصب على المصدر من غير لفظه أوالحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق (قل) جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه (كونوا حجارة أوحديدا أوخلقا) آخر (مما يكبر فى صدوركم) أى يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لامحالة (فسيقولون من يعيدنا) مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة (قل) لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال (الذى) أى يعيدكم القادر العظيم الذى (فطركم) اخترعكم (أول مرة) من غير مثال يحتذيه ولااسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ماشم رائحة الحياة أليس الذى يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شئ قدير (فسينغضون

ويغرى الشاعر بسبلها وتنبيها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق لاحكاية لما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه فى حق القرآن والنبى عليه الصلاة والسلام جهلا وكفرا من اتصافهما بأوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا وأساطير وقس عليه حال النبى عليه الصلاة والسلام لا الاخبار بأن هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب فى أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده (ولوا على ادبارهم) أى هربوا ونفروا (نفورا) أو ولوا نافرين (نحن اعلم بما يستمعون به) ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه الصلاة والسلام رجلان من بنى عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا أن العلم يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى (واذهم نجوى) لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجى المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذى يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذى يتناجون به فيما بينهم او الاول ظرف ليستمعون والثانى ليتناجون والمعنى نحن أعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجى وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف أى ذوو نجوى أو هو جمع نجى كقتلى جمع قتيل أى متناجون (اذ يقول الظالمون) بدل من اذهم وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بأنهم فى ذلك ظالمون مجاوزون للحد أى يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم (ان تتبعون) ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا أو ما تتبعون باللغو والهزء (الا رجلا مسحورا) أى سحر فجن أو رجلا ذا سحر أى رئة يتنفس أى بشرا مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أى مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك عن منهاج المحاجة (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب فى بطلانه أحد أو الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى (وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا) استفهام انكارى مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعدما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من التنافى كأن استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ فى دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (ائنا لمبعوثون) لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث أو نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم أئنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال ما لا مزيد عليه (خلقا جديدا) نصب على المصدر من غير لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق (قل) جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا) آخر (مما يكبر فى صدوركم) أى يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة (فسيقولون من يعيدنا) مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة (قل) لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال (الذى) أى يعيدكم القادر العظيم الذى (فطركم) اخترعكم (أول مرة) من غير مثال يحتذيه ولا أسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة أليس الذى يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شئ قدير (فسينغضون

اليك رؤسهم) أى سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا (ويقولون) استهزاء (متى هو) أى ماذكرته من الاعادة (قل) لهم (عسى ان يكون) ذلك (قريبا) نصب على انه خبر ليكون أو ظرف على أن كان تامة أى أن يقع فى زمان قريب ومحل أن مع ما فى حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهى ناقصة واسمها ضمير عائد الى ماعاد اليه هو أى عسى البعث أن يكون قريبا أو عسى البعث يقع فى زمان قريب أو رفع على انه فاعل لعسى وهى تامة أى عسى كونه قريبا أو وقوعه فى زمان قريب (يوم يدعوكم) منصوب بفعل مضمر أى اذكروا أو على انه بدل من قريبا على انه ظرف أو بيكون تامة بالاتفاق أو ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة فى الظروف أو بضمير المصدر المستكن فى عسى أو يكون أعنى البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما فى قول زهير

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرجم

فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار (فتستجيبون) أى يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتى وبأن المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجواب (بحمده) حال من ضمير تستجيبون أى منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين أو حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة أحكامها (وتظنون) عطف على تستجيبون أى تظنون عند ماترون ماترون من الامور الهائلة (ان لبثتم) أى ما لبثتم فى القبور (الا قليلا) كالذى مرّ على قرية أو ما لبثتم فى الدنيا (وقل لعبادى) أى المؤمنين (يقولوا) عند محاورتهم مع المشركين (التى) أى الكلمة التى (هى أحسن) ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن (ان الشيطان ينزغ بينهم) أى يفسد ويهيج الشر والمراء ويغرى بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشارة والمعارة والمضارة فلعل ذلك يؤدى الى تأكد العناد وتمادى الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاء (ان الشيطان كان) قدما (للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من أن الشيطان ينزغ بينهم (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالتوفيق للايمان (او ان يشأ يعذبكم) بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التى هى أحسن وما بينهما اعتراض أى قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع أن العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان (وما أرسلناك عليهم وكيلا) موكولا اليك أمورهم تقسرهم على الايمان وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) وتفاصيل أحوالهم الظاهرة والكامنة التى بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد أن يكون يتيم ابى طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه دون أن يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من فى السموات لابطال قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وذكر من فى الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع (وآتينا داود زبورا) بيان لحيثية تفضيله عليه الصلاة والسلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبى عليه الصلاة والسلام فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة فى الزبور وأن المراد بعباد الله الصالحين فى قوله تعالى ان الارض يرثها عبادى الصالحون هو النبى عليه الصلاة والسلام وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه فى الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب أو مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكره عليه الصلاة والسلام وقرئ بضم الزاى على انه جمع زبر بمعنى مزبور (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهة (من دونه) تعالى من الملائكة والمسيح وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك (ولا تحويلا) أى ولا تحويله الى غيركم (اولئك الذين يدعون) أى اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين (يبتغون) يطلبون لانفسهم (الى ربهم) ومالك امورهم (الوسيلة) القربة بالطاعة والعبادة (ايهم

أقرب) بدل من فاعل يبتغون وأىّ موصولة أى يبتغى من هو أقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه أو ضمن الابتغاء معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة (ويرجون رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضرّ فضلا عن الالهية (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب وأن بينهم وبين العذاب بونا بعيدا (وان من قرية) بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان أنه حقيق بالحذر وأن اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة أى ما من قرية من قرى الكفار (الا نحن مهلكوها) أى مخربوها البتة بالخسف بها أو باهلاك أهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفى صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل (قبل يوم القيامة) لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا (أو معذبوها) أى معذبو أهلها على الاسناد المجازى (عذابا شديدا) لا بالقتل والسبى ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية أيضا حسبما ينفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيامة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد أخرت عقوباتها الى يوم القيامة (كان ذلك) الذى ذكر من الاهلاك والتعذيب (فى الكتاب) أى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا لم يغادر منه شئ الا بين فيه بكيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو الدوانى فى كتاب الفتن انه روى عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدوّ من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدوّ يحصرهم برّا وبحرا وخراب الرىّ من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبىّ عليه الصلاة والسلام قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد أخرجه العمرىّ من هذا الوجه وأنت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق (وما منعنا ان نرسل بالآيات) أى الآيات التى اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك (الا ان كذب بها الاولون) استثناء مفرغ من اعمّ الاشياء أى وما منعنا ارسالها شئ من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب أو غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك فى العتوّ والعناد وافضائه الى أن يحل بهم مثل ما حلّ بهم بحكم الشركة فى الجريرة لما كان منافيا للارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعى للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من ايمان بعض أعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادى الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتأييده عليه الصلاة والسلام بالمعجزات وهو السرّ فى ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعى الآيات الى النزول لولا أن تمسكها يد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما فى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بأن

مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم (وآتينا ثمود الناقة) عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كأنه قيل وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة (مبصرة) على صيغة الفاعل أي بينة ذات ابصار أو بصائر يدركها الناس أو أسند اليها حال من يشاهدها مجازا أو جاعلتهم ذوي بصائر من أبصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف (فظلموا بها) فكفروا بها ظالمين أي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر أو ظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثارهلاكهم ورودا وصدورا أو لانها من جهة انها حيوان أخرج من الحجر أوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من الاعراب ويجوز أن تكون حالا من ضمير ظلموا أي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال أنا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أي علما كما نقل الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شئ من أفعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وفي قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها أمورا خارقة للعادات منزلة من جانب الله سبحانه لتصديق النبي عليه الصلاة والسلام فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما أن تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤية أو لانها وقعت بالليل أو لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناك عيانا مع كونها آية عظيمة وأية آية حقيقة بأن لا يتلعثم في تصديقها أحد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم (والشجرة الملعونة في القرآن) عطف على الرؤيا والمراد بلعنها لعن طاعميها على الاسناد المجازي أو ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة أي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون أن في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (ونخوفهم) بذلك وبنظائرها من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) متجاوزا عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لانه انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة ألا يرى أن الرؤيا التي أريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع أنها ما أورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في أخباره وأولت الرؤيا بما رآه عليه الصلاة والسلام في المنام من مصارعهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء بدر قال والله لكأني أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ

الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه عليه الصلاة والسلام انه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ماذكر مدنيا بأنه يجوز أن يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكرالرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وأنت خبير بأنه يلزم منه أن يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وأن يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه الصلاة والسلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في أن تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس (واذ قلنا للملائكة) تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر أي واذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك (فسجدوا) له من غير تلعثم امتثالا للامر وأداء لحقه عليه الصلاة والسلام (الا ابليس) وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود (قال) أي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي كما أشير اليه في سورة الحجر (أأسجد) وأنا مخلوق من العنصر العالي (لمن خلقت طينا) نصب على نزع الخافض أي من طين أو حال من الراجع الى الموصول أي خلقته وهو طين أو من نفس الموصول أي أأسجد له وأصله طين والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة (قال) أي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع أخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار أي أخبرني أهذا من كرمته علي وقيل معنى أرأيتك أتأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه (لئن أخرتن) حيا (الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله (لأحتنكن ذريته) أي لأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا أو لأقودنهم حيث ما شئت ولأستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو استنباطا من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو توسما من خلقه (الا قليلا) منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى (قال اذهب) أي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية (جزاء موفورا) أي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة أي وفره وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو للفعل المقدر أو حال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) أي استخف (من استطعت منهم) أن تستفزه (بصوتك) بدعائك الى الفساد (وأجلب عليهم) أي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح (بخيلك ورجلك) أي بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم

وهى قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبضمة مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما أى جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز أن يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم (وشاركهم فى الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على مالا ينبغى (والاولاد) بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الامل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطإ بما يوهم انه صواب (ان عبادى) الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم وأن الاضافة لثبوت الحكم فى قوله تعالى (ليس لك عليهم سلطان) أى تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون عليه ويستمدون به فى الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى مع الاضافة الى ضميرا بليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعنى سلب قدرته على اغوائهم (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر) مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال أى هو القادر الحكيم الذى يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها فى البحر (لتبتغوا من فضله) من رزقه الذى هو فضل من قبله أو من الربح الذى هو معطيه ومن مزيدة أو تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التى هى دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية (انه كان بكم) ازلا وأبدا (رحيما) حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على أن المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة (واذا مسكم الضر فى البحر) خوف الغرق فيه (ضل من تدعون) أى ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم (الا اياه) وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا أو اشتراكا أو ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم (الى البر أعرضتم) عن التوحيد أو اتسعتم فى كفران النعمة (وكان الانسان كفورا) تعليل لما سبق من الاعراض (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم (أن يخسف بكم جانب البر) الذى هو مأمنكم أى يقلبه ملتبسا بكم أو بسبب كونكم فيه وفى زيادة الجانب تنبيه على تساوى الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة (أو يرسل عليكم) من فوقكم وقرئ بالنون (حاصبا) ريحا ترمى بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) فى البحر أوثرت كلمة فى على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه (تارة أخرى) اسناد الاعادة اليه تعالى مع أن العود اليه باختيارهم باعتبار خلق الدواعى الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه فى التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا (فيرسل عليكم) وأنتم فى البحر وقرئ بالنون (قاصفا من الريح) وهى التى لا تمر بشئ الا كسرته وجعلته كالرميم أو التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أى تتكسر (فيغرقكم) بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم أو كفرانكم لنعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أى ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها (ولقد كرمنا بنى آدم) قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم أى كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما فى الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له فى ذلك مبنى

على

على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده (وحملناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شئ كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء وأنت خبير بأن الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك (ورزقناهم من الطيبات) أى فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم (وفضلناهم) في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح (على كثير ممن خلقنا) وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة والسلام (تفضيلا) عظيما فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تميز فضلا عمن فضل على من عدا الملأ الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطا والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد هنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل أى حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم أدنى من كل دنئ حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا (يوم ندعو) نصب على المفعولية باضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى أفعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا النجوى أو ضميره وكل بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى (كل اناس) من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت أحوالهم في الآخرة بحسب أحوالهم وأعمالهم في الدنيا (بامامهم) أى بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كذا يا أهل كتاب كذا وقيل الامام جمع أم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بأمهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على أولاد الزنا (فمن أوتى) يومئذ من أولئك المدعوين (كتابه) صحيفة أعماله (بيمينه) ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من أول الامر بما في مطاويه (فأولئك) اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بأنهم حزب مجتمعون على شأن جليل أو اشعارا بأن قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم أى أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور (يقرءون كتابهم) الذي أوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات (ولا يظلمون) أى لا ينقصون من أجور أعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة (فتيلا) أى قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شئ فان الفتيل مثل في القلة والحقارة (ومن كان) من المدعوين المذكورين (في هذه) الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل (أعمى) فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما أوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما أودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة (فهو في الآخرة) التي عبر عنها بيوم ندعو (أعمى) كذلك اى لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على أن عماه في الآخرة أشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما (وأضل سبيلا) أى من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي أوتى كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى وأما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فأما ان

كان من أصحاب اليمين والرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر فى أحد الجانبين المسبب وفى الآخر السبب ودل بالمذكور فى كل منهما على المتروك فى الآخر تعويلا على شهادة العقل كما فى قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف اذ قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله أمرنى بذلك وقيل فى قريش حيث قالوا اجعل لنا آية عذاب آية رحمة وآية رحمة آية عذاب أو قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف واللام هى الفارقة بينها وبين النافية أى ان الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتتقول علينا غير الذى أوحينا اليك مما اقترحته ثقيف أو قريش حسبما نقل (واذن لاتخذوك خليلا) أى لو اتبعت أهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) على ما أنت عليه من الحق بعصمتنا لك (لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) من الركون الذى هو أدنى ميل أى لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل اليهم شيأ يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح فى انه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته (اذن) لو قاربت أن تركن اليهم أدنى ركنة (لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان أصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يدفع عنك العذاب (وان كادوا) الكلام فيه كما فى الاول أى كاد أهل مكة (ليستفزونك) أى ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) أى الارض التى أنت فيها وهى أرض مكة (ليخرجوك منها واذن لا يلبثون) بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على أن الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك (خلافك) أى بعدك قال

خلت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

أى ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك (الا قليلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم أهلكوا ببدر بعد هجرته عليه الصلاة والسلام وقيل نزلت الآية فى اليهود حيث حسدوا مقام النبى عليه الصلاة والسلام بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه عليه الصلاة والسلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلى بنو النضير بقليل (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) نصب على المصدرية أى سن الله تعالى سنة وهى أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أى تغييرا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام أتانى جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس أى غربت وقيل أصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها فى قولك لثلاث خلون (الى غسق الليل) الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلاة فى وقتها الذى عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما أن أعداد ركعات كل صلاة موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدا والمنتهى فى أوقات الصلوات من غير فصل بينها لما أن الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف أول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع أحدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى (وقرآن الفجر) أى صلاة الفجر نصب عطفا على مفعول أقم أو على

قوله بقليل اى بعد رجوعه بزمن قليل اه مصححه

الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة فى صلاة الفجر (ان قرآن الفجر) اظهر فى مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به (كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذى هو أخو الموت أو يشهده كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير فالآية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر (ومن الليل) قيل هو نصب على الاغراء أى الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا يجدى نفعا كون معناها التبعيض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر أى قم بعض الليل (فتهجد به) أى أزل وألق الهجود أى النوم فان صيغة التفعل تجىء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر أو للبعض المفهوم من قوله تعالى ومن الليل أى تهجد فى ذلك البعض على أن الباء بمعنى فى وقيل منصوب بتهجد أى تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة واياى فارهبون (نافلة لك) فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه فى تأخير ذكرها عن ذكر صلاة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها أو تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم فى الدرجات على ما قال مجاهد والسدى فانه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة فى درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع فى فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل أو بجعل تهجد بمعناه أو بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القرآن أى حال كونها صلاة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض أى فصل فى ذلك البعض نافلة لك (عسى أن يبعثك ربك) الذى يبلغك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما يبعثك من النوم الذى هو الموت الاصغر بالصلاة والعبادة (مقاما) نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك أو تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من أن يكون العامل فى مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز أن يكون حالا بتقدير مضاف أى يبعثك ذا مقام (محمودا) عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى أشفع فيه لامتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضى الله عنه يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت (وقل رب أدخلنى) أى القبر (مدخل صدق) أى ادخالا مرضيا (وأخرجنى) أى منه عند البعث (مخرج صدق) أى اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المعهودة التى لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصد وقيل ادخاله عليه السلام مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من أعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان أو أمر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلنى فأدخل دخولا وأخرجنى فأخرج خروجا كقوله

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال الا مسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من يخالفنى أو ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فأجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض (وقل جاء الحق) أى الاسلام والوحى الثابت الراسخ (وزهق الباطل) أى ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج

(ان الباطل) كائناما كان (كان زهوقا) أى شأنه أن يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه عن ابن مسعود رضى الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده فى عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره (وننزل من القرآن) وقرئ ننزل من الانزال (ماهو شفاء) لما فى الصدور من ادواء الريب وأسقام الاوهام (ورحمة للمؤمنين) به العاملين بما فى تضاعيفه أى ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبى عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله أو تبعيضية لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه فى كل نوبة ما تستدعى الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافى المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا فى كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسمانى كما فى الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) أى لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء فى غير مواضعها مع كونه فى نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا أى هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بأن يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادى الاسقام فيهم وزيادتهم فى مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم فى أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون فى ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والنعمة (أعرض) عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب الشكر (ونأى) تباعد عن طاعتنا (بجانبه) النأى بالجانب أن يلوى عن الشئ عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تأكيد للاعراض أو عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين (واذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل وفى اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بأن الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك (كان يؤسا) شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شأن بعض آخرين منهم وقيل أريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء فى رأى واما على انه بمعنى نهض (قل كل) أى كل أحد منكم وممن هو على خلافكم (يعمل) عمله (على شاكلته) طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم) الذى برأكم على هذه الطبائع المختلفة (أعلم بمن هو أهدى سبيلا) اى أسد طريقا وأبين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (ويسألونك عن الروح) الظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدبر البدن الانسانى ومبدأ حياته روى أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها جميعا أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة (قل الروح) اظهر فى مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشأنه (من أمر ربى) كلمة من بيانية والامر بمعنى الشأن والاضافة للاختصاص العلمى لا الايجادى لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما فى الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه أى هو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التى لا يكاد يحوم حولها عقول البشر (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب قال عليه الصلاة والسلام بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام الآية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية أن يعلم من الخير ما تسعه

الطاقة البشرية بل ما نيط به المعاش والمعاد ونحو ذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه أو بالنسبة الى الانسان أو هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من أصل كأعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه ومآله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر أو من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا أي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل أكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيأ من أحواله التي يدور عليها معرفة ذاته وأما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه أي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملاءمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فان ما سألوا عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد أخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من أمر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي أوتيتموها وبتنالك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيأ قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء واعلاما بحاله من اول الامر وبأنه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو من المصاحف والصدور وهو أبلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب (ثم لا تجد لك به) أي بالقرآن (علينا وكيلا) من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا (الا رحمة من ربك) فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على أداء حقوقه وتحذيرا من أن لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو أجل النعم وأعظمها (ان فضله كان عليك كبيرا) كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك (قل) للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر (لئن اجتمعت الانس والجن) أي اتفقوا (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة (لا يأتون بمثله) أوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن أن يتوهم أن له مثلا معينا وايذانا بأن المراد نفي الاتيان بمثل ما أي لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة أرباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد أو من المجموع بأن يتألبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر أي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلأن ينتفي عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه أي لا يأتون بمثله على كل

حال مفروض ولو فى هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة فى روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقرير الما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من أن الاتيان بمثله أصعب من استرداد عينه ونفى الشئ انما يقرره نفى ما دونه لا نفى ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير أمره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبى صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام (ولقد صرّفنا) كرّرنا ورددنا على أنحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان (للناس فى هذا القرآن) المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة (من كل مثل) من كل معنى بديع هو فى الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أوثر الاظهار على الاضمار تأكيدا وتوضيحا (الا كفورا) أى الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا الانه متأول بالنفى كأنه قيل ما قبل أكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس فى أبوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف فى الامر ونحو ذلك وأنهم بالغوا فى عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء (وقالوا) عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلى وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن فى العادة وجوده ولا تقتضى الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج (لن نؤمن لك حتى تفجر) وقرئ بالتشديد (لنا من الارض) أرض مكة (ينبوعا) عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (أو تكون لك جنة) أى بستان تستر أشجاره ما تحتها من العرصة (من نخيل وعنب فتفجر الانهار) أى تجريها بقوة (خلالها تفجيرا) كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها أو ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهى حال من السماء والكاف فى كما فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف أى اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء (او تأتى بالله والملائكة قبيلا) أى مقابلا كالعشير والمعاشر أو كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها أى والملائكة قبيلا كما حذف الخبر فى قوله فانى وقيار بها لغريب أو جماعة فيكون حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة (او ترقى فى السماء) أى فى معارجها فحذف المضاف يقال رقى فى السلم وفى الدرجة (ولن نؤمن لرقيك) أى لاجل رقيك فيها وحده أو لن نصدق رقيك فيها (حتى تنزل) منها (علينا كتابا) فيه تصديقك (نقرؤه) نحن من غير أن يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أبى امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو أنهم أوتوا أضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال (قل) تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحات عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التى تكاد السموات يتفطرن منها أو عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه (سبحان ربى) وقرئ قال سبحان ربى (هل كنت الا بشرا) لا ملكا حتى يتصور منى الرقى فى السماء ونحوه (رسولا) مأمورا من قبل ربى بتبليغ الرسالة من غير أن يكون لى خيرة فى الامر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله على أيديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله سبحانه بشئ منها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفته (وما منع الناس) أى الذين حكيت أباطيلهم (أن يؤمنوا) مفعول ثان لمنع وقوله (اذ جاءهم الهدى) أى الوحى ظرف لمنع أو يؤمنوا أى وما منعهم وقت مجئ الوحى المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك أو ما منعهم أن يؤمنوا بذلك وقت مجئ ما ذكر (الا أن قالوا) فى محل الرفع على انه فاعل منع اى الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) منكرين أن يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد أن هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بأنه مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصداق وحصر

المانع من الايمان فيما ذكر مع أن لهم موانع شتى لما أنه معظمها أو لانه هو المانع بحسب الحال أعنى عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذى يتشبثون به حينئذ من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى أن الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه (قل) لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب (لو كان) اى لو وجد واستقر (فى الارض) بدل البشر (ملائكة يمشون مطمئنين) قارين فيها من غير أن يعرجوا فى السماء ويعلموا ما يجب أن يعلم (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقى منه وأما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا فى قوله تعالى أبعث الله بشرا رسولا والاول أولى (قل) لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة فى البعثة ولم يرفعوا اليه رأسا (كفى بالله) وحده (شهيدا) على أنى أديت ما على من مواجب الرسالة أكمل أداء وأنكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى (بينى وبينكم) وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال أو تمييز (انه كان بعباده) من الرسل والمرسل اليهم (خبيرا بصيرا) محيطا بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله) كلام مبتدأ يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية أى من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى (فهو المهتد) اليه والى ما يؤدى اليه من الثواب أو المهتد الى كل مطلوب (ومن يضلل) أى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين (فلن تجد لهم) أوثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من غب ما أوثر فى مقابله الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال (أولياء من دونه) من دون الله تعالى أى أنصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية أو الى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد (ونحشرهم) التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بأمر الحشر (يوم القيامة على وجوههم) حال من الضمير المنصوب أى كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم أو مشيا فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا) حال من الضمير المجرور فى الحال السابقة (وبكما وصما) لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا فى الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفى القوى والحواس وأن يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر فى بعض المواطن مما لاريب فيه (مأواهم جهنم) اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى (كلما خبت زدناهم سعيرا) أى كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا بأن بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى (ذلك) أى ذلك العذاب (جزاؤهم بأنهم) أى بسبب أنهم (كفروا بآياتنا) العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز أن يكون مبتدأ ثانيا وبأنهم خبره والجملة خبر الذلك وأن يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف (وقالوا) منكرين أشد الانكار (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) اما مصدر مؤكد من غير لفظه أى لمبعوثون بعثا جديدا واما حال أى مخلوقين مستأنفين (أولم يروا) أى ألم يتفكروا

قوله المفاوضة الملكية فى بعض النسخ مفاوضة الملائكة اه

ولم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والارض) من غير مادة مع عظمهما (قادر على أن يخلق مثلهم)
في الصغر على أن المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا (وجعل لهم أجلا
لاريب فيه) عطف على أولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والارض
فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس وجعل لهم وليعثهم أجلا محققا لاريب فيه هو يوم القيامة (فأبى
الظالمون) وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة (الا كفورا) أي جحودا (قل لو أنتم
تملكون خزائن رحمة ربي) خزائن رزقه التي أفاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور
كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص (اذن لأمسكتم) لبخلتم
(خشية الانفاق) مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا أحد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ
فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه (وكان الانسان قتورا) مبالغا
في البخل لان مبنى أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله (ولقد آتينا موسى
تسع آيات بينات) واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل
وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه أن هذه الثلاث لم تكن منزلة اذ ذاك وأن الاوليين لا تعلق لهما بفرعون
وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي عليه الصلاة والسلام عنها فقال أن
لا تشركوا به شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا
الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود
أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه السلام ولا يساعده أيضا ما ذكر ولعل جوابه
عليه السلام بذلك لما أنه المهم للسائل وقبوله لما أنه كان في التوراة مسطورا وقد علم أنه ما علمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا من جهة الوحي (فاسأل بني اسرائيل) وقرئ فسل أي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له أرسل
معي بني اسرائيل اوسلهم عن ايمانهم أو عن حال دينهم اوسلهم أن يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أي فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد
يقينا وطمأنينة أو ليظهر صدقك (اذ جاءهم) متعلق بقلنا او بسأل على القراءة المذكورة وبآتينا أو بمضمر هو
يخبروك أو اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام (فقال له فرعون) الفاء فصيحة أي
فأظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون (اني لأظنك يا موسى
مسحورا) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء) يعني الآيات التي أظهرها (الا رب السموات
والارض) خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بأنه لا يقدر على ايتاء مثل هاتيك الآيات
العظام الا خالقهما ومدبرهما (بصائر) حال من الآيات أي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند
وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بأنه عليه الصلاة والسلام على كمال
رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم أي لقد علمت بيقين أن هذه الآيات
الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم أن يحوم حولي سحر (واني لأظنك يا فرعون مثبورا) مصروفا عن
الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما صرفك أو هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه
وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه الصلاة والسلام يتاخم اليقين (فأراد) اي فرعون
(ان يستفزهم) أي يستخفهم ويزعجهم (من الارض) أرض مصر أو من الارض مطلقا بالقتل
كقوله سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم (فأغرقناه ومن معه جميعا) فعكسنا عليه مكره واستفززناه
وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد اغراقهم (لبني اسرائيل اسكنوا الارض) التي أراد أن
يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكرة الآخرة أو الحياة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام
القيامة (جئنا بكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) أي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما
نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه اوما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من

تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له أول الامر وآخره (وما أرسلناك الا مبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه الصلاة والسلام اثر تحقيق حقية انزال القرآن (وقرآنا) منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (فرقناه) وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ وأعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات (قل) للذين كفروا (آمنوا به اولا تؤمنوا) فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم لا يورثه نقصا (ان الذين اوتوا العلم من قبله) أى العلماء الذين قرؤا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحى وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ورأوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك (اذا يتلى) أى القرآن (عليهم يخرون للاذقان) أى يسقطون على وجوههم (سجدا) تعظيما لامر الله تعالى اوشكرا لانجاز ما وعد به فى تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما فى قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به أولا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن ايمان من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم (ويقولون) فى سجودهم (سبحان ربنا) عما يفعل الكفرة من التكذيب أوعن خلف وعده (ان كان وعد ربنا لمفعولا) ان مخففة من المثقلة واللام فارقة أى ان الشأن هذا (ويخرون للاذقان يبكون) كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم أمر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثانى لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله (ويزيدهم) أى القرآن بسماعهم (خشوعا) كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ألله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى فى التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو أوفق لقوله تعالى (أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتأكيد ما فى أى من الابهام والضمير فى له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام اياما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع أسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها (ولا تخافت بها) أى بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك) أى بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور (سبيلا) امرا وسطا قصدا فان خير الامور أوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر بها ويقول أطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى أنها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما يزعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا (ولم يكن له شريك فى الملك) أى الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة (ولم يكن له ولى من الذل) ناصر ومانع منه لاعتزازه به أولم يوال أحدا من أجل مذلة ليدفعها به وفى التعرض فى أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بأن المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة أنواع النعم وما عداه

ناقص محول نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على أن العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى الطاعة والتحميد ينبغى أن يعترف بالقصور فى ذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية الكريمة وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف اوقية ومائتا اوقية والحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت

*( سورة الكهف مكية وقيل الا قوله تعالى واصبر نفسك الآية وهى مائة واحدى عشرة آية )*

*( بسم الله الرحمن الرحيم )*

(الحمد لله الذى أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفى وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه الصلاة والسلام الى اعلى معارج العبادة وتشريف له أى تشريف واشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبد اللمرسل لا كما زعمت النصارى فى حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى (ولم يجعل له عوجا) أى شيأ من العوج بنوع اختلال فى النظم وتناف فى المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان وأما قوله تعالى لاترى فيها عوجا ولا أمتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما فى المعانى وقيل الفتح فى اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر فى اعوجاج غيره عينا كان أو معنى (قيما) بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها أو متناهيا فى الاستقامة فيكون تأكيدا لما دل عليه نفى العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة لا انه نفى عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفى العوج تقديره جعله قيما وأما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين أبعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما (لينذر) متعلق بأنزل والفاعل ضمير الجلالة كما فى الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بأن ما سيق له الكلام هو المفعول الثانى وأن الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره أى أنزل الكتاب لينذر بعاقبه الذين كفروا به (بأسا) أى عذابا (شديدا من لدنه) أى صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر) بالتشديد وقرئ بالتخفيف (المؤمنين) أى المصدقين به (الذين يعملون الصالحات) الاعمال الصالحة التى بينت فى تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال فى الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الاعمال هو الايمان (ان لهم) أى بأن لهم بمقابلة ايمانهم وأعمالهم المذكورة (أجرا حسنا) هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى (ماكثين) حال من الضمير المجرور فى لهم (فيه) أى فى ذلك الاجر (ابدا) من غير انتهاء أى خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقى البأس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم أى وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل فى قوله تعالى

ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية مافي حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة
للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيماسلف عبارة عن هذه
الطائفة يؤدي الى خروج سائر أصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هنالك للمؤمنين أيضا
بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى أن أنذر
الناس وبشر الذين آمنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه
الفرقة ويجوز أن يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب أو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام
(مالهم به) أي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا (من علم) مرفوع على الابتداء أو الفاعلية لاعتماد الظرف
ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم أي مالهم بذلك شئ من علم أصلا لا
لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم أو امكانه بل لاستحالته في نفسه (ولا لآبائهم) الذين قلدوهم فتاهوا
جميعا في تيه الجهالة والضلالة أو مالهم علم بما قالوه أهو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا عن عمى وجهالة
من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم أو بحقيقة ماقالوه وبعظم رتبته في الشناعة
كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الانسب
بقوله تعالى (كبرت كلمة) أي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى مالا يكاد
يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير مبهم
مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة
من أفواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة
مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية
الصوت لملابسته بها (ان يقولون) ما يقولون في ذلك الشان (الا كذبا) اى الا قولا كذبا لا يكاد يدخل
تحت امكان الصدق أصلا والضميران لهم ولآبائهم مثل حاله عليه الصلاة والسلام في شدة الوجد على اعراض
القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند
مفارقة أحبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه الصلاة والسلام
على الحذر والاشفاق من ذلك (فلعلك باخع) أي مهلك (نفسك على آثارهم) غما ووجدا على فراقهم وقرئ
بالاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بأن المفتوحة أي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية حال
ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه (أسفا) مفعول له لباخع أي لفرط الحزن
والغضب أو حال مما فيه من الضمير أي متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل
التشبيه بين أجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم
الله على قلوبهم (انا جعلنا ما على الارض) استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق أي انا جعلنا
ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان أو نباتا أو معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا (زينة) مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير أو حال ان حمل على معنى
الابداع واللام في (لها) اما متعلقة بزينة أو بمحذوف هو صفة لها أي كائنة لها أي ليتمتع بها الناظرون من
المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما العذاب الآخرة من قبيل
المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد
أيضا من زينة الحياة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى أصحابهم
داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء (لنبلوهم) متعلق بجعلنا أي جعلنا
ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم (أيهم أحسن عملا) فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين
المحسن من المسيء وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة على أنظارهم
وتفاوت درجات أعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وأي اما استفهامية مرفوعة
بالابتداء وأحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته

كالسؤال والنظر ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل أو الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذى وأحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهى فى حيز النصب بدل من مفعول انبلوهم والتقدير لنبلو الذى هو أحسن عملا فحينئذ يحتمل أن تكون الضمة فى ايهم للبناء كما فى قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم أشد على الرحمن عتيا على أحد الاقوال لتحقق شرط البناء الذى هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وأن تكون للاعراب لان ماذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغى والتأمل فى شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع وأداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة وأصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بأن الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق فى تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم أحسن عملا (وانا لجاعلون) فيما سيأتى عند تناهى عمر الدنيا (ما عليها) من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما أظهر فى مقام الاضمار لزيادة التقرير أو لادراج المكلفين فيه (صعيدا) مفعول ثان للجعل والصعيد التراب أو وجه الارض قال أبو عبيدة هو المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذى لا نبات فيه (جرزا) ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال أرض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهى مجروزة أى ذهب نباتها بقحط أو جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما فى السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب أعمالهم (أم حسبت) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان أمته وأم منقطعة مقدرة ببل التى هى للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم أى بل أحسبت (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا) فى بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر (من آياتنا) من بين آياتنا التى من جملتها ماذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس (عجبا) أى آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف أو وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التى من جملتها ماذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هى عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم كلبهم قال أمية بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همد

وقيل هو لوح رصاصى أو حجرى رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادى الذى فيه الكهف فهو من رقمة الوادى أى جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصل فى الصحيحين (اذ أوى) ظرف لعجبا لا لحسبت أو مفعول لاذكر أى حين التجأ (الفتية) أى أصحاب الكهف أوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه فى انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من أشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه (الى الكهف) بجبلهم للجلوس واتخذوه مأوى (فقالوا ربنا آتنا من لدنك) من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثانى قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له أى آتنا كائنة من لدنك (رحمة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) الذى نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التهيئة احداث هيئة الشئ أى أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا (رشدا) اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما فى المعنى وتقديم

قوله للجلوس فى بعض النسخ بجلوس وليراجع اه

المجرورين

المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة فى المؤخر بتقديم أحواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام فى تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا للايذان من أول الامر بكون المسؤل مرغوبا فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشدا كله على أن من تجريدية مثلها فى قولك رأيت منك أسدا (فضربنا على آذانهم) أى أنمناهم على طريقة التمثيل المبنى على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها فى الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاج الى الحجب عادة اذ هى الطريقة للتيقظ غالبا لاسيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما فى قولهم ضرب الامير على يد الرعية أى منعهم من التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتى من البعث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعا والفاء فى فضربنا كما فى قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن أبصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم (فى الكهف) ظرف مكان لضربنا (سنين) ظرف زمان له باعتبار بقائه لا لابتدائه (عددا) أى ذوات عدد أو تعد عددا على أنه مصدر أو معدودة على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة أو للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت (لنعلم) بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وأيا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالى الذى يتعلق به الجزاء كما فى قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التى يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالى والاظهار والتمييز وأما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصى وغيره حتى يتعلق بهما العلم أو الاظهار والتمييز ويتسنى نظم شئ من ذلك فى سلك الغاية وانما الذى ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الربانى وليس شئ منهما من الاحصاء فى شئ بل بحمل النظم الكريم على التمثيل المبنى على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم (أى الحزبين) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتى (أحصى) أى ضبط (لما لبثوا) أى للبثهم (أمدا) أى غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتى على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدى اليها وهذا أولى من تصوير التمثيل بأن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم الخ حسبما وقع فى تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختبروا اختر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على أن المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة بأى فى موقع المفعول الثانى فقط ان جعل العلم عرفانيا أو فى موقع المفعولين ان جعل يقينيا أى ليعلم الله الناس أى الحزبين أحصى الخ وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية فى قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى

والجارّ والمجرور حال منه قدّمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدّة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما رشدك اليه كون تلك المدّة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف أي لزمان لبثهم وبدونه أيضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو آن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على أحد ولا تسمى احصاء كما مرّ بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين أن ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدّة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدّة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر وأما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز أن تكون موصولة حذف عائدها من الصلة أي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما حققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وأمدا نصب على التمييز وأما ما قيل من أن أحصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو أيهم أحسن عملا أيهم أقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بأن غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادّعاء أن مجيء أفعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بأنه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في أن ما نحن فيه من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات وأما أن التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلمانع أن يمنعه بصحة أن يقال أيهم احفظ لهذا الشعر وزنا او تقطيعا أو يقال ان العامل في أمدا فعل محذوف يدل عليه المذكور أي يحصى لما لبثوا أمدا كما في قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما أشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر فيخ ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤدّاه أن يكون المقصود بالاختبار اظهار أفضل الحزبين وتميزه عن الادنى مع تحقق أصل الاحصاء فيهما ومن البين أن لا تحقق له أصلا وأن المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بأن غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى أعلم (نحن نقص عليك) شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ أوى الفتية الخ أي نحن نخبرك بتفاصيل أخبارهم وقد مرّ بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام (نبأهم) النبأ الخبر الذي له شأن وخطر (بالحق) اما صفة لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أي نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به أو نقص نبأهم ملتبسا به أو نبأهم الملتبس به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوّا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوّا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتبع الناس فيخيرهم بين القتل وعبادة الاوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحياة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وأبوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء اهل مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا وتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه أحدا ولن نقرّ لما تدعونا اليه أبدا فاقض ما أنت قاض فأمر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وأمهلهم الى رجوعه ليتأملوا في أمرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمعت الفتية على الفرار

قوله بصحة أن يقال في بعض النسخ لصحة الخ وكلاهما صحيح اه مصححه

قوله آرابه جمع ارب كحمل واحمال أي اعضاء كما في القاموس والمصباح اه مصححه

بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيأ فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقى فأووا
الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل وأطراف النهار و يبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجؤار وفوضوا
أمر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان و يلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى
ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى أصحابه فلبثوا على ذلك الى أن قدم الجبار المدينة فطلبهم
وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنهم عصوهم ونهبوا أموالهم وبذروها فى الاسواق وفرّوا الى الجبل فلما رأى
يمليخا ما رأى من الشر رجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا
الى الله عز وجل وخرّوا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون فى أمرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله
تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس فى طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا
الكهف فأمر باخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم
قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان
من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (انهم فتية) استئناف تحقيقى مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب
والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبى (آمنوا بربهم) اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم
ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم (وزدناهم هدى) بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من
الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم
(وربطنا على قلوبهم) أى قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان
واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) منصوب بربطنا
والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال
أكبرهم انى لاجد فى نفسى شيأ أن ربى رب السموات والارض فقالوا نحن أيضا كذلك فقاموا جميعا
(فقالوا ربنا رب السموات والارض) ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضى بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل
لهما تقتضى ربوبيته لما فيهما أى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدى الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على
ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم
من عنده (لن ندعو) لن نعبد أبدا (من دونه الها) معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن
أن يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة وللاشعار بأن مدار العبادة وصف
الالوهية وللايذان بأن ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية (لقد قلنا اذا شططا)
أى قولا ذا شطط أى تجاوز عن الحد أو قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف
مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود
والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء أى لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد
العقول مفرطا فى الظلم (هؤلاء) هو مبتدأ وفى اسم الاشارة تحقير لهم (قومنا) عطف بيان له (اتخذوا
من دونه آلهة) خبره وفيه معنى الانكار (لولا يأتون) تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز أى هلا يأتون
(عليهم) على ألوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة (بسلطان بين) بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو
تبكيت لهم والقام حجر (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
والمعنى انه أظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر
تحقيقه فى سورة هود (واذ اعتزلتموهم) أى فارقتموهم فى الاعتقاد أو اردتم الاعتزال الجسمانى (وما يعبدون
الا الله) عطف على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أى اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله أو وعبادتهم
الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير
تمحضهم فى عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين
اذ وجوابه (فأووا) أى التجئوا (الى الكهف) قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل
هو دليل على جوابه أى اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا أو اذ أردتم اعتزالهم فافعلوا
ذلك بالالتجاء الى الكهف (ينشر لكم) يبسط لكم ويوسع عليكم (ربكم) مالك أمركم (من رحمته)

فى الدارين (ويهيئ لكم) يسهل لكم (من أمركم) الذى أنتم بصدده من الفرار بالدين (مرفقا) ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين لما مر مرارا من الايذان من أول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده (وترى الشمس) بيان لحالهم بعد ما أووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن رأى صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ أوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم فى فجوة منه والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام او لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس (اذا طلعت تزاور) أى تتزاور وتتنحى بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام التاء فى الزاى وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل (عن كهفهم) الذى أووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة (ذات اليمين) أى جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره أى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (واذا غربت) أى تراها عند غروبها (تقرضهم) أى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم (ذات الشمال) أى جهة ذات شمال الكهف أى جانبه الذى يلى المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى (وهم فى فجوة منه) جملة حالية مبينة لكون ذلك أمرا بديعا أى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم فى متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا أن صرفتها عنهم يد التقدير (ذلك) أى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتى الطلوع والغروب مع كونهم فى موقع شعاعها (من آيات الله) العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل أن سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب الى محاذاته رأس مشرق السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى أجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك أوقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم فذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه وأما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم فى ذلك الكهف تلك المدة الطويلة أو الى اطلاعه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم على أخبارهم فلا يساعده ايراده فى تضاعيف القصة (من يهد الله) الى الحق بالتوفيق له (فهو المهتد) الذى أصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما أملوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها (ومن يضلل) أى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه (فلن تجد له) أبدا وان بالغت فى التتبع والاستقصاء (وليا) ناصرا (مرشدا) يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده فى نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو امكانه (وتحسبهم) بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما سبق (أيقاظا) جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم (وهم رقود) أى نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على آذانهم (ونقلبهم) فى رقدتهم (ذات اليمين) نصب على الظرفية أى جهة تلى أيمانهم (وذات الشمال) أى جهة تلى شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها من أبدانهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لو لم يقلبوا لأكلتهم الارض قيل لهم تقليبتان فى السنة وقيل تقليبة واحدة يوم عاشوراء وقيل فى كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم أى وترى تقلبهم (وكلبهم) قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فأنطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبى فانى أحب أحباء الله تعالى فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أو زرعه أو غنمه واختلف فى لونه فقيل كان انمر وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تتوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس فى الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسدا

(باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى (بالوصيد) أي بموضع الباب من الكهف (لو اطلعت عليهم) أي لو عاينتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الاشراف على الشئ بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو (لوليت منهم فرارا) هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدر بما من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل أي فارا أو بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له (ولملئت منهم رعبا) وقرئ بضم العين أي خوفا يملأ الصدور رعبه وهو اما مفعول ثان أو تمييز وذلك لما ألبسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وقيل لطول أظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما أو بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم أحدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف أحوالهم في أنفسهم وقيل لعظم أجرامهم ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال معاوية لا انتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فأحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد (وكذلك بعثناهم) أي كما أنمناهم وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من أحكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره (قال) استئناف لبيان تساؤلهم (قائل منهم) هو رئيسهم واسمه مكسلمينا (كم لبثتم) في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة (قالوا) أي بعضهم (لبثنا يوما أو بعض يوم) قيل انما قالوا لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب (قالوا) أي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة أو بالهام من الله سبحانه (ربكم أعلم بما لبثتم) أي أنتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين بأجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بأن الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة) قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بأن القائل ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على أن التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى (فلينظر أيها) أي أهلها (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (طعاما فليأتكم برزق منه) أي من ذلك الازكى طعاما (وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو في الاستخفاء لئلا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) من أهل المدينة فانه يستدعي شيوع أخباركم أي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف (انهم) تعليل لما سبق من الامر والنهي أي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم (ان يظهروا عليكم) أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في أيها (يرجموكم) ان ثبتم على ما أنتم عليه (أو يعيدوكم في ملتهم) أي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا وقيل كانوا أولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد شئ عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح أدخل

قوله وبسكون الراء مع الادغام هكذا في النسخ ولينظر اه

فى القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه اكثر وأوفر (ولن تفلحوا اذا) أى ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير (أبدا) لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وفيه من التشديد فى التحذير ما لا يخفى (وكذلك) أى وكما أنمناهم وبعثناهم لما مرّ من ازديادهم فى مراتب اليقين (أعثرنا) أى أطلعنا الناس (عليهم ليعلموا) أى الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة (أنّ وعد الله) أى وعده بالبعث أو موعوده الذى هو البعث أو أن كل وعده أو كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث او البعث الموعود دخولا أوليا (حق) صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مردّ له لانّ نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وأن الساعة) أى القيامة التى هى عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء (لا ريب فيها) لا شك فى قيامها فان من شاهد أنه جلّ وعلا توفى نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنة واكثر حافظا أبدانها من التحلل والتفتت ثم أرسلها اليها لا يبقى له شائبة شك فى أن وعده تعالى حق وانه يبعث من فى القبور فيردّ اليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب أعمالهم (اذ يتنازعون) ظرف لقوله أعثرنا قدّم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على أن التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون (بينهم أمرهم) ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه أمر دينهم حيث كانوا مختلفين فى البعث فمن مقرّ له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف أهل مملكته فى البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يظهر الحق فألقى الله عزّ وجلّ فى نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سدّ به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روى أن المبعوث لما دخل المدينة أخرج الدرهم ليشترى به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا أخبرونا بأن فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة من مسلم وكافر وأبصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شرّ الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فألقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه أمر الفتية قبل بعثهم أى أعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم أمرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وأفواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء فى قوله عزّ وجلّ (فقالوا) فصيحة أى أعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا ثم ماتوا فقالوا أى قال بعضهم (ابنوا عليهم) أى على باب كهفهم (بنيانا) لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث فى الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب أو من كلام الله تعالى ردّ القول الخائضين فى حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو أمرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شأنهم فى الموت والنوم حيث اختلفوا فى انهم ماتوا أو ناموا كما فى أول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون (لنتخذنّ عليهم مسجدا) وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضى للدلالة على أن هذا القول ليس مما يستمرّ ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا وأما تعلقه باعثرنا فيأباه أن اعثارهم ليس فى زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع فى بعضه الاعثار وفى بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر فى الوقوع (سيقولون) الضمير فى الافعال الثلاثة للخائضين فى قصتهم فى عهد النبىّ عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم (ثلاثة رابعهم كلبهم) أى هم ثلاثة أشخاص رابعهم أى جاعلهم أربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء فى التاء (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على

الحالية من الضمير فى الفعلين جميعا أى راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد أو من محذوف مستأنف واقع موقع الحال من ضميرا الفعلين معا أى يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقى من هذا الوحى وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه فى سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحى آخر كما قيل (قل) تحقيقا للحق وردا على الاولين (ربى أعلم) أى أقوى علما (بعدتهم) بعددهم (ما يعلمهم) أى ما يعلم عدتهم أو ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم (الا قليل) من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضى الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضى الله عنه انا من ذلك القليل ولو كان فى ذلك وحى آخر لما خفى عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له فى العلم بذلك وعن على كرم الله وجهه أنهم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كلبهم كفشطيوش (فلا تمار) الفاء لتفريع النهى على ما قبله أى اذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم (فيهم) فى شأن الفتية (الا مراء ظاهرا) قدر ما تعرض له الوحى من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالى وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق (ولا تستفت فيهم) فى شأنهم (منهم) من الخائضين (أحدا) فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من أهل الكتاب فالضمائر الثلاثة فى الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه محيص عما فى الاول من التكلف فى جعل أحد الاقوال المحكية المنظومة فى سمط واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الاخيرين بخلافه ووضوح فى سبب حذف المفعول فى لا تمار والمعنى حينئذ واذ قد وقفت على أن كلهم ليسوا على خطا فى ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به الوحى المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهى عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا تراجع اليهم فى شأن الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقى من الوحى (ولا تقولن لشئ) أى لاجل شئ تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشئ (غدا) أى فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا أوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من أن المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده أن ما بعده ليس بمعناه فى مناط النهى فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل (الا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من النهى أى لا تقولن ذلك فى حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال ان شاء الله او فى وقت من الاوقات الا وقت أن يشاء الله أن تقوله لا مطلقا بل مشيئة اذن فان النسيان أيضا بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهى وقيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كأنه قيل لا تقولنه أبدا كقوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله (واذكر ربك) بقولك ان شاء الله متداركا له (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبى هذا فى تداركه التبرك والتخلص عن الاثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه او واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك ذلك على التدارك او واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها (وقل عسى أن يهدين ربى) أى يوفقنى (لاقرب من هذا) أى لشئ أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتى (رشدا) أى ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث آتاه من البينات ما هو

قوله اسماؤهم الخ هكذا فى النسخ وفيه مخالفة لما فى القاموس ونصه واصحاب الكهف مكسلمينا امليخا مرطوكش بوالس سانيوس بطينوس كشفوطط * وقيل مليخا مكسينا مرطوس بوانس اربطانس اونوس كيدسلططيوس * او مكسلمينا يمليخا مرطونس بينونس ساربونس كفشططوش ذونواس * او مكسلمينا امليخا مرطونس بوانس سارينوس بطينوس كشفوطط * او مكسلمينا تمليخا مرطونس بينونس سارينونس ذونوانس كشفيططيونس اهـ

أعظم من ذلك وأبين كقصص الانبياء المتباعد أيامهم والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وأدنى خيرا من المنسى (ولبثوا فى كهفهم) أحياء مضروبا على آذانهم (ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهى جملة مستأنفة مبينة لما أجمل فيما سلف وأشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروى عن على رضى الله عنه انه قال عند أهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف فى الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع (قل الله اعلم بما لبثوا) أى بالزمان الذى لبثوا فيه (له غيب السموات والارض) أى ما غاب فيهما وخفى من أحوال أهلهما واللام للاختصاص العلمى دون التكوينى فانه غير مختص بالغيب (ابصر به وأسمع) دل بصيغة التعجب على أن شأن علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شئ ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفى والجلى والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان أصله أبصر أى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما فى كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم أمر ابصاره تعالى لما أن الذى نحن بصدده من قبيل المبصرات (ما لهم) لاهل السموات والارض (من دونه) تعالى (من ولى) يتولى أمورهم وينصرهم استقلالا (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه أو فى علم الغيب (احدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى أبلغ فى نفى الشريك من أن يقال من ولى ولا شريك وقرئ على صيغة نهى الحاضر على أن الخطاب لكل أحد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحى معجز أمره عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله (لا مبدل لكلماته) لا قادر على تبديله وتغييره غيره (ولن تجد) أبد الدهر وان بالغت فى الطلب (من دونه ملتحدا) ملجأ تعدل اليه عند الملم ملمة (واصبر نفسك) احبسها وثبتها مصاحبة (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) أى دائبين على الدعاء فى جميع الاوقات وقيل فى طرفى النهار وقرئ بالغدوة على أن ادخال اللام عليها وهى علم فى الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم رضى الله عنهم وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما فى حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة (يريدون) بدعائهم ذلك (وجهه) حال من المستكن فى يدعون أى مريدين لرضاه تعالى وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) أى لا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه أى جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو أو لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر أى صرفته عنه على أن المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنياء (تريد زينة الحيوة الدنيا) أى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء وأصحاب الدنيا وهى حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثانى منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما فى قوله

لمن زحلوفة زل * بها العينان تنهل

ومن المستكن فى الفعل على القراءتين الاخيرتين (ولا تطع) فى تنحية الفقراء عن مجالسك (من اغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وأبخلته اذا وجدته كذلك اوهو من أغفل ابله أى لم نسمه بالذكر (عن ذكرنا) كأولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء فى مجامع الاوقات وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه

قوله زحلوفة فى بعض النسخ زحلوقة بالقاف وكل صحيح كما يؤخذ من القاموس اه مصححه

فى الحسنات

فى الحسنات حتى خفى عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب أى حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا (واتبع هواه وكان أمره فرطا) ضياعا وهلاكا اومتقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط أى متقدم للخيل اوهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدى الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للنهى عن الاطاعة (وقل) لاولئك الغافلين المتبعين هواهم (الحق من ربكم) أى ما أوحى الى الحق لا غير كائنا من ربكم اوالحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتى حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد فى اتباعه وقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) اما من تمام القول المأموربه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما فى قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أى عقيب تحقق أن ما أوحى الى حق لا ريب فيه وأن ذلك الحق من جهة ربكم فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء أن يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما مالا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأموربه والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء أن يؤمن به اوأن يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء أن يكفر به او يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى (انا اعتدنا) وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر اولما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعى الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدى أى قل لهم ذلك انا أعتدنا (للظالمين) أى هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على أن مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشئ فى غير موضعه (نارا) عظيمة عجيبة (أحاط بهم) أى يحيط بهم وايثار صيغة الماضى للدلالة على التحقق (سرادقها) أى فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كالحديد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبى عليه الصلاة والسلام هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك فى النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى حسنت مرتفقا (ان الذين آمنوا) فى محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كأنه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافى مآلى الفريقين أى ان الذين آمنوا بالحق الذى أوحى اليك (وعملوا الصالحات) حسبما بين فى تضاعيفه (انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) خبر ان الاولى هى الثانية مع ما فى حيزها والراجع محذوف أى من أحسن منهم عملا او مستغنى عنه كما فى قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فان من أحسن عملا فى الحقيقة هو الذى آمن وعمل الصالحات (اولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة (لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار) استئناف لبيان الاجر اوهو الخبر وما بينهما اعتراض اوهو خبر بعد خبر (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة اواسوار جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) خصت الخضرة بثيابهم لانها أحسن الالوان واكثرها طراوة (من سندس واستبرق) أى مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين (متكئين فيها على الارائك) على السرر على ما هو شأن المتنعمين (نعم الثواب) ذلك (وحسنت) أى الارائك (مرتفقا) أى متكأ (واضرب لهم) أى للفريقين الكافر والمؤمن (مثلا رجلين) مفعولان لاضرب أولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان أى اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث أحوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من أن للاولين فى الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم فى نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين أو محققين هما اخوان من بنى اسرائيل

او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل أمرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بنى مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاسد ومسلم هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضى الله عنها أولا (جعلنا لاحدهما) وهو الكافر (جنتين) بستانين (من اعناب) من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين (وحففناهما بنخل) أى جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق (كلتا الجنتين آتت اكلها) ثمرها وبلغت مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى اكله (ولم تظلم منه) لم تنقص من اكلها (شيأ) كما يعهد ذلك فى سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر فى عام وتقل فى آخر وكذا بعض الاشجار يأتى بالثمر فى بعض الاعوام دون بعض (وفجرنا خلالهما) فيما بين كل من الجنتين (نهرا) على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع أن الترتيب الخارجى على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر فى تكميل محاسن الجنتين كما فى قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقى عادة وفيه ايماء الى أن ايتاء الاكل لا يتوقف على السقى كقوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة (فقال لصاحبه) المؤمن (وهو) أى القائل (يحاوره) أى صاحبه المؤمن وان جاز العكس أى يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) حشما وأعوانا او أولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه (ودخل جنته) التى شرحت أحوالها وعددها وصفاتها وهيآتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان الدخول يكون فى واحدة فواحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجبه وكفره (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال (ما أظن أن تبيد هذه) الجنة أى تفنى (أبدا) لطول أمله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات (وما أظن الساعة قائمة) كائنة فيما سيأتى (ولئن رددت) بالبعث عند قيامها كما تقول (الى ربى لاجدن) يومئذ (خيرا منها) أى من هذه الجنة وقرئ منهما أى من الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى انما أولاه ما أولاه فى الدنيا لاستحقاقه الذاتى وكرامته عليه سبحانه ولم يدر أن ذلك استدراج (قال له صاحبه) استئناف كما سبق (وهو يحاوره) جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من أول الامر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة (أكفرت) حيث قلت ما أظن الساعة قائمة (بالذى خلقك) أى فى ضمن خلق أصلك (من تراب) فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لما أن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه أصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذى منه تحصل النطفة فتدبر (ثم من نطفة) هى مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد (ثم سواك رجلا) أى عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذى نطق به قوله عز من قائل يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الخ (لكنا هو الله ربى) أصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربى وتلك الجملة خبر أنا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا فى الوصل والوقف جميعا وفى الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربى ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كأنه قال أنت كافر لكنى مؤمن موحد

(ولا أشرك بربي أحدا) فيه ايذان بأن كفره كان بطريق الاشراك (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) أى هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول فى آن الدخول من غير ريث لا للقصر (ماشاء الله) أى الامر ماشاء الله او ماشاء الله كائن على أن ما موصولة مرفوعة المحل او أى شئ شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء أبقاها وان شاء أفناها (لا قوة الا بالله) أى هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فأعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أنا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولى الرؤية ان جعلت علمية وأقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تأكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفى قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) هو جواب الشرط والمعنى ان ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله سبحانه أن يقلب مابى ومابك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك (ويرسل عليها حسبانا) هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران أى مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيما سيأتى للاولين أكثر (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) مصدر أريد به المفعول مبالغة أى أرضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات (أو يصبح) عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل (ماؤها غورا) أى غائرا فى الارض أطلق عليه المصدر مبالغة (فلن تستطيع) أبدا (له) أى للماء الغائر (طلبا) فضلا عن وجدانه ورده (وأحيط بثمره) أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما وأصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما فى المعطوف عليه بالفاء الفصيحة (فأصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أى فى عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما أنفق فى عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا تنالها أيدى الردى ولذلك قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره فى مثل هذا الشئ السريع الزوال (وهى) أى الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل (خاوية) ساقطة (على عروشها) أى دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقى لانها حيث هلكت وهى مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق فى عمارتها أكثر وقيل أرسل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها وغار ماؤها (ويقول) عطف على يقلب او حال من ضميره أى وهو يقول (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه انما أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه قيل ويحتمل أن يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه (ولم تكن له) وقرئ بالياء التحتانية (فئة ينصرونه) يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما فى قوله عز وعلا يرونهم مثليهم (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان) فى نفسه (منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه (هنالك) فى ذلك المقام وفى تلك الحال (الولاية لله الحق) أى النصرة له وحده لا يقدر عليها أحد فهو تقرير لما قبله أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى (هو خير ثوابا وخير عقبا) أى لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان أى هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله ياليتنى لم أشرك الخ كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ

برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا) أى واذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة أو بين لهم صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالمثل (كماء) استئناف لبيان المثل أى هى كماء (أنزلناه من السماء) ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير (فاختلط به) اشتبك بسببه (نبات الارض) فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع الماء فى النبات حتى روى ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة فى الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه (فاصبح) ذلك النبات الملتف اثر بهجتها ورفيفها (هشيما) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كأن لم يغن بالامس (وكان الله على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها الانشاء والافناء (مقتدرا) قادرا على الكمال (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) بيان لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا اثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كما فى الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل أحد من الآباء والبنين فى كل وقت وحين وأما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولان الحاجة اليه أمس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم فى الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو فى ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر فى الاصل أطلق على المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شئ يتزين به فى الحياة الدنيا وقد علم شأنها فى سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من أوصافها التى شأنها أن تزول قبل زوالها (والباقيات الصالحات) هى أعمال الخير وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه دخولا أوليا أما صلاحها فظاهر وأما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا (خير) اى مما نعت شأنه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع أن حقهما أن يكونا مقصودى الافادة لاسيما فى مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بأن بقاءها أمر بين لا يحتاج الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى التعرض له خيريتها (عند ربك) أى فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا لا لافضليتها فيها من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة (ثوابا) عائدة تعود الى صاحبها (وخير أملا) حيث ينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتى الخيرية والمبالغة فيها (ويوم نسير الجبال) منصوب بمضمر أى اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها فى الجو على هيآتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أو نسير أجزاءها بعد أن نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهى وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير (وترى الارض) أى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أما بروز ما تحت الجبال فظاهر وأما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن أضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا (وحشرناهم) جمعناهم الى الموقف من كل أوب وايثار صيغة الماضى

بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (فلم نغادر) أي لم نترك (منهم أحدا) يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ماء يتركه السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت (وعرضوا على ربك) شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه السلام مالا يخفى (صفا) أي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا (لقد جئتمونا) على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا أي مقولا لهم او وقلنا لهم وأما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه أن هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض (كما خلقناكم) نعت لمصدر مقدر أي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم (أول مرة) أو حال من ضمير جئتمونا أي كائنين كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلا أو ما معكم شئ مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع أي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم أبدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وأن مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا أو حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع (ووضع الكتاب) عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي أريد تذكيرها بتذكير وقتها أورد فيه ما أورد في أمثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر أيضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان (فترى المجرمين) قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا أوليا (مشفقين) خائفين (مما فيه) من الجرائم والذنوب (ويقولون) عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا وقطميرا (يا ويلتنا) منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه أي يا ويلتنا احضري فهذا أوان حضورك (ما لهذا الكتاب) أي اي شئ له وقوله تعالى (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) أي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من السيئات أو جزاء ما عملوا (حاضرا) مسطورا عتيدا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب ما لم يعمل من السيئات أو يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الازلي (واذ قلنا للملائكة) أي اذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله (فسجدوا) جميعا امتثالا بالامر (الا ابليس) فانه لم يسجد بل أبى واستكبر وقوله تعالى (كان من الجن) كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ماله لم يسجد فقيل كان أصله جنيا (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء أو صار فاسقا كافرا بسبب أمر الله تعالى اذ لولاه لما أبى والتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم وأموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع ابليس وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى (أفتتخذونه) الخ فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب أي أعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه (وذريته) أي أولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين (أولياء من دوني) فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي (وهم) أي والحال أن ابليس وذريته (لكم عدو) أي أعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي

الارب العالمين وقوله تعالى هم العدوّ وانما فعل به ذلك تشبيهاله بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا (بئس للظالمين) أى الواضعين للشئ فى غير موضعه (بدلا) من الله سبحانه ابليس وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى أن ما فعلوه ظلم قبيح مالا يخفى (ما أشهدتهم) استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى أنفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق والعداوة أى ما أحضرت ابليس وذريته (خلق السموات والارض) حيث خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم هذا ما أجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك أن ترجع الضمير الثانى الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على قود المعنى اليه فان نفى اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم أولياء بناء على أن أدنى ما يصحح التولى حضور الولى خلق المتولى وحيث لا حضور لا مصحح للتولى قطعا وأما نفى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور فى شئ على أن اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار أن له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور متمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط للانكار المذكور (وما كنت متخذ المضلين) أى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذمّا لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم أولياء (عضدا) أعوانا فى شأن الخلق أو فى شأن من شؤنى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض أحكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم أعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بأنهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وأنهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء أنفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم فى شأنهم أن يبلغوا ذلك المبلغ بأمر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما أطلعتهم على أسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى أن اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفى الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وراصد (ويوم يقول) أى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة (نادوا شركاءى الذين زعمتم) انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته (فدعوهم) أى نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم أن لا طريق الى المدافعة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفى ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بأنهم فى الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به (وجعلنا بينهم) بين الداعين والمدعوين (موبقا) اسم مكان أو مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا أو وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك أى مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هى فى الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل أى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا فى الآخرة ويجوز أن يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أى جعلنا بينهم أمدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار) وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذمّا لهم بذلك (فظنوا) أى فأيقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها أو ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد أنهم مواقعوها الساعة (ولم يجدوا عنها مصرفا) انصرافا أو معدلا ينصرفون اليه (ولقد صرّفنا) أى كرّرنا وأوردنا على وجوه كثيرة من النظم (فى هذا القرآن للناس) لمصلحتهم ومنفعتهم (من كل مثل) من جملته ما مرّ من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا

أو من كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الانسان) بحسب جبلته (اكثر شيء جدلا) أي اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل (وما منع الناس) أي أهل مكة الذين حكيت أباطيلهم (أن يؤمنوا) من أن يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ماهم فيه من الاشراك (اذ جاءهم الهدى) أي القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له (ويستغفروا ربهم) عما فرط منهم من أنواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل (الا أن تأتيهم سنة الاولين) أي الا طلب اتيان سنتهم أو الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال (أو يأتيهم العذاب) أي عذاب الآخرة (قبلا) أي أنواعا جمع قبيل أو عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين أي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير أو العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط (وما نرسل المرسلين) الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال (الا) حال كونهم (مبشرين) للمؤمنين بالثواب (ومنذرين) للكفرة والعصاة بالعقاب (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) أي بالجدال (الحق) أي يزيلوه عن مركزه و يبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم الصلاة والسلام ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما (واتخذوا آياتي) التي تخر لها صم الجبال (وما انذروا) اى أنذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب أو انذارهم (هزوا) استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) وهو القرآن العظيم (فأعرض عنها) ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا أن مفهومه العرفي انه أظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بأن ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد (ونسي ما قدمت يداه) أي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها (انا جعلنا على قلوبهم اكنة) أغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم (أن يفقهوه) مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم أن يقفوا على كنهه أو مفعول له أي كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم) اى جعلنا فيها (وقرا) ثقلا يمنعهم من استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) أي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كأنه قال عليه الصلاة والسلام مالي لا أدعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما أن افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه (وربك) مبتدأ وقوله تعالى (الغفور) خبره وقوله تعالى (ذو الرحمة) اى الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية أو لانه أهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل (لو يؤاخذهم) اى لو يريد مؤاخذتهم (بما كسبوا) من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات (لعجل لهم العذاب) لاستيجاب أعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة أن انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه (بل لهم موعد) اسم

زمان هو يوم بدر أو يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا بمؤاخذين بغتة (لن يجدوا) البتة (من دونه موئلا) منجى أو ملجأ يقال وأل أى نجا ووأل اليه أى لجأ اليه (وتلك القرى) أى قرى عاد وثمود وأضرابها وهى مبتدأ على تقدير المضاف أى وأهل تلك القرى خبره قوله تعالى (أهلكناهم) أو مفعول مضمر مفسر به (لما ظلموا) أى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكى عنهم من القبائح وترك المفعول اما للتعميم الظلم أو لتنزيله منزلة اللازم أى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذى عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره (وجعلنا لمهلكهم) أى عينا لهلاكهم (موعدا) أى وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام أى اهلاكهم وبفتحهما (واذ قال موسى) نصب باضمار فعل أى اذكر وقت قوله عليه السلام (لفتاه) وهو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف عليه السلام سمى فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان أن لكل امة موعدا تذكير ما فى القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة (لا أبرح) من برح الناقص كزال يزال أى لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذا كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله (حتى أبلغ) فان ذلك غاية تستدعى ذا غاية يؤدى اليها ويجوز أن يكون أصل الكلام لا يبرح مسيرى حاصلا حتى أبلغ فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز أن يكون من برح التام كزال يزول أى لا أفارق ما أنا بصدده حتى أبلغ (مجمع البحرين) هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بأرمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق (أو أمضى حقبا) اسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر أو ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة أن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فأوحى اليه بل أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان فى أيام أفريذون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فأخذ حوتا فجعله فى مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان (فلما بلغا) الفاء فصيحة كما اشير اليه (مجمع بينهما) أى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا أو بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) الذى جعل فقدانه أمارة وجدان المطلوب أى نسيا تفقد أمره وما يكون منه وقيل نسى يوشع أن يقدمه وموسى عليه السلام أن يأمره فيه بشئ روى انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التى لا يصيب ماؤها ميتا الا حيى وضعا رؤسهما على الصخرة فناما فلما أصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا أكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع فى الماء (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) مسلكا كالسرب وهو النفق قيل أمسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى أو للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفى البحر حال منه أو من السبيل ويجوز أن يتعلق باتخذ (فلما جاوزا) أى مجمع البحرين الذى جعل موعدا للملاقاة قيل أدلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر وألقى على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك (قال لفتاه آتنا غداءنا) أى ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب (لقد لقينا من سفرنا هذا) اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد (نصبا) تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة فى محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار أن النصب انما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما فى أثناء التغدى من استراحة ما

(قال) أى فتاه عليه السلام (أرأيت اذ أوينا الى الصخرة) أى التجأنا اليها وأقمنا عندها وذكر الاواء اليها مع أن المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الاواء اليها والنوم عندها مما يؤدى الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التى لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول أحدهم لصاحبه اذا نابه خطب أرأيت ما نابنى يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وأنه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل (فانى نسيت الحوت) وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسى وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع أنه المأمور باتيانه للتنبيه من أول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده فى المنزل وأن ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة أى نسيت أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الامور العجيبة (وما أنسانيه الا الشيطان) بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى (أن أذكره) بدل اشتمال من الضمير أى ما أنسانى أن أذكره لك وفى تعليق الانساء بضمير الحوت أولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى أن متعلق النسيان أيضا ليس نفس الحوت بل ذكر أمره وقرئ أن أذكره وايثار أن أذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) بيان لطرف من أمر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حى واضطرب ووقع فى البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثانى مفعولى اتخذ والظرف حال من أولهما أو ثانيهما أو هو المفعول الثانى وعجبا صفة مصدر محذوف أى اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب أو مصدر فعل محذوف أى أتعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه الصلاة والسلام وليس بذاك (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) الذى ذكرت من امر الحوت (ما كنا نبغ) وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف أصله نبغيه أى نطلبه لكونه أمارة للفوز بالمرام (فارتدا) أى رجعا (على آثارهما) طريقهما الذى جاآ منه (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم الصلاة والسلام (آتيناه رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء (وعلمناه من لدنا علما) خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب (قال له موسى) استئناف مبنى على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى (هل أتبعك على أن تعلمن) استئذانا منه فى اتباعه له على وجه التعلم (مما علمت رشدا) أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدى الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك أو مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبى آخر ما لا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية ولقد راعى فى سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام (قال) أى الخضر (انك لن تستطيع معى صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك أن يشمئز عند مشاهدتها وفى صحيح البخارى قال الخضر يا موسى انى على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وخبرا تمييز أى لم يحط به خبرك (قال) موسى عليه الصلاة والسلام (ستجدنى ان شاء الله صابرا) معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولى الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر (ولا أعصى لك أمرا) عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا وغير عاص وفى وعد هذا الوجدان من المبالغة

قوله وذكر الاواء الاوى قوله وذكر الاوى كهوى وبكسر لانه مصدر الثلاثى المذكور هنا كما فى القاموس والمصباح اه مصححه

ما ليس فى الوعد بنفس الصبر وترك العصيان أو على ستجدنى فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته
والظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على أن أفعال العباد بمشيئة الله سبحانه وتعالى (قال فان اتبعتنى)
اذن له فى الاتباع بعد اللتيا والتى والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه الصلاة والسلام
للصبر والطاعة (فلا تسألنى عن شئ) تشاهده من أفعالى أى لا تفاتحنى بالسؤال عن حكمته فضلا عن
المناقشة والاعتراض (حتى احدث لك منه ذكرا) أى حتى أبتدئ ببيانه وفيه ايذان بأن كل ما صدر
عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألنى بالنون
المثقلة (فانطلقا) أى موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام على الساحل يطلبان السفينة وأما يوشع
فقد صرفه موسى عليه الصلاة والسلام الى بنى اسرائيل قيل انهما مرا بسفينة فكلما أهلها فعرفوا الخضر
فحملوهما بغير نول (حتى اذا ركبا فى السفينة) استعمال الركوب فى أمثال هذه المواقع بكلمة فى مع تجريده
عنها فى مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما أشرنا اليه فى قوله تعالى وقال اركبوا
فيها الا لما قيل من أن فى ركوبها معنى الدخول (خرقها) قيل خرقها بعد ما لججوا حيث أخذ فأسا فقلع من
الواحها لوحين مما يلى الماء فعند ذلك (قال) موسى عليه السلام (أخرقتها لتغرق أهلها) من الاغراق
وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق أهلها من الثلاثى (لقد جئت) أتيت وفعلت (شيأ امرا) أى عظيما
هائلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل أمر الخنف (قال) أى الخضر عليه السلام (ألم أقل انك لن تستطيع
معى صبرا) تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده (قال لا تؤاخذنى
بما نسيت) بنسيانى أو بالذى نسيته أو بشئ نسيته وهو وصيته بأن لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال
الخفية الاسباب قبل بيانه أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى كما ورد فى صحيح البخارى من أن الاول
كان من موسى نسيانا أو اخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسى
ليبسط عذره فى الانكار وهو من معاريض الكلام التى يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض أو أراد
بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقنى) أى لا تغشنى ولا تحملنى
(من أمرى) وهو اتباعه اياه (عسرا) أى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ
عسرا بضمتين (فانطلقا) الفاء فصيحة أى فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا (حتى اذا لقيا غلاما فقتله)
قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه بالسكين (قال) أى
موسى عليه الصلاة والسلام (أقتلت نفسا زكية) طاهرة من الذنوب وقرئ زاكية (بغير نفس) أى بغير قتل
نفس محرمة وتخصيص نفى هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان
لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه الصلاة
والسلام ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه الصلاة والسلام فى معرض الجزاء المقصود افادته
مع أن الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه الصلاة والسلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس
الى ورود خبرها لقلة وقوعها فى نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة فى
الشرطية الاولى لما أن صدور الخوارق منه عليه الصلاة والسلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت
النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه الصلاة والسلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده
الاكيد عند مشاهدة خارق آخر أو يسارع الى المناقشة كما مر فى المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه
عليه الصلاة والسلام ففعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وأما ما قيل من أن القتل اقبح والاعتراض عليه أدخل
فكان جديرا بأن يجعل عمدة فى الكلام فليس من دفع الشبهة فى شئ بل هو مؤيد لها فان كون القتل أقبح من
مبادى قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعى جعله مقصودا
بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى جعله كذلك
(لقد جئت شيأ نكرا) قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل
الامر أعظم من النكر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى
صبرا) زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار

ولم

ولم يرعو بالتذكير حتى زاد فى النكير فى المرة الثانية (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام (ان سألتك
عن شئ بعدها) أى بعد هذه المرة (فلا تصاحبنى) وقرئ من الافعال أى لا تجعلنى صاحبك (قد بلغت
من لدنى عذرا) أى قد اعذرت ووجدت من قبلى عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبى صلى الله عليه
وسلم رحم الله أخى موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب وقرئ لدنى بتخفيف
النون وقرئ بسكون الدال كعضد فى عضد (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى انطاكية وقيل أبلة
وهى ابعد ارض الله من السماء وقيل هى برقة وقيل بلدة بأندلس عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية
لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى (استطعما اهلها)
فى محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على أن يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم
على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها أقبح وأشنع روى انهما طافا فى القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم (فابوا أن يضيفوهما) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة
يقال ضافه اذا كان له ضيفا وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم
عن الغرض ونظيره زاره من الازورار (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) أى يدانى أن يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة فى ذلك والانقضاض الاسراع فى السقوط وهو انفعال من القض يقال
قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من
الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا (فاقامه) قيل مسحه
بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل أقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع (قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا) تحريضا له على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما فى لومن النفى كأنه لما رأى الحرمان
ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى أخذ كاتبع من تبع وليس
من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت أى لأخذت وقرئ بادغام الذال فى التاء (قال) أى الخضر عليه
الصلاة والسلام (هذا فراق بينى وبينك) على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار
اليه اما نفس الفراق كما فى هذا أخوك أو الوقت الحاضر أى هذا الوقت وقت فراق بينى وبينك أو السؤال
الثالث أى هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود (سأنبئك) السين للتأكيد لعدم تراخى التنبئة
(بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) التأويل رجع الشئ الى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون
التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوى الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن
واستخراج اليتيمين للكنز وفى جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون أن
يقال بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه الصلاة والسلام وعتاب (أما السفينة)
التى خرقتها (فكانت لمساكين) لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم
زمنى وخمسة (يعملون فى البحر) واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب أو لان عمل
الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين (فاردت أن أعيبها) أى أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أى أمامهم
وقد قرئ به أو خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندى الازدى
(يأخذ كل سفينة) أى صالحة وقد قرئ كذلك (غصبا) من اصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع
الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع أن مدارها كلا
الامرين للاعتناء بشأنها اذ هى المحتاجة الى التأويل وللايذان بأن الاقوى فى المدارية هو الامر الاول ولذلك
لا يبالى بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب فى حقهم أيضا ولان فى التأخير فصلا بين السفينة
وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب (وأما الغلام) الذى قتلته (فكان أبواه مؤمنين) لم يصرح بكفرانه
أو بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره (فخشينا أن يرهقهما) فخفنا أن يغشى الوالدين
المؤمنين (طغيانا) عليهما (وكفرا) لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن
بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا
بسببه وانما خشى الخضر عليه الصلاة والسلام منه ذلك لان الله سبحانه أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره

وقرئ فخاف ربك أى كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز أن تكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك (فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا) منه بأن يرزقهما بدله ولدا خيرا (منه) وفى التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما مالا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما (زكوة) طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة (وأقرب رحما) أى رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء أيضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة (وأما الجدار) المعهود (فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) هى القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور (وكان تحته كنز لهما) من فضة وذهب كما روى مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم (وكان أبوهما صالحا) تنبيه على أن سعيه فى ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء (فاراد ربك) أى مالكك ومدبر امورك ففى اضافة الرب الى ضمير موسى عليه الصلاة والسلام دون ضميرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة (أن يبلغا أشدهما) أى حلمهما وكمال رأيهما (ويستخرجا كنزهما) من تحت الجدار ولولا أنى أقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية (رحمة من ربك) مصدر فى موقع الحال أى مرحومين منه عز وجل أو مفعول له أو مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر أى فعلت مافعلت من الامور التى شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا (وما فعلته عن أمرى) أى عن رأيى واجتهادى تأكيدا لذلك (ذلك) اشارة الى العواقب المنظومة فى سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها فى الفخامة (تأويل مالم تسطع) أى لم تستطع فحذف التاء للتخفيف (عليه صبرا) من الامور التى رأيته أى مآله وعاقبته فيكون انجاز التنبئة الموعودة أو الى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفى جعل الصلة عين ما مر تكرير للتذكير وتشديد للعتاب (تنبيه) اختلفوا فى حياة الخضر عليه الصلاة والسلام فقيل انه حى وسببه انه كان على مقدمة ذى القرنين فلما دخل الظلمات أصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس أيضا فى الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روى أن النبى عليه الصلاة والسلام صلى العشاء ذات ليلة ثم قال أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حينئذ حيا لما عاش بعد مائة عام روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يفارقه قال له أوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به (ويسألونك عن ذى القرنين) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان أو سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر ابن فيلفوس اليونانى وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردبه من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور بن عبد الله بن الازر بن عون ابن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلى قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو أول التبابعة وقيل انه أفريذون بن النعمان الذى قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيرونى فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية أن ذا القرنين هو أبو كرب سمى بن عيرين بن افريقيس الحميرى وأن ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذى افتخر به التبع اليمانى حيث قال

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا علا فى الارض غير مفند

ابن فيلفوس هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ابن فيلقوس بالقاف والذى فى القاموس ابن الفيلسوف والذى رأيته فى بعض التواريخ ابن فيليبس فليحرر اه مصححه

بلغ

بلغ المشارق والمغارب يبتغى * اسباب أمر من حكيم مرشد

وجعل هذا القول أقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذى المنار وذى نواس وذى النون وذى رعين وذى يزن وذى جدن قال الامام الرازى والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التى نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليونانى كما تشهد به كتب التواريخ يروى أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم أمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشأم وقصد بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى أن قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروى أن أهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على أرض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فأظلوه بترس فنظر فقال هذه أرض من حديد وسماء من خشب فأيقن بالموت فمات وهو ابن ألف وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب وأغرب منه ما قاله ابن عساكر من أنه بلغنى انه عاش ستا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذى القرنين الثانى كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بنى اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح فى مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف فى نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له فى الارض وظاهر أنه متناول للتمكين فى الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا ياذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا فى الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذى هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقى وغيره أنه اسلم على يدى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فطاف معه بالكعبة هو واسماعيل عليهم السلام وروى أنه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقدومه تلقاه ودعا له وأوصاه بوصايا ويقال انه أتى بفرس ليركب فقال لا أركب فى بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا أرادوا غزوة قوم وقال أبو الطفيل سئل عنه على كرم الله وجهه أكان نبيا أم ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا أحب الله فأحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف فى وجه تسميته بذى القرنين فقيل لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان فى رأسه أو فى تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه رأى فى منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرنى الشمس وقيل لانه انقرض فى عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا وأما ذو القرنين الثانى فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومى بن لنطى بن يونان بن يافث بن يونه بن شرخون ابن رومية بن نونط بن نوفيل بن رومى بن الاصفر بن العنز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام كذا نسبه ابن عساكر المقدونى اليونانى المصرى بانى الاسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من ألفى سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذى قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس ووطئ أرضهم ثم قال ابن

قوله فيلبس قد وقع هنا وفيما سيأتى أن الذى فى بعض التواريخ فيليبش اه مصححه

كثيرا واغا بيناهذا الان كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحدوأن المذكورفي القرآن العظيم هوهذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبيروفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضرعليه الصلاة والسلام وقد قيل انه كان نبيا وأما الثانى فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان اكثر من ألفى سنة فأين هذا من ذاك انتهى قلت المقدونى نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربى دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما أونحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهى اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكى كمال عظمها فى عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول من بعض المغازى السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار مافيه عبرة لاولى الابصار (قل) لهم فى الجواب (سأتلو عليكم) أى سأذكر لكم (منه) أى من ذى القرنين (ذكرا) أى نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحى المتلو حكاية عن جهة الله عزوجل قيل سأتلو أوسأتلو فى شأنه من جهته تعالى ذكرا أى قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تأييده عليه الصلاة والسلام وتصديقه بانجاز وعده أى لا أترك التلاوة البتة كما فى قول من قال

سأشكر عمرا ان تراخت منيتى * أيادى لم تمنن وان هى جلت

لا للدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية مانزلت بانفرادها قبل الوحى بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه الصلاة والسلام عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال لهم عليه الصلاة والسلام ائتونى غدا أخبركم فأبطأ عليه الوحى خمسة عشر يوما أو أربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عزوجل (انا مكنا له فى الارض) شروع فى تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثانى جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما فى الوجود وتقاربهما فى المعنى يستعمل كل منهما فى محل الآخر كما فى قوله عزوعلا مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم أى جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها مالم نجعله لكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكأنه قيل مالم نمكنكم فيها أى مالم نجعلكم قادرين على ذلك فيها أومكنا لهم فى الارض مالم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه فى سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف فى الارض من حيث التدبير والرأى والاسباب حيث سخر له السحاب ومدّ له فى الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذللت له طرقها (وآتيناه من كل شئ) أراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه (سببا) أى طريقا يوصله اليه وهو كل مايتوصل به الى المقصود من علم أوقدرة أوآلة (فأتبع) بالقطع أى فأراد بلوغ المغرب فأتبع (سببا) يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتّبع من الافتعال والفرق أن الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثانى (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أى منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له اوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى مبدأ الاطوال على أحد القولين (وجدها) أى الشمس (تغرب فى عين حمئة) أى ذات حمأة وهى الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية أى حارّة روى أن معاوية رضى الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين وروى فى ثأط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء فى الثانية منقلبة عن الهمزة لانكسار ماقبلها وأما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضى الله عنهم بما سمعه من كعب مع أن قراءته أيضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس رضى الله عنهما قطعية فى مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس فى مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره

بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى (قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب) بالقتل
من أول الامر (واما أن تتخذ فيهم حسنا) أى امرا ذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة اطلاق
المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل أن مع صلته اما الرفع
على الابتداء أو الخبرية واما النصب على المفعولية أى اما تعذيبك واقع أو اما أمرك تعذيبك أو اما تفعل
تعذيبك وهكذا الحال فى الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان ذلك الخطاب بواسطة نبى فى ذلك العصر أو كان
ذلك الهاما لا وحيا بعد أن كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبى (قال) أى ذو القرنين لذلك النبى أو لمن
عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير (أما من ظلم) أى نفسه ولم يقبل دعوتى وأصر على
ما كان عليه من الظلم العظيم الذى هو الشرك (فسوف نعذبه) بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر
فى القدور ومن آمن أعطاه وكساه (ثم يرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه) فيها (عذابا نكرا) أى منكرا فظيعا
وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على أن الخطاب لم يكن بطريق الوحى اليه وأن مقاولته كانت مع النبى أو مع
من عنده من أهل مشورته (وأما من آمن) بموجب دعوتى (وعمل) عملا (صالحا) حسبما يقتضيه
الايمان (فله) فى الدارين (جزاء الحسنى) أى فله المثوبة الحسنى أو الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه
مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به أو منصوب بمضمر أى نجزى بها جزاء والجملة حالية
أو معترضة بين المبتدا والخبر المتقدم عليه أو حال أى مجزيا بها أو تمييز وقرئ منصوبا غير منون على أنه سقط
تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين
القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال أما الكافر فيراعى
فى حقه قوة الاسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز أن تكون اما واما للتوزيع دون التخيير أى
وليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقى على حاله والثانى لمن تاب (وسنقول له من امرنا)
أى مما نأمر به (يسرا) أى سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر أو أطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين
(ثم أتبع سببا) أى طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) يعنى
الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف أى مكان طلوع
الشمس فانه مصدر قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وقيل فى أقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب
وطوى له الاسباب (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) من اللباس والبناء قيل هم الزنج
وعن كعب ان أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب أو البحر فاذا ارتفع
النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة
يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر
كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما
طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر
يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع
الشمس اكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كما وصفناه لك فى رفعة المحل وبسطة
الملك أو امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجد
أو نجعل أو صفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم أو سترا مثل ستركم
من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك (وقد أحطنا بما لديه) من الاسباب والعدد والعدد (خبرا) يعنى
أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول وأما على الوجوه الباقية فالمراد
بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتأمل (ثم أتبع سببا) أى طريقا ثالثا معترضا بين
المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال (حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين اللذين سد ما بينهما
وهو منقطع أرض الترك مما يلى المشرق لا جبلا ارمينية وأذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق
الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من
الظروف التى تستعمل أسماء أيضا كما ارتفع فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر فى قوله تعالى هذا فراق بينى

وبينك (وجد من دونهما) أى من ورائهما مجاوزا عنهما (قوما) أى أمة من الناس (لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال أى لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا فى انهم من أى الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج (قالوا) أى بواسطة مترجمهم أو بالذات على أن يكون فهم ذى القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب (ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) قد ذكرنا أنهما من أولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واختلف فى صفاتهم فقيل فى غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل فى نهاية عظم الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب وأضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم اذا أسرع وأصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث (مفسدون فى الارض) أى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس أيضا (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا من أموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم فى الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) وقرئ بالضم (قال ما مكنى) بالادغام وقرئ بالفك أى ما مكننى (فيه ربى) وجعلنى فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب (خير) أى مما تريدون أن تبذلوه الى من الخرج فلا حاجة بى اليه (فأعينونى بقوة) أى بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها فى البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم أو على عدم قبول خرجهم (أجعل) جواب للامر (بينكم وبينهم) تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه فى قولهم بيننا وبينهم (ردما) أى حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو أكبر من السد وأوثق يقال ثوب مردم أى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه (آتونى زبر الحديد) جمع زبرة كغرف فى غرفة وهى القطعة الكبيرة وهذا لا ينافى رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن أو المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة أى جيئونى بزبر الحديد على حذف الباء كما فى امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما أن الحاجة اليها مس اذ هى الركن فى السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائلا (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى آتوه اياها فأخذ يبنى شيأ فشيأ حتى اذا جعل ما بين ناحيتى الجبلين من البنيان مساويا لهما فى السمك على النهج المحكى قيل كان ارتفاعه مائتى ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووى على البناء للمجهول (قال) للعملة (انفخوا) أى بالكيران فى الحديد المبنى ففعلوا (حتى اذا جعله) أى المنفوخ فيه (نارا) أى كالنار فى الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذى القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة فى ذلك وهم بمنزلة الآلة (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الاذابة ونحوها (آتونى أفرغ عليه قطرا) أى آتونى قطرا أى نحاسا مذابا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ بالوصل أى جيئونى كأنه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذى وقفت عليه آنفا وكذا الكلام فى قوله تعالى ساوى وقوله تعالى أجعل (فما اسطاعوا) بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة أى فعلوا ما أمروا به من ايتاء

قوله من الجيل هكذا فى بعض النسخ بالتاء التحتية بعد الجيم وهو كما قال ياقوت فى المشترك اسم اصقع واسع مجاور لبلاد الديلم فيه قرى كثيرة ويقال له جيلان أيضا وقال فى اللباب انه اسم لبلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لها كيلان وكيل أيضا فلما عربت قيل جيلان وجيل وفى بعض النسخ الجبل بالموحدة وهى البلاد المعروفة عند العامة بعراق العجم كذا فى تقويم البلدان فلعل احدى النسختين محرفة عن الاخرى أو كل صحيح لعد بعضهم بعض بلاد احدى الجهتين من الاخرى كما يعلم من الكتاب المذكور وتأمل اهـ مصححه

القطر

القطر أو الاتيان فأفرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا (أن يظهروه) أى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على أن يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى أن تكون كالنار أو عن افراغ القطر عليها فكأنه سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة أصلا (قال) أى ذو القرنين لمن عنده من أهل تلك الديار وغيرهم (هذا) اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم أى هذا الذى ظهر على يدى وحصل بمباشرتى من السد الذى شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال (رحمة) أى أثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة (من ربى) على كافة العباد لاسيما على مجاوريه وفيه ايذان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمباشرتى والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة (فاذا جاء وعد ربى) مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجئ مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التى ستحكى يقع بعد مجيئه حتما (جعله) أى السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس فى توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور (دكاء) أى أرضا مستوية وقرئ دكا أى مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك أى المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجئ الوعد بمجئ بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته (وكان وعد ربى) أى وعده المعهود أو كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا (حقا) ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر مؤكد لمضمونها وهو آخر ما حكى من قصته وقوله عز وجل (وتركنا بعضهم) كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكاء ومحقق لمضمونه أى جعلنا بعض الخلائق (يومئذ) أى يوم اذ جاء الوعد بمجئ بعض مباديه (يموج فى بعض) آخر منهم يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى أو تركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج فى بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين فى البلاد روى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا فى أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم فى البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتل الدجال (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية بقضية الفاء فى قوله تعالى (فجمعناهم) ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع فى النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها فى النشأة الآخرة أى جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم فى صعيد واحد للحساب والجزاء (جمعا) أى جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه (وعرضنا جهنم) اى أظهرناها وأبرزناها (يومئذ) أى يوم اذ جمعنا الخلائق كافة (للكافرين) منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا (عرضا) أى عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من أهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة (الذين كانت أعينهم) وهم فى الدنيا (فى غطاء) كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب (عن ذكرى) عن الآيات المؤدية لاولى الابصار المتدبرين فيها الى ذكرى بالتوحيد والتمجيد أو كانت أعين بصائرهم فى غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشأنى أو عن القرآن الكريم (وكانوا) مع ذلك (لا يستطيعون) لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول عليه الصلاة والسلام (سمعا) استماعا لذكرى وكلامى الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما أن الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين أو بدل منه أو بيان جئ به لذمهم بما فى حيز الصلة

قوله نغفا بغين ثم فاء جمع نغفة بالتحريك فيهما وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم أو دود أبيض يكون فى النوى المنقع أو دود عقف ينسلخ عن الخنافس أو نحوها كذا فى القاموس ويوجد التفسير الاول هنا فى بعض النسخ بحذف كلمة الابل وقوله كالزلفة هى بالفاء محركة تطلق على الارض المكنوسة كما فى القاموس اه مصححه

وللاشعار بعليته لاصابة ما أصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض
لهم فى الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها أسبابا منجية مما ابتلوا به فى الآخرة (أفحسب الذين كفروا)
أى كفروا بى كما يعرب عنه قوله تعالى عبادى والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ أفظن والهمزة للانكار والتوبيخ
على معنى انكار الواقع واستقباحه كما فى قولك أضربت اباك لا انكار الوقوع كما فى قوله أأضرب أبى والفاء
للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدرا المعطوف عليه
فى قوله تعالى افلا تعقلون منفيا أى ألا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا أى أتسمعون
فلا تعقلون والمعنى أكفروا بى مع جلالة شأنى فحسبوا (أن يتخذوا عبادى من دونى) من الملائكة وعيسى
وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطانى وملكوتى (أولياء) معبودين ينصرونهم من بأسى وما قيل انها للعطف
على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على أن الحسبان ناشئ من التعامى والتصام وأدخل عليها
همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك
الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامى والتصام على أنهما أخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من
حيث انهما من أفعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وأيضا فانه دين قديم لهم لا يمكن
جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما
فى حيز صلة أن ساد مسد مفعولى حسب كما فى قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة أى أفحسبوا انهم يتخذونهم
أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ فى شئ لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم الصلاة والسلام منزهون
عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثانى محذوف أى أفحسبوا اتخاذهم نافعا
لهم والوجه هو الاول لان فى هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به فى الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا أى
أفحسبهم وكافيهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى
الفعل فى العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع (انا اعتدنا جهنم) أى هيأناها (للكافرين) المعهودين
عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بأن ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل (نزلا) أى شيأ
يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل أى الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم فى حسبانهم وتهكم
بهم حيث كان اتخاذهم اياهم أولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا أعتدنا لهم
مكان ما أعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفى ايراد النزل ايماء الى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما
هو انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضى الله عنهما بالمثوى (قل هل ننبئكم) الخطاب
الثانى للكفرة على وجه التوبيخ والجمع فى صيغة المتكلم لتعيينه من أول الامر وللايذان بمعلومية النبأ
للمؤمنين أيضا (بالاخسرين أعمالا) نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار
ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة فى أنفسها وفى حسبانهم أيضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها
ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة فى أنفسها مع كونها حسنة فى حسبانهم (الذين ضل
سعيهم) فى اقامة تلك الاعمال أى ضاع وبطل بالكلية (فى الحيوة الدنيا) متعلق بالسعى لا بالضلال لان بطلان
سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابى وقاص ومجاهد رضى الله عنهم
ويدخل فى الاعمال حينئذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون
أنفسهم فى الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول
الرفع على انه خبر مبتدا محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه
نعت للاخسرين أو بدل منه أو منصوبا على الذم على أن الجواب ما سيأتى من قوله تعالى اولئك الآية يأباه أن
صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعى كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على
حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة فى تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع
فيما صنعوا على أن التفريع الثانى مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون
العظمة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفى
المستلزم لحسنها الذاتى أى يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم بأعمالهم التى سعوا

قوله يقام فى بعض النسخ يقدم اه

في

في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك وينتفعون بآثاره أو من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا أي بطل سعيهم والحال أنهم الخ والفرق بينهما أن المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول أدخل في بيان خطائهم (أولئك) كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور (الذين كفروا بآيات ربهم) بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور (ولقائه) بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه (فحبطت) لذلك (أعمالهم) المعهودة حبوطا كليا (فلا نقيم لهم) أي لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء (يوم القيامة وزنا) أي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك أو لا نضع لاجل وزن أعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير أو عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا (ذلك) بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل أعمالهم المحبطة بذلك أي الامر ذلك وقوله عز وجل (جزاؤهم جهنم) جملة مبينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا) تصريح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي أنبأ عنها قوله تعالى (واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة أيضا (ان الذين آمنوا) بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد أي آمنوا بآيات ربهم ولقائه (وعملوا الصالحات) من الاعمال (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى أن أثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم (جنات الفردوس) عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هو الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة (نزلا) خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا أو على أنه بيان أو حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا أو جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بأنها عندما أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر (خالدين فيها) نصب على الحالية (لا يبغون عنها حولا) مصدر كالعوج والصغر أي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور أن يكون شيء اعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه أبصارهم ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة (قل لو كان البحر) أي جنس البحر (مدادا) وهو ما تمد به الدواة من الحبر (لكلمات ربي) لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك (لنفد البحر) مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه (قبل أن تنفد) وقرئ بالياء والمعنى من غير أن تنفد (كلمات ربي) لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات

قوله لاهل الحسنات الخ في بعض النسخ لاجل وزن الحسنات الخ اهـ

الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم فى الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات فى موضع الاضمار لزيادة التقرير (ولو جئنا) كلام من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن جىء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة أى لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة (بمثله مددا) عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهى الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى (انما أنا بشر مثلكم) لا أدعى الاحاطة بكلماته التامة (يوحى الى) من تلك الكلمات (أنما الهكم اله واحد) لا شريك له فى الخلق ولا فى سائر أحكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) الرجاء توقع وصول الخير فى المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضى على المستقبل للدلالة على أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء أى فمن استمر على رجاء كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة العزيزة (عملا صالحا) فى نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر فى الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهى ووجوب الامتثال فعلا وتركا روى ان جندب ابن زهير رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

## * (سورة مريم عليها السلام مكية الا آية السجدة وهى ثمان او تسع وتسعون آية) *

### * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(كهيعص) بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا فى باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جريا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما فى المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أى مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان أو على انه مبتدأ خبره (ذكر رحمة ربك) اى المسمى به ذكر رحمة الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هى عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما فى الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه أهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ أو اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره أى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضى من التذكير أى هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض

لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بأن تنزيل السورة عليه عليه الصلاة والسلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى (عبده) مفعول لرحمة ربك على أنها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على أنه مصدر أضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان أى بلغني وقوله عزوعلا (زكريا) بدل منه أو عطف بيان له (اذ نادى ربه نداء خفيا) ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على أنه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما فى قوله واذكر فى الكتاب مريم اذا انتبذت ولقد راعى عليه الصلاة والسلام حسن الادب فى اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عزوجل كالجهر أدخل فى الاخلاص وأبعد من الرياء وأقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مباد لا يليق به تعاطيها فى أوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر فى تفسير سورة آل عمران (قال) جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب (رب انى وهن العظم منى) اسناد الوهن الى العظم لما أنه عماد البدن ودعام الجسد فاذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله أو لانه أشد أجزائه صلابة وقواما وأقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه أوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من أفراده ومنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها أيضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها (واشتعل الرأس شيبا) شبه عليه الصلاة والسلام الشيب فى البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته وأخرجه مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسى فأسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار فى بيته ولزيادة تقريره بالاجمال أولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين فى الشين (ولم أكن بدعائك رب شقيا) اى ولم أكن بدعائى اياك خائبا فى وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها أو حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسى شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عوّد عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه أبدا لاسيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض فى الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن اضافة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لاسيما توسطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة فى التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من أسمائه وصفاته (وانى خفت الموالى) عطف على قوله تعالى انى وهن العظم مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادى خوفه عليه السلام من يلى أمره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا أشرار بنى اسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته فى أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله (من ورائى) أى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن أى فعل الموالى من بعدى أو جور الموالى وقد قرئ كذلك أو بما فى الموالى من معنى الولاية أى خفت الذين يلون الامر من ورائى لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالى من ورائى أى قلوا وعجزوا عن القيام بأمور الدين بعدى أو خفت الموالى القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم أى ارتحلوا مسرعين أى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت (وكانت امرأتى عاقرا) أى لا تلد من حين شبابها (فهب لى من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله أهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن فى الاصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله فى أوائل سورة آل عمران أى أعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية (وليا) أى ولدا من صلبى وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء

بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل أو توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه الصلاة والسلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك أن يكون هنالك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هنالك كما أن عدم ذكر مقدمة الدعاء هنالك للاكتفاء بذكره ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى (يرثني) صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء أي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون المال قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا (ويرث من آل يعقوب) يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت أم مريم أي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فأراد أن يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث ال يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ أويرث آل يعقوب بالتصغير وفيه ايماء الى وراثته عليه السلام اياه في حالة صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثني على طريقة التجريد أي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علماء (واجعله رب رضيا) مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي اجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه (يا زكريا) على ارادة القول أي قال تعالى يا زكريا (انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) لكن لا بأن يخاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحكي له عليه الصلاة والسلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه الصلاة والسلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما تقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات ألا ترى الى دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق ابيه والى دعوة النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا أن يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما الصلاة والسلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه الصلاة والسلام تأكيد للوعد وتشريف له عليه الصلاة والسلام وفي تخصيصه به عليه السلام حسبما يعرب عنه قوله تعالى (لم نجعل له من قبل سميا) أي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه الصلاة والسلام فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن أسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر أنه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حي به رحم أمه أو حي دين الله تعالى بدعوته (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل قال (رب) ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم أن علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك

في

فى عامّة الاوقات (أنى يكون لى غلام) كلمة أنى بمعنى كيف أومن أين وكان امّا تامّة وأنى واللام متعلقتان بها وتقديم الجارّ على الفاعل لمامرّ مرارا من الاعتناء بما قدّم والتشويق الى ما أخر أى كيف أومن أين يحدث لى غلام ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له أى أنى يحدث كائنا لى غلام أو ناقصة اسمها ظاهر وخبرها امّا أنى ولى متعلق بمحذوف كما مرّ أو هو الخبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى (وكانت امرأتى عاقرا) حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى (وقد بلغت من الكبر عتيا) حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد أى كانت امرأتى عاقرا لم تلد فى شبابها وشبابى فكيف وهى الآن عجوز وقد بلغت أنا من اجل كبر السنّ جساوة وقحولا فى المفاصل والعظام أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو وأصله عتوو كقعود فاستثقل توالى الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ماقبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احداهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لها لما بعدها وقرئ بضمها ولعلّ البداءة ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما فى سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله فى تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل وأمّا هنالك فلم يسبق فى الدعاء ذكر حاله فلذلك قدّمه على ذكر حال امرأته لما أن المسارعة الى بيان قصور شأنه أنسب وانما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله لاسيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة فى سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه فى ذلك باظهار أنه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه فى نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد (قال) استئناف كما مرّ مبنىّ على سؤال نشأ مما سلف والكاف فى قوله تعالى (كذلك قال ربك) مقحمة كما فى مثلك لا يبخل محلها امّا النصب على انه مصدر تشبيهى لقال الثانى وذلك اشارة الى مصدره الذى هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مرّ تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امّة وسطا وقوله تعالى (هو علىّ هين) جملة مقرّرة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة فى حيز قال الاول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت أى مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علىّ خاصة هين وان كان فى العادة مستحيلا وقرئ وهو علىّ هين فالجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهى مؤكدة ومقرّرة لما قبلها ثم أخرج القول الثانى مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم اسند الى اسم الربّ المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان أحكام ربوبيته تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من ايجاده من العدم وتصريفه فى أطوار الخلق من حال الى حال شيأ فشيأ الى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقلع أساس استبعاده عليه الصلاة والسلام لحصول الموعود ويورثه عليه الصلاة والسلام الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى الربّ الى ياء العظمة ايذانا بأن مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علىّ هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرّج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر وامّا الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدّم من وعده تعالى اى قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرّر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى أو حال من المستكنّ فى الجارّ والمجرور وأيا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام فى اسناد القول الى الربّ ثم الالتفات الى التكلم كالذى مرّ آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه الصلاة والسلام أى قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة فى نفسه وفى امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره أى قال تعالى هو مع بعده فى نفسه علىّ هين والقراءة الثانية ادخل فى افادة هذا المعنى على أن الواو للعطف وأمّا جعلها للحال

فخل بسداد المعنى لان ما له تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع أن المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته فى نفسه وقوله تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيأ مع كفايته فى ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه الصلاة والسلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من انشائه عليه الصلاة والسلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه الصلاة والسلام على ذلك الوجه ابداعا للكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه الصلاة والسلام على هذا النمط السارى الى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ أظهر عنده وأجلى وكان حاله أولى بأن يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين فى قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكأنه قيل وقد خلقتك من قبل فى تضاعيف خلق آدم ولم تكن اذ ذاك شيأ أصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا وأما حمل الشئ على المعتد به أى ولم تكن شيأ معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك (قال رب اجعل لى آية) أى علامة تدلنى على تحقق المسؤل ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه الصلاة والسلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو أمر خفى لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى أن تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة فى تفسير سورة آل عمران الى أن هذا السؤال ينبغى أن يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روى أن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر أو بثلاث سنين ولا ريب فى أن دعاء زكريا عليه الصلاة والسلام كان فى صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهى انما ولدت عيسى عليه الصلاة والسلام وهى بنت عشر سنين أو بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعى واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر أو بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين أولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ (قال آيتك أن لا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح (ثلاث ليال) مع أيامهن للتصريح بها فى سورة آل عمران (سويا) حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار أى تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس (فخرج على قومه من المحراب) أى من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فأنكروه وقالوا ما لك (فأوحى اليهم) أى أومأ اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وأن فى قوله تعالى (أن سبحوا) اما مفسرة لاوحى أو مصدرية والمعنى أى صلوا أو بأن صلوا (بكرة وعشيا) هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابى العالية أن المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو نزهوا ربكم طرفى النهار ولعله كان مأمورا بأن يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك (يا يحيى) استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم أى قلنا يا يحيى (خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) قال ابن عباس رضى الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه فى الدين روى انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا (وحنانا من لدنا) عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا أو رحمة فى قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما (وزكوة) أى طهارة

قوله فلا تطيق به فى بعض النسخ فلا تنطق به اه

من الذنوب أو صدقة تصدقنا به على ابويه أو وفقناه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنبا عن المعاصى (وبرا بوالديه) عطف على تقيا أى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما (ولم يكن جبارا عصيا) متكبرا عاقا لهما أو عاصيا لربه (وسلام عليه) من الله عز وجل (يوم ولد) من أن يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من هول القيامة وعذاب النار (واذكر فى الكتاب) كلام مستأنف خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام وأمر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هى التى صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها أى واذكر للناس (مريم) أى نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى (اذ انتبذت) ظرف لذلك المضاف لكن لا على أن يكون المأمور به ذكرنبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق الاستئناف داخل فى حيز الظرف متمم للنبا وقيل بدل اشتمال من مريم على أن المراد بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على أن المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كما فى قولك اكرمتك اذ لم تكرمنى أى لان لم تكرمنى فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى (من أهلها) متعلق بانتبذت وقوله (مكانا شرقيا) مفعول له باعتبار ما فى ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل فى الجار والمجرور وهو السر فى تأخيره عنه أى اعتزلت وانفردت منهم وأتت مكانا شرقيا من بيت المقدس أو من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت فى مشرقة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط أو بشىء يسترها وذلك قوله تعالى (فاتخذت من دونهم حجابا) وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هى فى مغتسلها اتاها الملك عليه الصلاة والسلام فى صورة آدمى شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى (فارسلنا اليها روحنا) أى جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذى هو عدة المقربين فى قوله تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان (فتمثل لها بشرا سويا) سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيأ وقيل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته وأما ما قيل من أن ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى (قالت انى أعوذ بالرحمن منك) فانه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة فى العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة مما دهمها وقوله تعالى (ان كنت تقيا) اى تتقى الله تعالى وتبالى بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق عليه أى فانى عائذة به أو فتعوذ بتعوذى أو فلا تتعرض لى (قال انما انا رسول ربك) يريد عليه الصلاة والسلام انى لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما أنا رسول ربك الذى استعذت به (لاهب لك غلاما) أى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من أحكام تربيتها وفى بعض المصاحف أمرنى أن اهب لك غلاما (زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت أنى يكون لى غلام) كما وصفت (ولم يمسسنى بشر) أى والحال انه لم يباشرنى بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة فى بيان تنزهها من مبادى الولادة (ولم أك بغيا) عطف على لم يمسسنى داخل معه فى حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح أى ولم أكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول بمعنى الفاعل أصلها بغوى فأدغمت الواو بعد قلبها ياء فى الياء وكسرت الغين للياء وقيل هى فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغوكما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق أو بمعنى المفعول أى يبغيها الرجال للفجور بها (قال) أى الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها (كذلك) أى الامر كما قلت لك وقوله تعالى (قال ربك) الخ استئناف مقرر له أى قال ربك الذى أرسلنى اليك (هو)

أى ماذكرت لك من هبة الغلام من غير أن يمسك بشر أصلا (هين) وان كان مستحيلا عادة لما أنى لا احتاج الى الاسباب والوسايط وقوله تعالى (ولنجعله آية للناس) اما علة لمعلل محذوف أى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة أخرى مضمرة أى لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة (ورحمة) عظيمة كائنة (منا) عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده (وكان) ذلك (أمرا مقضيا) محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلى أو قدر وسطر فى اللوح لا بد من جريانه عليك البتة أو كان أمرا حقيقا بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة (فحملته) بأن نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها قيل انه عليه الصلاة والسلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت فى الحال وقيل ان النفخة كانت فى فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به) أى فاعتزلت وهو فى بطنها كما فى قوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * فالجار والمجرور فى حيز النصب على الحالية أى فانتبذت ملتبسة به (مكانا قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل (فأجاءها المخاض) أى فألجأها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل فى غيره كآتى فى أعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس أو للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت يا ليتنى مت) بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت (قبل هذا) أى هذا الوقت الذى لقيت فيه مالقيت وانما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذارا من وقوع الناس فى المعصية بما تكلموا فيها أو جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روى عن عمر رضى الله عنه انه أخذ تبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة ولم أكن شيأ وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده أمه (وكنت نسيا) أى شيأ تافها شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان فى ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمى به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسا كعصا (منسيا) لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين (فناداها) أى جبريل عليه السلام (من تحتها) قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اى من مكان أسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم (أن لا تحزنى) أى لا تحزنى على أن أن مفسرة او بأن لا تحزنى على أنها مصدرية قد حذف عنها الجار (قد جعل ربك تحتك) أى بمكان أسفل منك وقيل تحت أمرك ان أمرت بالجرى جرى وان أمرت بالامساك أمسك (سريا) أى نهرا صغيرا حسبما روى مرفوعا قال ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا أى سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية (وهزى) هز الشئ تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى (اليك) أى الى جهتك والباء فى قوله عز وعلا (بجذع النخلة) صلة للتأكيد كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به وأخذ الخطام وأخذ

بالخطام أولا لصاق الفعل بمدخولها أى افعلى الهز بجذعها او هزى الثمرة بهزه وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز أى هزى اليك الرطب كائنا بجذعها (تساقط) أى تسقط النخلة (عليك) اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن التاء فى الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى (رطبا) على القراآت الثلاث الاول مفعول وعلى الست البواقى تمييز وقوله تعالى (جنيا) صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أى رطبا مجنيا أى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل أى طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع (فكلى واشربى) أى ذلك الرطب وماء السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيبى نفسا وارفضى عنها ما احزنك وأهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج فى صدور المتعبدين بالاحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة أمرك وقرئ وقرى بكسر القاف وهى لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القرّ فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارّة ولذلك يقال قرّة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه (فاما ترين من البشر أحدا) أى آدميا كائنا من كان وقرئ ترئنّ على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخى (فقولى) له ان استنطقك (انى نذرت للرحمن صوما) أى صمتا وقد قرئ كذلك أو صياما وكان صيامهم بالسكوت (فلن اكلم اليوم انسيا) أى بعد أن أخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة وأناجى ربى وقيل أمرت بأن تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفرّاء العرب تسمى كل ما وصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا أكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع فى قطع الطعن (فأتت به قومها) أى جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها (تحمله) أى حاملة له (قالوا) مؤنبين لها (يا مريم لقد جئت) أى فعلت (شيأ فريا) أى عظيما بديعا منكرا من فرى الجلد أى قطعه أو جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشئ تحقيقا للاستغراب (يا أخت هرون) استئناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هرون النبى عليه السلام وكانت من أعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان فى زمانهم شبهوها به أى كنت عندنا مثله فى الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش (فأشارت اليه) أى الى عيسى عليه السلام أن كلموه والظاهر أنها حينئذ بينت نذرها وأنها بمعزل من محاورة الانس حسبما أمرت ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به (قالوا) منكرين لجوابها (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هى زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه أو هى تامة او دائمة كما فى قوله تعالى وكان الله عليما حكيما (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كانه قيل فاذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام (انى عبد الله) أنطقه الله عز وجل بذلك أوّل ما تكلم تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما الصلاة والسلام وعن السدى رضى الله عنه لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا مما فعلت وروى انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار اليهم بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (آتانى الكتاب) أى الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى) مع ذلك (مباركا) نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى فى الافعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق فى القضاء المحتوم أو بجعل ما فى شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقلا واستنبأه طفلا (أينما كنت) أى حيثما كنت (وأوصانى بالصلوة) أى أمرنى بها أمرا مؤكدا (والزكوة) زكاة المال ان ملكته او بتطهير النفس عن الرذائل (ما دمت حيا) فى الدنيا (وبرا بوالدتى) عطف على مباركا أى جعلنى بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة أو منصوب بمضمر دل عليه

قوله المتعبدين بالاحكام فى بعض النسخ المتقيدين بالاحكام اه

أوصاني أي وكلفني برّا ويؤيده القراءة بالكسر والجرّ عطفا على الصلاة والزكاة والتنكير للتفخيم (ولم يجعلني جبارا شقيا) عند الله تعالى لفرط تكبره (والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) كما هو على يحيى على أن التعريف للعهد والاظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى (ذلك) اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس (عيسى ابن مريم) لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه (قول الحق) بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد (الذي فيه يمترون) أي يشكون أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله وقرئ بتاء الخطاب (ما كان لله) أي ما صح وما استقام له تعالى (أن يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى اذا قضى أمرا من الامور أن يتعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تأخير فمن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) من تمام كلام عيسى عليه السلام قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقيل معطوف على الصلاة (هذا) أي الذي ذكرته من التوحيد (صراط مستقيم) لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط أو فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا) وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم (من مشهد يوم عظيم) أي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام وألسنتهم وآذانهم وأيديهم وأرجلهم وسائر آرابهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه عليهما السلام (أسمع بهم وأبصر) تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان أسماعهم وأبصارهم (يوم يأتوننا) للحساب والجزاء أي يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد أن كانوا في الدنيا صما عميا أو تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب (لكن الظالمون اليوم) أي في الدنيا (في ضلال مبين) لا تدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بأنهم في ذلك ظالمون لانفسهم (وأنذرهم يوم الحسرة) أي يوم يتحسر الناس قاطبة أما المسيء فعلى اساءته وأما المحسن فعلى قلة احسانه (اذ قضي الامر) أي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرّف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف (وهم في غفلة) أي عما يفعل بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض أو من مفعول أنذرهم

قوله وقول الحق أي بنصب القاف كما وجد مضبوطا في بعض النسخ بالقلم وان لم أره في القاموس ولا في المصباح فان من حفظ حجة على من لم يحفظ اه مصححه

قوله خلود فلا موت في بعض النسخ بلا موت بالموحدة في الموضعين اه

أى أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل (انا نحن نرث الارض ومن عليها) لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه (والينا يرجعون) أى يردون للجزاء لا الى غيرنا استقلالا أو اشتراكا (واذكر) عطف على أنذرهم (فى الكتاب) أى فى السورة او فى القرآن (ابراهيم) أى اتل على الناس قصته و بلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح (انه كان صديقا) ملازما للصدق فى كل ما يأتى ويذر أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعى ذكره (نبيا) خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية أى كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة فى الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبى صديق (اذ قال) بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا أى كان جامعا بين الاثرتين حين قال (لابيه) آزر متلطفا فى الدعوة مستميلا له (يا أبت) أى يا أبى فان التاء عوض عن ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا أبتا لكون الالف بدلا من الياء (لم تعبد ما لا يسمع) ثناءك عليه عند عبادتك له وجؤارك اليه (ولا يبصر) خضوعك وخشوعك بين يديه أو لا يسمع ولا يبصر شيأ من المسموعات والمبصرات فيدخل فى ذلك ما ذكر دخولا أوليا (ولا يغنى) أى لا يقدر على أن يغنى (عنك شيأ) فى جلب نفع أو دفع ضر ولقد سلك عليه السلام فى دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيى المميت المثيب المعاقب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر أو شجر ليس له من أوصاف الاحياء عين ولا أثر ثم دعاه الى أن يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى مصدرا الدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال (يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان فى اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه فى صورة رفيق له اعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال (فاتبعنى اهدك صراطا سويا) أى مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدى الى مهاوى الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذى يسولها لك و يغريك عليها وقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) تعليل لموجب النهى وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذى انعم عليك بفنون النعم ولا ريب فى أن المطيع للعاصى عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله (يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلى به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما فى قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم (فتكون للشيطان وليا) أى قرينا له فى اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بأمره (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا قال أبوه عند ما سمع منه عليه السلام

هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرّا على عناده (اراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) أى أمعرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله (لئن لم تنته لارجمنك) تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير أى والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهى عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان (واهجرنى) أى فاحذرنى واتركنى (مليا) أى زمانا طويلا أو مليا بالذهاب مطيقا به (قال) استئناف كما سلف (سلام عليك) توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة أى لا أصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربى) أى أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابى بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لاريب فى جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تأباه قضية العقل وانما الذى يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه السلام قال لعمه أبى طالب لا ازال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية والاشتباه فى أن هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله واغفر لابى الآية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين أمره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر فى تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به فى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح فى جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهى او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما أن النهى انما ورد فى شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهى أصلا وأن الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لاسيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابى الآية لانها كانت هى الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمى وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرأ على تبين الامر فقد مر تحقيقه فى تفسير سورة التوبة وقوله (انه كان بى حفيا) أى بليغا فى البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله (وأعتزلكم) أى أتباعد عنك وعن قومك (وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة بدينى حيث لم تؤثر فيكم نصائحى (وأدعو ربى) أعبده وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور فى تفسير سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضا بقوله رب هب لى من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) أى خائبا ضائع السعى وفيه تعريض بشقائهم فى عبادة آلهتهم وفى تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من أن الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالمهاجرة الى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب) بدل من فارقهم من أقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور أن الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لى من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التى اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روى انه عليه السلام لما قصد الشأم أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر (وكلا) أى كل واحد منهما أو منهم وهو مفعول أول لقوله تعالى (جعلنا نبيا) قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم أى كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض (ووهبنا لهم من رحمتنا) هى النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بأنها من باب الرحمة وقيل هى المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير دينى ودنيوى أوتوه

عما لم

عما لم يؤته أحدا من العالمين (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل (واذكر فى الكتاب موسى) قدم ذكره على ذكر اسمعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهما السلام (انه كان مخلصا) موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على أن الله تعالى أخلصه (وكان رسولا نبيا) ارسله الله تعالى الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه أخص وأعلى (وناديناه من جانب الطور الايمن) الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب أى ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى عليه السلام أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه نجيا) تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا أى مناجيا حال من أحد الضميرين فى ناديناه أو قربناه وقيل مرتفعا لما روى أنه عليه السلام رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم (ووهبنا له من رحمتنا) أى من أجل رحمتنا ورأفتنا له أو بعض رحمتنا (أخاه) أى معاضدة أخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى لا نفسه لانه كان أكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثانى بدل وقوله تعالى (هرون) عطف بيان له وقوله تعالى (نبيا) حال منه (واذكر فى الكتاب اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لابراز كمال الاعتناء بأمره بايراده مستقلا وقوله تعالى (انه كان صادق الوعد) تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبيا) فيه دلالة على أن الرسول لا يجب أن يكون صاحب شريعة فان أولاد ابراهيم عليه السلام كانوا على شريعته (وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة) اشتغالا بالاهم وهو أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو أقرب الناس اليه قال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل أهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاتصافه بالنعوت الجليلة التى من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبى نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى انه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب (انه كان صديقا) ملازما للصدق فى جميع احواله (نبيا) خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل فى الدنيا كما فى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روى عن كعب وغيره فى سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم فى حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب انى قد مشيت فيها يوما وقد أصابنى منها ما أصابنى فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب ما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن الله تعالى له فرفعه الى السماء (اولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (الذين أنعم الله عليهم) صفته أى أنعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما أشير اليه مجملا وقوله تعالى (من النبيين) بيان للموصول وقوله تعالى (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز أن تكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم أعم من الانبياء وأخص من الذرية (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية (وممن هدينا واجتبينا) أى ومن جملة من هديناهم الى

قوله لمك ويقال له لامك رابع أيضا كما فى تاريخ ابى الفدا وقوله اخنوخ هكذا فى النسخ بخاءين معجمتين وهو الذى فى القاموس وفيه أيضا خنوخ بحذف الهمزة وضبطه فى التاريخ المذكور بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة فليحرر اه مصححه

الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاولئك ويجوز أن يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع مالهم من علو الرتبة وسمو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا أى ساجدين باكين عن النبى صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجد جمع ساجد وأصله بكوى فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقى وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغى أن يدعو الساجد فى سجدته بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفى آية الاسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وفى آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن اكون من المستكبرين عن أمرك (فخلف من بعدهم خلف) يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون أى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء (أضاعوا الصلوة) وقرئ الصلوات أى تركوها اوأخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى فنون المعاصى وعن على رضى الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أى شرا فان كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وعن الضحاك جزاء غى كقوله تعالى يلق أثاما أى جزاء اثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يدل على أن الآية فى حق الكفرة (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا أى فأولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (ولا يظلمون شيأ) أى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيأ أو لا ينقصون شيأ من النقص وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف أى هى اوتلك جنات الخ اومبتدأ خبره التى وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما أن فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفها أعلام لمعانى الفينة وهى الساعة التى أنت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن أو هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما أضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى (التى وعد الرحمن عباده) وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول فى حكم المشتق وقد نصوا على أن البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بأن وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء فى قوله تعالى (بالغيب) متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده أى وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب أى غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار أو بمضمر هو سبب للوعد أى وعدها اياهم بسبب ايمانهم (انه كان وعده) أى موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا أوليا ولما كانت هى مثابة يرجع اليها قيل (مأتيا) أى يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا أى مفعولا منجزا من أتى اليه احسانا أى فعله (لا يسمعون فيها لغوا) أى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغى أن يجتنب عنه فى هذه الدار ما أمكن (الا سلاما) استثناء منقطع أى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال أى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما فى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اوعلى أن معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وارد على عادة المتنعمين فى هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشى (تلك الجنة)

مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها
وعلو رتبتها (التي نورث) أي نورثها (من عبادنا من كان تقيا) أي نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي
على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث
انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار
لو آمنوا وأطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورّث بالتشديد (وما نتنزل الا بأمر ربك) حكاية لقول جبريل
حين استبطأه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر
كيف يجيب ورجا أن يوحى اليه فيه فأبطأ عليه أربعين يوما أو خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال
المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وأنزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول
على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما نتنزل
وقتا غب وقت الا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي (له ما بين أيدينا
وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان
دون زمان الا بأمره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) أي تاركا لك يعني أن عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به
لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن
التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل
أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى
وما نتنزل الجنة الا بأمر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى أي وما كان ناسيا لاعمال
العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) بيان لاستحالة
النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحة
سبحاته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى (فاعبده واصطبر
لعبادته) لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما
وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام أو غير ناس لاعمال العاملين والمعنى لحين عرفته تعالى بما ذكر
من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لاريب فيه أو حين عرفت انه
تعالى لا ينساك او لا ينسى أعمال العاملين كائنا من كان فأقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء
الوحي وهزؤ الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف
الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمينه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق
كقولك للمبارز اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شدائده (هل تعلم له سميا) السمي هو الشريك
في الاسم والظاهر أن يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض
وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما أفاده الفاء من
علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى لبيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم
وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم
في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق
فالمعنى هل تعلم شيأ يسمى بالاستحقاق الها وأما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة
حينئذ باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر (ويقول الانسان) المراد به اما
الجنس بأسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او أبي بن خلف فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال
يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال أي يقول بطريق الانكار والاستبعاد (أئذا ما مت لسوف
أخرج حيا) أي أبعث من الارض أو من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما أن المنكر كون
ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة

للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض فى يا ألله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (اولا يذكر الانسان) من الذكر الذى يراد به التفكر والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بأن الانسانية من دواعى التفكر فيما جرى عليه من شؤن التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر فى اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخى والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول أى أيقول ذلك ولا يذكر (أنا خلقناه من قبل) أى من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيأ) أى والحال انه لم يكن حينئذ شيأ أصلا فحيث خلقناه وهو فى تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض أولى وأظهر فماله لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل (فوربك) اقسامه باسمه عزت أسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شأنه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته (لنحشرنهم) لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما أخرجناهم من الارض أحياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهانى على أبلغ وجه وآكده كأنه أمر واضح غنى عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال (والشياطين) معطوف على الضمير المنصوب أو مفعول معه روى أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التى كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار أنهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكى اليه مع كون القائل بعض أفراده (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثى جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه وأصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز أى لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان أهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل أمة جاثية على ما هو المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة (ثم لننزعن من كل شيعة) أى من كل امة شاعت دينا من الاديان (ايهم أشد على الرحمن عتيا) أى من كان منهم اعصى وأعتى فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من أهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فنطرحهم فى النار على الترتيب أو ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وأيهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهامى وخبره أشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كأن سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن أو متعلق بأفعل وكذا الباء فى قوله تعالى (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أى هم أولى بصليها او صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلى كالعتى صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد (وان منكم) التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم أى ما منكم أيها الانسان (الا واردها) أى واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال

لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها (كان) أي ورودهم اياها (على ربك حتما مقضيا) أي أمرا محتوما أوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه (ثم ننجي الذين اتقوا) الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء أي هنالك ننجيهم (ونذر الظالمين) بالكفر والمعاصي (فيها جثيا) منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حوالها ويلقى الفجرة فيها على هيآتهم وقوله تعالى (واذا تتلى عليهم) الآية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم أي واذا تتلى على المشركين (آياتنا) التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى (بينات) أي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول عليه الصلاة والسلام او بينات الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا (قال الذين كفروا) أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى (للذين آمنوا) للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى (أي الفريقين) أي المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا (خير) نحن او أنتم (مقاما) أي مكانا وقرئ بضم الميم أي موضع اقامة ومنزل (وأحسن نديا) أي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك أن خيريتهم حالا وأحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وأن من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا) أي كثيرا من القرون التي كانت افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء أيضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم أحسن أثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم وأثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها أو على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) لما بين عاقبة أمر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل أمر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة الفانية المبتهجين بها على أن من على عمومها واما على وجه خاص بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والاشعار بعلة الحكم أي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن أي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية للمد الممتد لا لقول

المتحيرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه فى حيز جواب اذا وجمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوى بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروى لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى (فسيعلمون) جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أى حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوى او الاخروى فقط فسيعلمون حينئذ (من هو شر مكانا) من الفريقين بأن يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما (وأضعف جندا) أى فئة وأنصارا لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من الاعيان وأنصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك فى الاندية والمحافل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان فى الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين أن امهال الكافر وتمتيعه بالحياة ليس لفضله عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى (والباقيات الصالحات خير) على تقديرى الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل فى حيز الكلام الملقن لقوله تعالى (عند ربك) أى الطاعات التى تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه عليه السلام (ثوابا) أى عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير اليه بقوله تعالى (وخير مردا) أى مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها وفى التفضيل مع أن ما للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية فى العاقبة تهكم بهم (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) أى بآياتنا التى من جملتها آيات البعث نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئنى فيكون لى ثمة مال وولد فأعطيك وفى رواية قال لا أكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال انى لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله والايذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما فى الاستعمال لقصد التعجيب بأن الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر الى الذى صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثانى يعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذى صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيأ وغابت عنه أشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذى يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنظرت فرأيت الذى كفر بآياتنا الباهرة التى حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها (وقال) مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله (لأوتين) فى الآخرة (مالا وولدا) أى انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا أى الفريقين خير مقاما الآية وأنت خبير بأن المشهور استعمال أرأيت فى معنى أخبرنى بطريق الاستفهام جاريا على أصله أو مخرجا الى ما يناسبه من المعانى لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع أسد أو على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى (أطلع الغيب) رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما أشير اليه بالتعجيب منها أى أقد بلغ من عظمة الشان الى أن ارتقى الى علم الغيب الذى استأثر به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا بأحد هذين الطريقين

والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى (كلا) ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه (سنكتب ما يقول) أى سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشئ الخفى منزلة احداث الامر المعدوم بجامع أن كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد باحداثها ومدار الثانى تسمية الشئ باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا (ونمد له من العذاب مدا) مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد أى نطول له من العذاب ما يستحقه أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب (ونرثه) بموته (ما يقول) أى مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه فى الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أى ننزع عنه ما آتيناه (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا أن يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوى عنه ما زعم انه ينال فى الآخرة ونعطيه من يستحقه ويأباه معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وأنت خبير بأن ذلك مبنى على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب فى أن ذلك مستحيل ممن يكفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق اداعيته بالمحال (واتخذوا من دون الله آلهة) حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها أى اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزا) أى ليتعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده (كلا) ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به أطماعهم الفارغة (سيكفرون بعبادتهم) أى ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا أو سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما فى قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى (ويكونون عليهم ضدا) على الاول تكون الآلهة التى كانوا يرجون أن تكون لهم عزا ضد العز أى ذلا وهوانا أو تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم أو حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما أن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثانى يكون الكفرة ضدا وأعداء للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذى عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كشئ واحد كما فى قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب ألف الاطلاق فى قوله

أقلى اللوم عاذل والعتابن * وقولى ان أصبت لقد أصابن

أو على معنى كل هذا الرأى كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده أى سيجحدون كلا سيكفرون الخ

(ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادى فى الغى والانهماك فى الضلال والافراط فى العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على أن جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لأن له مسوغا ما فى الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعلق الرؤية به بل مما ذكر من أحوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى (تؤزهم أزا) فانه اما حال مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعل الشياطين

بهم حينئذ فقيل تؤزهم أى تغريهم وتهيجهم على المعاصى تهييجا شديدا بأنواع الوساوس والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز أخوات معناها شدة الازعاج (فلا تعجل عليهم) أى بأن يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فساداتهم والفاء للاشعار بكون ماقبلها مظنة لوقوع المنهى عنه محوجة الى النهى كما فى قوله تعالى ان هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى (انما نعدّ لهم عدّا) تعليل لموجب النهى ببيان اقتراب هلاكهم أى لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا أيام وأنفاس نعدّها عدّا (يوم نحشر المتقين) منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة مايقع فيه من الطامة التامة والدواهى العامة كأنه قيل يوم نحشر المتقين أى نجمعهم (الى الرحمن) الى ربهم الذى يغمرهم برحمته الواسعة (وفدا) وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكراماتهم وانعاماتهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لا يورده الا العطش أو كالدوابّ التى ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال مالا يفى ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم أى اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى (لا يملكون الشفاعة) والذى يقتضيه مقام التهويل وتستدعيه جزالة التنزيل أن ينتصب بأحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة وأهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبنى للفاعل وعلى الثالث ينبغى أن تكون مصدرا من المبنى للمفعول وقوله تعالى (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل أو النصب على أصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم الا من استعدّ له بالتحلى بالايمان والتقوى أو من أمر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس فى تحصيل الايمان والتقوى المؤدى الى نيل هذه الرتبة وعلى الثانى استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء أى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا فى الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم الا من كان منهم مسلما (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوّا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى (لقد جئتم شيأ ادّا) ردّ لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والادّ بالكسر والفتح العظيم المنكر والادّة الشدّة وأدّنى الامر وآدنى أثقلنى وعظم علىّ أى فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعدّيان تعديته وقوله تعالى (تكاد السموات) الخ صفة لادّا أو استئناف ببيان عظم شأنه فى الشدّة والهول وقرئ يكاد بالتذكير (يتفطرن منه) يتشققن مرّة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف (وتنشق الارض) أى وتكاد تنشق الارض (وتخر الجبال) أى تسقط وتتهدّم وقوله تعالى (هدّا) مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال أى تهدّ هدّا او مصدر من المبنى للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه حينئذ بمعنى التهدّم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خرورا أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية أى مهدودة أو مفعول له أى لانها تهدّ وهذا تقرير لكونه ادّا والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصوّرت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدّتها أو أن فظاعتها فى استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبدّدت قوائمه غضبا على من تفوّه بها (أن دعوا للرحمن ولدا) منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور باضمارها أى تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لأن دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدّا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور فى منه كما فى قوله * على جوده لضنّ بالماء حاتم * وقيل خبر مبتدا محذوف أى الموجب لذلك



قوله على غير الصدر أى جار على غير لفظ صدر الجملة وهو تخر أى من غير لفظه فتامل اهـ مصححه

أن دعوا الخ وقيل فاعل هدّا أى هدّها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادّعى الى فلان اى انتسب اليه وقوله تعالى (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا أو أن دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته فى نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على أن كل ما سواه تعالى اما نعمة أو منعم عليه فكيف يتسنى أن يجانس من هو مبدأ النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم أن يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا (ان كل من فى السموات والارض) أى ما منهم أحد من الملائكة والثقلين (الا آتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمن على الاصل (لقد أحصاهم) أى حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته (وعدّهم عدّا) أى عدّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) اى كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس فى صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيأ منهم ولدا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين (سيجعل لهم الرحمن ودّا) أى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود من آثارها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام انى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله احب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين ربا الاسلام أولان الموعود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما فى صدورهم من الغل الذى كان فى الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامات السنية لما أن الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن (فانما يسرناه) أى القرآن (بلسانك) بان أنزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال أى يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل أمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل اوبشر به وأنذر فانما يسرناه بلسانك العربى المبين (لتبشر به المتقين) أى الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهى (وتنذر به قوما لدّا) لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه الصلاة والسلام على الانذار أى قرنا كثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى (هل تحس منهم من احد) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أى هل تشعر بأحد منهم وترى (اوتسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا وأصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون المخفى والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفىّ * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى فى الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

## *(سورة طه مكية وهى مائة وخمس وثلاثون آية)*

### *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(طه) فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وأمالهما الباقون وهو من الفواتح التى يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنه والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبى الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبى على لغة عك وقيل عكل وهى لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من

سواء كان ذلك بالجزئية منهما أو بالحلول فيهما (وما بينهما) من الموجودات الكائنة فى الجو دائما كالهواء والسحاب أو اكثريا كالطير أى له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء وامانة وايجادا واعداما (وما تحت الثرى) أى ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما فى الارض لزيادة التقرير روى عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدى أن الثرى هو الصخرة التى عليها الارض السابعة (وان تجهر بالقول) بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات أى وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غنى عن جهرك (فانه يعلم السر وأخفى) اى ما أسررته الى غيرك وشيأ أخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك من غير أن تتفوه به اصلا او ما أسررته لنفسك وأخفى منه وهو ما ستسره فيما سيأتى وتنكيره للمبالغة فى الخفاء وهذا اما نهى عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى أن الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى (الله) خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق أى ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عزوجل وقوله تعالى (لا اله الا هو) تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى (له الاسماء الحسنى) بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسماءه وصفاته من غير تعدد فى ذاته تعالى فانه روى أن المشركين حين سمعوا النبى عليه الصلاة والسلام يقول يا ألله يا رحمن قالوا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تأنيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كما رب اخرى وآياتنا الكبرى (وهل أتاك حديث موسى) استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذى اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه الصلاة والسلام حيث قيل له انى أنا الله لا اله الا أنا وبه ختم عليه الصلاة والسلام مقاله حيث قال انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبى عليه الصلاة والسلام فى الائتساء بموسى عليه الصلاة والسلام فى تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب فى تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى (اذ رأى نارا) ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر أى حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم أى اذكر وقت رؤيته نارا روى انه عليه الصلاة والسلام استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى الخروج الى امه وأخيه فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشأم فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو فى ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) أى أقيموا مكانكم أمرهم عليه الصلاة والسلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه عليه الصلاة والسلام من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل أو للتفخيم كما فى قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم (انى آنست نارا) أى أبصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر أو المأمور به (لعلى آتيكم منها) أى اجيئكم من النار (بقبس) أى بشعلة مقتبسة من معظم النار وهى المرادة بالجذوة فى سورة القصص وبالشهاب القبس (أو أجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق على انه مصدر سمى به الفاعل مبالغة أو حذف منه المضاف أى ذا هداية أو على انه اذا وجد الهادى فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهدينى الى أبواب الدين فان أفكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية أهله وقد نص عليه فى سورة القصص حيث قيل لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة الآية وكلمة أو فى الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء فى قوله تعالى على النار أن اهل النار يستعلون المكان القريب منها أو لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها او لما كان

الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدّر الجملة بكلمة الترجى وهى اماعلة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم واما حال من فاعله أى فأذهب اليها لآتيكم او كى آتيكم اوراجيا أن آتيكم منها بقبس الآية وقد مرّ تحقيق ذلك مفصلا فى تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (فلما أتاها) أى النار التى آنسها قال ابن عباس رضى الله عنهما رأى شجرة خضراء أطافت بها من اسفلها الى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوء مايكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار أربعة أصناف صنف يأكل ولا يشرب وهى نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهى نار الشجر الاخضر وصنف يأكل ويشرب وهى نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهى نار موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا أيضا هى أربعة أنواع نوع له نور واحراق وهى نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهى نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهى نار موسى عليه الصلاة والسلام ونوع له احراق بلا نور وهى نار جهنم روى أن الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة (نودى ياموسى) أى نودى فقيل ياموسى (انى أنا ربك) أو عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح أى بأنى وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى ياموسى قال عليه الصلاة والسلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت انه كلام الله تعالى بأنى اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع ماليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه الصلاة والسلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمر عليه الصلاة والسلام بذلك لان الحفوة أدخل فى التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادى بقدميه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرّغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ماقبلها فان ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى (انك بالواد المقدس) تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روى انه عليه الصلاة والسلام خلعهما وألقاهما وراء الوادى (طوى) بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى نودى نداءين أو قدس مرة بعد أخرى (وأنا اخترتك) أى اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء فى قوله (فاستمع) لترتيب الامر أو المأمور به على ماقبلها فان اختياره عليه السلام لماذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام فى قوله تعالى (لما يوحى) متعلقة باستمع وما موصولة أو مصدرية أى فاستمع للذى يوحى اليك أو للوحى لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع الثانى بل لان قوله تعالى (اننى أنا الله لا اله الا أنا) بدل من مايوحى ولا ريب فى أن اختياره عليه الصلاة والسلام ليس لهذا الوحى فقط والفاء فى قوله تعالى (فاعبدنى) لترتيب المأمور به على ماقبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل (وأقم الصلوة) خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالامر مع اندراجها فى الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى (لذكرى) أى لتذكرنى فان ذكرى كما ينبغى لا يتحقق الا فى ضمن العبادة والصلاة أو لتذكرنى فيها لاشتمالها على الاذكار أو لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى أو لاخلاص ذكرى وابتغاء وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون ذاكرا لى غير ناس وقيل لذكرى اياها وأمرى بها فى الكتب أو لان أذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها لان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى وقرئ لذكرى بألف التأنيث وللذكرى معرّفا وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى (ان الساعة آتية) تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلاة أى كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا

لحمولها بابرازها فى معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين (اكاد أخفيها) أى لا أظهرها بأن أقول انها آتية ولولا أن ما فى الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت أو اكاد أظهرها بايقاعها من اخفاه اذا أظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى أظهره وقيل أخفاه من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية وما بينهما اعتراض أو بأخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية أى لتجزى كل نفس بسعيها فى تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه فى معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر أو تقاعدا عنه بالمرة أو سعيا فى تحصيل ما يضاده للايذان بأن المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبأن المأمور به فى قوة الوجوب والساعة فى شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس أن تسعى فى الامتثال بالامر وتجد فى تحصيل ما ينجيها من الطاعات وحينئذ تحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصى وعليه مدار الامر فى قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخيرين لما ذكر من أن المقصود الاصلى من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم فى مراتبهما بحسب القوة والضعف وأما الاعراض عن ذلك والوقوع فى مهاوى الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن أن ينتظم فى سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له او مسوغ هذا ويجوز أن يراد بالسعى مطلق العمل (فلا يصدنك عنها) أى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن موسى عليه الصلاة والسلام وان كان النهى بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى (من لا يؤمن بها) لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان فى المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه الصلاة والسلام عن الساعة لكنه فى الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه وآكده فان النهى عن أسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية من أصلها كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم الخ فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عليه الصلاة والسلام كان النهى عنه نهيا بأصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز أن يكون من باب النهى عن المسبب وارادة النهى عن السبب على أن يراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه الصلاة والسلام كما فى قوله لا ارينك ههنا فان المراد به نهى المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته (واتبع هواه) أى ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية (فتردى) أى فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجى عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو فى محل النصب على جواب النهى أو فى محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف أى فأنت تردى (وما تلك بيمينك يا موسى) شروع فى حكاية ما كلف به عليه الصلاة والسلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما أمر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية فى حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره أو بالعكس وهو أدخل بحسب المعنى وأوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا أى وما تلك قارة أو مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما فى قوله عز وعلا وهذا بعلى شيخا وقيل تلك موصولة أى ما التى هى بيمينك وأياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه الصلاة والسلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه (قال هى عصاى) نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه الصلاة والسلام وقرئ عصى على لغة هذيل (أتوكأ عليها) أى أعتمد عليها عند الاعياء أو الوقوف على رأس القطيع (وأهش بها) أى اخبط بها الورق وأسقطه (على غنمى) وقرئ أهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال أى ازجرها منحيا ومقبلا عليها (ولى فيها مآرب اخرى)

قوله مستشرفة فى بعض النسخ متشوقة والمآل واحد اهـ

أى حاجات أخر من هذا الباب مثل ماروى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا أراد كسره لواه بالشعبتين وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم أن المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى أنها من جنس العصى مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه من سؤال العليم الخبير (قال) استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عزوجل فقيل قال (ألقها ياموسى) لترى من شأنها مالم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه (فألقاها) على الارض (فاذا هى حية تسعى) روى انه عليه الصلاة والسلام حين ألقاها انقلبت حية صفراء فى غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من أول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عزوجل فاذا هى ثعبان مبين وانما شبهت بالجان فى الجلادة وسرعة الحركة لا فى صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة (قال) استئناف كما سبق (خذها ولا تخف) عن ابن عباس رضى الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر ولكنه ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الامر اشعار بأن عدم المنهى عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى (سنعيدها سيرتها الاولى) مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهى فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات أخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه الصلاة والسلام وايذان بكونها مسخرة له عليه الصلاة والسلام ليكون على طمأنينة من أمره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون أى سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التى هى الهيئة العصوية قيل بلغ عليه الصلاة والسلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده فى فمها ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار أى الى سيرتها أو على أن اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه أو على الظرفية أى سنعيدها فى طريقتها أو على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول أى سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها الاولى أى سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل (واضمم يدك الى جناحك) أمر عليه الصلاة والسلام بذلك بعد ما أخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت أى أدخلها تحت عضدك فان جناحى الانسان جنباه كما أن جناحى العسكر ناحيتاه مستعار من جناحى الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما أى يميلهما عند الطيران وقوله تعالى (تخرج) جواب الامر وقوله تعالى (بيضاء) حال من الضمير فيه وقوله تعالى (من غير سوء) متعلق بمحذوف هو حال من الضمير فى بيضاء أى كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لما أن الطباع تعافه وتنفر عنه روى انه عليه الصلاة والسلام كان آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر (آية اخرى) أى معجزة أخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير فى تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير فى بيضاء وقيل من الضمير فى الجار والمجرور وقيل هى منصوبة بفعل مضمر نحو خذ أو دونك وقوله تعالى (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على أن الكبرى صفة لآياتنا أو نريك بذلك من آياتنا ما هى كبرى على أن الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وأياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا وأما تعلقه بما دل عليه آية أى دللنا بها لنريك الخ أو بقوله تعالى واضمم أو بقوله تخرج أو بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدى الى عراء آية العصا عن وصف الكبر فتدبر (اذهب الى فرعون) تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا بأصالته أى اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتى

وحذره نقمتي وقوله تعالى (انه طغى) تعليل للامر أو لوجوب المأمور به أي جاوز الحد في التكبر والعتو
والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية (قال) استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن
كانه قيل فماذا قال عليه الصلاة والسلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه
عز وجل (رب اشرح لي صدري ويسر لي امري) لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل
وأظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى أن يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون
الحق وأحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات
ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وأن يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو أجل الامور وأعظمها وأصعب
الخطوب وأهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب
الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر أولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمهما وتكريرهما اظهار مزيد اعتناء
بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به (واحلل عقدة من لساني) روي
انه كان في لسانه عليه الصلاة والسلام رتة من جمرة أدخلها فاه في صغره وذلك أن فرعون حمله ذات يوم فأخذ
لحيته فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وأمر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت
فأحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال
الى أي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك
بقوله تعالى قد أوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو أفصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين وأجاب
عن الاول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله
من لساني أي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى (يفقهوا قولي) جواب الامر وغرضا من الدعاء
فحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه الصلاة والسلام والحق أن ماذكر لا يدل على بقائها في الجملة أما قوله تعالى
هو أفصح مني فلانه عليه الصلاة والسلام قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على أن أفصحيته منه عليهما الصلاة
والسلام لا تستدعي بقاءها أصلا بل تستدعي عدم البقاء لما أن الافصحية توجب ثبوت أصل الفصاحة
في المفضول أيضا وذلك مناف للعقدة رأسا وأما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان
والا لدل على عدم زوالها أصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق
كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول
اذا كان متعلقا بشئ ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشئ أيضا باعتبار ازالته عنه أو ابتداء حصوله
منه (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون اخي) أي موازرا يعاونني في تحمل أعباء ما كلفته على أن اشتقاقه من
الوزر الذي هو الثقل او ملجأ أعتصم برأيه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل أصله أزير من الازر بمعنى القوة
فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل
قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل أو متعلق بمحذوف هو حال من
وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا أو صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون عطف
بيان للوزير ومن أهلي كما مر من الوجهين وأخي في الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا
من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد ورد بأن شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد
الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ أو يخبر عنه بما بعده (أشدد به ازري وأشركه في أمري) كلاهما
على صيغة الدعاء أي أحكم به قوتي واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي
وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا وأما الاشراك
في الامر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط بينهما العاطف (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) غاية للادعية
الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب
انضمامه اليه مكثر له في نفسه أيضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب
او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف أداء الرسالة ودعوة
المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه

بتأييد الآخر من اظهار الحق مالا يكاد يصدر عنه مثله فى حال الانفراد وكثيرا فى الموضعين نعت لمصدر محذوف اوزمان محذوف أى تنزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التى من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة فى الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا اوزمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون وأوان المحاجة معه وأما ما قيل من أن المعنى كى نصلى لك كثيرا ونحمدك ونثنى عليك فلا يساعده المقام (انك كنت بنا بصيرا) أى عالما بأحوالنا وبأن ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبأن هرون نعم الرد فى أداء ما أمرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل (قال قد أوتيت سؤلك) أى أعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك بأخيك وقوله تعالى (ياموسى) تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى (ولقد مننا عليك) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك أى وبالله لقد أنعمنا (مرة أخرى) أى فى وقت غير هذا الوقت لا أن ذلك مؤخر عن هذا فان أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة فى الاصل اسم للمرور الواحد ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت اولازمة ثم شاع فى كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متجددة متعددة فصار علما فى ذلك حتى جعل معيارا لما فى معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذى وقع فيه ما سيأتى ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى (اذ أوحينا الى أمك مايوحى) ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبى فى وقتها كقوله تعالى واذ أوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما أوحى الى مريم واما الالهام كما فى قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل واما الاراءة فى المنام والمراد بما يوحى ما سيأتى من الامر بقذفه فى التابوت وقذفه فى البحر أبهم أولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر ليكون أقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغى أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل مالا يعلم الا بالوحى وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحى اذ لا تفخيم لشأنه فى أن يكون مما لا يعلم الا بالالهام أو بالاراءة فى المنام وأن فى قوله تعالى (أن اقذفيه فى التابوت) مفسرة لان الوحى من باب القول أو مصدرية حذف منها الباء أى بأن اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع وأما فى قوله تعالى (فاقذفيه فى اليم) فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم لا القذف بلا تابوت (فليلقه اليم بالساحل) لما كان القاء البحر اياه بالساحل أمرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف فى البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له فى ذلك (يأخذه عدو لى وعدو له) جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدى الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه فى البحر ووقوعه فى يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بأن هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صورى وقيل الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلى الساحل من البحر بحيث يجرى ماؤه الى نهر فرعون لما روى انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر صغير فدفعه الماء اليه فأتى به الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فاذا هو صبى أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة منى) كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما فى تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى محبة عظيمة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك عدو الله وآله

وقيل هى متعلقة بألقيت أى أحببتك ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب لامحالة وقوله تعالى (ولتصنع على عينى) متعلق بألقيت معطوف على علة له مضمرة أى ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتى وحفظى أو بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتدأة أى ولتصنع على عينى فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب أى وليكون عملك على عين منى لئلا يخالف به عن أمرى (اذ تمشى أختك) ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى أمها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عينى اذ لا شفقة أعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشئ منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفا لالقيت كما جوزه فربما يوهم أن القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب فى أن معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت (فتقول) أى لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع فى الفعلين لحكاية الحال الماضية (هل أدلكم على من يكفله) أى يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روى انه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاما فى النيل لا يرتضع ثدى امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء فى قوله تعالى (فرجعناك الى أمك) فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أى فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) أى لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن أنت بفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) هى نفس القبطى الذى استغاثه الاسرائيلى عليه (فنجيناك من الغم) أى غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين (وفتناك فتونا) أى ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز فى حجزة وبدور فى بدرة أى خلصناك مرة بعد أخرى وهو اجمال ما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشى راجلا وفقد الزاد وقد روى أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضى الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذى يقتضيه النظم الكريم أن لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام الى مدين بقضية الفاء فى قوله تعالى (فلبثت سنين فى أهل مدين) اذ لا ريب فى أن الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد أشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام فى تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التى كل واحد منها فتنة وأى فتنة ومدين بلدة شعيب عليه الصلاة والسلام على ثمانى مراحل من مصر (ثم جئت) الى المكان الذى اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار وفى كلمة التراخى ايذان بأن مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتى من ضلال الطريق وتفرق الغنم فى الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك (على قدر) أى تقدير قدرته لان اكلمك وأستنبئك فى وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى (ياموسى) تشريف له عليه الصلاة والسلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التى هى تفصيل المرة الاخرى التى وقعت قبل المرة المحكية أولا وقوله تعالى (واصطنعتك لنفسى) تذكير لقوله تعالى وأنا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا بأخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة السابقة تأكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة فى قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيد لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه أدخل

في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص أي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى (اذهب أنت وأخوك) أي وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ماهو المقصود بالاصطناع (بآياتي) أي بمعجزاتي التي أريتكها من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية أخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية أخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء أحكام الرسالة واكمال أمر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه (ولا تنيا) لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع (في ذكري) أي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالاتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالاتي فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا بذكري العون والتأييد واعلما أن أمرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري (اذهبا الى فرعون) جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه أوحي الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه (انه طغى) تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى (فقولا له قولا لينا) لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فانها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا (لعله يتذكر) بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه (أو يخشى) عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية أي فقولا له قولا لينا راجين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع في أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة (قالا ربنا) أسند القول اليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى عليه الصلاة والسلام بطريق التغليب ايذانا بأصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز أن يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب (اننا نخاف أن يفرط علينا) أي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف على الملك أو غيرهما على المعاجلة بالعقاب (أو أن يطغى) أي يزداد طغيانا الى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة أن مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما (قال) استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فان ما قبله أيضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال (لا تخافا) ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى (انني معكما) تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى (اسمع وأرى) أي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز أن لا يقدر شئ على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها (فأتياه) أمر باتيانه الذي هو عبارة

عن الوصول اليه بعد ما أمرا بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعلله بما بعده (فقولا انا رسولا ربك) أمرا بذلك تحقيقا للحق من أول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبنى جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء فى قوله تعالى (فأرسل معنا بنى اسرائيل) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولى ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم أن يذهبوا معهما الى الشأم كما ينبئ عنه قوله تعالى (ولا تعذبهم) أى بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم فى الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكور أولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان فى بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخيره ذلك عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما ما قيل من أن ذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم الى الايمان فكلا (قد جئناك بآية من ربك) تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بأمرهما واظهار اسم الرب فى موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى أولو جئتك بشيء مبين وأما قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر أن المراد بها آية من الآيات (والسلام) المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين (على من اتبع الهدى) بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه فى اتباعهما على ألطف وجه ما لا يخفى (انا قد أوحى الينا) من جهة ربنا (ان العذاب) الدنيوى والاخروى (على من كذب) أى بآياته تعالى (وتولى) أى أعرض عن قبولها وفيه من التلطيف فى الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه (قال) أى فرعون بعد ما أتياه وبلغاه ما أمرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بأنهما كما أمرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبأن ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به (فمن ربكما يا موسى) لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما فى قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل أضافه اليهما لما أن المرسل لا بد أن يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بأن قالا انا رسول رب العالمين كما وقع فى سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولى ربهما أى اذا كنتما رسولى ربكما فأخبرا من ربكما الذى أرسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه الصلاة والسلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل فى الرسالة وهرون وزيره وأما ما قيل من أن ذلك لانه قد عرف أن له عليه الصلاة والسلام رتة فأراد أن يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه الصلاة والسلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ وأما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه فى الخبث والدعارة كما مر (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام مجيبا له (ربنا) اما مبتدأ وقوله تعالى (الذى اعطى كل شيء خلقه) خبره أو هو خبر لمبتدا محذوف والموصول صفته وأياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم أنفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما فى حيز الصلة أى هو ربنا الذى اعطى كل شيء من الاشياء خلقه أى صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أو أعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هى اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثانى للاهتمام به أو أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيأ من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضى على أن الجملة صفة للمضاف أو المضاف اليه وحذف المفعول الثانى اما للاقتصار على الاول أى كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه أو للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال أى أعطى كل شيء

بخلقه

خلقه الله تعالى ما يحتاج اليه (ثم هدى) أى الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرّفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله امّا اختيارا كما فى الحيوانات او طبعا كما فى الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذى هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التى هى عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة فى تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخى ولقد ساق عليه الصلاة والسلام جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه أن ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد أن هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة (قال فما بال القرون الاولى) لما شاهد اللعين ما نظمه عليه الصلاة والسلام فى سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف أن يظهر للناس حقية مقالاته عليه الصلاة والسلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا فأراد أن يصرفه عليه الصلاة والسلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى أن يدعى بين يدى قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فأجاب عليه الصلاة والسلام بأن العلم بأحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل وأما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى (قال علمها عند ربى) فان معناه انه من الغيوب التى لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤل عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان أن من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين (فى كتاب) أى مثبت فى اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز أن يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره فى علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى (لا يضل ربى ولا ينسى) أى لا يخطئ ابتداء ولا يذهب علمه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان أن اثباته فى اللوح ليس لحاجته تعالى اليه فى العلم به ابتداء أو بقاء واظهار ربى فى موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم فان الربوبية مما يقتضى عدم الضلال والنسيان حتما ولقد أجاب عليه الصلاة والسلام عن السؤال بجواب عبقرى بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤنه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل بما سيأتى من الالتفات (الذى جعل لكم الارض مهدا) على أن الموصول امام مرفوع على المدح أو منصوب عليه أو خبر مبتدأ محذوف أى جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمى به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش أو جمع مهد أى جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم (وسلك لكم فيها سبلا) أى حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها (وأنزل من السماء ماء) هو المطر (فأخرجنا به) أى بذلك الماء وهو عطف على أنزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بأنه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما فى قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها وقوله تعالى أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة خلا أن ما قبل الالتفات هنالك صريح كلامه تعالى وأما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فأخرجنا به هو المحكى مع كون ما قبله كلام موسى عليه الصلاة السلام خلاف الظاهر مع أنه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم (ازواجا) أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان أو صفة لازواجا أى كائنة من نبات وكذا قوله تعالى (شتى) أى متفرقة جمع شتيت ويجوز أن يكون صفة لنبات لما انه فى الاصل مصدر يستوى فيه الواحد والجمع يعنى انها شتى مختلفة فى الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى أن أرزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من ضمير فأخرجنا على ارادة القول أى أخرجنا منها

أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا أنعامكم اى معديها الانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين فى ذلك (ان فى ذلك) اشارة الى ماذكر من شؤنه تعالى وأفعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الكمال والتنكير فى قوله تعالى (لآيات) للتفخيم كما وكيفا اى لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤن الله تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام (لاولى النهى) جمع نهية سمى بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح كما سمى بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك أى لذوى العقول الناهية عن الاباطيل التى من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها (منها خلقناكم) أى فى ضمن خلق ابيكم آدم عليه الصلاة والسلام منها فان كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلاة والسلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه الصلاة والسلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلاة والسلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا أبدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسايط وقيل ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة (وفيها نعيدكم) بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها (ومنها نخرجكم تارة اخرى) بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار أن خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة فى الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر فى المرة (ولقد أريناه) حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه الصلاة والسلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه الصلاة والسلام بجلائل نعمائه الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه فى المكابرة والعناد أى وبالله لقد بصرنا فرعون أو عرفناه (آياتنا) حين قال لموسى عليه الصلاة والسلام ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين فى تفسير قوله تعالى اذهب انت وأخوك بآياتى وقد ظهر عند فرعون امور أخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روى انه عليه الصلاة والسلام لما ألقاها انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحييه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا وروى انها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة ... وأكدت بقوله تعالى (كلها) كأنه قيل أريناه آياتنا بجميع مستتبعاتهما ... تفصيلهما قصدا الى بيان انه لم يبق له فى ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما أنها انما ظهرت ... يده عليه الصلاة والسلام بعد ... غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى تفسير سورة الاعراف ولا ريب فى أن أمر السحرة مترقب بعد وأبعد من ذلك أن يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبنى اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذى فر بثوبه أو الذى انفجرت منه العيون وكذا أن يعد منها الآيات الظاهرة على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على أن حكايته عليه الصلاة والسلام اياها لفرعون فى حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه الصلاة والسلام فان حكايته عليه الصلاة والسلام اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على أن ما سيأتى من حمل ما اظهره عليه الصلاة والسلام على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل يأباه اباء بينا وينطق بأن المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عليه الصلاة والسلام من أفعاله تعالى

الدالة على اختصاصه بالربوبية وأحكامها من جملة الآيات (فكذب) موسى عليه الصلاة والسلام من غير تردد وتأخر مع ماشاهد فى يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا (وأبى) الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وأبى أن يقبل شيأ منها أو أبى قبول الحق وقوله تعالى (قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى) استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادّعاء أنه أمر محال والمجئ اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدّى له أى أجئتنا من مكانك الذى كنت فيه بعد ماغبت عنا أو أقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لايصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه الصلاة والسلام بابراز أن مراده عليه الصلاة والسلام ليس مجرد انجاء بنى اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لايتوجه الى اتباعه أحد ويبالغوا فى المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادّعى انه يعارضه بمثل ما اتى به عليه الصلاة والسلام فقال (فلنأتينك بسحر مثله) الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى (لانخلفه) فانه المناسب لا المكان والزمان أى لانخالف ذلك الوعد (نحن ولا انت) وانما فوّض اللعين امر الوعد الى موسى عليه الصلاة والسلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الامد أم قصر كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى عليه الصلاة والسلام وتوسط كلمة النفى بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وأن عدم اخلافه لايوجب عدم اخلافه عليه الصلاة والسلام ولذلك أكد النفى بتكرير حرفه وانتصاب (مكانا سوى) بفعل يدل عليه المصدر لابه فانه موصوف أو بأنه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ تكون مطابقة الجواب فى قوله تعالى (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ أو باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاوّل أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى أن المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا تستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما خصه عليه الصلاة والسلام بالتعيين لاظهار كمال قوّته وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاته بهم لما أن ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل فى يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على يوم أو الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على أن الضمير له على سنن الملوك أو لليوم (فتولى فرعون) أى انصرف عن المجلس (فجمع كيده) أى ما يكاد به من السحرة وادواتهم (ثم اتى) أى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفى كلمة التراخى ايماء الى أنه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأى وتلعثم وقوله تعالى (قال لهم موسى) الخ بطريق الاستئناف المبنى على السؤال يقضى بأن المترقب من أحواله عليه الصلاة والسلام حينئذ والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الكلام وأمّا اتيانه اوّلا فأمر محقق غنى عن التصريح به كانه قيل فاذا صنع موسى عليه الصلاة والسلام عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) بأن تدعوا آياته التى ستظهر على يدى سحرا كما فعل فرعون (فيسحتكم) أى يستأصلكم بسببه (بعذاب) هائل لايقادر قدره وقرئ يسحتكم من الثلاثى على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بنى تميم ونجد (وقد خاب من افترى) أى على الله كائنا من كان بأى وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهى عنه دخولا اوّليا أو وقد خاب فرعون المفترى فلا تكونوا امثاله فى الخيبة والجملة اعتراض مقرّر لمضمون ماقبلها (فتنازعوا) أى السحرة حين سمعوا كلامه عليه الصلاة والسلام كأن ذلك غاظهم فتنازعوا (امرهم) الذى أريد منهم من مغالبته عليه الصلاة والسلام وتشاوروا وتناظروا (بينهم) فى كيفية المعارضة وتجاذبوا أهداب القول فى ذلك (واسرّوا النجوى) أى من موسى عليه الصلاة والسلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم مانطق به قوله تعالى (قالوا) أى بطريق التناجى والاسرار (ان هذان لساحران) الخ فانه

تفسيرله ونتيجة التنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من انّ قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هى نافية واللام بمعنى الا أى ما هذان الا ساحران وقرئ انّ بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل انّ بمعنى نعم ومابعدها جملة من مبتدا وخبر وفيهما أن اللام لاتدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرئ انّ هذين لساحران وهى قراءة واضحة (يريدان أن يخرجاكم من ارضكم) أى ارض مصر بالاستيلاء عليها (بسحرهما) الذى اظهراه من قبل (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب وأمثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لاطريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه الصلاة والسلام أرسل معنا بنى اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه أن اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بنى اسرائيل الى الشأم وحمل الاخراج على اخراج بنى اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة فى المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلابدّ أن يكون الانذار والتحذير باشدّ المكاره وأشقها عليهم ولاريب فى أن اخراج بنى اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشأم وهم آمنون فى ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولايخفى أن تخصيص الاذهاب بهم مما لامزية فيه وقوله تعالى (فأجمعوا كيدكم) تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة أى اذا كان الامر كماذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ماذكر من الاخراج والاذهاب فأزمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لايتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده أى فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغى (ثم ائتوا صفا) أى مصطفين أمروا بذلك لانه اهيب فى صدور الرائين وأدخل فى استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقى من بنى اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر ألفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه الصلاة والسلام بماذكر فى قطر من أقطاره وتنازعوا امرهم فى قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه فى الاعياد والصلوات ووجه صحته أن يكون علما لموضع معين من المكان الموعود وأما ارادة مصلى من المصليات بعد تعين المكان الموعود فلامساغ لها قطعا وقوله تعالى (وقد افلح اليوم من استعلى) اعتراض تذييلى من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين أى قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ماوعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون أو من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود فى المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب أطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم أن قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه الصلاة والسلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك أن قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وأبوا الا المناصبة للمعارضة وأما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وأمروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم (قالوا) استئناف مبنى على سؤال ناشئ من حكاية ماجرى بين السحرة من المقاولة كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا (ياموسى) وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور أمرهما وغناهما عن البيان (اما أن تلقى) أى ما تلقيه أولا على أن المفعول محذوف لظهوره أو تفعل الالقاء أولا على أن الفعل منزل منزلة اللازم (واما أن نكون أول من ألقى) ما يلقيه أو اول من يفعل الالقاء خيروه عليه الصلاة والسلام بماذكر مراعاة للادب لما رأوا منه عليه الصلاة والسلام

ماراُوا من مخايل الخير ورزانة الرأى واظهار الجلادة باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وأن مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدا محذوف أى اختر القاءك أولا أو القاءنا والامر اما القاؤك أو القاؤنا (قال) استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قال عليه الصلاة والسلام فقيل قال (بل ألقوا) انتم أولا مقابلة للادب بأحسن من أدبهم حيث بت القول بالقائهم أولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما أوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا أقصى جهدهم ويستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم أن ماسيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فألقوا فاذا حبالهم وهى للمفاجأة والتحقيق انها أيضا ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت أن يخيل اليه سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تحركت وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال أنها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين من تتخيل (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أى أضمر فيها بعض خوف من مفاجأته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل (قلنا لا تخف) أى ما توهمت (انك أنت الاعلى) تعليل لما يوجبه النهى من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على أبلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق ما في يمينك) أى عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشأنها وايذانا بأنها ليست من جنس العصى المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر أفراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعى عدم مراعاتها عند وقوع المحكى هذا وحمل الابهام على التحقير بأن يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الذى في يدك فانه بقدرة الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر مرتين على أن ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهى على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى (تلقف ما صنعوا) بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا أى تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصى التى خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التاءين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال أو الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهى متممة بما في حيزها التعليل موجبه ببيان كيفية غلبته عليه الصلاة والسلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التى منها أوجس في نفسه ما أوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في أن خوفه عليه الصلاة والسلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه الصلاة والسلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (ان ما صنعوا) الخ تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة أو موصوفة أى ان الذى صنعوه أو ان شيأ صنعوه (كيد ساحر) بالرفع على انه خبر لان أى كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على أنه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على أن الاضافة للبيان كما في علم فقه أو على معنى ذى سحر أو على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس (حيث أتى) أى حيث كان واين أقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور أمرها والفاء في قوله تعالى (فألقى السحرة سجدا) كما سلف فصيحة معربة عن محذوفين ينساق اليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود أى فألقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فألقى السحرة سجدا

لما تيقنوا أن ذلك ليس من باب السحر وإنما هي آية من آيات الله عز وجل روي أن رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فأين ما ألقيناه من الآلات فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه الصلاة والسلام على صحة رسالته لا جرم ألقاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا وأتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لأن كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم (قالوا) استئناف كما مر غير مرة (آمنا برب هرون وموسى) تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضا هكذا إما لكبر سن هرون عليه الصلاة والسلام وإما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه الصلاة والسلام في صغره فلو قدموا موسى عليه الصلاة والسلام لربما توهم اللعين وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون (قال) أي فرعون للسحرة (آمنتم له) أي لموسى عليه الصلاة والسلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي (قبل أن آذن لكم) أي من غير أن آذن لكم في الإيمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي لا أن إذنه لهم في ذلك واقع بعده أو متوقع (إنه) يعني موسى عليه الصلاة والسلام (لكبيركم) أي في فنكم وأعلمكم به وأستاذكم (الذي علمكم السحر) فتواطأتم على ما فعلتم أو فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين وألقاها على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن معتدا به وأنهم من تلامذته عليه الصلاة والسلام فلا عبرة بما أظهره كما لا عبرة بما أظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله تعالى ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال (فلأقطعن) أي فوالله لأقطعن (أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو فإن المبتدئ من المعروض مبتدئ من العارض أيضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية أي لأقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للإيذان بتحقيق الأمر وإيقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لأنها أفظع من غيرها (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي عليها وإيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا وهو أول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئتا بالتخفيف (ولتعلمن أينا) يريد به نفسه وموسى عليه الصلاة والسلام لقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم واللام مع الإيمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا إما لقصد توضيع موسى عليه الصلاة والسلام والهزء به لأنه لم يكن من التعذيب في شيء وإما للإراءة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه الصلاة والسلام حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم أيضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى (أشد عذابا وأبقى) أي أدوم (قالوا) غير مكترثين بوعيده (لن نؤثرك) لن نختارك بالإيمان والاتباع (على ما جاءنا) من الله على يد موسى عليه الصلاة والسلام (من البينات) من المعجزات الظاهرة فإن ما ظهر بيده عليه الصلاة والسلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فإنهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها (والذي فطرنا) أي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لأن ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وإيراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للإشعار بعلة الحكم فإن خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم إيثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب أيضا لما أن القسم لا يجاب بلن إلا على شذوذ وقوله تعالى (فاقض ما أنت قاض) جواب عن تهديده بقوله لأقطعن الخ أي فاصنع ما أنت صانعه أو فاحكم ما أنت حاكم به وقوله تعالى (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الأمر بالقضاء أي إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة

قوله معنى الاتباع هكذا في البيضاوي وقيل عليه الأولى أن يقول معنى الانقياد لأن الاتباع يتعدى بنفسه اهـ

فى عذبها ولا رهبة من عذابها (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) التى اقترفناها من الكفر والمعاصى ولا يؤاخذنا بها فى الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى تتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) عطف على خطايانا أى ويغفر لنا السحر الذى عملناه فى معارضة موسى عليه الصلاة والسلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه فى خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم فى مغفرته وذكر الاكراه للايذان بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روى ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقى من بنى اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون (والله خير) أى فى حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذى فطرنا (وأبقى) أى جزاء ثوابا كان أو عذابا أو خير ثوابا وأبقى عذابا وقوله تعالى (انه) الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وأبقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل ان الشأن الخطير هذا اى قوله تعالى (من يأت ربه مجرما) بأن مات على الكفر والمعاصى (فان له جهنم لا يموت فيها) فينتهى عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التى من جملتها ما شاهدناه (قد عمل الصالحات) الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهى كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل (فأولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم أى فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات (لهم) بسبب ايمانهم وأعمالهم الصالحة (الدرجات العلى) اى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح فى استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه (جنات عدن) بدل من الدرجات العلى أو بيان وقد مر أن عدنا علم لمعنى الاقامة أو لارض الجنة فقوله تعالى (تجرى من تحتها الانهار) حال من الجنات وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم والعامل معنى الاستقرار أو الاشارة (وذلك) اشارة الى ما أتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم (جزاء من تزكى) أى تطهر من دنس الكفر والمعاصى بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله أينا أشد عذابا وأبقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس فى القرآن أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم يثبت فى الاخبار (ولقد أوحينا الى موسى) حكاية اجمالية لما انتهى اليه أمر فرعون وقومه وقد طوى فى البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة فى نحو من عشرين سنة حسبما فصل فى سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وأن فى قوله تعالى (أن أسر بعبادى) اما مفسرة لان الوحى فيه معنى القول أو مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بأمرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل أى وبالله لقد أوحينا اليه عليه الصلاة والسلام أن أسر بعبادى الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اى سر بهم من مصر ليلا (فاضرب لهم) أى فاجعل أو فاتخذ لهم (طريقا فى البحر يبسا) أى يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه أو وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة أو لتعدده حسب تعدد الاسباط (لا تخاف دركا) حال من المأمور

أى آمنا من أن يدرككم العدوّ أوصفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ لاتخف جوابا للامر (ولاتخشى) عطف على لاتخاف داخل فى حكمه أى ولاتخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف أى وأنت لاتخشى أوعطف عليه والالف للاطلاق كما فى قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفى الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم أى تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى أتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فأتبعهم فرعون جنوده أى ساقهم خلفهم وأياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه الصلاة والسلام الى الامتثال بالامر أى ففعل ما أمر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فأتبعهم فرعون بجنوده برّا وبحرا روى أن موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم أوّل الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفا فأخبر فرعون بذلك فأتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه الصلاة والسلام بعصاه البحر فانفلق على اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه الصلاة والسلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده (فغشيهم من اليمّ ماغشيهم) أى علاهم منه وغمرهم ماغمرهم من الامر الهائل الذى لايقادر قدره ولايبلغ كنهه وقيل غشيهم ماسمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لاسماع قصته وقرئ فغشاهم من اليمّ ماغشاهم أى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله عز وعلا أوماغشاهم وقيل فرعون لانه الذى ورّطهم للهلكة ويأباه الاظهار فى قوله تعالى (وأضلّ فرعون قومه) أى سلك بهم مسلكا أدّاهم الى الخيبة والخسران فى الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوىّ المتصل بالعذاب الخالد الاخروىّ وقوله تعالى (وماهدى) أى ماأرشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ ربّ مضلّ قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به فى قوله وماأهديكم الا سبيل الرشاد فان نفى الهداية عن شخص مشعر بكونه ممن يتصوّر منه الهداية فى الجملة وذلك انما يتصوّر فى حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على مايختص بالدينىّ منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق الهلاك الدنيوىّ وجعلهما عبارة عن الاضلال فى البحر والانجاء منه مما لايقبله العقل السليم (يابنى اسرائيل) حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لاعقيب ذلك بل بعدما أفاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ماأفاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم فى عهد النبىّ عليه الصلاة والسلام على معنى انه تعالى قد منّ عليهم بمافعل بآبائهم أصالة وبهم تبعا ويردّه ماسيأتى من قوله تعالى وماأعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على أوحينا أى وقلنا يابنى اسرائيل (قد أنجيناكم من عدوّكم) فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم ونجيتكم (وواعدناكم جانب الطور الايمن) بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجرّ للجوار أى واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشأم أى اتيان موسى عليه الصلاة والسلام للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه الصلاة والسلام نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما فى قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع أن المخلوق المصوّر بالذات هو آدم عليه الصلاة والسلام وقرئ واعدتكم ووعدناكم (ونزلنا عليكم المنّ والسلوى) أى الترنجبين والسمانى حيث كان ينزل عليهم المنّ وهم فى التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه مايكفيه كامرّ مرارا (كلوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة ماذكر لهم واتماما للنعمة عليهم (من طيبات مارزقناكم) أى من لذائذه أوحلالاته وقرئ رزقتكم وفى البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب مالايخفى (ولاتطغوا فيه) اى فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدّى لما حدّ لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق (فيحلّ عليكم غضبى)

قوله والتعدّى لما الخ كان الاولى عما الخ الا ان يجعل اللام زائدة لتقوية المصدر اه

جواب

جواب للنهي أي فتلزمكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي تردّى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل (واني لغفار لمن تاب) من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا) أي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى (ثم اهتدى) أي استقام على الهدى اشارة الى أنّ من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي (وما أعجلك عن قومك ياموسى) حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة أي وقلنا له أيّ شيء أعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدّمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام لكونها نقيصة منافية للعزم اللائق بأولي العزم ولذلك أجاب عليه الصلاة والسلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث (قال هم أولاء على أثري) يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتدّ به فيما بين الرفقة أصلا وبعدما ذكر عليه الصلاة والسلام أن تقدّمه ذلك ليس لامر منكر ذكر أنه لامر مرضي حيث قال (وعجلت اليك رب لترضى) عني بمسارعتي الى الامتثال بأمرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه الصلاة والسلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما أن المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه حينئذ فقيل قال (فانا قد فتنا قومك من بعدك) أي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه الصلاة والسلام وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه الصلاة والسلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من أحدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه الصلاة والسلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع أيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدّة وليس من موسى عليه الصلاة والسلام عين ولا أثر (وأضلهم السامري) حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما أخلف موسى عليه الصلاة والسلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من أمر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه الصلاة والسلام امّا باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته وامّا بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونظائره أو لانّ السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام وتصدّى لترتيب مبانيها وتمهيد مباديها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ وأضلهم السامري على صيغة التفضيل أي اشدّهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه) عند رجوعه المعهود أي بعدما استوفى الاربعين وأخذ التوراة لا عقب الاخبار بالفتنة فسببية ماقبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى (غضبان أسفا) لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين أمر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان أحدا لا يرتاب في أن المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وأن سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين (قال) استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كأنه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال (ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه وآكده أي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى (افطال عليكم العهد)

أى الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط أى أوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فأخطأتم بسببه (ام أردتم أن يحل) أى يجب (عليكم غضب) شديد لا يقادر قدره كائن (من ربكم) أى من مالك أمركم على الاطلاق (فأخلفتم موعدى) أى وعدكم اياى بالثبات على ما أمرتكم به الى أن أرجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجارى فيما بينهم و بينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقى الترديد على سبيل البدل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه عمدا وأما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه أى فوجدتم الخلف فى موعدى لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق أصلا (قالوا ما أخلفنا موعدك) أى وعدنا اياك الثبات على ما أمرتنا به وايثاره على أن يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا (بملكنا) أى بان ملكنا أمورنا يعنون أنا لو خلينا وأمورنا ولم يسول لنا السامرى ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما أخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات فى مصدر ملكت الشئ (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشا الخطا وقرئ حملنا بالتخفيف أى حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة أن يقفوا على أمرهم وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوها ولعل تسميتهم لها أوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ (فقذفناها) أى فى النار رجاء للخلاص عن ذنبها (فكذلك) أى فمثل ذلك القذف (ألقى السامرى) أى ما كان معه منها وقد كان اراهم انه أيضا يلقى ما كان معه من الحلى فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذى ألقاه التربة التى أخذها من أثر الرسول كما سيأتى روى انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأى أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا (فأخرج) أى السامرى (لهم) للقائلين (عجلا) من تلك الحلى المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم فان قوله تعالى (جسدا) أى جثة ذا دم ولحم أو جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى (له خوار) أى صوت عجل نعت له (فقالوا) أى السامرى ومن افتتن به اول ما رآه (هذا الهكم واله موسى فنسى) أى غفل عنه وذهب يطلبه فى الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامرى فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فأخرج لنا والحمل على أن عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان أن الاخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامرى وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفته للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة وأما ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وأن نسبة الاخلاف الى أنفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع أن القاتل واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بأمر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة فى قلوب العبدة حيث فعل السامرى ما فعل فأخرج لهم ما أخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضى بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى (أفلا يرون) الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذى لا يشتبه بطلانه واستحالته على أحد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألا يتفكرون فلا يعلمون (أن لا يرجع اليهم قولا) أى انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين أى ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه أمرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعى لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) عطف على لا يرجع داخل معه فى حيز الرؤية أى أفلا يرون انه لا يقدر على أن يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا

أولا يقدر على أن يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه (ولقد قال لهم هرون من قبل) جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم اقضية العقول أى وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامرى كأنه عليه السلام أول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم (ياقوم انما فتنتم به) أى اوقعتم فى الفتنة بالعجل او أضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذى يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى (وان ربكم الرحمن) بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما أن التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل أى ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء فى قوله تعالى (فاتبعونى) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين أى اذا كان الامر كذلك فاتبعونى فى الثبات على الدين (واطيعوا أمرى) هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه (قالوا) فى جواب هرون عليه السلام (لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشئ مبين تعويلا على مقالة السامرى روى انهم لما قالوا ما قالوا اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثنى عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى لهرون عليهما السلام حين سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد أخذ بلحيته ورأسه (ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى أن شافهوك بتلك المقالة الشنعاء (ان لا تتبعنى) أى أن تتبعنى على أن لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وهو عامل فى اذ أى أى شئ منعك حين رؤيتك اضلالهم من أن تتبعنى فى الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على أن لا تتبعنى فان المنع عن الشئ مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك أن تلحقنى وتخبرنى بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه أن نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلأن لا تزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بأنهم اذا علموا أنه يلحقه ويخبره بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجروا عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بأنهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام (افعصيت أمرى) أى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفنى متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم تتبعنى او أخالفتنى فعصيت أمرى (قال يا ابن ام) خص الام بالاضافة استعطافا ما لحقها وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لام فان الجمهور على انهما كانا شقيقين (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى ولا بشعر رأسى روى انه عليه السلام أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى (انى خشيت) الخ استئناف سيق لتعليل موجب النهى ببيان الداعى الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به أى انى خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا (ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) برأيك مع كونهم أبناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه وأراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذى لا يرجى بعده الاجتماع (ولم ترقب قولى) يريد به قوله عليه السلام اخلفنى فى قومى وأصلح الخ يعنى انى رأيت أن الاصلاح فى حفظ الدهماء والمداراة معهم الى أن ترجع اليهم فلذلك استأنيتك لتكون أنت المتدارك للامر حسبما رأيت لاسيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله

تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني (قال) استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار أصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شأنهم (فما خطبك يا سامري) أي ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم (قال) أي السامري مجيبا له عليه السلام (بصرت بما لم يبصروا به) بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه أي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له أو رأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سيأتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لاسيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى أن جبريل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف أن له شأنا فأخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى (فقبضت قبضة من أثر الرسول) وقرئ من أثر فرس الرسول أي من تربة موطئ فرس الملك الذي أرسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت أخذ ما أخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم (فنبذتها) أي في الحلي المذابة فكان ما كان (وكذلك سولت لي نفسي) أي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل كذلك في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما أفاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له أي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا تزيينا أدنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه أن ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشيء آخر من البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند ذلك (قال) عليه السلام (فاذهب) اي من بين الناس وقوله تعالى (فان لك في الحيوة) الخ تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك أي ثابت لك في الحياة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تعالى (أن تقول لا مساس) لمكان أن أي ثابت لك كائنا في الحياة أي مدة حياتك أن تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس أحدا او يمسه أحد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحش النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من أسباب موت الاحياء (وان لك موعدا) أي في الآخرة (لن تخلفه) أي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر أنه من اخلفت الموعد أي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قوله عز وجل (وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) أي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) جواب قسم محذوف أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) أي لنذرينه وقرئ بضم السين (في اليم) رمادا او مبرودا كأنه هباء (نسفا) بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله

حينئذ

حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد باليمين (انما الهكم الله) استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل أى انما معبودكم المستحق للعبادة الله (الذى لا اله) فى الوجود لشئ من الاشياء (الا هو) وحده من غير أن يشاركه شئ من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها أحكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى (وسع كل شئ علما) أى وسع علمه كل ما من شأنه أن يعلم بدل من الصلة كأنه قيل انما الهكم الله الذى وسع كل شئ علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا أوليا وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا أول كأنه قيل وسع علمه كل شئ وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير أمر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى (كذلك نقص عليك) كلام مستأنف خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام بطريق الوعد الجميل بتنزيل أمثال ما مر من أنباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر أى نقص عليك (من انباء ما قد سبق) من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن فى قوله تعالى من أنباء فى حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك أى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض أنباء ما قد سبق او بعضا كائنا من أنباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتأخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر أى مثل ذلك القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من أمتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما أن مرجع الافادة فى الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم (من أعرض عنه) عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية أو موصولة وأيا ما كانت فالجملة صفة لذكرا (فانه) أى المعرض عنه (يحمل يوم القيامة وزرا) أى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره أو لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سيأتى من تسميتها حملا وقوله تعالى (خالدين فيه) أى فى الوزر أو فى احتماله المستمر حال من المستكن فى يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما أن الخلود فى النار مما يتحقق حال اجتماع أهلها كما أن الافراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما فى هيت لك كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم واعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الامر (يوم ينفخ فى الصور) بدل من يوم القيامة أو منصوب باضمار اذكر أو ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر فى تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على أن ضميره لله عز وجل أو لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته (ونحشر المجرمين يومئذ) أى يوم اذ ينفخ فى الصور وذكره صريحا مع تعين أن الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون (زرقا) أى حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد وأصهب السبال وأزرق العين أو عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى (يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ أو حال أخرى من المجرمين أى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة (ان لبثتم)

أى مالبثتم فى الدنيا (الاعشرا) أى عشر ليال استقصار المدة لبثهم فيها لزوالها اولاستطالتهم مدة الآخرة
أولتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وأيقنوا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات
اوفى القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا ويعدونه من قبيل
المحالات لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم فى القبر
الا مدة يسيرة والاخفائهم أقطع من أن تمكنهم من الاشتغال بتذكر أيام النعمة والسرور واستقصارها
والتأسف عليها (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم رأيا
أوعملا (ان لبثتم الا يوما) ونسبة هذا القول الى أمثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب الى الصدق
بل لكونه أدل على شدة الهول (ويسألونك عن الجبال) أى عن مآل أمرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف
وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح
فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين (فيذرها) الضمير اما للجبال باعتبار أجزائها السافلة الباقية
بعد النسف وهى مقارها ومراكزها أى فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر أجزاء الارض بعد
نسف ما تأمنها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين
يذر الكل (قاعا صفصفا) لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر أجزاء الارض فقد
جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوى الصلب منها وقيل
ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كأن أجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب
قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية
أو بدل من المفعول الثانى وقوله تعالى (لاترى فيها) أى فى مقار الجبال او فى الارض على مامر من التفصيل
(عوجا) بكسر العين أى اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما فى المعانى أى لاتدركه ان تأملت بالمقاييس
الهندسية (ولا أمتا) أى نتوا يسيرا استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال أخرى
او صفة لقاعا والخطاب لكل أحد ممن تتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر
مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم
الكريم (يومئذ) أى يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى
(يتبعون الداعى) وقيل بدل من يوم القيامة وليس بذاك أى يتبع الناس داعى الله عزوجل الى المحشر وهو
اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام النخرة
والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوبه (لاعوج له)
لايعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) أى خضعت لهيبته (فلا تسمع الاهمسا) أى
صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ)
أى يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة (لاتنفع الشفاعة) من الشفعاء أحدا (الا من أذن له الرحمن)
أن يشفع له (ورضى له قولا) أى ورضى لاجله قول الشافع فى شأنه أو رضى قوله لاجله وفى شأنه وأما من
عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من أعم المفاعيل وأما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لاتنفع الشفاعة
الا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لما أن حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له
أن لا يملكها ولا تصدر هى عنه أصلا كما فى قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله
تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن
لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم وأما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن
فى الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها (يعلم ما بين أيديهم) أى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من أمر الدنيا
(وما خلفهم) وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من أمر الآخرة (ولا يحيطون به علما) أى لاتحيط علومهم
بمعلوماته تعالى وقيل بذاته أى من حيث اتصافه بصفات الكمال التى من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد
الموصولين أو لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحى القيوم) أى

ذلت وخضعت خضوع العناة أى الاسارى فى يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر من أشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم أو اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) الخ قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما أنه كذلك على الوجه الاول أى ومن يعمل بعض الصالحات أو بعضا من الصالحات على أحد الوجهين المذكورين فى تفسير قوله تعالى من أنباء ما قد سبق (وهو مؤمن) فان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الحسنات (فلا يخاف ظلما) أى منع ثواب مستحق بموجب الوعد (ولا هضما) ولا كسرا منه بنقص أو لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأهوالها أى مثل ذلك الانزال (أنزلناه) أى القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا فى العقول حاضرا فى الاذهان (قرآنا عربيا) ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر (وصرفنا فيه من الوعيد) أى كررنا فيه بعض الوعيد أو بعضا من الوعيد حسبما أشير اليه آنفا (لعلهم يتقون) أى كى يتقوا الكفر والمعاصى بالفعل (او يحدث لهم ذكرا) اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء (فتعالى الله) استعظام له تعالى ولشؤنه التى يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهى والوعد والوعيد وغير ذلك أى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته وأفعاله وأحواله (الملك) النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) فى ملكوته والوهيته لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك) أى يتم (وحيه) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى اليه جبريل عليهما السلام الوحى يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقى والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما أن استقرار الالفاظ فى الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وأمر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل (وقل) أى فى نفسك (رب زدنى علما) أى سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتى بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب فى صحته ومشروعيته (ولقد عهدنا الى آدم) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد فى القرآن وبيان أن أساس بنى آدم على العصيان وعرقه راسخ فى النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود فى قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه وأوعز اليه وتقدم اليه اذا أمره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف أى وأقسم او والله او وتالله لقد أمرناه ووصيناه (من قبل) أى من قبل هذا الزمان (فنسى) أى العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسى عنه وقرئ فنسى أى نساه الشيطان (ولم نجد له عزما) تصميم رأى وثبات قدم فى الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع أن يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام فى بدء أمره من قبل أن يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها وأريها عن النبى عليه الصلاة والسلام لو وزنت أحلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه أخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمى فله عزما مفعولاه قدم الثانى على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس فى الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر أو بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) شروع فى بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام أى واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر

قوله شريها وأريها الشرى بفتح المعجمة وسكون الراء المهملة الحنظل والارى العسل اه من هامش عن الشهاب

مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره أمر بذكر تفاصيل ماوقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل على أعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كأنها موجودة فى ذهن المخاطب بوجوداتها العينية أى اذكر ماوقع فى ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه (فسجدوا الا ابليس) قد سبق الكلام فيه مرارا (أبى) جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كأنه قيل ماباله لم يسجد فقيل أبى واستكبر ومفعول أبى اما محذوف أى أبى السجود كما فى قوله تعالى أبى أن يكون مع الساجدين اوغير منوى رأسا بتنزيله منزلة اللازم أى فعل الاباء وأظهره (فقلنا) عقيب ذلك اعتناء بنصحه (يا آدم ان هذا) الذى رأيت ما فعل (عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) أى لا يكونن سببا لاخراجكما (من الجنة) والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهانى كما فى قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهى على عداوته لهما اوعلى الاخبار بها (فتشقى) جواب للنهى واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته فى الامور واستلزام شقائه لشقائها مع مافيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب فى تحصيل مبادى المعاش وذلك من وظائف الرجال (ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) تعليل لما يوجبه النهى فان اجتماع أسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة فى الاهتمام بتحصيل مبادى البقاء فيها والجد فى الانتهاء عما يؤدى الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بأن له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا بأصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع أن فيه من الترغيب فى البقاء فيها مالا يخفى الى ماذكر من نفى نقائضها التى هى الجوع والعطش والعرى والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على مافيها من أنواع الشقوة التى حذره عنها ليبالغ فى التحامى عن السبب المؤدى اليها على أن الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع مافيها سوى ما استثنى من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر فى موضع آخر واقتصر على ماذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى أن لا تجوع فيها الخ أن لا يصيبه شئ من الامور الاربعة أصلا فان الشبع والرى والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض أضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كل ماوقع فيها شهوة وميل الى شئ من الامور المذكورة تمتع به من غير أن يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر مامر آنفا وفصل الظما عن الجوع فى الذكر مع تجانسهما وتقارنهما فى الذكر عادة وكذا حال العرى والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى أن نفى كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال فى الجمع بين العرى والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على أن نفى كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا أن نفى بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفى بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على أن لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بأن المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها فى افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما أن المحذور اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما فى حيزهما بخلاف مالو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه أن كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى أن مرجع خبريتها مافيها من الحكم الايجابى او السلبى وأن مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها فى نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر وأما تحقيق ثبوتها فى نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا أن يقال ان أن زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندى أن زيدا قائم للتجافى عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التى يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها

فى افضاء معناها واجراء أحكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفى التحقيق أصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العرى وعدم الظما خلا أنه لم يقتصر على بيان أن الثابت له عليه السلام عدم الظما والضحو مطلقا كما فعل مثله فى المعطوف عليه بل قصد بيان أن الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدرى المحض أنّ المفيدة له كأنه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق (فوسوس اليه الشيطان) أى أنهى اليه وسوسته او أسرّها اليه (قال) اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل فماذا قال فى وسوسته فقيل قال (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلا سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكا لقوله تعالى الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين (وملك لا يبلى) أى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما عريا عن النور الذى كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قد مرّ تفسيره فى سورة الاعراف (وعصى آدم ربه) بما ذكر من اكل الشجرة (فغوى) ضلّ عن مطلوبه الذى هو الخلود أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغترّ بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن أمثالها (ثم اجتباه ربه) أى اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه أى جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الىّ كذا فاجتبيته مثل جليت علىّ العروس فاجتليتها وأصل الكلمة الجمع وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام (فتاب عليه) أى قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مرّ وجهه (وهدى) أى الى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة (قال) استئناف مبنىّ على سؤال نشأ من الاخبار بأنه تعالى قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا أمره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته (اهبطا منها جميعا) أى انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) حال من ضمير المخاطب فى اهبطا والجمع لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الاولاد أى متعادين فى أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب (فاما يأتينكم منى هدى) من كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة فى ايجاب اتباعه (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن اعرض عن ذكرى) أى عن الهدى الذاكر لى والداعى الىّ (فان له) فى الدنيا (معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محلّ فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة اعمى) فاقد البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما لا أعمى عن الحجة كما قيل (قال) استئناف كما مرّ (رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) أى فى الدنيا وقرئ أعمى بالامالة فى الموضعين وفى الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحلّ الوقف (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت انت ثم فسره بقوله تعالى (أتتك آياتنا) واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد (فنسيتها) أى عميت عنها وتركتها ترك المنسىّ الذى لا يذكر أصلا (وكذلك) ومثل ذلك النسيان الذى كنت فعلته فى الدنيا (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا أبدا كما قيل بل الى ماشاء الله ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية (نجزى من اسرف) بالانهماك

في الشهوات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وأعرض عنها (ولعذاب الآخرة) على الاطلاق أو عذاب النار (أشد وأبقى) أي من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول أو لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وأياما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم أو فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله عز وجل أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم أهلكنا الخ اما معلق للفعل سادّ مسد مفعوله أو مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه أن لا يلاحظ له مفعول كأنه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم أهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم أي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى (يمشون في مساكنهم) حال من القرون أو من مفعول اهلكنا أي اهلكناهم وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشأم مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمكنون من المشي (ان في ذلك) تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه (لآيات) كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو هاد وأيما هاد ويجوز أن تكون كلمة في تجريدية فافهم (لأولي النهى) لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى أفلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما أصاب القرون المهلكة أي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه (لكان) عقاب جناياتهم (لزاما) أي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تلويح بأن ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم (وأجل مسمى) عطف على كلمة أي ولولا اجل مسمى لاعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة ويوم بدر لما تأخر عذابهم أصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد أي لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود وأضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل (فاصبر على ما يقولون) اي اذا كان الامر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وأنه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه عليه السلام بأنهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر (وسبح) ملتبسا (بحمد ربك) أي صل وأنت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى (قبل طلوع الشمس) الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني صلاتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلاة العصر (ومن آناء الليل) أي من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد (فسبح) أي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما

أجمع

أجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما أشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا (وأطراف النهار) تكرير لصلاة الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين أو أمر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين أولان النهار جنس او أمر بالتطوع في أجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح أي سبح في هذه الاوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ماترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من أرضى أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل (الى مامتعنا به) من زخارف الدنيا وقوله تعالى (ازواجا منهم) أي أصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به أو هو حال من الضمير والمفعول منهم أي الى الذى متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أنه معنى من التبعيضية أو بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا (زهرة الحيوة الدنيا) منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اى أعطينا أو به على تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من أزواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهر والدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا أي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) أي ما ادخر لك في الآخرة او مارزقك في الدنيا من النبوة والهدى (خير) مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف مامنحوه (وأبقى) فانه لايكاد ينقطع نفسه أو أثره أبدا كما عليه زهرة الدنيا (وأمر أهلك بالصلوة) أمر عليه السلام بأن يأمر أهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعد ما أمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا الفت ارباب الثروة (واصطبر عليها) وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش (لا نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا اهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك بأمر الآخرة (والعاقبة) الحميدة (للتقوى) أى لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على أن ملاك الامر هو التقوى روى انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التى أمر عليه السلام بالصبر عليها أى هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة أو بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ماشاهدوا من المعجزات التى تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى (اولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى) أى التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذى هو أم الآيات وأس المعجزات وأعظمها وأبقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات أي أمر كان ولا ريب في أن العلم أجل الامور وأعلاها اذ هو أصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد أمي لم يمارس شيأ من العلوم ولم يدارس أحدا من أهلها أصلا فأي معجزة تراد بعد وروده وأي آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية أى شاهدا بحقية مافيها من العقائد الحقة وأصول الاحكام التى أجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ماتنطق به من أنباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره مالا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه مأتيا به للتنبيه على أصالته فيه مع مافيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة مافي الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بأنه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره أصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ أولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب) الى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت لتقرير ماقبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيامة والمعنى لو أنا أهلكناهم

قوله اولان النهار جنس أى تعريفه للجنس الشامل لكل نهار فجمع اطراف باعتبار تعدد النهار وان لكل طرفا اه من هامش عن الشهاب

فى الدنيا بعذاب مستأصل (من قبله) متعلق بأهلكنا أو بمحذوف هو صفة لعذاب أى بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد عليه الصلاة والسلام (لقالوا) أى يوم القيامة (ربنا لولا أرسلت الينا) فى الدنيا (رسولا) مع كتاب (فنتبع آياتك) التى جاءنا بها (من قبل أن نذل) بالعذاب فى الدنيا (ونخزى) بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ (قل) لاولئك الكفرة المتمردين (كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون) عن قريب (من أصحاب الصراط السوى) أى المستقيم وقرئ السواء أى الوسط الجيد وقرئ السوء والسوءى والسوى تصغير السوء (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولى العلم أو مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب او على الصراط وقيل العائد فى الاولى محذوف والتقدير من هم أصحاب الصراط * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا سورة طه ويس

## *(سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اقترب للناس حسابهم) مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذى يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه فى ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من أول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض لتعجيل المسرة لما أن بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تأكيدا للاضافة على أن الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وانما الذى يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفى اسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بأن يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل أمره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شئ مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه فى كل ساعة من ساعات الزمان أقرب اليهم منه فى الساعة السابقة هذا وأما الاعتذار بأن قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار أن كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضى ولا حاجة اليه فى تحقيق أصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا فى نفسه أيضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين أما الثانى فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره فى قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شئ آخر (وهم فى غفلة) أى فى غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم أن الاعمال لا بد لها من الجزاء (معرضون) أى عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة أمرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن فى معرضون (ما يأتيهم من ذكر) من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن فى قوله تعالى (من ربهم) لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم

> قوله وقرئ السوء الخ الاولى بفتح السين المهملة وسكون الواو بمعنى الشر والثانية بالضم والقصر على وزن فعلى باعتبار أن الصراط يذكر ويؤنث والثالثة بضم السين وفتح الواو وتشديد الياء تصغير سو بالفتح وابدال الهمزة ياء والمعنى على القراآت الثلاث الاخيرة فستعلمون من أصحاب الطريق المعوج والدين الباطل اه ملخصا من الشهاب وزاده

او بمحذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع (محدث) بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله أى محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى (الا استمعوه) استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى (وهم يلعبون) حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى (لاهية قلوبهم) اما حال أخرى منه أو من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث فى حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر (وأسروا النجوى) كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجى ومعنى اسرارها مع أنها لا تكون الا سرا أنهم بالغوا فى اخفائها وأسروا نفس التناجى بحيث لم يشعر أحد بأنهم متناجون وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو أسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما أو منصوب على الذم وقوله تعالى (هل هذا الا بشر مثلكم) الخ فى حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا فى نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ أو بدل من أسروا او معطوف عليه او على أنه بدل من النجوى أى اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفى والهمزة فى قوله تعالى (أفتأتون السحر) للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (وأنتم تبصرون) حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم أى من جنسكم وما اتى به سحر أتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وأنتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز فى اعتقادهم الزائغ أن الرسول لا يكون الا ملكا وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزل عنهم أن ارسال البشر الى عامة البشر هو الذى تقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله أنى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادى الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد فى هدم أمر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون (قال ربى يعلم القول فى السماء والارض) حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما أوحى اليه احوالهم وأقوالهم بيانا لظهور أمرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهانى مع ما فيه من الايذان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما فى علوم الخلق وقرئ قل ربى الخ وقوله تعالى فى السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول أى كائنا فى السماء والارض وقوله تعالى (وهو السميع العليم) أى المبالغ فى العلم بالمسموعات والمعلومات التى من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد (بل قالوا اضغاث احلام) اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب فى مسالك البطلان أى لم يقتصروا على أن يقولوا فى حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفى حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم أضربوا عنه فقالوا (بل افتراه) من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا (بل هو شاعر) وما أتى به شعر يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها وهكذا شان المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل و يتذبذب بين فاسد وأفسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثانى والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط أحلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب فى انه كان ينبغى حينئذ أن يقال قالوا بل أضغاث أحلام والاعتذار بأن بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كأنه قيل وأسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل أضغاث أحلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله (فليأتنا بآية) جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الاولون) أى مثل الآية التى أرسل بها الاولون كاليد والعصا

ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف
منصوبة على أنها مصدر تشبيهى أى نعت لمصدر محذوف أى فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين
بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها أى مثل اتيان مترتب على الارسال
و يجوز أن يحمل النظم الكريم على انه أريد كل واحد من الاتيان والارسال فى كل واحد من طرفى التشبيه
لكنه ترك فى جانب المشبه ذكر الارسال وفى جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن
عما ترك فى الموطن الآخر حسبما مر فى آخر سورة يونس عليه السلام (ما آمنت قبلهم من قرية) كلام مستأنف
مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمنى بالايمان كما أشير اليه وبيان انهم فى اقتراح تلك
الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه وأن فى ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم
ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل فى الامم السالفة على أن المقترحين اذا اعطوا
ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا انزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الامة
لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية أى من أهل قرية فى محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد
العموم وقوله تعالى (اهلكناها) أى باهلاك أهلها لعدم ايمانهم بعد مجىء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية
والهمزة فى قوله تعالى (أفهم يؤمنون) لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فأفادت
انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء
ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا الى ما سألوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم
اعتى منهم وأطغى واما على ما آمنت على أن الفاء متقدمة على الهمزة فى الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع
ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأى الجمهور وقوله عز
وجل (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما أرسل
الاولون من التعريض بعدم كونه عليه السلام مثل اولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ولذلك قدم
عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر
فى تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق
وما كانوا اذا منظرين ولان فى هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم والحق
أن ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق فى الحقيقة لان مقتضى الحكمة أن يرسل الى البشر البشر
والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض
والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذى تقتضيه
الحكمة أن يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا
العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب آخر وقوله تعالى (نوحى اليهم) استئناف
مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى
خصوصه والمعنى وما أرسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين
للاصطفاء والارسال نوحى اليهم بواسطة الملك ما نوحى من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار
كما نوحى اليك من غير فرق بينهما فى حقيقة الوحى وحقية مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا أوحينا اليك
كما أوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم فى البشرية فما لهم
لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحى اليك ليس مخالفا لما أوحى اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ
يوحى اليهم بالياء على صيغة المبنى للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى (فاسألوا
أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد
والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب فى أمثال تلك
الحقائق الانيقة وأما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أى ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الجهلة

أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول شبهتكم أمروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لاسيما وهم كانوا يشايعون المشركين فى عداوته عليه السلام ويشاورونهم فى أمره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبى عليه السلام مالا يخفى (وما جعلناهم جسدا) بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر أفراد الجنس فى أحكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم فى نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر فى قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعى وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير أيضا وقيل بتقدير المضاف أى ذوى جسد وقوله تعالى (لا يأكلون الطعام) صفة له أى وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه (وما كانوا خالدين) لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفى ايثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على أن عدم الخلود مقتضى جبلتهم التى أشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا الا ملكا مع ما فى ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى (ثم صدقناهم الوعد) عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددى كأنه قيل أوحينا اليهم ما أوحينا ثم صدقناهم فى الوعد الذى وعدناهم فى تضاعيف الوحى باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعى الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو أو بعض فروعه بالآخرة وهو السر فى حماية العرب من عذاب الاستئصال (واهلكنا المسرفين) أى المجاوزين للحدود فى الكفر والمعاصى (لقد أنزلنا اليكم) كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذى ذكر فى صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة أضغاث أحلام وأخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام قد صدر بالتوكيد القسمى اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين فى أقصى مراتب النكير أى والله لقد أنزلنا اليكم يا معشر قريش (كتابا) عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى (فيه ذكركم) صفة لكتابا مؤكدة لما أفاده التنكير التفخيمى من كونه جليل المقدار بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة أى فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه فى أمور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى (أفلا تعقلون) انكار توبيخى فيه بعث لهم على التدبر فى أمر الكتاب والتأمل فيما فى تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التى من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الامر كذلك او لا تعقلون شيأ من الاشياء التى من جملتها ما ذكر وقوله تعالى (وكم قصمنا من قرية) نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفى لفظ القصم الذى هو عبارة عن الكسر بابانة أجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى (كانت ظالمة) فى محل الجر على أنها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتى أى وكثيرا قصمنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم (وأنشأنا بعدها) أى بعد اهلاكها (قوما آخرين) أى ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر فى تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادى اهلاك اولئك بقوله تعالى (فلما أحسوا بأسنا) أى ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس (اذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم

اومشبهين بهم فى فرط الاسراع (لا تركضوا) أى قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك اوممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا (وارجعوا الى ما اترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التى كنتم تفتخرون بها (لعلكم تسألون) تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير فى المهمات والنوازل او تتفقدون اذا رئيت مساكنكم خالية وتسألون اين أصحابها ويسألكم الوافدون نوالكم على أنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء أو بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم (قالوا) لما يئسوا من الخلاص بالهرب وأيقنوا بنزول العذاب (يا ويلنا) أى هلاكنا (انا كنا ظالمين) أى مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك (فما زالت تلك دعواهم) أى فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى أى دعوة لان المولول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك (حتى جعلناهم حصيدا) أى مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع (خامدين) أى ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا فى حيز المفعول الثانى للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو حال من الضمير المنصوب فى جعلناهم اومن المستكن فى حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه فى حكم جعلناهم أمثال حصيد (وما خلقنا السماء والارض) اشارة اجمالية الى أن تكوين العالم وابداع بنى آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على أن ما حكى من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء أعمالهم اياه وأن للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم أى ما خلقناهما (وما بينهما) من المخلوقات التى لا تحصى أجناسها وأفرادها ولا تحصر أنواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل (لاعبين) لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالى عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب أحد فى استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التى هى الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو أى لو أردنا أن نتخذ ما يتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) أى من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة فى رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى (ان كنا فاعلين) جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية أى ما كنا فاعلين أى لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالى لانتفاء المقدم اولارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالى وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤنه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سياتى من الوعيد (فيدمغه) أى يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذى هو الرمى الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذى هو كسر الشئ الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم (فاذا هو زاهق) أى ذاهب بالكلية وفى اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة فى الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل (ولكم الويل مما تصفون) وعيد لقريش بأن لهم أيضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل اومن ضميره فى الخبر وما اما مصدرية أو موصولة أو موصوفة أى واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذى تصفونه او بشئ تصفونه به من الولد أو كائنا مما تصفونه تعالى به (وله من فى السموات والارض) استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى

بجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وأنه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل أى له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غيرأن يكون لاحد فى ذلك دخل ما استقلالا أو استتباعا (ومن عنده) وهم الملائكة عليهم السلام عبرعنهم بذلك اثر ما عبرعنهم بمن فى السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عزوعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبيرا (ولا يستحسرون) ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة فى الحسور للتنبيه على أن عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفى المبالغة فى الحسور مع ثبوت أصله فى الجملة كما أن نفى الظلامية فى قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفى المبالغة فى الظلم مع ثبوت أصل الظلم فى الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم فى من فى السموات والارض للتعظيم كما فى قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله تعالى لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية (يسبحون الليل والنهار) أى ينزهونه فى جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون فى عباداتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى (لا يفترون) أى لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلا بفراغ او بشغل آخر (أم اتخذوا آلهة) حكاية لجناية أخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وأنهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وأن عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التى من جملتها الانداد ومعنى الهمزة فى أم المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى (من الارض) متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة وأيا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى (هم ينشرون) أى يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة أى بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها الهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكأنهم ادعوا لها الانشار ضرورة أنه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص فى تقديم الضمير ما أشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما فى قوله تعالى أفى الله شك وقوله تعالى أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل لان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما أنهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار (لو كان فيهما آلهة الا الله) ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا فى الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون فى كلام غير موجب أى لو كان فى السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل (لفسدتا) أى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة أن الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقى بمعزل من الالهية قطعا واعلم أن جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما أنه اعتبر فى المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقضى باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود أصلا وحيث انتفى التالى تعين انتفاء المقدم والفاء فى قوله تعالى (فسبحان الله) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان أى فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التى من

جملتها أن يكون له شريك فى الالوهية وايراد الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التى من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى (رب العرش) صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل (عما يصفون) متعلق بالتسبيح أى فسبحوه عما يصفونه من أن يكون من دونه آلهة (لا يسأل عما يفعل) استئناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله عما يفعل من أفعاله اثر بيان أن ليس له شريك فى الالهية (وهم) أى العباد (يسألون) عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة (ام اتخذوا من دونه آلهة) اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التى من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق أن جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤنه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية (قل) لهم بطريق التبكيت والقام الحجر (هاتوا برهانكم) على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه فى الامور الدينية لا سيما فى مثل هذا الشأن الخطير وما فى اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بأن لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) انارة لبرهانه واشارة الى أنه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به ألسنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم أى هذا الوحى الوارد فى شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلى ذكر أمتى أى عظتهم وذكر الامم السالفة قد أقمته فأقيموا أنتم أيضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب أنزل على أمتى وهذا كتاب أنزل على أمم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى (بل اكثرهم لا يعلمون الحق) اضراب من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان أنه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل (فهم) لاجل ذلك (معرضون) أى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغى والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج أو معرضون عما ألقى عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيدا للسببية وقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وأيا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) حكاية لجناية فريق من المشركين جىء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حى من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدى أن قريشا وبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة (سبحانه) أى تنزه بالذات تنزهه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أى بعد أو أسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على ألسنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى (بل عباد) اضراب وابطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى (مكرمون) مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى (لا يسبقونه بالقول) صفة أخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى أى لا يقولون شيأ حتى يقوله تعالى او يأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم قوله تعالى

فأسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم
عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرّض به للذين يقولون مالا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا
للسبق واداته ثم أنيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافى عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من
سابقته فسبقته أسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بأن من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدّى لمغالبته
تعالى فى السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفى عنهم ببيان أن ذلك عندهم بمنزلة الغلبة
بعد المغالبة فأنى يتوهم صدوره عنهم (وهم بأمره يعملون) بيان لتبعيتهم له تعالى فى الاعمال اثر بيان تبعيتهم
له تعالى فى الاقوال فان نفى سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كأنه قيل هم بامره يقولون
وبأمره يعملون لا بغير أمره أصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير أمره لا الى أمر غيره
(يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما
قدموا وأخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير أمره
تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه تعالى (وهم) مع ذلك (من خشيته) عزوجلّ
(مشفقون) مرتعدون وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع
الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر (ومن يقل منهم) أى
من الملائكة اذ الكلام فيهم وفى كونهم بمعزل مما قالوا فى حقهم (انى اله من دونه) متجاوزا اياه تعالى (فذلك)
الذى فرض قوله فرض محال (نجزيه جهنم) كسائر المجرمين ولا يغنى عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية
وأفعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم
فى حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى (كذلك نجزى الظالمين) مصدر تشبيهى مؤكد لمضمون ما قبله
اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها ويتعدون أطوارهم والقصر
المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة أى لا جزاء انقص منه (أولم ير الذين كفروا)
تجهيل لهم بتقصيرهم فى التدبر فى الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه
مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا
ولم يعلموا (ان السموات والارض كانتا) أى جماعتا السموات والارضين كما فى قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض أن تزولا (رتقا) الرتق الضمّ والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول
أى كانتا ذواتى رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا أى شيأ رتقا أى مرتوقا (ففتقناهما) قال ابن عباس رضى الله
عنهما فى رواية عكرمة والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيأ واحدا ملتزمين ففصل الله تعالى
بينهما ورفع السماء الى حيث هى وأقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين
ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق الله تعالى الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها
دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك
قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها
سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس
فى رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق
السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا
على أن لها مدخلا فى الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به وأما بالمعانى الاول فهم وان لم
يعلموهما لكنهم متمكنون من علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما
بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله
تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به أو صيرنا كل شئ
حى من الماء أى بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثانى للاهتمام به لا لمجرد أن المفعولين فى الاصل
مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا أن يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه
صفة كل أو مفعول ثان والظرف كما فى الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر

(أفلا يؤمنون) انكار لعدم ايمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون (وجعلنا في الارض رواسي) أي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات وأياما معدودات (أن تميد بهم) أي كراهة أن تميل وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس (وجعلنا فيها) أي في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق (فجاجا) مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى (سبلا) وهو وصف له ليصير حالا فيفيد أنه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) أي الى مصالحهم ومهماتهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة (معرضون) لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر) اللذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام أي هو الذي خلقهن وحده (كل) أي كل واحد منهما على أن التنوين عوض عن المضاف اليه (في فلك يسبحون) أي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية (أفان مت) بمقتضى حكمتنا (فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مداره وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه أيضا مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل كأنه قيل أفان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم (ونبلوكم) الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين أو للكفرة بطريق الالتفات أي نعاملكم معاملة من يبلوكم (بالشر والخير) بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون أولا (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (والينا ترجعون) لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات (واذا رآك الذين كفروا) أي المشركون (ان يتخذونك الا هزوا) أي ما يتخذونك الا مهزوءا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان أتبع الا ما يوحى الي في سورة الانعام (أهذا الذي يذكر آلهتكم) على ارادة القول أي ويقولون أو قائلين ذلك أي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ وقوله تعالى (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عليه الصلاة والسلام أن يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال أنهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد أو بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم أحق بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تأكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول (خلق الانسان من عجل) جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم

انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روى انها نزلت فى النضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هـذا هو الحق من عندك فأمطر الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروى انه لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعى عجلته فى الامور والاظهر أن المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى أولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى (سأريكم آياتى) تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد أى سأريكم نقماتى فى الآخرة كعذاب النار وغيره (فلا تستعجلون) بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هـذا الوعد) اى وقت مجىء الساعة التى كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين وقته بطريق الالزام كما فى سورة الملك (ان كنتم صادقين) أى فى وعدكم بأنه يأتينا والخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجىء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف فى مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هـذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك فى قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين (لو يعلم الذين كفروا) استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وأنهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه أيضا بحسب المقام كما فى قولك لو تحسن الى لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما فى حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى (حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذى كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التى حقها أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب أيضا مع انكار الكفرة لذلك للايذان بأنه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام فى سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اى لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذى تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما الاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير فى دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم أى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال (بل تأتيهم) عطف على لا يكفون أى لا يكفونها بل تأتيهم أى العدة أو النار أو الساعة (بغتة فتبهتهم) أى تغلبهم أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على أن الضمير للوعد أو الحين وكذا الهاء فى قوله تعالى (فلا يستطيعون ردها) بتأويل الوعد بالنار أو العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة أى لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية (ولا هم ينظرون) اى يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم فى الدنيا (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام فى ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بأنه يصيبهم مثل ما أصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له أى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (فحاق) أى أحاط عقيبه ذلك او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى (بالذين سخروا منهم) أى من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق

وتقديمه على فاعله الذى هو قوله تعالى (ما كانوا به يستهزؤن) للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل أى فأحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث أهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط أى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما أو عين استهزائهم ان أريد بذلك العذاب الاخروى بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وعلى ذلك بنى الوزن وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف وفى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها (قل) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما ذكر من مصير أمرهم الى الهلاك وأمر له عليه السلام بأن يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت (من يكلؤكم) أى يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من بأسه الذى تستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما أن الدواهى اكثر فيه وقوعا وأشد وقعا وفى التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بأن كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعدما أمر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما تقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا أن الله تعالى يحفظهم فى الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم أحقاء بأن يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ماهم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) ببيان أن لهم حالا أخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هى انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال

عوجوا لخبوا لنعمى دمنة الدار * ماذا تحيون من نؤى وأحجار

وفى تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم فى الغاية القاصية من الضلالة والغى مالا يخفى وكلمة أم فى قوله تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان أن جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة لانكار أن يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أو حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفى توجيه الانكار والنفى الى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بأن يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع مالا يخفى وقوله عز وعلا (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم أى هم لا يستطيعون أن ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقوله تعالى (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) اضراب عما توهموا ببيان أن الداعى الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وأمل كاذب حيث قيل (أفلا يرون) أى ألا ينظرون فلا يرون (أنا نأتى الارض) أى ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على أيدى المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام (أفهم الغالبون) على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسلط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر فى قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفى التعريف تعريض بأن المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها (قل انما انذركم) بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذى

قوله والفاء لانكار الخ الاولى صوابه والهمزة لانكار الخ فان الدال على الانكار هو الهمزة والدال على ترتيب الغالبية على نقص الارض هو الفاء تأمل اهـ مصححه

يكلؤهم

يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوى أحوالهم أمر عليه السلام بأن يقول لهم انما أنذركم ماتستعجلونه من الساعة (بالوحى) الصادق الناطق باتيانها وفظاعة مافيها من الاهوال أى انما شأنى أن انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهانى لا عيانى وقوله تعالى (ولا يسمع الصم الدعاء) اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد أمر عليه السلام بأن يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما أوليا أو للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفى السماع بقوله تعالى (اذا ما ينذرون) مع أن الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان أو تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما أن ايثار الدعاء الذى هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيآت دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم فى غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبى عليه الصلاة والسلام من الاسماع بنصب الصم والدعاء كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء أيضا على أن الفاعل هو عليه السلام وقرئ على البناء للمفعول أى لا يقدر أحد على اسماع الصم وقوله تعالى (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) بيان لسرعة تأثرهم من مجىء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجىء خبره على نهج التوكيد القسمى أى وبالله لئن أصابهم أدنى اصابة أدنى شئ من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان أصل النفح هبوب رائحة الشئ (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) ليدعن على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى (ونضع الموازين القسط) بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اى نقيم الموازين العادلة التى توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام فى سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة (ليوم القيامة) التى كانوا يستعجلونها اى لجزائه أو لاجل اهله أو فيه كما فى قولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس) من النفوس (شيأ) حقا من حقوقها او شيأ ما من الظلم بل يوفى كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين (وان كان) أى العمل المدلول عليه بوضع الموازين (مثقال حبة من خردل) اى مقدار حبة كائنة من خردل أى وان كان فى غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل فى الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على أن كان تامة (أتينا بها) اى أحضرناه ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها أى جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء وقرئ أثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها (وكفى بنا حاسبين) اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) نوع تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم الى قوله تعالى وأهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك أعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمى لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر أى وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بأنواره المغتنمون لمغانم آثاره أو ذكرا ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولانّ فلق البحر هو الذى اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما أرسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى (الذين يخشون ربهم) أى عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح (بالغيب) حال من المفعول أى يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه وقيل من الفاعل (وهم من الساعة مشفقون) اى خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق

قوله لانهم أتوه الخ علة لمحذوف كما سقط من قلمه والاصل كما فى البيضاوى او من المؤاتاة فانهم أتوه الخ فهو بيان لوجه المفاعلة التى من الجانبين فتدبر اه مصححه

ودوامه (وهذا) أى القرآن الكريم أشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح أمره (ذكر) يتذكر به من يتذكر وصف بالوصف الاخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما مر فى صدر السورة الكريمة (مبارك) كثير الخير غزير النفع يتبرك به (انزلناه) اما صفة ثانية لذكر أو خبر آخر (أفأنتم له منكرون) انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التوراة كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة فى الايتاء والايحاء أنتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له أصلا (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أى الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحى والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن (من قبل) أى من قبل ايتاء موسى وهرون التوراة وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه أو قبل بلوغه ويأباه المقام (وكنا به عالمين) أى بأنه أهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار فى أفعاله مالا يخفى (اذ قال لابيه وقومه) ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله أى اذكر وقت قوله لهم (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشئ مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن أصنامهم بما التى يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كأنه لا يعرف أنها ماذا مع احاطته بأن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذى هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشئ لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام فى لها للاختصاص دون التعدية والا لجئ بكلمة على والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أجابوا بذلك لما أن مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كأنه قال ما هى هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فأبطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمى حيث (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم) الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة (فى ضلال) عجيب لا يقادر قدره (مبين) أى ظاهر بين بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضى الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم أى والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية فى الجملة (قالوا) لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمى وترددا فى كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد (أجئتنا بالحق) أى بالجد (أم أنت من اللاعبين) فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفى ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم (قال) عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها أربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد أصناما فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الامر كذلك (بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض ووصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على أن ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اى أنشأهن بما فيهن من المخلوقات التى من جملتها أنتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل فى تضليلهم وأظهر فى الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى عن التأمل فى كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات (وأنا على ذلكم) الذى ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان (من الشاهدين) أى العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشئ من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه (وتالله) وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التى هى بدل من الاصل وفيها تعجب (لأكيدن أصنامكم) أى لأجتهدن فى كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد (بعد أن تولوا مدبرين) من عبادتها

قوله مشبه فى بعض النسخ مشبها بالنصب ولعله على الحال من ضمير مصنوع فتأمل اه مصححه

الى

الى عيدكم وقرئ تولوا من التولى بحذف احدى التاءين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى (فجعلهم) فصيحة أى فولوا فجعلهم (جذاذا) أى قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذى هو القطع كالحطام من الحطم الذى هو الكسر وقرئ بالكسر وهى لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روى أن آزر خرج به فى يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كانت فى يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس فى عنقه وذلك قوله تعالى (الا كبيرا لهم) أى للاصنام (لعلهم اليه) أى الى ابراهيم عليه السلام (يرجعون) فيحاجهم بما سيأتى فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود أن يرجع اليه فى الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم (قالوا) أى حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا (من فعل هذا بآلهتنا) على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهى بين أيديهم مبالغة فى التشنيع وقوله تعالى (انه لمن الظالمين) استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة فى حيز الرفع على أنها خبرها والمعنى الذى فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهى حقيقة بالاعظام او لافراطه فى الكسر والحطم وتماديه فى الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة (قالوا) أى بعض منهم مجيبين للسائلين (سمعنا فتى يذكرهم) أى يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين أو صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس أنه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح (يقال له ابراهيم) صفة أخرى لفتى أى يطلق عليه هذا الاسم (قالوا) أى السائلون (فأتوا به على اعين الناس) أى بمرأى منهم بحيث يكون نصب أعينهم فى مكان مرتفع لا يكاد يخفى على أحد (لعلهم يشهدون) أى يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فماذا فعلوا به عليه السلام بعد ذلك هل أتوا به أولا فقيل أتوا به ثم قالوا (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على أن اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك أمر محقق غنى عن البيان (قال بل فعله كبيرهم هذا) مشيرا الى الذى لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل فى شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقى من الكذب حيث أبرز الكبير قولا فى معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما أبرزه فى ذلك المعرض فعلا بجعل الفأس فى عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد حسب زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه باعتبار أنه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على ما هو أشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها فيكون تمثيلا أراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام وأما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك امى فيما كتبته بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا فقلت له بل أنت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى فى المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله فى السؤال لابتنائه على أن صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب فى أن مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم فى سؤالهم لابتنائه على احتمال

صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل فى احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) أى ان كانوا ممن يمكن أن ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضا لما أن نتيجة السؤال هو الجواب وأن عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حسبما نطق به قوله تعالى (فرجعوا الى أنفسهم) أى راجعوا عقولهم وتذكروا أن مالا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبودا (فقالوا) أى قال بعضهم لبعض فيما بينهم (انكم أنتم الظالمون) أى بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة أو بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين أو أنتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها (ثم نكسوا على رؤسهم) أى انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة أسفل الشئ أعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل أى نكسوا أنفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) على ارادة القول أى قائلين والله لقد علمت أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على أن المراد استمرار نفى النطق لا نفى استمراره كما توهمه صيغة المضارع (قال) مبكتا لهم (أفتعبدون) أى أتعلمون ذلك فتعبدون (من دون الله) أى متجاوزين عبادته تعالى (مالا ينفعكم شيأ) من النفع (ولا يضركم) فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم (قالوا) أى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة (حرقوه) فانه أشد العقوبات (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) أى للنصر أو لشئ يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب بن نمرود بن كوس ابن حام بن نوح وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الارض روى انهم لما أجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوما فأوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها أحد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهى فى أقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد أحد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فأتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال أما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) أى كونى ذات برد وسلام أى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أى وسلمنا سلاما عليه روى أن الملائكة أخذوا بضبعى ابراهيم وأقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروى انه عليه السلام مكث فيها أربعين يوما أو خمسين وقال ما كنت أطيب عيشا منى اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فأشرف عليه فرآه جالسا فى روضة مونقة ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشى فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذى رأيته معك قال ذلك ملك الظل أرسله ربى ليؤنسنى فقال انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبح له أربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن

قوله السنجاريب فى بعض النسخ السضاريب وقوله بعد ذلك اسمه هيون هكذا فى النسخ والذى رأيته فى البيضاوى هينون فليحرر ذلك اهـ مصححه

بدعا

بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام أذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم (وأرادوا به كيدا) مكرا عظيما في الاضرار به (فجعلناهم الاخسرين) أي أخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) أي من العراق الى الشأم وبركاته العامة أن اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) أي عطية فهي حال منهما او ولد ولد أو زيادة على ماسأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة (وكلا) أي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض (جعلنا صالحين) بأن وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في أمور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي (يهدون) أي الامة الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى (واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين اقامة المضاف اليه مقامه (وكانوا لنا) خاصة دون غيرنا (عابدين) لا يخطر ببالهم غير عبادتنا (ولوطا) قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (آتيناه) أي وآتينا لوطا وقيل باذكر (حكما) أي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق (وعلما) بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) أي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وأدخلناه في رحمتنا) أي في اهل رحمتنا او في جنتنا (انه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى (ونوحا) أي اذكر نوحا أي خبره وقوله تعالى (اذ نادى) أي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر أي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه (من قبل) أي من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أي دعاءه الذي من جملته قوله انى مغلوب فانتصر (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) وهو الطوفان وقيل اذية قومه وأصل الكرب الغم الشديد (ونصرناه) نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) وحمله على فانتصر يأباه ماذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى (انهم كانوا قوم سوء) تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى (فأغرقناهم أجمعين) فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا (وداود وسليمان) اما عطف على نوحا معمول لعامله واما لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى (اذ يحكمان) ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها أي اذكر خبرهما وقت حكمهما (في الحرث) أي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل أو بدل اشتمال منهما وقوله تعالى (اذ نفشت) أي تفرقت وانتشرت (فيه غنم القوم) ليلا بلا راع فرعته وأفسدته ظرف للحكم (وكنا لحكمهم) أي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما (شاهدين) حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه (ففهمناها سليمان) عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فأفهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روى أنه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال أحدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فأفسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي أرفق بالفريقين فقال أرى أن تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء

ماقضيت وأمضى الحكم بذلك والذى عندى أن حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع الخ صريح فى انه ليس بطريق الوحى والالبت القول بذلك ولما ناشده داود عليهما السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه أن يظهره بدءا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل أقول والله تعالى أعلم ان رأى سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله أرفق بالفريقين ورأى داود عليه السلام قياس كما أن العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند أبى حنيفة الى المجنى عليه أو يفديه ويبيعه فى ذلك أو يفديه عند الشافعى وقد روى انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت وأما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث الى أن يزول الضرر الذى أتاه من قبله كما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفى قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع أن الحكم المبنى على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان أقوى منه لما أن ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد فى الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم فى ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع وأما حكم المسئلة فى شريعتنا فعند أبى حنيفة رحمه الله لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعى يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى (وكلا آتينا حكما وعلما) لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا أى وكل واحد منهما آتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فى كونه مجتهدا وقيل بل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه فى صغره فانه عليه السلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة (وسخرنا مع داود الجبال) شروع فى بيان ما يختص بكل منهما من كراماته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما (يسبحن) أى يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد (والطير) عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير فى يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل (وكنا فاعلين) أى من شأننا أن نفعل أمثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) أى عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال قائلهم

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها (لكم) متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس (لتحصنكم) أى اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على أن الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم (من بأسكم) قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم (فهل أنتم شاكرون) أمر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلى له والامتثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به فى عبادة الله عز وعلا (عاصفة) حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر أى وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدا فى الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا (تجرى بأمره) بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها (الى الارض

التى باركنا فيها) وهى الشأم رواحا بعدما سار به منه بكرة قال الكلبى كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشأم والى حيث شاء ثم يعود الى منزله (وكنا بكل شئ عالمين) فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة (ومن الشياطين) أى وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) فى البحار ويستخرجون له من نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر (ويعملون عملا دون ذلك) أى غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى ومن الشياطين روى أن المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى (وكنا لهم حافظين) أى من أن يزيغوا عن أمره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمنى الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار (وأيوب) الكلام فيه كما مر فى قوله تعالى وداود وسليمان أى واذكر خبر أيوب (اذ نادى ربه أنى) أى بأنى (مسنى الضر) وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس من مرض وهزال ونحوهما (وأنت ارحم الراحمين) وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا فى السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات روى أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت أفرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيى من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وروى أن ابليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركنى وعبد اله السماء فلو سجد لى سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منكما وفى رواية لو سجدت لى سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى أيوب وكان ملقى فى الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافانى الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام على أن أذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقى طريحا فى الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسى حلة وذلك قوله تعالى (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت فى نفسها هب انه طردنى أفأتركه حتى يموت جوعا ويأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأل عنه فأرسل اليها أيوب ودعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلى قال أتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على فتبسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) اى آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم أيوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا اياهم (واسمعيل وادريس وذا الكفل) أى واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمى به لانه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه او ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجئ بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) أى كل واحد من هؤلاء (من الصابرين) أى على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم (وأدخلناهم فى رحمتنا) أى فى النبوة او فى

نعمة الآخرة (انهم من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح الكامل الذى لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد (وذا النون) أى واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (اذ ذهب مغاضبا) أى مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن ان لن نقدر عليه) أى لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده أنه قرئ مشددا اولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن أن لن نقدر عليه أى نعامله معاملة من يظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما فى قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده أى نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول (فنادى) الفاء فصيحة أى فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى (فى الظلمات) أى فى الظلمة الشديدة المتكاثفة او فى ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل فى ظلمتى بطنى الحوتين وظلمتى البحر والليل (أن لا اله الا أنت) أى بأنه لا اله الا أنت على أن أن مخففة من أن وضمير الشان محذوف أو أى لا اله الا أنت على أنها مفسرة (سبحانك) انزهك تنزيها لائقا بك من أن يعجزك شئ أو أن يكون ابتلائى بهذا بغير سبب من جهتى (انى كنت من الظالمين) لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة (فاستجبنا له) أى دعاءه الذى دعاه فى ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه وأحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (ونجيناه من الغم) بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان فيها فى بطنه وقيل بعد ثلاثة أيام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة (وكذلك) أى مثل ذلك الانجاء الكامل (ننجى المؤمنين) من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء أدنى منه وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على أن أصله ننجى فحذفت الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بأنه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره (وزكريا) أى واذكر خبره (اذ نادى ربه) وقال (رب لا تذرنى فردا) أى وحيدا بلا ولد يرثنى (وأنت خير الوارثين) فحسبى أنت ان لم ترزقنى وارثا (فاستجبنا له) أى دعاءه (ووهبنا له يحيى) وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة فى سورة مريم (وأصلحنا له زوجه) أى أصلحناها للولادة بعد عقرها او أصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين أى كانوا يبادرون فى وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم فى أصل الخير وهو السر فى ايثار كلمة فى على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين اليها كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة (ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوى رغب ورهب او راغبين فى الثواب راجين للاجابة او فى الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب (وكانوا لنا خاشعين) أى مخبتين متضرعين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة (والتى احصنت فرجها) أى اذكر خبر التى احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عما زعموه فى حقها آثر ذى أثير (فنفخنا فيها) أى احيينا عيسى فى جوفها (من روحنا) من الروح الذى هو من أمرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام (وجعلناها وابنها) أى قصتهما او حالهما (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل أريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها

آية لحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (ان هذه) أى ملة التوحيد والاسلام أشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور أمرها فى الصحة والسداد (امتكم) أى ملتكم التى يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشئ منها والخطاب للناس قاطبة (امة واحدة) نصب على الحالية من امتكم أى غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ أمتكم بالنصب على البدلية من اسم انّ وأمة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران (وانا ربكم) لا اله لكم غيرى (فاعبدون) خاصة لا غير وقوله تعالى (وتقطعوا أمرهم بينهم) التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق فى الدين وجعل أمره قطعا موزعة وينهى قبائح أفعالهم الى الآخرين كأنه قيل ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين الله الذى اجمعت عليه كافة الانبياء عليهم السلام (كل) أى كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق (الينا راجعون) بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى (فمن يعمل من الصالحات) الخ تفصيل للجزاء أى فمن يعمل بعض الصالحات أو بعضا من الصالحات (وهو مؤمن) بالله ورسله (فلا كفران لسعيه) أى لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذى هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفى نفى الجنس للمبالغة فى التنزيه وعبر عن العمل بالسعى لاظهار الاعتداد به (وانا له) أى لسعيه (كاتبون) أى مثبتون فى صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيأ (وحرام على قرية) أى ممتنع على أهلها غير متصوّر منهم وقرئ حرم وهى لغة كالحل والحلال (اهلكناها) قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوّهم وقوله تعالى (انهم لا يرجعون) فى حيز الرفع على أنه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما فى أنّ من معنى التحقيق معتبر فى النفى المستفاد من حرام لا فى المنفى أى ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا أنّ عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على أنّ لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على أنه استئناف تعليلى لما قبله فحرام خبر مبتدا محذوف أى حرام عليها ذلك وهو ما ذكر فى الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعى المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة أيضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها أى لانهم لا يرجعون وحتى فى قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) الخ هى التى يحكى بعدها الكلام وهى على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثانى غاية للحرمة أى يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون اليها حين لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر أى لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد (وهم) أى يأجوج ومأجوج وقيل الناس (من كل حدب) أى نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر (ينسلون) أى يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق) عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى (فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كما فى قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده (يا ويلنا) على تقدير قول وقع حالا من الموصول أى يقولون يا ويلنا تعال فهذا أوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط (قد كنا فى غفلة) تامة (من هذا) الذى دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) اضراب عما قبله من وصف

أنفسهم بالغفلة أى لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها أو ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل أمرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة فى الانذار وازاحة الاعتذار وما تعبدون عبارة عن أصنامهم لانها التى يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الآية وقال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة ردّ عليه بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أنّ ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روى انه عليه السلام ردّه بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك ولا ما روى أن ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة اولكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شئ منهما نصا فى عموم كلمة ما كما أن الاول نص فى خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضى شموله بطريق العبارة بل يكفى فى ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة فى المعبودية من دون الله تعالى فلعله عليه السلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين فى حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة أيضا تأكيدا للردّ والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم منبئ عن الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة فى عبادته فى الجملة بل بتحقيق الحق وبيان أنهم ليسوا من المعبودية فى شئ حتى يتوهم دخولهم فى الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام فى المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التى أمرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون فى الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام فى المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه فى التوفيق بين الاخبار المذكورة وأمّا تعميم كلمة ما للعقلاء أيضا وجعل ما سيأتى من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز أو التخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة (أنتم لها واردون) استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوّضة من على للدلالة على الاختصاص وأنّ ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا (لو كان هؤلاء) أى أصنامهم (آلهة) كما يزعمون (ما وردوها) وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح فى أن المراد بما يعبدون هى الاصنام لانّ المراد اثبات نقيض ما يدّعونه وهم انما يدّعون الهية الاصنام لا الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها وأمّا ما وقع فى الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بانجرار الكلام اليه عند بيان ما سيق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاوّل مما يوهم الرخصة فى عبادتهم فى الجملة لانهم المعبودون عندهم أجيب ببيان أنّ المعبودين هم الشياطين وأنهم داخلون فى حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين (وكل) أى من العبدة والمعبودين (فيها خالدون) لا خلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) أى أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبدة أضيف الى الكل للتغليب ويجوز أن يكون الضمير للعبدة لعدم الالباس وكذا فى قوله تعالى (وهم فيها لا يسمعون) أى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرّهم من الكلام (انّ الذين سبقت لهم منا الحسنى) شروع فى بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب أى سبقت لهم منا فى التقدير الخصلة الحسنى التى هى أحسن الخصال وهى السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الادخل الاظهر فى الحمل عليها لما أن الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما أن ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى وحرام الخ (اولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلوّ درجتهم وبعد منزلتهم

قوله لاشتراكهم الاصنام هكذا فى النسخ ولعله سقطت منه كلمة مع والاصل لاشتراكهم مع الاصنام وحرر اه مصححه

فى الشرف

في الشرف والفضل أي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل (عنها) أي عن جهنم (مبعدون) لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى أن عليا رضي الله تعالى عنه خطب يوما فقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول (لا يسمعون حسيسها) ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به أي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة لا أنهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في انقاذهم منها وقوله تعالى (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم من المهالك والمعاطب أي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رضي الله عنه انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بذاك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على أن الاكثرين على أن ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم مهنئين لهم (هذا يومكم) على ارادة القول أي قائلين هذا اليوم يومكم (الذي كنتم توعدون) في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في أن المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل (يوم نطوي السماء) بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل بتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول (كطي السجل) وهي الصحيفة أي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كالفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى (للكتب) متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل أي كما يطوى الطومار للكتابة أو اسم كالامام فاللام كما ذكر أولا وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب أعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدا لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية وأول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأناه وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف (وعدا) مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة (علينا) أي علينا انجازه (انا كنا فاعلين) لما ذكر لا محالة (ولقد كتبنا في الزبور) هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما أنزل على الانبياء عليهم السلام (من بعد الذكر) أي التوراة وقيل اللوح المحفوظ أي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود وبعد ما كتبنا في التوراة او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ (أن الارض يرثها عبادي الصالحون) أي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز أهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد أرض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ان في هذا) أي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة (لبلاغا) أي كفاية او سبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) أي لقوم همهم العبادة دون العادة (وما أرسلناك)

بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التى هى مناط لسعادة الدارين (الا رحمة للعالمين) هو فى حيز النصب على انه استثناء من أعم العلل أو من أعم الاحوال أى ما أرسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة أو ما أرسلناك فى حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم فى النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط فى نفسه وحرمه حقه لا أنه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة فى حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) أى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلى من البعثة وأما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك انما يقوم زيد أى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ على الحكم كقولك انما زيد قائم أى ليس له الا صفة القيام (فهل أنتم مسلمون) أى مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على أن صفة الوحدانية تصح أن يكون طريقها السمع (فان تولوا) عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحى (فقل) لهم (آذنتكم) أى اعلمتكم ما أمرت به او حربى لكم (على سواء) كائنين على سواء فى الاعلام به لم اطوه عن أحد منكم او مستوين به أنا وأنتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة أو ايذانا على سواء وقيل أعلمتكم أنى على سواء أى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير (وان أدرى) أى ما أدرى (أقريب أم بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة (انه يعلم الجهر من القول) أى ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام وتكذيب الآيات التى من جملتها ما نطق بمجىء الموعود (ويعلم ما تكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا (وان أدرى لعله فتنة لكم) أى ما أدرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) أى وتمتيع لكم الى أجل مقدر تقتضيه مشيئته [illegible] الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم (قال رب احكم بالحق) حكاية لدعائه عليه الصلاة والسلام [illegible] الامر أى المبالغة (أنتم لها واردون) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم [illegible] والسلام وأن ورودهم لاجلهم حيث عذبوا ابدا رأى تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربى أحكم [illegible] ويزعمون (ما وردوها من الاحكام (وربنا الرحمن) مبتدأ وخبر أى كثير الرحمة على عباده وتاريخ فى أن المراد بما يعبدون المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدا او اضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه الدلالة الشياطين حتى يحتج الوظائف الخاصة به عليه السلام كما أن اضافته ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين تكملة بانجرار الكلام الى الوظائف العامة لهم (على ما تصفون) من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة [illegible] لسائر المعبودين وكلام تحقق ثم تركدوان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فا[illegible] ون عندهم أجيبت دعوة رسوله عليه السلام فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم فاصابهم [illegible] يوم بدر [illegible] العبارة أنهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبى [illegible] عنها (عليه الصلاة والسلام من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

* (سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى [illegible] الحميد وهى ثمان وسبعون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذى مر تقريره فى مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا أوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين

لتأييد

لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا أى احذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم وقوله تعالى (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ماهى من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التى لاملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لامحالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمى كأنها هى التى تزلزل الاشياء أو اضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا أو بتقدير فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبى أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها وفى التعبير عنها بالشئ ايذان بأن العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لاتحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى (يوم ترونها) منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة أى وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها (تذهل كل مرضعة) أى مباشرة للارضاع (عما أرضعت) أى تغفل وتذهل مع دهشة عما هى بصدد ارضاعه من طفلها الذى القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لايخطر ببالها انه ماذا الا أنها تعرف شيئيته لكن لاتدرى من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية أى تذهل عن ارضاعها والاول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول أو مبنيا للفاعل مع نصب كل أى تذهلها الزلزلة (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تلقى جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبى وأما على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه أن الامر حينئذ أشد من ذلك وأعظم وأهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا فى النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب فى أن قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لاقبلها حتى يتصور ماذكر (وترى الناس) بفتح التاء والراء على خطاب كل أحد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما أن المرئى فى الاول هى الزلزلة التى يشاهدها الجميع وفى الثانى حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة فى المرئى لافى الرائى باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لاغيرها كأنه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما أوثر عليه مافى التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لايكاد يخفى على أحد أى يراهم كل أحد (سكارى) أى كأنهم سكارى (وماهم بسكارى) حقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فرهقهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذى جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من أريتك قائما أو رؤيتك قائما والناس منصوب أى تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل (ومن الناس) كلام مبتدأ جئ به اثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى أو بتقدير مايتعلق به كما مر مرارا أى وبعض الناس أو وبعض كائن من الناس (من يجادل فى الله) أى فى شأنه تعالى ويقول فيه مالا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى (بغير علم) حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل أى ملابسا بغير علم روى انها نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولابعث بعد الموت وهى عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين (ويتبع) أى فيما يتعاطاه من المجادلة أو فى كل ما يأتى ومايذر من الامور الباطلة التى من جملتها ذلك (كل شيطان مريد) عات متمرد متجرد للفساد وأصله العرى المنبئ عن التمحض له كالتشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر

واما ابليس وجنوده وقوله تعالى (كتب عليه) أى على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى (أنه) فاعل كتب والضمير للشأن أى رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن (من تولاه) أى اتخذه وليا وتبعه (فانه يضله) بالفتح على أنه خبر مبتدا محذوف او مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أى من تولاه فشأنه أنه يضله عن طريق الجنة أو طريق الحق او فحق أنه يضله قطعا وقيل فأنه معطوف على أنه وفيه من التعسف مالا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبران او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما فى قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل والاحسان او على اضمار القول أو تضمين الكتب معناه على رأى من يراه (ويهديه الى عذاب السعير) بحمله على مباشرة ما يؤدى اليه من السيئات (يا أيها الناس) اثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث (ان كنتم فى ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا له تعالى أو من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فى الجلب والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع أنهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم فى ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال ان ارتبتم فى البعث فقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا (فانا خلقناكم) أى فانظروا الى مبدا خلقتكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم أى خلقنا كل فرد منكم (من تراب) فى ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا (ثم من نطفة) أى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة أى من منى من النطف الذى هو الصب (ثم من علقة) أى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى (ثم من مضغة) أى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهى فى الاصل مقدار ما يمضغ (مخلقة) بالجر صفة مضغة أى مستبينة الخلق مصورة (وغير مخلقة) أى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شئ من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيأ فشيأ وكان مقتضى الترتيب السابق المبنى على التدرج من المبادى البعيدة الى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما أخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك وفى جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم (لنبين لكم) متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا أى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك مالا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التى من جملتها امر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجى تأملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بأن من قدر على خلق البشر أولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصريفه فى أطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو أهون فى القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى (ونقر فى الارحام ما نشاء) استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه فى سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادى التبيين أيضا لما أن دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التى من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أى ونحن نقر فى الارحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه ستة اشهر وأقصاه سنتان وقيل أربع سنين وفيه اشارة الى أن بعض ما فى الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما يجرى عليه أطوار الخلق وهذا صريح فى أن المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وأن ما فصل الى هنا هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته (ثم نخرجكم) أى من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى (طفلا) أى حال كونكم أطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس

المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى (ثم لتبلغوا أشدكم) علة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيأ فشيأ ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتميز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكايةً وغيبةً فهو حينئذ عطف على نبين منابهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما أن نبين شؤننا والثانية أن نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بأنه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار بأصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدى الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال والاشد من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وكأنها حين كانت شدة في غير شئ بنيت على لفظ الجمع (ومنكم من يتوفى) أى بعد بلوغ الاشد أو قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل أى يتوفاه الله تعالى (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفى على صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء لتعين الفاعل (لكيلا يعلم من بعد علم) أى علم كثير (شيأ) أى شيأ من الاشياء أو شيأ من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله أى ليعود الى ما كان عليه في أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى (وترى الارض هامدة) حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض أى ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا أنزلنا عليها الماء) أى المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت وازدادت وقرئ ربأت أى ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) أى صنف (بهيج) حسن رائق يسر ناظره (ذلك بأن الله هو الحق) كلام مستأنف جئ به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانسانى والنباتى لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى وأحكام شؤنه الذاتية والوصفية والفعلية وأن ما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادى صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل وأصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أحوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور أى ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الاشياء (وأنه يحيى الموتى) أى شأنه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما أحيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما تفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها الا باعتبار نفسها (وأنه على كل شئ قدير) أى مبالغ في القدرة والا لما أوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذى نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشأه الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به (وأن الساعة آتية) أى فيما سيأتى وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بأن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبنى على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى (لا ريب فيها) اما خبر ثان لان أو حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفى الريب عنها انها في ظهور أمرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها

قوله والاشد من الفاظ الجموع الخ هو أحد أقوال ذكرها في القاموس بقوله وحتى يبلغ أشده ويضم أوله أى قوته وهو ما بين ثمانى عشرة الى ثلاثين سنة واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما او جمع لا واحد له من لفظه أو واحده شدة بالكسر مع أن فعلة لا تجمع على أفعل أو شد ككلب واكلب أو شد كذئب وأذؤب وماهما بمسموعين بل قياس اه وقوله كالاسدة والقتود هكذا في اغلب النسخ ومقتضى التشبيه أن كلا منهما من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد مع أن الاسدة جمع سد بالفتح بمعنى العيب الا انه غير قياسى بل القياس سدود كما في القاموس وكذلك قتود فانه جمع قتد محركة ويكسر وهو خشب الرحل وقيل جميع اداته ويجمع أيضا على أقتاد وأقتد كما في شرح القاموس فلينظر ذلك وقوله وكأنها حين الخ في بعض النسخ وكأنها حيث الخ وأيا ما كان فالانسب قول البيضاوى كأنها شدة في الامور فان ذلك أوضح في توجيه بنائها على لفظ الجمع تأمل اه مصححه

مظنة أن يرتاب فى اتيانها حسبما مرّ فى مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلهما فى حيز السببية وكذا قوله عزوجل (وأن الله يبعث من فى القبور) لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث انّ كلا منهما سبب داع له عزوجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ماذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتأملوا فى ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدّقوا بما ينطق بهما من الوحى المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى مافعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من أحكام حقيته تعالى فى أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ماقبله من أحكام حقيته تعالى فى صفاته وكونها فى غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من فى القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كأنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد بالساعة والبعث فلا بدّ أن يفى بما وعد وأنت خبير بأنّ مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام فى ذلك بل انما هو فى سببيتهما لما مرّ من خلق الانسان واحياء الارض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى وأن الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا فى حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بأنّ الله هو الحق الآيتين (ومن الناس من يجادل فى الله) هو أبو جهل بن هشام حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هو من يتصدّى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما أن الاوّل من يقلدهم على أن الشيطان عبارة عن المضلّ المغوى على الاطلاق (بغير علم) متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل أى كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضرورىّ كما أن المراد بالهدى فى قوله تعالى (ولا هدى) هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادى الى المعرفة (ولا كتاب منير) وحى مظهر للحق أى يجادل فى شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعىّ كما فى قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس لهم به علم وأمّا ماقيل من أن المراد به المجادل الاوّل والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال أو وحى فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وأنّ وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغنى عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلىّ والسمعىّ (ثانى عطفه) حال أخرى من فاعل يجادل أى عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثنى العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين أى مانعا لتعطفه (ليضلّ عن سبيل الله) متعلق بيجادل فانّ غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بأنه اضلال والمراد به امّا الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم وامّا التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذى لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك (له فى الدنيا خزى) جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ماسلكه من الطريقة أى يثبت له فى الدنيا بسبب مافعله خزى وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى النار المحرقة (ذلك) أى ماذكر من العذاب الدنيوىّ والاخروىّ ومافيه من معنى البعد للايذان بكونه فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما قدمت يداك) أى بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى واسناده الى يديه لما أنّ الاكتساب عادة يكون بالايدى والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحلّ أن فى قوله عزوعلا (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى والامر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ماتقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مرّ تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلىّ مقرر لمضمون ماقبلها وأمّا ماقيل من أن محلّ أنّ هو الجرّ بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله فى سورة الانفال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) شروع فى بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين أى ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يتحرف الى طرف الجيش فان أحس بظفر قرّ والا فرّ (فان أصابه خير) أى دنيوىّ

من الصحة والسعة (اطمأن به) أي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف (وإن أصابته فتنة) أي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله (انقلب على وجهه) روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال أقلني فقال عليه السلام إن الإسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم (خسر الدنيا والآخرة) فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أو على أنه خبر مبتدأ محذوف (ذلك) أي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في غاية ما يكون (هو الخسران المبين) الواضح كونه خسرانا إذ لا خسران مثله (يدعو من دون الله) استئناف مبين لعظم الخسران أي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى (ما لا يضره) إذا لم يعبده (وما لا ينفعه) إن عبده أي جمادا ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما (ذلك) الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق والهدى مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا عن الطريق (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع إزاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب أيضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله تعالى (لبئس المولى ولبئس العشير) جواب لقسم مقدر وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جمادا وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه أي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلا لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز أن يكون يدعو الثاني إعادة للأول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده إثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام أي يعبد من ضره أقرب من نفعه وإيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به أيضا والجملة القسمية مستأنفة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وأن الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات إثر بيان غاية سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وأنهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) صفة لجنات فإن أريد بها الأشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض فلا بد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها وإن جعلت عبارة عن مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى (إن الله يفعل ما يريد) تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أي يفعل البتة كل ما يريده من الأفعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها إثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من أشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلا (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على أبلغ وجه وآكده وفيه إيجاز بارع واختصار رائع والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الأمور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد

معهود نقصارى أمره وعاقبة مكره أن يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه (فليمدد بسبب الى السماء) فليمدد حبلا الى سقف بيته (ثم ليقطع) أى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره كما أن المراد بالنظر فى قوله تعالى (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) تقدير النظر وتصويره أى فليصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو أقصى ما انتهت اليه قدرته فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز أن يراد فلينظر الآن أنه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره ويأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين أن لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته تعالى فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة ولا يرده مرزوقا (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة (أنزلناه) أى القرآن الكريم كله وقوله تعالى (آيات بينات) أى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما أشير اليه بذلك (وان الله يهدى) به ابتداء أو يثبت على الهدى او يزيد فيه (من يريد) هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف أى والامر أن الله يهدى من يريد هدايته (ان الذين آمنوا) أى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا (والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل أخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون بأن للعالم أصلين نورا وظلمة (والذين اشركوا) هم عبدة الاصنام وقوله تعالى (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى حيز الرفع على أنه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملتين بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد أى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق أفراد كل منهما وقوله تعالى (ان الله على كل شئ شهيد) تعليل لما قبله من الفصل أى عالم بكل شئ من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض) الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها أحوالهم وأفعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بأكمل أفعال المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى أقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم أيضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (وكثير من الناس) فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له

الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة وقد جوّز أن يكون من الناس خبراً له
أى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وأن يكون قوله تعالى (وكثير)
معطوفاً على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس
(حق عليه العذاب) أى بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا أى حق عليه العذاب حقا (ومن يهن الله)
بأن كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة
وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمى (ان الله يفعل ما يشاء) من الاشياء التى من جملتها الاكرام والاهانة
(هذان) تعيين لطرفى الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست
و بين البواقى وتحرير لمحله أى فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس (خصمان) أى
فريقان مختصمان وانما قيل (اختصموا فى ربهم) حملا على المعنى أى اختصموا فى شأنه عز وجل وقيل
فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه و بطلان
ما عليه صاحبه و بناء أقواله وأفعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل
تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن أحق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت (فالذين كفروا) تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) أى
قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) أى نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب
بلابسها (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله
عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة أو خبر ثان للموصول أو حال من ضمير لهم
(يصهر به) أى يذاب (ما فى بطونهم) من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد (والجلود) عطف
على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل أو للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام أن تأثيرها فى الباطن أقدم
من تأثيرها فى الظاهر مع أن ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم (ولهم) للكفرة أى لتعذيبهم
وأجلهم (مقامع من حديد) جمع مقمعة وهى آلة القمع (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى اشرفوا
على الخروج من النار ودنوا منه حسبما روى أنها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا
بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (من غم) أى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة
الجار والرابط محذوف كما أشير اليه أو مفعول له للخروج (أعيدوا فيها) أى فى قعرها بأن ردوا من اعاليها
الى أسافلها من غير أن يخرجوا منها (وذوقوا) على تقدير قول معطوف على أعيدوا أى وقيل لهم ذوقوا
(عذاب الحريق) أى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار) بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب
فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة
واظهارا لمزيد العناية بأمر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول
بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس أى يحليهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ
يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليتها ومن فى قوله تعالى (من اساور) اما للتبعيض أى بعض أساور
وهى جمع أسورة جمع سوار او للبيان لما أن ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلى المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول
محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون (من ذهب) بيان للاساور (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أو على
المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أى يؤتون وقرئ بالجر عطفا على أساور وقرئ لولوا
بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبهما واوا وليليا بقلبهما ياء (ولباسهم فيها حرير) غير الاسلوب حيث
لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل
بل للايذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غنى عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان أن
لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات
ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس (وهدوا الى الطيب من القول)

وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوّأ من الجنة الآية (وهدوا الى صراط الحميد) أى المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد يستدعى ذكر المحمود (انّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله) ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصدّ ولذلك حسن عطفه على الماضى كما فى قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا أى وهم يصدّون وخبر انّ محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فانّ من ألحد فى الحرم حيث عوقب بالعذاب الأليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصدّ عن سبيل الله بأشدّ من ذلك أحق وأولى (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى (الذى جعلناه للناس) أى كائنا من كان من غير فرق بين مكىّ وآفاقىّ (سواء العاكف فيه والباد) أى المقيم والطارئ وسواء أى مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادّين عنه وقرئ سواء بالرفع على أنه خبر مقدّم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجرّ على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كأنه قيل ومن يرد فيه مراداما (بالحاد) بعدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الاوّل باعادة الجارّ أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب أليم) جواب ان (واذ بوّأنا) يقال بوّأه منزلا أى أنزله فيه ولما لزمه جعل الثانى مباءة للاوّل قيل (لابراهيم مكان البيت) وعليه مبنى قول ابن عباس رضى الله عنهما جعلناه أى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مرّ بيانه غير مرّة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما فى أصل الاستعمال أى انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم روى أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرّات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت أيام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وقد أوردناما فى هذا الشأن من الاقاويل فى تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وأن فى قوله تعالى (أن لا تشرك بى شيأ) مفسرة لبوّأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لانّ التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهى وقد مرّ تحقيقه فى أوائل سورة هود أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيأ (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) أى وطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعلّ التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء (وأذن فى الناس) أى ناد فيهم وقرئ آذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله تعالى من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه تعالى أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فى حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية (يأتوك) جواب للامر (رجالا) أى مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) عطف على رجالا أى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله اوزاد هزاله (يأتين) صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على أنه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق واسع (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ (ليشهدوا) متعلق بيأتوك لا بأذن أى ليحضروا (منافع) عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام فى قوله تعالى (لهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع أى منافع كائنة لهم (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها

وفى جعله غاية للاتيان ايذان بأنه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه (فى أيام معلومات) هى أيام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر (فكلوا منها) التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بأنه أمر محقق غير محتاج الى التصريح به كما فى قوله تعالى فانفجرت أى فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم (وأطعموا البائس) أى الذى أصابه بؤس وشدة (الفقير) المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول أيضا (ثم ليقضوا تفثهم) أى ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذى به يتم التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) أى القديم فانه أول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكأين من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل وأما الحجاج الثقفى فانما قصد اخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه لا التسلط عليه (ذلك) أى الامر ذلك وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهى كلام واحد (ومن يعظم حرمات الله) أى أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام (فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ثوابا (عند ربه) أى فى الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من التشريف والاشعار بعلة الحكم (وأحلت لكم الانعام) وهى الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى (الا ما يتلى عليكم) أى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها العارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جئ به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم أن الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعى التعاطى لا من مبادى الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التى يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذى هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك (حنفاء لله) مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى (غير مشركين به) أى شيأ من الاشياء فيدخل فى ذلك الاوثان دخولا أوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا (ومن يشرك بالله) جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك (فكأنما خر من السماء) لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فان الاهواء المردية توزع أفكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وأصلهما تختطفه (او تهوى به الريح) أى تسقطه وتقذفه (فى مكان سحيق)

بعيدفان الشيطان قدطوّح به فى الضلالة وأوللتخيير كما فى أوكصيب أوللتنويع ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها بهلاك أحد الهالكين (ذلك) أى الامر ذلك أوامتثلوا ذلك (ومن يعظم شعائر الله) أى الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لمابعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجلّ القربات وأن يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى أنه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب وأن عمر رضى الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (فانها) اى فان تعظيمها (من تقوى القلوب) أى من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من أوفان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الاعضاء (لكم فيها) أى فى الهدايا (منافع) هى درّها ونسلها وصوفها وظهرها (الى أجل مسمى) هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه (ثم محلها) أى وجوب نحرها أووقت نحرها منتهية (الى البيت العتيق) أى الى مايليه من الحرم وثم للتراخى الزمانى اوالرتبى أى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظمها فى النفع محلها أى وجوب نحرها أووقت وجوب نحرها الى البيت العتيق أى منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب فى قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج ثم محلها أى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق أى منته اليه بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة (ولكل امة) أى لكل أهل دين (جعلنا منسكا) أى متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين أى موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أى لكل أمة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض (ليذكروا اسم الله) خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على أن المقصود الاصلى من المناسك تذكر المعبود (على مارزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الانعام والخطاب فى قوله تعالى (فالهكم اله واحد) للكل تغليبا والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها فان جعله تعالى لكل أمة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد فى ذاته كما أنه واحد فى الهيته للكل والفاء فى قوله تعالى (فله أسلموا) لترتيب مابعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر أى فاذا كان الهكم الها واحدا فأخلصوا له التقرب أوالذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولاتشوبوه بالشرك (وبشر المخبتين) تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب (والمقيمى الصلوة) فى أوقاتها وقرئ بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخيرات (والبدن) بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمع بدنة وقيل الاصل ضمّ الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة فى الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا فى الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره (جعلناها لكم) وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى (من شعائر الله) أى من أعلام دينه التى شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى (لكم فيها خير) أى منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لماقبلها (فاذكروا اسم الله عليها) بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) أى قائمات قد صففن أيديهنّ وأرجلهنّ وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لانّ البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ

صوافى

صوافى أى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما فى قوله لعلى أرى باق على الحدثان (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) أى الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده أنه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له فى السؤال (والمعترّ) أى المتعرض للسؤال وقرئ المعترى يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه (كذلك) مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف (سخرناها لكم) مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها (لعلكم تشكرون) لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) أى لن يبلغ مرضاته ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى الامتثال بأمره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهمّ به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى (لتكبروا الله) أى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح (على ما هداكم) أى ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أى على هدايته اياكم أو على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) أى المخلصين فى كل ما يأتون وما يذرون فى أمور دينهم (ان الله يدافع عن الذين امنوا) كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى أداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة أو للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما فى الممارسة أى يبالغ فى دفع غائلة المشركين وضررهم الذى من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى (ان الله لا يحب كل خوّان كفور) تعليل لما فى ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بأن دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية عن البغض أى ان الله يبغض كل خوّان فى أماناته تعالى وهى أوامره ونواهيه أو فى جميع الامانات التى هى معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر أو للمبالغة فى نفى المحبة على اعتبار النفى أولا وايراد معنى المبالغة ثانيا (أذن) أى رخص وقرئ على البناء للفاعل أى اذن الله تعالى (للذين يقاتلون) أى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبنى للفاعل أى يريدون أن يقاتلوا المشركين فيما سيأتى ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف أظهر (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجروا فأنزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بأن المراد به ليس مجرد تخليصهم من ايدى المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) فى حيز الجر على انه صفة للموصول الاول أو بيان له أو بدل منه أو فى محل النصب على المدح أو فى محل الرفع باضمار مبتدا والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة (بغير حق) متعلق بأخرجوا أى أخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى (الا أن يقولوا ربنا الله) بدل من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة

قوله حتى تأخذونها الخ الذى فى البيضاوى حتى تأخذوها الخ بحذف النون فى الافعال كلها الا ثم تطعنون ولعل ما هنا اوجه بجعل حتى تفريعية تأمل اه مصححه

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل الاستثناء منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل عصر وزمان وقرئ دفاع (لهدمت) لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف (صوامع) للرهابنة (وبيع) للنصارى (وصلوات) أى وكنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل أصلها صلوثا بالعبرية فعربت (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) أى ذكرا كثيرا أو وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل فى الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام (ولينصرن الله من ينصره) أى وبالله لينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله لقوى) على كل ما يريده من مراداته التى من جملتها نصرهم (عزيز) لا يمانعه شئ ولا يدافعه (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم فى الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على أبلغ وجه وألطفه وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا قالوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ فى ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رحمه الله هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره (ولله) خاصة (عاقبة الامور) فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار أوليائه واعلاء كلمته (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع فى الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أى وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم أنك لست بأوحدى فى ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح (وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين) أى رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد أو لان المراد نفس الفعل أى فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره (وكذب موسى) غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لالان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما أن ذلك انما يقتضى عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على أن بنى اسرائيل أيضا قد كذبوه مرة بعد أخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بأن تكذيبهم له كان فى غاية الشناعة لكون آياته فى كمال الوضوح وقوله تعالى (فأمليت للكافرين) أى امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبى موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا (ثم أخذتهم) أى أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بالاهلاك أى فكان ذلك فى غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى (فكأين من قرية) منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (أهلكناها) أى فأهلكنا كثيرا من القرى باهلاك أهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير أو مرفوع على الابتداء وأهلكناها خبره أى فكثير من القرى أهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (وهى ظالمة) جملة حالية من مفعول أهلكنا وقوله تعالى (فهى خاوية) عطف على أهلكناها لا على وهى ظالمة لانها حال والاهلاك ليس فى حال خوائها فهى على الاول لا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثانى فى محل الرفع لعطفه على الخبر

قوله والطلقاء هم اهل مكة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ملكهم يوم الفتح ثم اعتقهم اه من هامش

والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهى ساقطة حيطانها (على عروشها) أى سقوفها بأن
تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها
لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهى
خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فتكون على بمعنى مع ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر أى فهى خالية
وهى على عروشها أى قائمة مشرفة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان
قائمة فهى مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا
(وبئر معطلة) عطف على قرية أى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف
من اعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع البنيان او مجصص أخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى
خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف
على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما (أفلم يسيروا
فى الارض) حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم
حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام
أى أغفلوا فلم يسيروا فيها (فتكون لهم) بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار (قلوب
يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من الوحى أو من
أخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم أعرف منهم بحالهم (فانها لا تعمى الابصار) الضمير
للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه وقد أقيم الظاهر مقامه (ولكن تعمى القلوب التى
فى الصدور) أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى الغفلة وذكر
الصدور للتأكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يختص بالبصر
قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا فى الدنيا
أعمى أفأكون فى الآخرة أعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) كانوا منكرين لمجىء العذاب المتوعد به أشد
الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك
بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى (ولن يخلف الله وعده) اما جملة حالية جىء بها لبيان بطلان انكارهم
لمجيئه فى ضمن استعجالهم به واظهار خطئهم فيه كأنه قيل كيف ينكرون مجىء العذاب الموعود والحال
أنه تعالى لا يخلف وعده أبدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى
(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت
اعتراضية سيقت لبيان خطئهم فى الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار
غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على الاستعجال به
ولا يدرون أن معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة
الغيبة أى يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب فى القراءة المشهورة لهم أيضا بطريق الالتفات
لكن الظاهر أنه للرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل أمة
من موعد معين وأجل مسمى كما فى قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون
الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود
والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذى مر بيانه فلا يكون
فى النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذى دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم
ويكتفى فى رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل
اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها
مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوى وأن الزمان
الممتد هو الذى مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له ألا يرى الى قوله تعالى

(وكأين من قرية) الخ فانه كما سلف من قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم صريح فى أن المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد أى وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل (أمليت لها) كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء (وهى ظالمة) جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أى أمليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء (ثم أخذتها) بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى (والى المصير) اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن مآل أمر المستعجلين أيضا ما ذكر من الاخذ الوبيل أى الى حكمى مرجع الكل جميعا لا الى أحد غيرى لا استقلالا ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) انذركم انذارا بينا بما أوحى من أنباء الامم المهلكة من غير أن يكون لى دخل فى اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلونى به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير اليه من أن مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما ندر منهم من الذنوب (ورزق كريم) هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين) أى سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للاسلام يتم لهم وأصله من عاجزه وعجزه فأعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين أى مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة (أولئك) الموصوفون بما ذكر من السعى والمعاجزة (أصحاب الجحيم) أى ملازمو النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء أمته بهم فالنبى أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جماء غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام (الا اذا تمنى) أى هيأ فى نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان فى أمنيته) فى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) أى يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى شؤون الحق وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى واظهار الجلالة فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بأن الالوهية من موجبات أحكام آياته الباهرة (والله عليم) مبالغ فى العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا أو خطأ (حكيم) فى كل ما يفعل والاظهار ههنا أيضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلى قيل حدثت نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أول ليله * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبى عليه السلام وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله وفى الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقى الشيطان) علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك

قوله جماء غفيرا هو ابتداء كلام أى كانوا جماعة كثيرة اه زاده على البيضاوى

في حق

في حق النبي عليه السلام خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه المحق والمبطل (فتنة للذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية (والقاسية قلوبهم) أي المشركين (وان الظالمين) أي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة (لفي شقاق بعيد) أي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه) أي القرآن (الحق من ربك) أي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى (فيؤمنوا به) أي بالقرآن أي يثبتوا على الايمان به أو يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لا سيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له (وان الله لهادي الذين آمنوا) أي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر (الى صراط مستقيم) هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ولا يزال الذين كفروا في مرية) أي في شك وجدال (منه) أي من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس من هناتهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم (حتى تأتيهم الساعة) أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى (بغتة) أي فجأة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة أيضا كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لان المقاتلين أبناء الحرب فاذا اقتلوا صارت عقيما أي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم يلقح شجرا أو لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخرويين يقضي بأن المراد به يوم القيامة قضاء بينا لا ريب فيه (الملك) أي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق (يومئذ لله) وحده بلا شريك أصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في أمر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب أن يكون مدار الحكمها أعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في أن ايمانهم أو زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله تعالى (يحكم بينهم) جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى (فالذين آمنوا) الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له أي فالذين آمنوا بالقرآن

الكريم ولم يماروا فيه (وعملوا الصالحات) امتثالا بما أمروا في تضاعيفه (في جنات النعيم) أي مستقرون فيها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي اصروا على ذلك واستمروا (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد أي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم عذاب) جملة اسمية من مبتدا وخبره قدم عليه وقعت خبرا لاولئك أولهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بأن اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى (مهين) صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى (ثم قتلوا او ماتوا) أي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى (ليرزقنهم الله) جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى (رزقا حسنا) اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح أي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع أبدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروى أن بعض أصحاب النبي عليه السلام قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي أكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه (وان الله لعليم) بأحوالهم وأحوال معاديهم (حليم) لا يعاجلهم بالعقوبة (ذلك) خبر مبتدا محذوف أي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة أو لكونه سببا له (ثم بغي عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) على من بغى عليه لا محالة (ان الله لعفو غفور) أي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك أي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره أولى بذلك وتنبيها على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال أحد الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص عن الآخر او بتحصيل أحدهما في مكان الآخر لكونه أظهر المواد وأوضحها (وان الله سميع) بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب (بصير) بجميع المبصرات ومن جملتها أفعاله (ذلك) أي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الله هو الحق) الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وأفعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات أو الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا (وأن ما يدعون من دونه) الها وقرئ على البناء للمفعول على أن الواو لما فانه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين

(هو الباطل) أى المعدوم فى حد ذاته أو الباطل الوهيته (وان الله هو العلى) على جميع الاشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك لاشئ أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا (ألم تر أن الله انزل من السماء ماء) استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع فى قوله تعالى (فتصبح الارض مخضرة) بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد أثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار (ان الله لطيف) يصل لطفه أو علمه الى كل ما جل ودق (خبير) بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا (له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا وتصرفا (وان الله لهو الغنى) عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله (ألم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض) أى جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهى مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر (والفلك) عطف على ما او على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء (تجرى فى البحر بأمره) حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير (ويمسك السماء ان تقع على الارض) أى من أن تقع او كراهة أن تقع بأن خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) أى بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية فى الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية (وهو الذى احياكم) بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل فى مطلع السورة الكريمة (ثم يميتكم) عند مجىء آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (ان الانسان لكفور) أى لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفراده (لكل أمة) كلام مستأنف جىء به لزجر معاصريه عليه السلام من أهل الاديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم فى النظر أى لكل أمة معينة من الامم الخالية والباقية (جعلنا) أى وضعنا وعينا (منسكا) أى شريعة خاصة لا لامة أخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة أخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى (هم ناسكوه) صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أى تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا أمة أخرى فالامة التى كانت من مبعث موسى عليه السلام الى مبعث عيسى عليه السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبى عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر فى تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء فى قوله تعالى (فلا ينازعنك فى الامر) لترتيب النهى أو موجبه على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل أمة من الامم التى من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه فى أمر الدين زعما منهم أن شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهى اما على حقيقته أو كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المبنى على زعمهم المذكور وأما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة فى تثبيته وأياما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بأمر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعى أن يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التى جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب فى بطلانه عاقل (وادع) أى وادعهم أو وادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولا أوليا (الى ربك) الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم فى منسكهم وشريعتهم (انك لعلى هدى مستقيم) أى طريق موصل الى الحق سوى والمراد به اما الدين والشريعة أو أدلتها (وان جادلوك) بعد ظهور الحق بما ذكر من

التحقيق ولزوم الحجة عليهم (فقل) لهم على سبيل الوعيد (الله أعلم بما تعملون) من الاباطيل التى من جملتها المجادلة (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب والعقاب كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير أى قد علمت (ان الله يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ من الاشياء التى من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه (ان ذلك) أى ما فى السماء والارض (فى كتاب) هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) أى ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته فى اللوح أو الحكم بينكم (على الله يسير) فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شئ ولا يعسر عليه مقدور (ويعبدون من دون الله) حكاية لبعض أباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبنى من دليل سمعى أو عقلى واعراضهم عما ألقى عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد اعراض أى يعبدون متجاوزين عبادة الله (ما لم ينزل به) أى بجواز عبادته (سلطانا) أى حجة (وما ليس لهم به) أى بجواز عبادته (علم) من ضرورة العقل او استدلاله (وما للظالمين) أى الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذى يقضى ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول (من نصير) يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم او بدفع العذاب الذى يعتريهم بسبب ظلمهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى (بينات) أى حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذى يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل أخذوها تقليدا وهل جهالة أعظم وأطم من أن يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شئ ما أصلا بل يقضى ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير (قل) ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين (أفأنبئكم) أى أأخاطبكم فأخبركم (بشر من ذلكم) الذى فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم أو مما تبغونهم من الغوائل او مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم (النار) أى هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو او قيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استئنافا كالوجه الاول أو حالا من النار باضمار قد (وبئس المصير) النار (يا أيها الناس ضرب مثل) أى بين لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلا وتسير فى الامصار والاعصار أو جعل لله مثل أى مثل فى استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للاصنام (فاستمعوا له) أى للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر أو فاستمعوا لاجله ما أقول فقوله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثل الله سبحانه فى استحقاق العبادة على الثانى وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف (لن يخلقوا ذبابا) أى لن يقدروا على خلقه أبدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه (ولو اجتمعوا له) أى لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما فى موضع الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال (وان يسلبهم الذباب شيأ) بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أى ان يأخذ الذباب منهم شيأ (لا يستنقذوه منه) مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هى أعجز الاشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الاحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها

بالطيب

بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) أى عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الاشياء عنه مناسبة (انّ الله لقوىّ) على خلق الممكنات بأسرها وافناء الموجودات عن آخرها (عزيز) غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن أقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحى (ومن الناس) وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى أن يشاركه فيها شئ من الاشياء بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو أعلى الدرجات وأقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل (انّ الله سميع بصير) عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور) لا الى أحد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى فى صلواتكم أمرهم بهما لما أنهم ما كانوا يفعلونهما أول الاسلام أو صلوا عبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم اركانها أو اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو خير وأصلح فى كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعى رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها (وجاهدوا فى الله) أى لله تعالى ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أو لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله (هو اجتباكم) أى هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو اليه (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه أو الى الرخصة فى اغفال بعض ما أمرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم فى المضايق وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد (ملة أبيكم ابراهيم) نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف أى وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة أو لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه الصلاة والسلام فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) أى فى القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده أنه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين فى القرآن وان لم تكن منه عليه الصلاة والسلام كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم المسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة)

قوله وهو أى الاصطفاء كما فى الشهاب اه

أى فتقربوا الى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما (واعتصموا بالله) أى ثقوا به فى مجامع أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه (هو مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

## * (سورة المؤمنون مكية وهى عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مائة وثمانى عشرة آية) *

### * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قد أفلح المؤمنون) الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء فى الخير والافلاح الدخول فى ذلك كالابشار الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجىء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه ان أريد بالافلاح حقيقة الدخول فى الفلاح الذى لا يتحقق الا فى الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان أريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرئ أفلحوا على الابهام والتفسير أو على اكلونى البراغيث وقرئ أفلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال ولو ان الاطبا كان حولى والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وأما الآتون بفروعه أيضا كما ينبئ عنه اضافة الصلاة اليهم فهى صفات موضحة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا أو تفصيلا كما مر فى أوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل أى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) أى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال (معرضون) أى فى عامة أوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا أوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى أمور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم أن لا يكون فى اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو أبلغ من أن يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون فى عرض غير عرضه (والذين هم للزكوة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع فى الصلاة والزكاة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز أن يراد بها العين على تقدير المضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) ممسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى (الا على أزواجهم) من نفى الارسال الذى ينبئ عنه الحفظ أى لا يرسلونها على أحد الا على أزواجهم وفيه ايذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز أن تكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما فى قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس أى حافظون لها من كل أحد الا من أزواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون أى حافظون لها فى جميع الاحوال الا حال كونهم والين أو قوامين على أزواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين

وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف (أو ما ملكت أيمانهم) أى سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء اولانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى (فانهم غير ملومين) تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن أى فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن (فمن ابتغى وراء ذلك) الذى ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الاماء (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب أن لا تحل له أما أنها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم فوجب أن لا تحل لقوله تعالى الا على أزواجهم لان لهم أن يقولوا انها زوجة له فى الجملة وأما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها وأما ما قيل من أنه ان أريد لو كانت زوجة حال الحياة لم يفد وان أريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق (راعون) أى قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم (والذين هم على صلواتهم) المفروضة عليهم (يحافظون) يواظبون عليها ويؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بأن كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا فى الذكر ربما توهم أن مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة (أولئك) اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم فى الفضل والشرف أى أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (هم الوارثون) أى الاحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها) أى فى الفردوس والتأنيث لانه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روى أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان (خالدون) لا يخرجون منها أبدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها (ولقد خلقنا الانسان) شروع فى بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه فى أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض أفراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس أى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما تحققته فى سورة الحج وغيرها وأما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وأطوار فبعيد (من سلالة) السلالة ما سل من الشئ واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن فى قوله تعالى (من طين) بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن تتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلولة فهى ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق (ثم جعلناه) أى الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان أريد بالانسان آدم عليه السلام (نطفة) بأن خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء (فى قرار) أى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر مبالغة وقوله تعالى (مكين) وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها فانها امكنت بحيث هى وأحرزت

(ثم خلقنا النطفة علقة) أى دما جامدا بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) أى قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها (فخلقنا المضغة) أى غالبها ومعظمها او كلها (عظاما) بأن صلبناها وجعلناها عمود البدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة (فكسونا العظام) المعهودة (لحما) من بقية المضغة او مما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها أى كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثانى فحسب (ثم أنشأناه خلقا آخر) هى صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بأن ما ذكر من الافاعيل العجيبة من أحكام الالوهية وللايذان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظه أن يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى (أحسن الخالقين) بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على أن الاضافة ليست لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف أى هو أحسن الخالقين خلقا أى المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه أى أحسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال أى جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فلما انتهى عليه الصلاة والسلام الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه الصلاة والسلام فقال اكتبه هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فأنا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربى فى أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لهن أو ليبدله الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن أبى سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح فى اعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر السور على أن اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما تعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله (ثم انكم بعد ذلك) أى بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما فى اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية (لميتون) لصائرون الى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى تفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون (ثم انكم يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم) بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم أى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم (سبع طرائق) هى السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لانها طرائق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها أو عن الناس (غافلين) مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما فى الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء) هو المطر أو الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بأنزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر

مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو (بقدر) بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بمقدار ماعلمنا من حاجاتهم ومصالحهم (فاسكناه فى الارض) أى جعلناه ثابتا قارا فيها (وانا على ذهاب به) أى ازالته بالافساد أو التصعيد أو التغوير بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) أى بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) من الجنات (تأكلون) تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يعود الضميران للنخيل والاعناب أى لكم فى ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ماقبله أى ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى (تخرج من طور سيناء) وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لافعلاء بألف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء اذ لا فعلال فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلى لها وقوله تعالى (تنبت بالدهن) صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها أى تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية أى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما فى قول زهير

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفى الشئ على الآخر أى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ (وان لكم فى الانعام لعبرة) بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لابد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبرة فيه أظهر مما فى النبات وقوله تعالى (نسقيكم مما فى بطونها) تفصيل لما فيها من مواقع العبرة ومافى بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء أى تسقيكم الانعام (ولكم فيها منافع كثيرة) غير ماذكر من أصوافها واشعارها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدى زمامها فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن (وعلى الفلك تحملون) أى فى البر والبحر وفى الجمع بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها للحمل وهو الداعى الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) شروع فى بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد

قوله وتثمر أى وقرئ تثمر الخ وقد أسقط قراءته موجودة فى البيضاوى وهى على ما بأيدينا من النسخ وهى تخرج الدهن فليراجع اه مصححه

من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذير للمخاطبين
وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفى ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك
تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به
لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها أى وبالله لقد أرسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم
قدمر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود (فقال) متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق (يا قوم اعبدوا الله)
أى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود أن لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بأنها هى
العبادة فقط وأما العبادة بالاشراك فليست من العبادة فى شئ رأسا وقوله تعالى (ما لكم من اله غيره)
استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها أو تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع
على أنه فاعل أو مبتدأ خبره لكم أو محذوف ولكم للتخصيص والتبيين أى ما لكم فى الوجود أو فى العالم اله غيره
تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه (أفلا تتقون) أى أفلا تقون أنفسكم عذابه الذى يستوجبه ما أنتم عليه
من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم أليم
وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم
نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى
أتعرفون ذلك أى مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة
ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق
ما يوجبه أو ألا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ فى الكمية وفى الاول فى الكيفية
(فقال الملأ) أى الاشراف (الذين كفروا من قومه) وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان
بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه أى قالوا لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) أى فى الجنس
والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب
النبوة (يريد أن يتفضل عليكم) أى يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم
وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه السلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى
(ولو شاء الله لانزل ملائكة) بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه
السلام أى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة
لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما فى قوله تعالى
ولو شاء لهداكم ونظائره (ما سمعنا بهذا) أى بمثل هذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله خاصة وترك
عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى دعوى النبوة (فى آبائنا الاولين) أى الماضين قبل بعثته
عليه السلام قالوه اما لكونهم وآباؤهم فى فترة متطاولة واما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم
فى الغى والفساد وأيا ما كان فقولهم هذا ينبغى أن يكون هو الصادر عنهم فى مبادى دعوته عليه السلام كما تنبئ
عنه الفاء فى قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام أنه نبى فالمراد بآبائهم الاولين الذين
مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى أواخر أمره عليه السلام وهو
المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم (ان هو) أى ما هو (الا رجل به جنة) أى جنون
أو جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول (فتربصوا به) أى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا (حتى حين) لعله
يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامى أحوالهم فى المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من
البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم
قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله أنى يؤفكون (قال) استئناف مبنى على سؤال
نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم
قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا فى الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد أوحى الله
اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب انصرنى) باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم اياى أو بدل تكذيبهم

(فاوحينا اليه) عندذلك (أن اصنع الفلك) أن مفسرة لما فى الوحى من معنى القول (بأعيننا) ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤنه بأعينهم من التعدى أو من الزيغ فى الصنعة (ووحينا) وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى (فاذا جاء أمرنا) لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما فى قوله تعالى لاعاصم اليوم من أمر الله لا الامر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقترابه أو ابتداء ظهوره أى اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى (وفار التنور) عطف بيان لمجىء الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة أى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد مر تفصيله فى تفسير سورة هود عليه السلام (فاسلك فيها) أى ادخل فيها يقال سلك فيه أى دخل فيه وسلكه فيه أى أدخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم فى سقر (من كل) أى من كل أمة (زوجين) أى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى (اثنين) فانه نص فى الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على أن المفعول اثنين أى من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح فى أن الامر كان قبل صنعة الفلك وفى سورة هود حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه أن يحمل اما على أنه حكاية لامر آخر تنجيزى ورد عند فوران التنور الذى نيط به الامر التعليقى اعتناء بشأن المامور به أو على أن ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر التعليقى قبل تحقق المعلق به فى حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكى على صورة التنجيز وقد مر فى تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (وأهلك) منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى أى واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما أمر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من أهله وأتباعه وأما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدى الى الاخلال بتجاوب أطراف النظم الكريم (الا من سبق عليه القول منهم) أى القول باهلاك الكفرة وانما جىء بعلى لكون السابق ضارا كما جىء باللام فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لانجائهم (انهم مغرقون) تعليل للنهى اولما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء أى انهم مقضى عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك) أى من اهلك وأشياعك (على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب انزلنى) فى السفينة أو منها (منزلا مباركا) أى انزالا أو موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا أى موضع نزول (وأنت خير المنزلين) أمر عليه السلام بأن يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بأن فى دعائه وثنائه مندوحة عما عداه (ان فى ذلك) الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه (لآيات) جليلة يستدل بها أولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار (وان كنا لمبتلين) ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف أى وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) هم عاد حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود (فأرسلنا فيهم) جعلوا موضعا للارسال كما فى قوله تعالى كذلك أرسلناك فى أمة ونحوه لا غاية له كما فى مثل قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بأن من أرسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبئ عنه

قوله تعالى (رسولا منهم) أى من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وأن فى قوله تعالى (أن اعبدوا الله) مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى (مالكم من اله غيره) تعليل للعبادة المأمور بها أو للامر بها أو لوجوب الامتثال به (أفلا تتقون) أى عذابه الذى يستدعيه ما أنتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف كالذى مرّ فى قصة نوح عليه السلام (وقال الملأ من قومه) حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على أن المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ماجرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبنى على السؤال كما ينبئ عنه ماسيأتى من حكاية سائر الامم أى وقال الاشراف من قومه (الذين كفروا) فى محل الرفع على أنه صفة للملا وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوّهم فى الكفر وتأخيره عن من قومه لعطف قوله تعالى (وكذبوا بلقاء الآخرة) وماعطف عليه على الصلة الاولى أى كذبوا بلقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (وأترفناهم) ونعمناهم (فى الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد أى قالوا لاعقابهم مضلين لهم (ماهذا الا بشر مثلكم) أى فى الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين أمره عليه السلام وتوهينه (يأكل مماتأكلون منه ويشرب مماتشربون) تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه (ولئن اطعتم بشرا مثلكم) أى فيما ذكر من الاحوال والصفات أى ان امتثلتم بأوامره (انكم اذا) أى على تقدير الاتباع (لخاسرون) عقولكم ومغبونون فى آرائكم حيث اذللتم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التى لا خسران وراءها قاتلهم الله أنى يؤفكون واذا واقع بين اسم انّ وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة أى وبالله لئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون (أيعدكم) استئناف مسوق لتقرير ماقبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع مايدعوهم الى الايمان به واستبعاده (انكم اذا متم) بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت (وكنتم ترابا وعظاما) نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب أى كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية أو كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى (انكم) تأكيد للاوّل لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى (مخرجون) أى من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الخ (هيهات هيهات) تكرير لتأكيد البعد أى بعد الوقوع أو الصحة (لما توعدون) وقيل اللام لبيان المستبعد ماهو كما فى هيت لك كأنهم لما صوّتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوّنا للتنكير وبالضم منوّنا على انه جمع هيهة وغير منوّن تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء (ان هى الاحياتنا الدنيا) أصله ان الحياة الاحياتنا فأقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تحمل ماحملت وهى العرب تقول ماشاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى (نموت ونحيى) جملة مفسرة لما ادّعوه من أن الحياة هى الحياة الدنيا أى يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) أى ماهو (الارجل افترى على الله كذبا) فيما يدّعيه من ارساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا (ومانحن له بمؤمنين) بمصدّقين فيما يقوله (قال) أى هود عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد ماسلك فى دعوتهم كل مسلك متضرّعا الى الله عزوجل (رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم اياى

قوله خبرية أى موصولة اهـ

واصرارهم

واصرارهم عليه (قال) تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول (عما قليل) أى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت فى قوله تعالى فبما رحمة من الله أو نكرة موصوفة أى عن شئ قليل (ليصبحن نادمين) على مافعلوه من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب (فأخذتهم الصيحة) لعلهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا فى تضاعيفها بصيحة هائلة أيضا وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء ارم سار اليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هى العذاب المصطلم قال قائلهم

صاح الزمان بآل برمك صيحة * خروا لشدتها على الاذقان

(بالحق) متعلق بالاخذ أى بالامر الثابت الذى لا دافع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) أى كغثاء السيل وهو حميله (فبعدا للقوم الظالمين) اخبار أو دعاء وبعدا من المصادر التى لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا أى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل (ثم انشأنا من بعدهم) أى بعد هلاكهم (قرونا آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) أى ما تتقدم أمة من الامم المهلكة الوقت الذى عين لهلاكهم أى ما تهلك أمة قبل مجئ أجلها (وما يستأخرون) ذلك الاجل بساعة وقوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا) عطف على أنشأنا لكن لا على معنى أن ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى أن ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد أرسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم أجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالى (تترى) أى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما فى تولج ويتقوا والالف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) استئناف مبين لمجئ كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجئ اما التبليغ واما حقيقة المجئ للايذان بأنهم كذبوه فى أول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمته الخاصة به لا أن كلهم جاؤا كل الامم والاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجئ بالمرسل اليهم (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا فى مباشرة أسبابه التى هى الكفر والتكذيب وسائر المعاصى (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهى ما يتعجب منه أى جعلناهم أحاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا (فبعدا لقوم لا يؤمنون) اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا وأما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد فى الكفر والعدوان وصفوا بالظلم (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) هى الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هى الآيات التى كذبوها واستكبروا عنها (وسلطان مبين) أى حجة واضحة ملزمة للخصم وهى اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها فى الآيات لما أنها أم آياته عليه الصلاة والسلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل فى تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد فى غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها العنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتى (الى فرعون وملائه) أى أشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بنى اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم (فاستكبروا) عن الانقياد وتمردوا (وكانوا قوما عالين) متكبرين متمردين (فقالوا) عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أى كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد

قوله من اليد الخ هكذا فى النسخ التى بأيدينا لم يذكر منها الاثمانية وتقدم فى الاسراء أنه عدها تسعة حيث قال عند قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وهى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات اهـ فليحرر

أى قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة (أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما فى قوله تعالى فاما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤن الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها فى مراقى الكمال ومهاوى النقصان بحيث يكون بعضها فى أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها فى أسفل سافلين كأولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم أضل سبيلا (وقومهما) يعنون بنى اسرائيل (لنا عابدون) أى خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهما الصلاة والسلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام فى لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم فى نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق فى حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا (فكذبوهما) أى فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا استكبارا (فكانوا من المهلكين) بالغرق فى بحر قلزم (ولقد آتينا) أى بعد اهلاكهم وانجاء بنى اسرائيل من ملكتهم (موسى الكتاب) أى التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه الصلاة والسلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كأنهم أوتوها فقيل (لعلهم يهتدون) أى الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كما فى قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم أى من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور أن التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبنى اسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى فمما لا سبيل اليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتى فى سورة القصص (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وأية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم فى المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه الصلاة والسلام ابنها وكونها أمه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه الصلاة والسلام اليها مع أن النسب الى الآباء دالة على أن لا أب له أى جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمه التى ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه الصلاة والسلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه فى قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ (وآويناهما الى ربوة) أى أرض مرتفعة قيل هى ايلياء أرض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض وأقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما روى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربا وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم (ذات قرار) مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها (ومعين) أى وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى وأصله الابعاد فى المشى أو من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا أدركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقى ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول فى عصره جئ بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وأمه الى الربوة ايذانا بأن ترتيب مبادى النعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع

قديم

قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أى وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات مالا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وأمه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والكلبى رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب فى مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل فى حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه (واعملوا صالحا) أى عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (انى بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والباطنة (عليم) فأجازيكم عليه (وان هذه) استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الاسلام والتوحيد مما أمر به كافة الرسل عليهم السلام والامم وانما أشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها فى الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة (امتكم) أى ملتكم وشريعتكم أيها الرسل (أمة واحدة) أى ملة وشريعة متحدة فى أصول الشرائع التى لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة (وأنا ربكم) من غير أن يكون لى شريك فى الربوبية وضمير المخاطب فيه وفى قوله تعالى (فاتقون) أى فى شق العصا والمخالفة بالاخلال بموجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بى للرسل والامم جميعا على أن الامر فى حق الرسل للتهييج والالهاب وفى حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر أو وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام أى ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أى ان تتقوا فاتقون كما مر فى قوله تعالى واياى فارهبون وقيل على العطف على ما أى انى عليم بأن أمتكم أمة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه أى واعلموا أن هذه أمتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان (فتقطعوا أمرهم) حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أو لها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم أى تقطعوا أمر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة وأديانا مختلفة (بينهم زبرا) أى قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا أو مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير المضاف أى مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من أولئك المتحزبين (بما لديهم) من الدين الذى اختاروه (فرحون) معجبون معتقدون أنه الحق (فذرهم فى غمرتهم) شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم أى اتركهم على حالهم (حتى حين) هو حين قتلهم او موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وفى التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل (أيحسبون انما نمدهم به) أى نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى (من مال وبنين) بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه قد مر وجهه فى سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تعالى (نسارع لهم فى الخيرات) على حذف الراجع الى الاسم أى أيحسبون أن الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على أن الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى (بل لا يشعرون) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ أصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما

ضمير الممدّ به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول (انّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون) استئناف مسوق لبيان من له المسارعة فى الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب أى من خوف عذابه حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لايشركون) شركا جليا ولا خفيا ولذلك أخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية فى المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وأيّاما كان فصيغة الماضى فى الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الاولى للدلالة على الاستمرار (وقلوبهم وجلة) حال من فاعل يؤتون أو يأتون أى يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال أن قلوبهم خائفة أشدّ الخوف (انهم الى ربهم راجعون) أى من أن رجوعهم اليه عزوجل على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرّد رجوعهم اليه تعالى وقيل لانّ مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل انّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها (أولئك) اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم (يسارعون فى الخيرات) أى فى نيل الخيرات التى من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما فى قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين فقد أثبت لهم ما نفى عن أضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل أولئك نسارع لهم فى الخيرات بل أسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم وايثار كلمة فى على كلمة الى للايذان بأنهم متقلبون فى فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية (وهم لها سابقون) أى اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما فى قوله تعالى هم لها عاملون أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون فى الطاعات والعبادات أشدّ الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق أو لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى (ولا نكلف نفسا الا وسعها) جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدّى الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حدّ الوسع والطاقة أى عادتنا جارية على أن لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى وسعها على أن المراد استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى الاستمرار كما مرّ مرارا أو للترخيص فيما هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين ببيان أنه تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصلّ قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى (ولدينا كتاب) الخ تتمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الاعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ينطق بالحق) كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أى عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد على ما هى عليه أو أعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا أنه أثبت فيه أعمال الاولين وأهمل أعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم أيضا وقوله بالحق متعلق بينطق أى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويرتب عليها أجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال أى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوّز أن يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال

أى لايظلمون بتكليف ماليس فى وسعهم ولابعدم كتب بعض أعمالهم التى من جملتها أعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عماذكر من الامور بالظلم مع أن شيأ منها ليس بظلم على ماتقرر من أن الاعمال الصالحة لاتوجب أصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى تعد الاثابة بمادونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لاتوجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بمافوقها زيادة وكذا تكليف مافى الوسع وكتب الاعمال ليسا ممايجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة مايستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى (بل قلوبهم فى غمرة من هذا) اضراب عماقبله والضمير للكفرة لاللكل كماقبله أى بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لهامن هذا الذى بين فى القرآن من أن لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها كاينبئ عنه ماسيأتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم الخ وقيل عماعليه أولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة (ولهم أعمال) سيئة كثيرة (من دون ذلك) الذى ذكر من كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مماذكر وهى فنون كفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ماسيأتى من طعنهم فى القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لامزية فى وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطى للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عماهم عليه من الشرك ولايخفى بعده لعدم جريان ذكره (هم لها عاملون) مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لايكادون يبرحونها (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى متنعميهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بماذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ لمابعدها من مضمون الشرطية أى لايزالون يعملون أعمالهم الى حيث اذا أخذنا رؤساءهم (بالعذاب) قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذى أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق أنه العذاب الاخروى اذ هو الذى يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ماجرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما وأما عذاب الجوع فان أباسفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روى أنه عليه الصلاة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك (اذا هم يجأرون) أى فاجؤا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بماذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا مالقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأقدم (لاتجأروا اليوم) على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عماعلقوا به أطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خبير بأن المقصود الاصلى فى الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدى ذلك الى أن يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود أصلى وقوله تعالى (انكم منا لاتنصرون) تعليل للنهى عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه أى لايلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم ممادهمكم وقيل لاتغاثون ولاتمنعون منا ولايساعده سباق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولاسياقه فان قوله تعالى (قد كانت آياتى تتلى عليكم) الخ صريح فى أنه تعليل لماذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفى متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله او بعزة الله تعالى وقوته أى قد كانت آياتى تتلى عليكم فى الدنيا (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى تعرضون عن سماعها أشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) أى بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم

بأنهم خدامه وقوامه أو بكآبى الذى عبر عنه بآياتى على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو لان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز أن تتعلق الباء بقوله تعالى (سامرا) أى سمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر فى الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وأن تتعلق بقوله تعالى (تهجرون) من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك أى تهذون فى شأن القرآن او تتركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهجر فى منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى (أفلم يدبروا القول) الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا فى شأنه من القبائح وأم فى قوله تعالى (ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع أى بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى أن مجىء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكاره وأن مجىء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الاولين كاسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحرث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله وأطاعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع أيضا أى بل ألم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام (فهم له منكرون) أى جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبنى بطلان ما بنى عليه أى فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله (أم يقولون به جنة) انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى أى بل أيقولون به جنة أى جنون مع أنه أرجح الناس عقلا وأثقبهم ذهنا وأتقنهم رأيا وأوفرهم رزانة ولقد روعى فى هذه التوبيخات الاربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقى من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا أولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشئ لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام من عدم معرفتهم به عليه الصلاة والسلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه الصلاة والسلام ذلك لقدح فى رسالته عليه الصلاة والسلام (بل جاءهم بالحق) اضراب عما يدل عليه ما سبق أى ليس الامر كما زعموا فى حق القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق أى الصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه (واكثرهم للحق) من حيث هو حق أى حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع الاضمار (كارهون) لما فى جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافى كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهته الحق وأنت خبير بأن التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام أصلا (ولو اتبع الحق اهواءهم) استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التى ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة أى لو كان ما كرهوه من الحق الذى من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لاهوائهم الباطلة (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه

مالا يخفى وأما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه السلام أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه أنه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام وأما ما قيل لو اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الالهية فمما لا احتمال له أصلا (بل أتيناهم بذكرهم) انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك أي بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل اقبال (فهم) بما فعلوه من النكوص (عن ذكرهم) أي فخرهم وشرفهم خاصة (معرضون) لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفي اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه الصلاة والسلام تنويه لشأن النبي عليه الصلاة والسلام وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عزوجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه وأما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وأيد ذلك بأنه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين أشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن شرفهم أو عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة (أم تسألهم) انتقال من توبيخهم بما ذكر من قوله أم يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل أم يزعمون أنك تسألهم على اداء الرسالة (خرجا) أي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى (فخراج ربك خير) أي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار أي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج أخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد ألزمهم الله عزوعلا وأزاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر أقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله (عن الصراط) أي عن جنس الصراط (لناكبون) لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم أو عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول أدل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قحط وجدب (للجوا) لتمادوا (في طغيانهم) افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (يعمهون) أي عامهين عن الهدى روي انه لما أسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله تعالى بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما أصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب) استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر

من القتل والاسر وما أصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أخذناهم بالعذاب (فما استكانوا لربهم) بذلك أي لم يخضعوا ولم يتذللوا على أنه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى (وما يتضرعون) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد (اذا هم فيه مبلسون) أي متحيرون آيسون من كل خير أي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما رؤى منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شئ وانما هو نوع خنوع الى أن يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا واكثرهم مستمرون على ذلك الى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه أشد وأعم من القتل والاسر والمعنى أخذناهم أولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أطم وأتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء لذا أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول (وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار) لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية (والافئدة) لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لائقا (قليلا ما تشكرون) أي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما أن العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في أنفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وأنتم تخلون بذلك اخلالا عظيما (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل (واليه تحشرون) أي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه (وهو الذي يحيي ويميت) من غير أن يشاركه في ذلك شئ من الاشياء (وله) خاصة (اختلاف الليل والنهار) أي هو المؤثر في اختلافهما أي تعاقبهما أو اختلافهما ازديادا وانتقاصا أو لامره وقضائه اختلافهما (أفلا تعقلون) أي ألا تتفكرون فلا تعقلون أو أتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على أن الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك (بل قالوا) عطف على مضمر يقتضيه المقام أي فلم يعقلوا بل قالوا (مثل ما قال الاولون) أي آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أي البعث (من قبل) متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم أي ووعد آباؤنا من قبل أو بمحذوف وقع حالا من آباؤنا أي كائنين من قبل (ان هذا) أي ما هذا (الا أساطير الاولين) أي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كأحدوثة وأعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر (قل لمن الارض ومن فيها) من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم (ان كنتم تعلمون) جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أي ان كنتم تعلمون شيأ ما فأخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى أو ان كنتم تعلمون ذلك فأخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجوابهم قبل أن يجيبوا حيث قيل (سيقولون لله) لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بأنه تعالى خالقها (قل) أي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم (أفلا تذكرون) أي أتعلمون ذلك أو أتقولون ذلك فلا تتذكرون أن من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس بأهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) أعيد الرب تنويها بشأن العرش ورفعا لمحله عن أن يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى (سيقولون لله) باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال (قل) الحاما لهم وتوبيخا (أفلا تتقون) أي أتعلمون ذلك ولا تتقون أنفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية (قل من بيده ملكوت كل شئ) مما ذكر

ومالم يذكر أى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه (وهو يجير) أى يغيث غيره اذا شاء (ولا يجار عليه) أى ولا يغيث أحد عليه أى لا يمنع أحد منه بالنصر عليه (ان كنتم تعلمون) أى شيأ ما أو ذلك فأجيبونى على ما سبق (سيقولون لله) أى لله ملكوت كل شئ وهو الذى يجير ولا يجار عليه (قل فانى تسحرون) أى فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما أنتم عليه من الغىّ فان من لا يكون مسحورا مختلّ العقل لا يكون كذلك (بل أتيناهم بالحق) الذى لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث (وانهم لكاذبون) فيما قالوا من الشرك وانكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوّا كبيرا (وما كان معه من اله) يشاركه فى الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم (اذن لذهب كل اله بما خلق) جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أى لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجارى فيما بين الملوك (ولعلا بعضهم على بعض) فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات (سبحان الله عما يصفون) أى يصفونه من أن يكون له أنداد وأولاد (عالم الغيب والشهادة) بالجرّ على أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وأيّاما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم فى تفرّده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى (فتعالى عما يشركون) فان تفرّده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك (قل ربّ اما ترينى) أى ان كان لابدّ من أن ترينى (ما يوعدون) من العذاب الدنيوىّ المستأصل وأما العذاب الاخروىّ فلا يناسبه المقام (ربّ فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به وردّ لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل أمر به عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه وقيل لانّ شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة وروى انه تعالى أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بأن له فى أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال (وانا على ان نريك مانعدهم) من العذاب (لقادرون) ولكنا نؤخره لعلمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لانا لا نعذبهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم يوم بدر أو فتح مكة ولا يخفى بعده فانّ المتبادر أن يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه عليه الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن لا بحيث يؤدّى الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجارّ والمجرور على المفعول فى الموضعين للاهتمام (نحن أعلم بما يصفون) أى بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف ما أنت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض أمره اليه تعالى (وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين) أى وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التى من جملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصى بهمز الرائض الدوابّ على الاسراع او الوثب والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه (وأعوذ بك ربّ أن يحضرون) أمر عليه السلام بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة فى التحذير من ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال فى الاستدعاء أى أعوذ بك من أن يحضرونى ويحوموا حولى فى حال من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وحال حلول الاجل كما روى عن عكرمة رحمه الله لانها أحرى الاحوال بالاستعاذة منها (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى هى التى يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من

الشياطين أن يزلوه عليه الصلاة والسلام عن الحلم و يغروه على الانتقام لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون فى غاية البعد لفظا ومعنى أى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم أى أحدكان الموت الذى لامرد له وظهرت له أحوال الآخرة (قال) تحسرا على مافرط فيه من الايمان والطاعة (رب ارجعون) أى ردنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا نبك ونظائره (لعلى اعمل صالحا فيما تركت) أى فى الايمان الذى تركته لم ينظمه فى سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بأن يقول لعلى أومن فأعمل الخ للاشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع أى لعلى أعمل فى الايمان الذى آتى به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال أو من الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعونى (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها (انها) أى قوله رب ارجعون الخ (كلمة هو قائلها) لامحالة لتسلط الحسرة عليه (ومن ورائهم) أى أمامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم كلهم كما أن الافراد فى الضمائر الاول باعتبار اللفظ (برزخ) حائل بينهم و بين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لارجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الاخروية (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ فى الاجساد أرواحها على أن الصور جمع الصورة لا القرن و يؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه اولا أنساب يفتخرون بها (يومئذ) كما هى بينهم اليوم (ولا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) موزونات حسناته من العقائد والاعمال أى فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب (ومن خفت موازينه) اى ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ماله وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد مر تفصيل ما فى هذا المقام من الكلام فى تفسير سورة الاعراف (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة فى الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن افراد الضميرين فى الصلتين باعتبار لفظه (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لاولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها أشرف الاعضاء فبيان حالها أزجر عن المعاصى المؤدية الى النار وهو السر فى تقديمها على الفاعل (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على اضمار القول أى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب ألم تكن آياتى تتلى عليكم فى الدنيا (فكنتم بها تكذبون) حينئذ (قالوا ربنا غلبت علينا) أى ملكتنا (شقوتنا) التى اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى أنفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا أيضا بالفتح والكسر (وكنا) بسبب ذلك (قوما ضالين) عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم وأما ما قيل من أنه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع أنه باطل فى نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أى أخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصى فانا متجاوزون الحد فى الظلم ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح فى أنهم حينئذ على

الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما (قال اخسؤا فيها) أى اسكتوا فى النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ أى انزجر (ولا تكلمون) أى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون فى رفع العذاب ويرده التعليل الآتى وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى (انه) تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أى ان الشأن وقرئ بالفتح أى لان الشأن (كان فريق من عبادى) وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (يقولون) فى الدنيا (ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) أى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم (حتى أنسوكم) أى الاستهزاء بهم (ذكرى) من فرط اشتغالكم باستهزائهم (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى (انى جزيتهم اليوم) استئناف لبيان حسن حالهم وأنهم انتفعوا بما آذوهم (بما صبروا) بسبب صبرهم على أذيتكم وقوله تعالى (انهم هم الفائزون) ثانى مفعولى الجزاء أى جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على أنه تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحسن (قال) أى الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسؤا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك (كم لبثتم فى الارض) التى تدعون أن ترجعوا اليها (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصارا لمدة لبثهم فيها (فاسأل العادين) أى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك أو الملائكة العادين لاعمار العباد وأعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى المتعدين فانهم أيضا يقولون ما نقول كأنهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون مدة لبثهم (قال) أى الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق (ان لبثتم الا قليلا) تصديقا لهم فى ذلك (لو انكم كنتم تعلمون) أى تعلمون شيأ أو لو كنتم من أهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) أى ألم تعلموا شيأ فحسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى أنكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة أى عابثين أو مفعول له أى أنما خلقناكم للعبث (وانكم الينا لا ترجعون) عطف على أنما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع (فتعالى الله) استعظام له تعالى ولشؤنه التى تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة (الملك الحق) الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته (لا اله الا هو) فان كل ما عداه عبيده (رب العرش الكريم) فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحى الذى منه القرآن الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما فى قوله تعالى ذو العرش المجيد (ومن يدع مع الله الها آخر) يعبده افرادا او اشراكا (لا برهان له به) صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جئ بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق منه بالاحسان فالله مثيبه (فانما حسابه عند ربه) فهو مجازله على قدر ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) أى ان الشأن الخ وقرئ بالفتح على أنه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون * بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم أمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) ايذانا
بأنهما من أهم الامور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه * عن النبي
عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك
الموت وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح
المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ
بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

* (سورة النور مدنية وهي اثنتان أو أربع وستون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سورة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة وانما أشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى (أنزلناها) مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وأما كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التقدير فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها فيأباه أن مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا أن في جملة ما أوحي الى النبي عليه الصلاة والسلام سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره أنزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب أو على تقدير اقرأ ونحوه أو دونك عند من يسوغ حذف أداة الاغراء فمحل أنزلنا النصب على الوصفية (وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب أو لتعدد الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف (وأنزلنا فيها) أي في تضاعيف السورة (آيات بينات) ان أريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على أحكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها أسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير أنزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان أريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من أجزائه وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا (لعلكم تذكرون) بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية في الذال أي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء أحكامها وفيه ايذان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها (الزانية والزاني) شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تنبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف أي فيما أنزلنا أو فيما فرضنا الزانية والزاني أي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بأنه عليه الصلاة والسلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن علي رضي الله عنه (ولا تأخذكم بهما رأفة) وقرئ بفتح الهمزة وبالمد أيضا على فعالة أي رحمة ورقة (في دين الله) في طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه وقد قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضى الجدّ فى طاعته تعالى والاجتهاد فى اجراء أحكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب فى مقابلة المسامحة والتعطيل (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أى لتحضره زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شىء من الطوف وأقلها ثلاثة كما روى عن قتادة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة الى أربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) حكم مؤسس على الغالب المعتاد جىء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزوانى بعد زجرهم عن الزنا بهنّ وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين فى نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فنفروا عنه ببيان أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزانى لا يرغب الا فى نكاح احداهما والزانية لا يرغب فى نكاحها الا أحدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا فى سلكهما أو تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع أن مناط التنفير هى الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهنّ حيث استأذنوا فى نكاحهنّ أو لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة فى الزجر والتنفير وعدم التعرض فى الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها فى الاولى اشباعا فى التنفير عن الزانية بنظمها فى سلك المشركة (وحرّم ذلك) أى نكاح الزوانى (على المؤمنين) لما أن فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن فى النسب واختلال أمر المعاش وغير ذلك من المفاسد مالا يكاد يليق بأحد من الادانى والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة فى الزجر وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرّم الحلال وما قيل من أنّ المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان (والذين يرمون المحصنات) بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزوانى ويعتبر فى الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعى الذى هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفى التعبير عن التفوه بما قالوا فى حقهنّ بالرمى المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمى وبعده عن الرامى ايذان بشدة تأثيره فيهنّ وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهنّ بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهنّ عقيب الزوانى ووصفهنّ بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهنّ عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهنّ به لا محالة ولا حاجة فى ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهنّ أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمى بغير الزنا على أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) يشهدون عليهنّ بما رموهنّ به وفى كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما أن فى كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا أن اجتماع الشهود لا بدّ منه عند الاداء خلافا للشافعى رحمه الله تعالى فانه جوّز التراخى بين الشهادات كما بين الرمى والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقذوفة خلافا له أيضا وقرئ بأربعة شهداء (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهنّ بهذا الحكم مع أن حكم رمى المحصنين أيضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمى فيهنّ (ولا تقبلوا لهم شهادة) عطف على اجلدوا داخل فى حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام فى لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدّمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الردّ بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمى وهو السرّ فى قبول شهادة الكافر المحدود فى القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الردّ فتدبر ودع عنك ما قيل من أن المسلمين لا يعبأون بسبّ الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين

والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون ما مرّ من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي (أبدا) أي مدة حياتهم وان تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم وردّوا شهادتهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كأصله (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف مقرّر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرّ والفساد أي أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى (الا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى (من بعد ذلك) لتهويل المتوب عنه أي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل (وأصلحوا) أي أصلحوا أعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف (فان الله غفور رحيم) تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها (والذين يرمون أزواجهم) بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهنّ لكن لا بأن يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص أن لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه أن دليل النسخ غير معلل (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل (الا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على أن الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من أول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى (فشهادة أحدهم) أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى (أربع شهادات) خبره أي فشهادتهم المشروعة أربع شهادات (بالله) متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه اما خبر لمبتدا محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم واما مبتدأ محذوف الخبر أي فشهادة أحدهم واجبة (انه لمن الصادقين) أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه الخ فحذف الجار وكسرت انّ وعلق العامل عنها للتأكيد (والخامسة) أي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهنّ وافرادها عنهنّ مع كونها شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره (أنّ لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن (ويدرأ عنها العذاب) أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذي هو أشد العذاب (أن تشهد أربع شهادات بالله انه) أي الزوج (لمن الكاذبين) أي فيما رماني به من الزنا (والخامسة) بالنصب عطفا على أربع شهادات (أن غضب الله عليها ان كان) أي الزوج (من الصادقين) أي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهنّ بخلاف غضبه تعالى روي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شرّ وجدت على امرأتي خولة وهي بنت

عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالى ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فأنكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان فى حكم التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك حد جاز له أن يتزوجها وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رحمهم الله هى فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ فى قبول التوبة حكيم فى جميع أفعاله وأحكامه التى من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لانه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما فى تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفى ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه فى الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته (ان الذين جاؤا بالافك) أى بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وفى لفظ المجىء اشارة الى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضى الله عنها فأقرع بيننا فى غزوة غزاها قبل غزوة بنى المصطلق فخرج سهمى فخرجت معه عليه السلام بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه لخفتى فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى بعد ما استمرت الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلى وظننت أنى سيفقدوننى ويعودون فى طلبى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدنى الناس حين نزلوا وماج القوم فى ذكرى فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس فى حديثى فهلك من هلك وقوله تعالى (عصبة منكم) خبر ان أى جماعة وهى من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى (لا تحسبوه شرا لكم) استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم تسلية لهم من أول الامر والضمير للافك (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثمانى عشرة آية فى نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (لكل امرئ منهم) أى من أولئك العصبة (ما اكتسب من الاثم) بقدر ما خاض فيه (والذى تولى كبره) أى معظمه وقرئ بضم الكاف وهى لغة فيه (منهم) من العصبة وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار

النوج أو الفريق أو نحوهما (له عذاب عظيم) أى فى الآخرة أو فى الدنيا أيضا فانهم جلدوا وردّت شهادتهم وصار ابن أبىّ مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشلّ اليدين ومسطح مكفوف البصر وفى التعبير عنه بالذى وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى (لولا اذ سمعتموه) تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما فى لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة فى قوله تعالى (ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تامّا ويزجرهم عن ضدّه زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظنّ ويكفهم عن اساءته بأنفسهم أى بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف أقبح وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقىّ فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون أيضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافى مدّعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردّد فيه ليفيد أن عدم الاتيان به رأسا فى غاية ما يكون من القباحة والشناعة أى كان الواجب أن يظنّ المؤمنون والمؤمنات أوّل ما سمعوه ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردّد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا (وقالوا) فى ذلك الآن (هذا افك مبين) أى ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصدّيقة ابنة الصدّيق أمّ المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) امّا من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه أى هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا (فاذ لم يأتوا) بهم وانما قيل (بالشهداء) لزيادة التقرير (فأولئك) اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوّهم فى الفساد وبعد منزلتهم فى الشرّ أى أولئك المفسدون (عند الله) أى فى حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة (هم الكاذبون) الكاملون فى الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحدّ خاصة وامّا كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل أصلا (ولولا فضل الله عليكم) خطاب للسامعين والمسمعين جميعا (ورحمته فى الدنيا) من فنون النعم التى من جملتها الامهال للتوبة (والآخرة) من ضروب الآلاء التى من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة (لمسّكم) عاجلا (فيما أفضتم فيه) بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره يقال افاض فى الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى (عذاب عظيم) يستحقر دونه التوبيخ والجلد (اذ تلقونه) بحذف احدى التاءين ظرف للمس أى لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين (بألسنتكم) والتلقى والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا أن فى الاول معنى الاستقبال وفى الثانى معنى الخطف والاخذ بسرعة وفى الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه أى تتبعونه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى تقولون قولا مختصا بالافواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ فى القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعة له أو ليس له كثير عقوبة (وهو عند الله) والحال أنه عنده عز وجلّ (عظيم) لا يقادر قدره فى الوزر واستجرار العذاب (ولولا اذ سمعتموه) من المخترعين او المشايعين لهم (قلتم) تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه (ما يكون لنا) ما يمكننا (أن نتكلم بهذا) وما يصدر

عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه وأما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي أن يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ما قيل من أن ظروف الاشياء منزلة منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بأن جعل مفعولا صريحا للفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكروا أما ههنا فلا حاجة اليها أصلا لما تحققت أن مناط التقديم توجيه التحضيض اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها (سبحانك) تعجب ممن تفوه به وأصله أن يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه عن أن يصعب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى عن أن تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله) أي ينصحكم (ان تعودوا لمثله) أي كراهة أن تعودوا او يزجركم من أن تعودوا او في أن تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه (أبدا) أي مدة حياتكم (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها أي ينزلها كذلك أي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع أسفلها واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتفخيم شأن البيان (والله عليم) بأحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها (حكيم) في جميع تدابيره وأفعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالاته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلة الالوهية للعلم والحكمة (ان الذين يحبون) أي يريدون ويقصدون (أن تشيع الفاحشة) أي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا أو نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها أي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة (في الذين آمنوا) متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم أو بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أي يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم (لهم) بسبب ما ذكر (عذاب أليم في الدنيا) من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره (والآخرة) من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل (والله يعلم) جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة (وأنتم لا تعلمون) ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا أموركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور وهذا اذا جعل العذاب الاليم في الدنيا عبارة عن حد القذف أو مستتبعا له كما اطبق عليه الجمهور أما اذا بقي على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير أن يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييلي أعني قوله تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب الاليم لهم وتعليلا له (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة (وأن الله رؤف رحيم) عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره

بحرف التحقيق لما أن المراد بيان اتصافه تعالى فى ذاته بالرأفة التى هى كمال الرحمة والرحيمية التى هى المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ماقبله عليه (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تسلكوا مسالكه فى كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل التى من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها أيضا (ومن يتبع خطوات الشيطان) وضع الظاهران موضع ضمير يهما حيث لم يقل ومن يتبعها أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة فى التنفير والتحذير (فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضميرانه للشيطان وقيل للشان على رأى من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على أن الاصل يامره وقيل هو عائد الى من أى فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكا) أى ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد أى ما طهر الله تعالى ومن فى قوله تعالى (منكم) بيانية وفى قوله تعالى (من أحد) زائدة وأحد فى حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفى محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية (أبدا) لا الى نهاية (ولكن الله يزكى) يطهر (من يشاء) من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم (والله سميع) مبالغ فى سمع الاقوال التى من جملتها ما أظهروه من التوبة (عليم) بجميع المعلومات التى من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص فى التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلى (ولا يأتل) أى لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله فى شأن الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل (أولوا الفضل منكم) فى الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه (والسعة) فى المال (أن يؤتوا) أى على أن لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) صفات لموصوف واحد جىء بها بطريق العطف تنبيها على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات أقيمت هى مقامها وحذف المفعول الثانى لغاية ظهوره أى على أن لا يؤتوهم شيأ (وليعفوا) ما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغضاء عنه وقد قرئ الامران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم فى العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبى بكر رضى الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها أبدا (ان الذين يرمون المحصنات) أى العفائف مما رمين به من الفاحشة (الغافلات) عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شىء منها ولا من مقدماتها أصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس فى المحصنات اى السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء (المؤمنات) أى المتصفات بالايمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفى المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمى المصحح لاطلاق الاسم فى الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضى الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمى لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل فى العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أوليا وأما ما قيل من أن المراد هى الصديقة والجمع باعتبار استتباعها

للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمى هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولاريب فى أن رمى غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد اياهن على أحد الوجهين فانهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عزوجل وحماية لحمى الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى ان ابن عباس رضى الله عنهما جعله اغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة رضى الله عنها وهل هو منه رضى الله عنه الا للتهويل أمر الافك والتنبيه على أنه كفر غليظ (لعنوا) بما قالوه فى حقهن (فى الدنيا والآخرة) حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبدا (ولهم) مع ماذكر من اللعن الابدى (عذاب عظيم) هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى (يوم تشهد عليهم) الخ اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما فى الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اغضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يكون من الاحوال والاهوال مالا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها الا أن كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احداهما خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل مالا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها فى الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أى يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذى يحق أن يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز أن يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أى اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل (ويعلمون) عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم (أن الله هو الحق) الثابت الذى يحق أن يثبت لا محالة فى ذاته وصفاته وأفعاله التى من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤن التى يشاهدونها منطبقة عليها (المبين) المظهر للاشياء كما هى فى أنفسها أو الظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذى الحق المبين أى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما فى الفرقان المجيد من آيات الوعيد الواردة فى حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبى صلى الله عليه وسلم فى علو الشأن والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضى الله عنها فى العفة والنزاهة وقوله تعالى (الخبيثات) الخ كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل أى الخبيثات من النساء (للخبيثين) من الرجال أى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على أن اللام للاختصاص (والخبيثون) أيضا (للخبيثات) لان المجانسة من دواعى الانضمام (والطيبات) منهن (للطيبين) منهم (والطيبون) أيضا (للطيبات) منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضى الله عنها من

أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ماقيل فى حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى (أولئك مبرؤن مما يقولون) على أن الاشارة الى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما أوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما تقوله أهل الافك فى حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء أى مختصة ولائقة بهم لا ينبغى أن تقال فى حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بأن يقال فى حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بأن يقال فى شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون فى حقهم فمآله تنزيه الصديقة أيضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقى الرجال والنساء لاتصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أى مختصة بهم لاتصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا [illegible] عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث أى لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان [illegible] الضلال والفساد [illegible] لا يصدر [illegible] المباحثة للذنوب وستر عظيم (لهم مغفرة) عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) [illegible] فى قوله تعالى [illegible] إثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفائف عنه شرع فى تفصيل الزواجر عما عسى يؤدى الى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء [illegible] لهم عليهن فى أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل أحد فى ملكه والا فالآجر والمعير أيضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا من يملك الاذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا أبصره فان المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش [illegible] فان المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فاذا أذن له استأنس (وتسلموا على أهلها) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع (ذلكم) أى الاستئذان مع التسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال له نعم قال ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه الصلاة والسلام أتحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه الصلاة والسلام فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمضمر أى أمرتم به أو قيل لكم هذا كى تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه (فان لم تجدوا فيها أحدا) أى ممن يملك الاذن على أن من لا يملك من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو احدا أصلا على أن مدلول النص الكريم عبارة هو النهى عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف فى ملك الغير محظور مطلقا وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام ما هو أقوى منه اليه أعنى الاطلاع على العورات أولى (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) أى من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتى من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطعى فى معرض الاحتمال ولما كان جعل النهى مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة فى الانتظار على الابواب مطلقا بل فى تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) اى ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن أولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما فى الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى أن يأتى الآذن كما فى الثانى فان ذلك مما يجلب الكراهة فى قلوب الناس ويقدح فى المروءة أى قدح (هو) أى الرجوع (ازكى لكم) أى اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة

والله

(والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا) أى بغير استئذان (بيوتا غير مسكونة) أى غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير أن يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى (فيها متاع لكم) فانه صفة للبيوت او استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح أى فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفى الحمامات ونحوهم ويروى أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله ان الله تعالى قد أنزل عليك آية فى الاستئذان وانا نختلف فى تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هى الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة ما ينتظمه البيوت لا أنها المرادة فقط وقوله تعالى (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات (قل للمؤمنين) شروع فى بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا أوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما فى حيزه من الاوامر والنواهى الى رأيه عليه الصلاة والسلام لانها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدى لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر أمر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه أى قل لهم غضوا (يغضوا من ابصارهم) عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وتقييد الغض عن التبعيضية دون الحفظ لما فى أمر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر (ذلك) أى ما ذكر من الغض والحفظ (ازكى لهم) أى اطهر لهم من دنس الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه شئ مما يصدر عنهم من الافاعيل التى من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه فى كل ما يأتون وما يذرون (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه (ويحفظن فروجهن) بالتستر أو التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد (ولا يبدين زينتهن) كالحلى وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة فى النهى عن ابداء مواضعها ما لا يخفى (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الامور التى لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان فى سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فأمرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدى بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم (ولا يبدين زينتهن) كرر النهى لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن) لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما أن الاحوط أن يتسترن عنهم حذارا من أن يصفوهن لابنائهم (أو نسائهن) المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال (أو ما ملكت ايمانهن) أى من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبى منها وقيل من الاماء والعبيد لما روى انه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك (أو التابعين غير

اولى الاربة من الرجال) أى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من أمور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين) أى ما يخفينه من الرؤية (من زينتهن) أى ولا يضربن بأرجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم أن لهن ميلا اليهم وفى النهى عن ابداء صوت الحلى بعد النهى عن ابداء عينها من المبالغة فى الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى (وتوبوا الى الله جميعا) تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما فى حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط فى اقامة مواجب التكاليف كما ينبغى وناهيك بقوله عليه السلام شيبتنى سورة هود لما فيها من قوله عز وجل "فاستقم كما أمرت" لاسيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفى تكرير الخطاب بقوله تعالى (أيها المؤمنون) تأكيد للايجاب وايذان بأن وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ أيه المؤمنون (لعلكم تفلحون) تفوزون بذلك بسعادة الدارين (وأنكحوا الايامى منكم) بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وأيامى مقلوب أيايم جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان أو ثيبا كما يفصح عنه قول من قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم اتأيم

أى زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر (والصالحين من عبادكم وامائكم) على أن الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح فى الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من أن يكون خليقا بأن يعتنى مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف فى نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح فى الاحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون فى التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فاذا عزموا النكاح لابد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم فى ذلك غرامة حتى يعتبر فى مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما فى قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (وليستعفف) ارشاد للعاجزين عن مبادى النكاح وأسبابه الى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء أى ليجتهد فى العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) أى اسباب نكاح أو لا يتمكنون مما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله من فضله) عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم فى استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بأن فضله تعالى أولى بالاعفاء وأدنى من الصلحاء (والذين يبتغون الكتاب) بعد ما أمر بانكاح صالحى المماليك الاحقاء بالانكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أى الذين يطلبون المكاتبة (مما ملكت ايمانكم) عبدا كان أو أمة وهى أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الى وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فان أداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق أن المكاتبة

قوله وهم الشيوخ الهم أى بكسر الهاء وتشديد الميم وهو الشيخ الفانى وجمعه أهمام ففيه وصف الجمع بالمفرد وفى بعض النسخ الهرم فان قرئ بفتح الهاء وكسر الراء ففيه أيضا وصف الجمع بالمفرد وان قرئ بضمها وسكون الراء ففيه أن جمع هرم هرمون وهرمى كما فى القاموس فتدبر اه مصححه

اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب فى أن ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما فى الحقيقة الا الاتيان بأحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا أن كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه فى نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع الذى هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه من جانب المشترى لم يكن بد من تضمين أحدهما الآخر وقت الانشاء فكما أن قول البائع بعت انشاء لعقد البيع على معنى أنه ايقاع لما يتم من قبله أصالة ولما يتم من قبل المشترى ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولى كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة أى ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره (فكاتبوهم) والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل فى موضعه (ان علمتم فيهم خيرا) أى أمانة ورشدا وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذى الناس بعد العتق واطلاق العنان (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للموالى ببذل شئ من أموالهم وفى حكمه حط شئ من مال الكتابة ويكفى فى ذلك أقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعى للوجوب ويرده قوله عليه الصلاة والسلام المكاتب عبد ما بقى عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقى حتما وأيضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وأيضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم أقرضوهم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به كما فى قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقى له من أقوى الدواعى الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو أمر باعطاء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولا تكرهوا فتياتكم) أى اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه الصلاة والسلام ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وأمتى ولهذه العبارة فى هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلى حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى (على البغاء) وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتى يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى (ان أردن تحصنا) ليس لتخصيص النهى بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزانى او لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه فى الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن فى معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطى القبائح فان عبد الله بن أبى كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبائح ما لا يخفى فان من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن أمرهن به أو اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من أنه ان جعل شرطا للنهى لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهى لامتناع المنهى عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة فى مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن

في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها ابا ظاهرا وقوله تعالى (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) قيد للاكراه لكن لا باعتبار أنه مدار للنهى عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جئ به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير أى لا تفعلوا ما أنتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه (ومن يكرههن) الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهى وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة أى ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أى لهن كما وقع فى مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن أى كونهن مكرهات على أن الاكراه مصدر من المبنى للمفعول فان توسطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفى تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين أيضا فى الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهى فى مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار أنهن وان كن مكرهات لا يخلون فى تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار أن الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل أمر الزنا وحث المكرهات على التثبت فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من يكرههن فى استحقاق العذاب (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) كلام مستأنف جئ به فى تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤنها المستوجبة للاقبال الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى تعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه أى وبالله لقد أنزلنا اليكم فى هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادى بيانها على أن اسناد التبيين اليها مجازى أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين وقرئ على صيغة المفعول أى التى بينت وأوضحت فى هذه السورة من معانى الاحكام والحدود وقد جوز أن يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) عطف على آيات أى وأنزلنا مثلا كائنا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضى الله عنها الحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضى الله عنها وسائر الامثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتى من التمثيلات (وموعظة) تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهى عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنوانى المنزل منزلة التغاير الذاتى وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة فى شأن الآداب وانما قيل (للمتقين) مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى أنزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام فى سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما فى القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى (الله نور السموات والارض) الخ حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه

في غاية

فى غاية الكمال على الوجه الذى ستعرفه وأمّا على الاوّل فلتحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصورا على ماورد فى السورة الكريمة بل هو شامل لكل مايحق بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها فى الدنيا والآخرة وغير ذلك مماله مدخل فى البيان وأنه واقع منه تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذى هو أقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنوّر بنفس النور تنبيها على قوّة التنوير وشدّة التأثير وايذانا بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ماسواه ظاهر باظهاره كما أن النور نير بذاته وماعداه مستنير به وأضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل مايليق به من الامور التى لها مدخل فى ارشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع مايقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسمانى الذى لامظهر للنور الحسى سواه أوعلى شمول البيان لاحوالهما وأحوال مافيهما من الموجودات اذ مامن موجود الا وقد بين من أحواله مايستحق البيان امّا تفصيلا أو اجمالا كيف لا ولاريب فى بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث أو على تعلق البيان بأهلهما كما قال ابن عباس رضى الله عنهما هادى أهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأمّا حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل فى الاظهار كما أن الاعدام هو الاصل فى الاخفاء أو على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار أو بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والاشجار أو على تدبيره تعالى لامورهما وأمور مافيهما فمما لايلائم المقام ولا يساعده حسن النظام (مثل نوره) أى نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ماقبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرّح بكونه نورا أيضا فى قوله تعالى وأنزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وزيد ابن أسلم رحمهم الله تعالى وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولانّ المعتبر فى مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم وأمّا الحق فالمعتبر فى مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أى صفة نوره العجيبة (كمشكاة) أى كصفة كوّة غير نافذة فى الجدار فى الانارة والتنوير (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح فى زجاجة) أى قنديل من الزجاج الصافى الازهر وقرئ بفتح الزاى وكسرها فى الموضعين (الزجاجة كأنها كوكب درّى) متلألئ وقاد شبيه بالدرّ فى صفائه وزهرته ودرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرئ درّئ بدال مكسورة وراء مشدّدة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع أى مبالغ فى دفع الظلام بضوئه أو فى دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقى على حاله وفى اعادة المصباح والزجاجة معرّفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح فى زجاجة كأنها كوكب درّى من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات مابعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلى دون الوصف المبنى على الاشارة الى الثبوت فى الجملة مالا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجرّ على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو فى زجاجة هى كأنها كوكب درّى (يوقد من شجرة) أى يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة (مباركة) أى كثيرة المنافع بأن رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت فى الارض التى بارك الله تعالى فيها للعالمين (زيتونة) بدل من شجرة وفى ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال منها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضى من التفعل أى ابتداء ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التاءين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة (لاشرقية ولاغربية) تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى على قلة أو صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد

ابن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية وغربية أى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لا نابتة فى شرق المعمورة ولا فى غربها بل فى وسطها وهو الشأم فان زيوتها أجود ما يكون وقيل لا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيأ وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا فى نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) أى هو فى الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلا وكلمة لو فى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على أبعدها منه اما لوجود المانع كما فى قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما فى هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما أن الشئ متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى ولذلك لا يذكر معه شئ آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا أمر مطرد فى الخبر الموجب والمنفى فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا أو بخيل لا يعطى ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء فى الاول وعدم تحققه فى الثانى فى جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطى لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هى عليه فى حيز النصب على الحالية من المستكن فى الفعل الموجب أو المنفى أى يعطى أو لا يعطى كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أى يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد فى الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة (نور) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (على نور) متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه أى ذلك النور الذى عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة أخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل (يهدى الله لنوره) أى يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره فى مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل (من يشاء) هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بأن مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وأن تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب (ويضرب الله الامثال للناس) فى تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فان له دخلا عظيما فى باب الارشاد لانه ابراز للمعقول فى هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعانى بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما أسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذى هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو باطنا ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة

التي عليها مبنى التكوين والتشريع وأن تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه أحوال الأمم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير الى أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من أنبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وأيا ما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى (يسبح له) وقوله تعالى (فيها) تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها أيضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا أريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى (بالغدو والآصال) أي بالغدوات والعشايا على أن الغدو اما جمع غداة كقني في جمع قناة كما قيل أو مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وهو العشي وهو شامل لاوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه في أثناء الصلوات وأوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر أفراده أو عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى (رجال) فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى أحد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كأنه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتأنيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على أن يسند الى أوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها أو يسند الى ضمير التسبيحة أي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة أبي جعفر ليجزى قوما أي ليجزى الجزاء قوما بل هذا أولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح (لا تلهيهم تجارة) صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة (ولا بيع) أي ولا فرد من أفراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر أنواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهاء ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده وقد نقل عن الواقدي أن المراد بالتجارة هو الشراء لانه أصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا أي جلبه (عن ذكر الله) بالتسبيح والتحميد (واقام الصلاة) أي اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد أسقطت التاء

المعوّضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوّض عنها الاضافة كما فى قوله وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا
أى عدة الامر (وايتاء الزكاة) أى المال الذى فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل
فى البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلاة فى عامّة المواضع مع ما فيه من التنبيه على أن محاسن أعمالهم
غير منحصرة فيما يقع فى المساجد وكذلك قوله تعالى (يخافون) الخ فانه صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول
لا تلهيهم وأيّاما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم فى المساجد وقوله تعالى (يوما) مفعول ليخافون
لا ظرف له وقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والابصار) صفة ليوما أى تضطرب وتتغير فى أنفسها من الهول
والفزع وتشخص كما فى قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر أو تتغير أحوالها وتتقلب فتتفقه
القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد أن كانت عمياء أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف
الهلاك والابصار من أى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى
من أعمالهم المرضية أى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكاة والخوف من غير
صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى (أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة
واحدة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) أى يتفضل عليهم بأشياء لم توعد لهم بخصوصياتها
أو بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال فى مثل قوله تعالى للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من جملتها قوله تعالى
(والله يرزق من يشاء بغير حساب) فانه تذييل مقرّر للزيادة ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من
الخيرات ما لا يفى به الحساب وأمّا عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه
نظمها فى سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه
موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا أعمالهم المحكية
كما أنها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لتظاهر الاسباب وللايذان بأنهم ممن شاء الله تعالى أن يرزقهم
كما أنهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من أعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من
الذكر والتسبيح واقام الصلاة وايتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر وأهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن
العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه وأجلاه هذا وقد قيل
قوله تعالى فى بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة فى متعلقة بمحذوف هى صفة لمشكاة أى كائنة فى بيوت وقيل
لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله
تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق أو ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شئ عليم كلام
متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين أجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبى يؤدى
الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع
كون بيان حال أضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به فى كلام الناس فضلا أن يحمل عليه
الكلام المعجز (والذين كفروا) عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا وما لا
كما وصف والذين كفروا (أعمالهم) أى أعمالهم التى هى من ابواب البرّ كصلة الارحام وفك العناة وسقاية
الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب
كما فى قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد الآية (كسراب) وهو ما يرى فى الفلوات من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظنّ أنه ماء يسرب أى يجرى (بقيعة) متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أى
كائن فى قاع وهى الارض المنبسطة المستوية وقيل هى جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة
كديمات اما على أنها جمع قيعة أو على أن الاصل قيعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها ألف (يحسبه
الظمآن ماء) صفة أخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من
العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه فى وجه الشبه الذى هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس

قوله ممدودة حال من قيعات أى
فيها حرف مد وهو الالف تأمل
اه

(حتى اذا جاءه) أى اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه (لم يجده) أى ما حسبه ماء وعلق به رجاءه (شيأ) أصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر أنه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيأ بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما فى قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ حكم بأنها بحيث يحسبونها فى الدنيا نافعة لهم فى الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيأ كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التى كانوا فى الدنيا يحسبونها نافعة لهم فى الآخرة لم يجدوها شيأ ووجدوا الله أى حكمه وقضاءه عند المجئ وقيل عند العمل فوفاهم أى أعطاهم وافيا كاملا حسابهم أى حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع فى التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى أعمالهم هذا وقد قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد فى الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات) عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع اثر ما مثلت أعمالهم التى كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بها فى كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التى ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة (فى بحر لجى) أى عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهى أيضا معظمه (يغشاه) صفة أخرى للبحر أى يستره ويغطيه بالكلية (موج) وقوله تعالى (من فوقه موج) جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هى الجار والمجرور وموج الثانى فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر فى قوله تعالى نور على نور أى يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى (من فوقه سحاب) صفة لموج الثانى على أحد الوجهين المذكورين أى من فوق ذلك الموج سحاب ظلمانى ستر أضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب (ظلمات) خبر مبتدا محذوف أى هى ظلمات (بعضها فوق بعض) أى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها (اذا أخرج) أى من ابتلى بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة (يده) وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها (لم يكد يراها) وهى أقرب شئ منه فضلا عن أن يراها (ومن لم يجعل الله له نورا) الخ اعتراض تذييلى جئ به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما فى حيز الصلة الى علة الحكم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أى ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذى هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به (فماله من نور) أى فماله هداية ما من أحد أصلا وقوله تعالى (ألم تر) الخ استئناف خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام للايذان بأنه تعالى قد أفاض عليه عليه الصلاة والسلام أعلى مراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أى قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة فى القوة والرصانة بالوحى الصريح والاستدلال الصحيح (ان الله يسبح له) أى ينزهه تعالى على الدوام فى ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل (من فى السموات والارض) أى ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية

وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذى هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وأكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شئ مما عزوها ان وكل فرد من أفراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلوّ شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة فى اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاءه فى الالوهية ونسبتهم اياه الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوّا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يردّه أن بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التى يشاركهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التى هى الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التى هى الانسانية (والطير) بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى جملة ما فى الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أى تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف فى الجوّ والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى (كل قد علم صلاته وتسبيحه) بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر فى التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج فى تضاعيفه الاشارة الى أن لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة فى حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه فى كل آن من فيوض الفنون المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرّة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التى هى الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مرّ على التفصيل وتقديمها على التسبيح فى الذكر لتقدمها عليه فى الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين فى كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها فانه يؤدى الى أن يراد بالتسبيح معنى مجازى شامل للتسبيح المقالى والحالى من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مرّ فى قوله تعالى وكثير من الناس أى وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أى دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشئ منهما حسبما ألهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدى اليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره أصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه أبعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل الى جحره حتى روى انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامى رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها وكان السبب فى ذلك انه كان يقتنى فى داره قنفذا يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجودا وأقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) أى ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مرّ غير مرّة وعلى الثانى اما عبارة عنها

وعن التسبيح الخاص بالطير معا وعن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مرّ والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير فى قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفى صلاته وتسبيحه لكل أى قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما فى السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن تكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا أوليا (ولله ملك السموات والارض) لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف فى جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى (والى الله) اى اليه تعالى خاصة لا الى غيره (المصير) أى رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى فى المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى فى المبدا واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم (ألم تر أن الله يزجى سحابا) الازجاء سوق الشئ برفق وسهولة غلب فى سوق شئ يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى أن السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به (ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة (ثم يجعله ركاما) أى متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى (يخرج من خلاله) أى من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفى تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة فى سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله (وينزل من السماء) من الغمام فان كل ما علاك سماء (من جبال) أى من قطع عظام تشبه الجبال فى العظم كائنة (فيها) وقوله تعالى (من برد) مفعول ينزل على أن من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار أى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال أى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول أظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على أن من تبعيضية ومن برد بيان للجبال أى ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد أى مشبهة بالجبال فى الكثرة وأيا ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما أن فى الارض جبالا من حجر وليس فى العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور أن الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمع هنالك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح (فيصيب به) أى بما ينزله من البرد (من يشاء) أن يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر فى نفسه وماله (ويصرفه عمن يشاء) أن يصرفه عنه فينجو من غائلته (يكاد سنا برقه) أى ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الراء على أنه جمع برقة وهى مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع لضمة الباء (يذهب بالابصار) أى يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفى اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التى من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه (ان فى ذلك) اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته (لعبرة) أى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلى (لاولى الابصار) لكل من له بصر (والله خلق كل دابة) أى كل حيوان يدب على الارض

وقرئ خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشى على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير فى منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف فى القدرة (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان أو مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والايذان بأنه من أحكام الالوهية (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلى (لقد أنزلنا آيات مبينات) أى لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية (والله يهدى من يشاء) أن يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التأمل فى مطاويها (الى صراط مستقيم) موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) شروع فى بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت فى المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودى يدعوه الى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى المغيرة ابن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى أرض وماء فأبى أن يحاكم الى الرسول عليه الصلاة والسلام وأيا ما كان فصيغة الجمع للايذان بأن للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه فى تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم (وأطعنا) أى أطعناهما فى الامر والنهى (ثم يتولى) عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما فى ذلك من معنى البعد للايذان بكونه أمرا معتدا به واجب المراعاة (وما أولئك) اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفى الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على أبلغ وجه وآكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الكفر والفساد أى وما أولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم فى العقد والعمل (بالمؤمنين) أى المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام أى ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص فى الايمان والثبات عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) أى الرسول (بينهم) لانه المباشر حقيقة للحكم وان كان ذلك حكم الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) لا عليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجئ يعديان بالى أو لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما فى قوله تعالى فأقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص (أفى قلوبهم مرض) انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الامور الثلاثة بل هو منشئيتها له كأنه قيل أذلك أى اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم) لانهم (ارتابوا) فى أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها (أم) لانهم (يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئيته وحكم بأن المنشأ شئ آخر من شنائعهم حيث قيل (بل أولئك هم الظالمون) أى ليس ذلك لشئ مما ذكر أما الاولان فلانه لو كان لشئ منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا وأما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام فى الامانة والثبات على الحق بل

لانهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام لعلمهم بأنه عليه الصلاة والسلام يقضى عليهم بالحق فناط النفى المستفاد من الاضراب فى الاولين هو وصف منشئيتهما للاعراض فقط مع تحققهما فى نفسهما وفى الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بماله منشأ مصحح لعروضه لهم فى الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه عليه الصلاة والسلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه الصلاة والسلام فدار النفى حينئذ نفس الارتياب ومنشئيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ماقيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل (انما كان قول المؤمنين) بالنصب على أنه خبر كان وأن مع مافى حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول أقوى صناعة لان الاولى للاسمية ماهو أوغل فى التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن اذ لاسبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اعتزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان فى الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ماهو اكثر افادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع فى الخارج وفى ذهن السامع ولا ريب فى أن ذلك ههنا فى أن مع مافى حيزها أتم وأكمل فاذا هو أحق بالخبرية وأما ماتفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) أى الرسول عليه الصلاة والسلام (بينهم) أى وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أى خصوصية هذا القول المحكى عنهم لاقولا آخر أصلا وأما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين أى انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكى عنهم ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعا وحضورا فى الاذهان وأحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها فى معرض القصد الاصلى مالا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا لقوله تعالى اذا دعوا أى ليفعل الحكم كما فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم أى وقع التقطع بينكم (وأولئك) اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم ومافيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم و بعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل (هم المفلحون) أى هم الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور (ومن يطع الله ورسوله) استئناف جئ به لتقرير مضمون ماقبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم فى الانتظام فى سلكهم اى ومن يطعهما كائنا من كان فيما أمرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل فى الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام (ويخش الله ويتقه) باسكان القاف المبنى على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء أى و يخش الله على مامضى من ذنوبه و يتقه فيما يستقبل (فأولئك) الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء (هم الفائزون) بالنعيم المقيم لا من عداهم (وأقسموا بالله) حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكد بالايمان الفاجرة وقوله تعالى (جهد أيمانهم) نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذى هو فى حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أى أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أى جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين فى الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا أى أقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين (لئن أمرتهم) أى بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى (ليخرجن) جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل (قل) أى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها (لاتقسموا) أى على ماينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى (طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهى أى لاتقسموا على ماتدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد وقرئ

بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية أو طاعة معروفة أمثل أو ليكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام (ان الله خبير بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التى منها نفاقهم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول فى الاول نهى بطريق الرد والتقريع كما فى قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفى الثانى أمر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة فى شئ أصلا وقوله تعالى (فان تولوا) خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الامر بها والمبالغة فى ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير اليه فى تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لاسيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان فى خطابه تعالى اياهم بالذات بعد أمره تعالى اياهم بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولى عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم أنه داخل تحت القول المأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ فى التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة الى الذكر أى ان تتولوا عن الطاعة اثر ما أمرتم بها (فانما عليه) أى فاعلموا أنما عليه عليه السلام (ما حمل) أى أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (وعليكم ما حملتم) أى ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية فى عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة (وان تطيعوه) أى فيما أمركم به من الطاعة (تهتدوا) الى الحق الذى هو المقصد الاصلى الموصل الى كل خير والمنجى من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لما فى تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين) اعتراض مقرر لما قبله من أن غائلة التولى وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا أو للعهد أى ما على جنس الرسول كائنا من كان أو ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم) استئناف مقرر لما فى قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التى هى من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من أى طائفة كان وفى أى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية (وعملوا الصالحات) عطف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى أمر بها ورتب عليها ما نظم فى سلك الوعد الكريم كما أشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار أصالة الايمان وعراقته فى استتباع الآثار والاحكام وللايذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيره عنهما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فلأن من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام من خلص المؤمنين ولا ريب فى أنهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها

هذا ومن جعل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وللائمة عموما على أن من تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل (ليستخلفنهم في الارض) جواب للقسم اما بالاضمار أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم أو خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة (كما استخلف الذين من قبلهم) هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة أوهم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التي أشير اليهم في قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية أي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني هو للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا أي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا على أحد الوجهين أي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت أو مجلف

أي فلم يبق الا مسحت الخ (وليمكنن لهم دينهم) عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس الى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض أي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في للايذان بأن ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولأن في توسطها بينه وبين وصفه أعني قوله تعالى (الذي ارتضى لهم) وفي تأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه (وليبدلنهم) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال (من بعد خوفهم) أي من الاعداء (أمنا) حيث كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عاداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة (يعبدونني) حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد (لا يشركون بي شيأ) حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيأ (ومن كفر) أي اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام (بعد ذلك) أي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها (فأولئك) البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال (هم الفاسقون) الكاملون

فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على مقدر ينسحب
عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولى بقوله
تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم فى الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على
الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب
الامر بالايمان والعمل الصالح والنهى عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحا وأقيموا أو فلا تكفروا
وأقيموا وعطفه على أطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم (وأطيعوا الرسول) أمرهم الله سبحانه
وتعالى بالذات بما أمرهم به بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام من طاعته التى هى طاعته تعالى فى الحقيقة
تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على أن المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب
المرضية أيضا أى وأطيعوه فى كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أو تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين
بالصلاة والزكاة على أن المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع أى وأطيعوه فى سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى
(لعلكم ترحمون) متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثانى بالاوامر الثلاثة
أى افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين أن ترحموا (لا تحسبن الذين كفروا) لما بين حال
من أطاعه عليه الصلاة والسلام وأشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان
حال من عصاه عليه الصلاة والسلام ومآل أمره فى الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه فى الفسق تكميلا لامر
الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول عليه الصلاة والسلام على
منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث
ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان
وقوله تعالى (معجزين) ثانيهما وقوله تعالى (فى الارض) ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون
الاعجاز المنفى فيها لا فى غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع أجزائها أى
لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم فى قطر من أقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها
كل مهرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أى لا يحسبن أحد الكافرين
معجزين له سبحانه فى الارض أو هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل
لا يحسبن الكافرون أنفسهم معجزين فى الارض وأما جعل معجزين مفعولا أول وفى الارض مفعولا ثانيا
فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثانى ولا فائدة فى بيان كون المعجزين
فى الارض وقد مر فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وقوله تعالى (ومأواهم النار) معطوف على
جملة النهى بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهى عن الحسبان تحقيق نفى الحسبان كأنه قيل ليس
الذين كفروا معجزين ومأواهم الخ أو على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهى كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا
معجزين فى الارض فانهم مدركون ومأواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر (ولبئس المصير)
جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أى وبالله لبئس المصير هى أى النار والجملة اعتراض تذييلى
مقرر لما قبله وفى ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفى فوتهم بالهرب فى الارض كل مهرب من
الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل (يا أيها الذين آمنوا) رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة
بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهى الواردة فيها وفى الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب
والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات فى الحكم بدلالة النص أو للفريقين
جميعا بطريق التغليب روى أن غلاما لاسماء بنت أبى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه
فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا
وخدمنا أن لا يدخلوا [2] علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد
أنزلت عليه هذه الآية (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من العبيد والجوارى (والذين لم يبلغوا الحلم)

[2] قوله أن لا يدخلوا قيل لا زائدة للتأكيد وقد روى بدونها وقيل على اضمار الارادة وقيل غير ذلك انظر الشهاب اهـ

أى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله (منكم) أى من الاحرار (ثلاث مرّات) أى ثلاثة أوقات فى اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرّات للايذان بأنّ مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا أنفسها (من قبل صلاة الفجر) لظهور أنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى أحدها من قبل الخ (وحين تضعون ثيابكم) أى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى (من الظهيرة) وهى شدّة الحرّ عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر أعنى وضع الثياب فى هذا الحين دون الاوّل والآخر لما أن التجرّد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها فى النهار الذى هو مئنّة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين فان تحقق التجرّد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج الى التصريح به (ومن بعد صلاة العشاء) ضرورة أنه وقت التجرّد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق فى الوقت الممتدّ المتخلل بين الصلاتين كما فى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بل ما يعرض منهما الطرفى ذلك الوقت الممتدّ المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى (ثلاث عورات) خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى (لكم) متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات أى كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان أى هنّ ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة فى الاصل هو الخلل غلب فى الخلل الواقع فيما يهمّ حفظه ويعتنى بستره أطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم) أى على المماليك والصبيان (جناح) أى اثم فى الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات (بعدهنّ) أى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهى الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهنّ وايرادها بعنوان البعدية مع أنّ كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما أنها بعد أخرى منهنّ لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصوّر فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوّز على القراءة الاولى كونها فى محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلاث عورات وأمّا على القراءة الثانية فهى مستأنفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهى بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء فى ثلاث عورات لا اثم فى ترك الاستئذان بعدهنّ وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يتسنّ ابرازه فى معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى (طوّافون عليكم) استئناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات (بعضكم على بعض) أى بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا أو بعضكم يطوف على بعض (كذلك) اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مرّ مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا أى مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام أى ينزلها بينة واضحة الدلالات عليها لا أنه تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مرّ تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمّة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مرّ مرارا من الاهتمام بالمقدّم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع أنه مؤدّ الى تخصيص الآيات بما ذكرهنا (والله عليم) مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم (حكيم) فى جميع أفاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشا ومعادا (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) لما بين فيما مرّ آنفا حكم الاطفال فى أنه لا جناح عليهم فى ترك الاستئذان فيما عدا الاوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم أنهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول أى اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب

قوله كأنها هكذا فى النسخ ولعل الاصوب كأنه أى كل وقت وقوله بعد ذلك وقوع الفعل المكلف أى به ولعله من باب الحذف والايصال تأمل اه

مصححه

(فليستأذنوا) اذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى (كما استأذن الذين من قبلهم) فى حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما أن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولا ريب فى أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وان كان الامر كذلك فى الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أى فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا فى جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة فى الامر بالاستئذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها (والقواعد من النساء) أى العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل (اللاتى لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لكبرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) اى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى أو للوصف بها (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات لزينة مما أمر باخفائه فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال (وان يستعففن) بترك الوضع (خير لهن) من الوضع لبعده من التهمة (والله سميع) مبالغ فى سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن وبين الرجال من المقاولة (عليم) فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم وأوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح فى مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو الى بعض من سماهم الله عز وجل فى الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من أموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء فى بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء أيضا يتحرجون من الاكل فى بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة (ولا على أنفسكم) أى عليكم وعلى من يماثلكم فى الاحوال من المؤمنين حرج (ان تأكلوا) أى تأكلوا أنتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة أيضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير أولئك الطوائف حتما (من بيوتكم) أى البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك وقوله عليه الصلاة والسلام ان أطيب مال الرجل من كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم) وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية (أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) من البيوت التى تملكون التصرف فيها باذن أربابها على الوجه الذى مر بيانه وقيل هى بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه (أو صديقكم) أى أو بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط وأسر به من كثير من الاقرباء روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الصديق أكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرابهما وهذا فيما اذا علم رضا صاحب البيت بصريح الاذن أو بقرينة دالة عليه ولذلك خص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق

قوله الى بيوت آبائهم الخ لعل الاولى الى بيوت آبائه الخ أى الرجل الا أن يراد منه الجنس فيصح الجمع تأمل اهـ مصححه

من

من المؤمنين كبنى ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيأ وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقيل كان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول انى أتحرج أن آكل معك وأنا غنى وأنت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم فى أن يأكلوا كيف شاؤا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى وأشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى أن ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتاتا عطف عليه داخل فى حكمه وهو جمع شت على أنه صفة كالحق يقال أمر شت أى متفرق أو على أنه فى الاصل مصدر وصف به مبالغة أى ليس عليكم جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم) شروع فى بيان الآداب التى تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه (بيوتا) أى من البيوت المذكورة (فسلموا على أنفسكم) أى على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التى هى من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم (مباركة) مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما (طيبة) تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها (لعلكم تعقلون) أى ما فى تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفى تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) استئناف جئ به فى أواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله فى حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدا مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بأنه حقيق بأن يجعل قرينا للايمان بهما منتظما فى سلكه فقوله تعالى (واذا كانوا معه على أمر جامع) الخ معطوف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة أى انما الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما فى جميع الاحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة فى الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه الصلاة والسلام على أمر مهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع أولى الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع (لم يذهبوا) أى من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه (حتى يستأذنوه) عليه الصلاة والسلام فى الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الاذن المنوط برأيه عليه الصلاة والسلام والاقتصار على ذكره لانه الذى يتم من قبلهم وهو المعتبر فى كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما فى الذهاب بغير اذنه عليه الصلاة والسلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم فى الاول بأن الكاملين فى الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفى أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى (فاذا استأذنوك) بيان لما هو وظيفته عليه الصلاة والسلام فى هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وأن الاذن عند الاستئذان ليس بأمر محتوم بل هو مفوض الى رأيه عليه الصلاة والسلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى بعد ما تحقق أن الكاملين فى الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك (لبعض شأنهم) أى لبعض أمرهم المهم وخطبهم الملم (فأذن لمن شئت منهم) لما علمت فى ذلك من حكمة ومصلحة (واستغفر لهم الله) فان الاستئذان وان كان

احذر وقوى لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة (إن الله غفور) مبالغ في مغفرة فرطات العباد (رحيم) مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه أي لا تجعلوا دعوته عليه الصلاة والسلام اياكم في الاعتقاد والعمل بها (كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وأمر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه الصلاة والسلام بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه الصلاة والسلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه الصلاة والسلام مما يوجب امتثالهم بأوامره عليه الصلاة والسلام ومتابعتهم له في الورود والصدور اكمل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه الصلاة والسلام المؤدي الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه الصلاة والسلام عليهم وأما ما قيل من أن المعنى لا تجعلوا نداءه عليه الصلاة والسلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) الخ وعيد لمخالفي أمره عليه الصلاة والسلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما أن ربّ تجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر أي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية (لواذا) أي ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة أنه من أتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أي ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة أي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) لترتيب الحذر أو الامر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة أي يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما لتضمنه معنى الاعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة أو للرسول عليه الصلاة والسلام لانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) أي محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي في الآخرة وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على أن الامر للايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما (ألا ان لله ما في السموات والارض) من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة (قد يعلم ما أنتم عليه) أيها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق (ويوم يرجعون اليه) عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجوعهم لا برجوعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه اشعار بأن علمه تعالى لنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز أن يكون الخطاب أيضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل (فينبئهم بما عملوا) من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على أنفسكم الآية (والله بكل شيء عليم) لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي والله سبحانه وتعالى اعلم

## * (سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون اية) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(تبارك الذى نزل الفرقان) البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها الى الله عزوجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله التى من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان مالا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لاتنسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثانى باعتبار كثرة مايفيض منه على مخلوقاته لاسيما على الانسان من فنون الخيرات التى من جملتها تنزيل القرآن المنطوى على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيأ فشيأ وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أى فصل بينهما سمى به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض فى نفسه أو فى انزاله (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه الصلاة والسلام فى أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لايكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى (ليكون) غاية للتنزيل أى نزله عليه ليكون هو عليه الصلاة والسلام أو الفرقان (للعالمين) من الثقلين (نذيرا) أى منذرا أو انذارا مبالغة أو ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان فى معرض الصلة التى حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لايكاد يجهله أحد كقوله تعالى لاريب فيه (الذى له ملك السموات والارض) أى له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الاول أو بيان له أو بدل منه وما بينهما ليس بأجنبى لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لاريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أو مدح له تعالى بالرفع أو بالنصب (ولم يتخذ ولدا) كما زعم الذين يقولون فى حق المسيح والملائكة مايقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ماقبله من الجملة الظرفية ونظمه فى سلك الصلة للايذان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لايكاد يجهله جاهل لاسيما بعد تقرير ماقبله (ولم يكن له شريك فى الملك) أى ملك السموات والارض وهو أيضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع أن ماذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والدرء فى نحورهم وتوسيط نفى اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله وأصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول (وخلق كل شئ) أى أحدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام (فقدره) أى هيأه لما أراد به من الخصائص والافعال اللائقة به (تقديرا) بديعا لايقادر قدره ولايبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر فى أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الانواع وقيل أريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه فى نفس الامر فالمعنى أوجد كل شئ فقدره فى ذلك الايجاد تقديرا وأما ماقيل من أنه سمى احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لايحدث شيأ الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير

فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها فى سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضى انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شئ من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه أو شريكا فى ملكه (واتخذوا من دونه آلهة) بعد ما بين حقيقة الحق فى مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين فى حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفى الشريك عليهم أى اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله تعالى الذى ذكر بعض شؤنه الجليلة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة (لا يخلقون شيأ) أى لا يقدرون على خلق شئ من الاشياء أصلا (وهم يخلقون) كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على أن يختلقوا شيأ وهم يختلقون حيث تختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف فى ضر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا فى نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيأ منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه أهم فى نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتنصيص على قوله تعالى (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أى لا يقدرون على التصرف فى شئ منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو أهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفى عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك) شروع فى حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروى عن الكلبى ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحرث والجمع لمشايعة الباقين له فى ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والايذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم وفى كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه أى ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه (افتراه) يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه) أى على اختلاقه (قوم آخرون) يعنون اليهود بأن يلقوا اليه أخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله فى سورة النحل (فقد جاؤا ظلما) منصوب بجاؤا فان جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم أى جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا يفى بفهمه القوى والقدر (وزورا) أى كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ما هو برئ منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر أو يحصل بسببه بل على أن الثانى هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنه لما كان مغايرا له فى المفهوم وأظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره (وقالوا أساطير الاولين) بعد ما جعلوا الحق الذى لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بنوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة

والاساطير

والاساطير جمع أسطار أو اسطورة كأحدوثة وهى ماسطره المتقدمون من الخرافات (اكتتبها) أى كتبها لنفسه على الاسناد المجازى أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه الصلاة والسلام أمى وأصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمى بخصوصه وبنى الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه (فهى تملى عليه) أى تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على أن معنى اكتتبها اراد اكتتابها أو استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه عليه الصلاة والسلام لاسناد الكتابة فى ضمن الاكتتاب اليه عليه الصلاة والسلام (بكرة وأصيلا) أى دائما أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله أنى يؤفكون (قل) لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق (أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التى هى من جملة معلوماته تعالى أى ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة وأساطير الاولين بل هو أمر سماوى أنزله الله الذى لا يعزب عن علمه شئ من الاشياء وأودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا يحوم حوله الافهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلة وأمور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك أن يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى (انه كان غفورا رحيما) تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أى انه تعالى ازلا وأبدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون فى حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته تعالى عليها (وقالوا مال هذا الرسول) شروع فى حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفى هذا تصغير لشأنه عليه الصلاة والسلام وتسميته عليه الصلاة والسلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم وقوله تعالى (يأكل الطعام) حال من الرسول والعامل فيها ما عمل فى الجار من معنى الاستقرار أى أى شئ وأى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل (ويمشى فى الاسواق) لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذى هو مضمون الجملة الحالية كما فى قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما أن كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشى أمر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا أن استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه فى عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفى الاكل والمشى بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور أنظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وانما هو بأمور نفسانية كما أشير اليه بقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد (لولا أنزل اليه ملك) أى على صورته وهيئته (فيكون معه نذيرا) تنزل منهم من اقتراح أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له فى الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى (أو يلقى اليه كنز) تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح أن يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى (أو تكون له جنة يأكل منها) تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم (وقال الظالمون) هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا

عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى المسحورية أى قالوا للمؤمنين (ان تتبعون) أى ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهى الرئة أى بشرا لا ملكا على أن الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) استعظام للاباطيل التى اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها أى انظر كيف قالوا فى حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع (فضلوا) أى عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشئ يمكن صدوره عمن له أدنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح فى نبوتك بأن يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا فى نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال أمثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدى الى استعمال المقدمات الحقة (تبارك الذى) أى تكاثر وتزايد خير الذى (ان شاء جعل لك) فى الدنيا عاجلا شيأ (خيرا) لك (من ذلك) الذى اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بأن يجعل لك مثل ما وعدك فى الآخرة وقوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار (ويجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء الذى هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الرفع والجزم كما فى قول القائل

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بأن عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذى له وجه فى الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوتوا فى الدنيا مع النبوة ملكا عظيما (بل كذبوا بالساعة) اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جناياتهم الاخرى للتخلص الى بيان مالهم فى الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) الخ أى أعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم أو لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة فى التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير أشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا ما لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وأنكروها والحال أنا قد أعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبنى على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات فى الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا يجدى نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال

عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار * ماذا تحيون من نؤى وأحجار

والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا أن الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى (اذا رأتهم) الخ صفة للسعير أى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما أى لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة أو تمثيلا ومن فى قوله تعالى (من مكان بعيد) اشعار

بان

بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد فى المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبى والسدى من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه فى الاصل صفة له (ضيقا) صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر فى وصف الجنة بأن عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبى عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم ليستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط قال الكلبى الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء (مقرنين) حال من مفعول ألقوا اى اذا ألقوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل كل كافر مع شيطان وفى أرجلهم الاصفاد (دعوا هنالك) أى فى ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة (ثبورا) أى يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) على تقدير قول اما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أى دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بأن يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجى أو تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول ولا خطاب أى دعوه حال كونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبيها على أن عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة أبدى لا خلاص لهم منه أى لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد (وادعوا ثبورا كثيرا) أى بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته فى نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد فى حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه أدعية كثيرة فان ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهى عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب اقناطا لهم من ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهى والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على أنه ليس كسائر الايام المعهودة (قل) تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم (أذلك) اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة أى قل لهم أذلك الذى ذكر من السعير التى أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن أهلها ذيت وذيت (خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط (كانت) تلك الجنة (لهم) فى علم الله تعالى أو فى اللوح المحفوظ أو لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكى تحققه ووقوعه (جزاء) على أعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم (ومصيرا) ينقلبون اليه (لهم فيها ما يشاؤن) أى ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وأنواع النعيم كما فى قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما أتيح له من درجات النعيم ولا تمتد أعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوى مراتب أهل الجنان (خالدين) حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وقيل من فاعل يشاؤن (كان) أى ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون (على ربك وعدا مسؤلا) أى

موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون أو مسؤلا يسأله الناس فى دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام هو الفائز آثر ذى أثير بغانم الوعد الكريم مالا يخفى (ويوم يحشرهم) نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل أذلك الخ أى واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه أى يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال مالا يفى ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين أيضا (وما يعبدون من دون الله) أريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه أنك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو أو لانه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبوديهم أو لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على أنهم مثلها فى السقوط عن رتبة المعبودية أو اعتبارا لغلبة عبدتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب أو الاصنام ينطقها الله تعالى أو تتكلم بلسان الحال كما قيل فى شهادة الايدى والارجل (فيقول) أى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) بأن دعوتموهم الى عبادتكم كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله (أم هم ضلوا السبيل) أى عن السبيل بأنفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار وأوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والاصل الى السبيل أو للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لان المقصود بالسؤال هو المتصدى للفعل لا نفسه (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل قالوا (سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شئ أو اشعارا بأنهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده أو تنزيها له تعالى عن الانداد (ما كان ينبغى لنا) أى ما صح وما استقام لنا (أن نتخذ من دونك) أى متجاوزين اياك (من أولياء) نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليا غيرك فضلا أن يتخذنا وليا أو أن نتخذ من دونك أولياء أى أتباعا فان الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه أولياء الشيطان أى أتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من أولياء على أن من للتبعيض أى أن نتخذ بعض أولياء وهى على الاول مزيدة وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام (ولكن متعتهم وآباءهم) استدراك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا للضلالة أى ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا فى الشهوات وانهمكوا فيها (حتى نسوا الذكر) أى غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر فى آلائك والتدبر فى آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية (وكانوا) أى فى قضائك المبنى على علمك الازلى المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة (قوما بورا) أى هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعوذ فى جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى (فقد كذبوكم) حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة فى تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون أيها الكفرة (بما تقولون) أى فى قولكم انهم آلهة وقيل فى قولكم هؤلاء أضلونا ويأباه أن تكذيبهم فى هذا القول

لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلا وانما الذى يستتبعه تكذيبهم فى زعمهم أنهم آلهتهم وناصروهم وأيا ما كان فالباء بمعنى فى أو هى صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانك الآية (فما تستطيعون) أى ما تملكون (صرفا) أى دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أى لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف فى اموره أى يحتال فيها وقيل توبة (ولا نصرا) أى فردا من أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى أنه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل فى زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة أى ما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو يحتالوا لكم ولا أن ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه (ومن يظلم منكم) أيها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا فى اللجاج كل حد معتاد (نذقه) فى الآخرة (عذابا كبيرا) لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على أن الضمير لله سبحانه وتعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر فى اذاقة العذاب الكبير فان الشرط فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) جواب عن قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه وأقيمت هى مقامه كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما أرسلنا أحدا قبلك من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هى حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول أى يمشيهم حوائجهم أو الناس (وجعلنا بعضكم) تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضا منهم وبما فى قوله تعالى (لبعض) رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول (فتنة) أى ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثانى ولا على معنى جعلنا كل فرد من أفراد البعض الاول فتنة لكل فرد من أفراد البعض الثانى ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة أن مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وأما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم أيها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى (أتصبرون) فانه غاية للجعل المذكور ومن البين أن ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس مغيا بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما دل له مما يدل على أن اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد أن يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه الصلاة والسلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وأقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى (وكان ربك بصيرا) وعد كريم للرسول عليه الصلاة والسلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه الصلاة والسلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) شروع فى حكاية بعض آخر من أقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مالهذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل واللقاء الشئ عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى كما فى قوله تعالى انى ظننت أنى ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم أملهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما

غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا أى وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا وحسابنا المؤدى الى سوء العذاب الذى تستوجبه مقالتهم (لولا أنزل علينا الملائكة) أى هلا أنزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم (أو نرى ربنا) من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم فى المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى فى شأنها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء (وعتوا) أى تجاوزوا الحد فى الظلم والطغيان (عتوا كبيرا) بالغا أقصى غاياته حيث أملوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التى تخر لها صم الجبال فذهبوا فى الاقتراح كل مذهب حتى منتهم أنفسهم الخبيثة أمانى لا تكاد ترنو اليها أحداق الامم ولا تمتد اليها أعناق الهمم ولا ينالها الا أولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أى والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى (يوم يرون الملائكة) استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه فى غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة ايذانا من اول الامر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى (لا بشرى يومئذ للمجرمين) فانه فى معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفى الجنس للمبالغة فى نفى البشرى وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها تهوين للخطب فى مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بأن هناك بشرى يمنعونها أو يفقدونها وأين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما أن نفى المحبة فى مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على أبلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على أن لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه أى اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بأن تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفى البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على أنه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء فى اخراجهم عن الحرمان الكلى الى أن نفى البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه فى جميع الاوقات فيجوز أن يبشروا بالعفو والشفاعة فى وقت آخر بمعزل عن الحق بعيد (ويقولون) عطف على ما ذكر من الفعل المنفى المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له (حجرا محجورا) وهى كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما فى قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع ومحجورا صفة لحجرا واردة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أى جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) بيان لحال ما كانوا يعملونه فى الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التى لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال أعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد ما تحت أيديهم فأنحى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عينا ولا أثرا أى عمدنا اليها وأبطلناها أى أظهرنا بطلانها بالكلية من غير أن يكون هناك قدوم ولا شئ يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع

من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به أعمالهم المحبطة فى الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه فى الانتشار بحيث لا يمكن نظمه أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما فى قوله تعالى كونوا قردة خاسئين (أصحاب الجنة) هم المؤمنون المشار اليهم فى قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون الخ (يومئذ) أى يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل أعمالهم هباء منثورا (خير مستقرا) المستقر المكان الذى يستقر فيه فى أكثر الاوقات للتجالس والتحادث (وأحسن مقيلا) المقيل المكان الذى يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمى بذلك لأن التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب فى منتصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى أنه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق أى هم فى أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين فى الدنيا أو الى ما لهم فى الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر فى قوله تعالى قل أذلك خير الآية هذا وقد جوز أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة (ويوم تشقق السماء) أى تتفتح وأصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما فى تلظى وقرئ بادغام التاء فى الشين (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل (ونزل الملائكة تنزيلا) أى تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وننزل وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلى العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له أصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضا تصرف صورى فى الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وأيا ما كان فالجملة بمعناها عاملة فى الظرف أى ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بأن اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما فى قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقى يومئذ للرحمن (وكان) ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ فى الرحمة لعباده (يوما على الكافرين عسيرا) شديد الهول وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء فى الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين والانامل وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم اما عقبة بن أبى معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه عليه الصلاة والسلام يوما الى ضيافته فأبى عليه الصلاة والسلام أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال انى لا أرضى منك الا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فأتاه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا رضى الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصارى وطعن عليه الصلاة والسلام أبيا يوم أحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أوليا وقوله تعالى (يقول) الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى (يا ليتنى) الخ محكى به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه أو المنادى محذوف أى يا هؤلاء ليتنى (اتخذت مع الرسول سبيلا) أى طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو

طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة أو حصلت في صحبته عليه الصلاة والسلام طريقا ولم أكن ضالا لا طريق لي قط (ياويلتا) بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحارى ومدارى وقرئ على الاصل ياويلتي أي هلكتي تعالى واحضري فهذا أوانك (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) يريد من أضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عن يعقل من الاناث والفلان والفلانة من غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة أمسك فلانا عن فل وقوله خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن أبي وان أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى (لقد أضلني عن الذكر) تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته أي والله لقد أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسول عليه الصلاة والسلام أو كلمة الشهادة (بعد اذ جاءني) وتمكنت منه وقوله تعالى (وكان الشيطان للانسان خذولا) أي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على أنه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو أخص الاوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه الصلاة والسلام بوسوسته واغوائه لكن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الآخرة وهو أوفق بحال ابليس (وقال الرسول) عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه الصلاة والسلام أي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل (يارب ان قومي) يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنائع (اتخذوا هذا القرآن) الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة (مهجورا) أي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من تعلم القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بأن هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) وعد كريم له عليه الصلاة والسلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أي كفاك مالك أمرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب أجله واجراء أحكامه في أكناف الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه الصلاة والسلام والقائلون هم القائلون أولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم (لولا نزل عليه القرآن) التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه أي هلا أنزل كله (جملة واحدة)

كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فإن الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى إعجازها وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من أجزائه المقدرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في أن ما يدور عليه فلك الإعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على أن فيه فوائد جمة قد أشير إلى بعض منها بقوله تعالى (كذلك لنثبت به فؤادك) فإنه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فإن فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الأحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الأقاويل والأفاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وإبطالها وبيان ما يؤول إليه حالهم في الآخرة على أنهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث أمروا بالإتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكلمة وقوله تعالى (ورتلناه ترتيلا) عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم أي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في إثر بعض وقيل هو الأمر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئا فشيئا في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل (ولا يأتونك بمثل) من الأمثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الأمثال أي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن (إلا جئناك) في مقابلته (بالحق) أي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالإبطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الأجوبة الحقة القالعة لعروق أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى (وأحسن تفسيرا) عطف على الحق أي جئناك بأحسن تفسيرا أو على محل بالحق أي آتيناك الحق وأحسن تفسيرا أي بيانا وتفصيلا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل إلا حال إتياننا إياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به وتثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة وبإشارته منبئ عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن تنزيل القرآن على التدريج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه الصلاة والسلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الأكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحال عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة إلا أعطيناك نحن من الأحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي أنت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فإن المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما أتوا به من الأباطيل دامغا لها ولا ريب في أن ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه من أول الأمر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لأجل دمغها وإبطالها (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون إلى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم إلى فوق روى عنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم

وتلث على أقدامهم ينسلون نسلا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان
هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات أو توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب
أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء وقوله تعالى (أولئك) بدل منه أو بيان له وقوله تعالى
(شر مكانا وأضل سبيلا) خبره أو اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل
بالضلال من باب الاسناد المجازى للمبالغة والمفضل عليه الرسول عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله تعالى
قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات
تحقير مكانه عليه الصلاة والسلام وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل
هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا (ولقد آتينا موسى الكتاب) جملة
مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر فى قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا
بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود
واللام جواب لقسم محذوف أى وبالله لقد آتينا موسى التوراة أى أنزلناها عليه بالآخرة (وجعلنا معه)
الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى (أخاه) مفعول أول له وقوله تعالى (هرون) بدل من أخاه أو عطف
بيان له على عكس ما وقع فى سورة طه وقوله تعالى (وزيرا) مفعول ثان له وقد مر ثمة معنى الوزير أى جعلناه
فى أول الامر وزيرا له (فقلنا) لهما حينئذ (اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) هم فرعون وقومه
والآيات هى المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدى موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند
ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن
الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من
التدمير أى فذهبا اليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا (فدمرناهم) اثر ذلك التكذيب المستمر
(تدميرا) عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل
قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها
فى حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض فى مطلع القصة لايتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم
ولم يكن له مدخل فى هلاكهم كسائر الآيات للايذان من أول الامر ببلوغه عليه الصلاة والسلام غاية الكمال
ونيله نهاية الآمال التى هى انجاء بنى اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما فى التوراة
من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذى مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم
وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح) منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أى
ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب
تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه بقوله تعالى (لما كذبوا الرسل) أى نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا
وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله
تعالى (أغرقناهم) وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود
لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع أنه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح
لما أن اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم
(وجعلناهم) أى جعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) أى آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها
وهى مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها
(وأعتدنا للظالمين) أى لهم والاظهار فى موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد فى الكفر والتكذيب
(عذابا أليما) هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة فى الاخبار باعتاد العذاب الذى قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع
الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل فى زمرتهم قريش دخولا أوليا ويحتمل
العذاب الدنيوى والاخروى (وعادا) عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل
على محل الظالمين اذ هو فى معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد (وثمود) الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله
وقرئ وثمودا على تأويل الحى أو على أنه اسم الاب الاقصى (وأصحاب الرس) هم قوم يعبدون الاصنام

فبعث

فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهى البئر التى لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبى عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ أو دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه أى دسوه فى بئر (وقرونا) أى أهل قرون قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب (كثيرا) لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء فى شؤن تلك القرون بهذا البيان الاجمالى لما أن كل قرن منها لم يكن فى الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة (وكلا) منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل فى معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذى عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التى لم يذكر أسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكى عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة أى ذكرنا وأنذرنا كل واحد من المذكورين (ضربنا له الامثال) أى بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصى بواسطة الرسل (وكلا) أى كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض (تبرنا تتبيرا) عجيبا هائلا لما أنهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان وأصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شئ كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر وفتات الذهب والفضة (ولقد أتوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أى وبالله لقد أتى قريش فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت) أى أهلكت بالحجارة وهى قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث وأما البواقى فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهى المرادة بقوله تعالى (مطر السوء) وانتصابه اما على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل فى أنبته الله تعالى نباتا حسنا أى امطار السوء أو على أنه مفعول ثان اذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء (أفلم يكونوا يرونها) توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفى استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفى رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها فى الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها أو أكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر فى الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفى الثانى عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا أنه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروى الذى هو الغاية من خلق العالم وقد كنى عن ذلك بعدم رجاء النشور أى عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروى ولا يرون لنفس من النفوس نشورا أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوى فى حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصى حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) أى ما يتخذونك الا مهزوءا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه الصلاة والسلام على اتخاذهم اياه عليه الصلاة والسلام هزؤا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزؤا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان أتبع الا ما يوحى الى من سورة الانعام وقوله تعالى (أهذا الذى بعث الله رسولا) محكى بعد قول

قوله المذكورين فى بعض النسخ المكذبين اه

مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أي يستهزؤن بك قائلين أهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله
رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه الصلاة والسلام مع كونهم في غاية النكير
لبعثه عليه الصلاة والسلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا أبعث الله هذا رسولا أو أهذا الذي يزعم أنه
بعثه الله رسولا (ان كاد) ان مخففة من انّ وضمير الشان محذوف أي انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) أي
ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم
بادّعاء أن عبادتها طريق سوىّ (لولا أن صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في أمثال هذا
الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا
اعتراف منهم بأنه عليه الصلاة والسلام قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة
الحجج والبينات الى حيث شارفوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى أنه من قول أبي جهل
(وسوف يعلمون) جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام
الى الضلال في ضمن الاضلال أي سوف يعلمون البتة وان تراخى (حين يرون العذاب) الذي يستوجبه
كفرهم وعنادهم (من أضلّ سبيلا) وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وان أمهلهم
(أرأيت من اتخذ الهه هواه) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم
من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى
ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه أمر التعجيب ومن
توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو
المتلبس بالحالة الحادثة أي أرأيت من جعل هواه الها لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضا
عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى (أفأنت تكون
عليه وكيلا) انكار واستبعاد لكونه عليه الصلاة والسلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده
الى الحق طوعا أو كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه
في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء أو أبى وقوله تعالى (أم تحسب أن
أكثرهم يسمعون أو يعقلون) اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه الصلاة والسلام
لهم ممن يسمع أو يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه الصلاة والسلام في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير
لكن لا على أنه لا يقع كالاول بل على أنه لا ينبغي أن يقع أي بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من
الآيات حق السماع أو يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني
بشأنهم وتطمع في ايمانهم وضمير أكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما أن الافراد في الضمائر الاول باعتبار
لفظها وضمير الفعلين لاكثر لا لما أضيف هو اليه وقوله تعالى (ان هم الا كالانعام) الخ جملة مستأنفة
مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة أي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم
من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة
وعلم في الضلالة (بل هم أضلّ) منها (سبيلا) لما أنها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف
من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتأوي
الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي
هو أعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك
ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنيّ والمورد العذب الرويّ ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب
الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام
الشرور ولان أحكام جهالتها وضلالتها مقصورة على أنفسها لا تتعدى الى أحد وجهالة هؤلاء مؤدية الى
ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة
لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال وأما هؤلاء فهم
معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد

النكال (ألم تر الى ربك) بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام وللايذان بأن ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته تعالى أى ألم تنظر
الى بديع صنعه تعالى (كيف مدّ الظلّ) أى كيف أنشأ ظلّ أىّ مظلّ كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء
طلوع الشمس ممتدًا لا أنه تعالى مدّه بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوّه عن
التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم وأمّا ما قيل من أن المراد بالظلّ
ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه أطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس
يسخن الجوّ ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فى قوله تعالى وظلّ ممدود فغير سديد اذ لا ريب فى أن المراد
تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عزّ وجلّ وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بدّ أن يراد بالظلّ ما يتعارفونه من
حالة مخصوصة يشاهدونها فى موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما فى جوانبه من مواقع
ضح الشمس وما ذكر وان كان فى الحقيقة ظلا للافق الشرقىّ لكنهم لا يعدّونه ظلا ولا يصفونه بأوصافه المعهودة
ولعلّ توجيه الرؤية اليه سبحانه وتعالى مع أن المراد تقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام لكيفية مدّ الظلّ للتنبيه
على أن نظره عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شؤن
الصانع المجيد وقوله تعالى (ولو شاء لجعله ساكنا) جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أوّل الامر على
أنه لا مدخل فيما ذكر من المدّ للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف
على القاعدة المستمرّة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء أى ولو شاء سكونه لجعله ساكنا أى ثابتا
على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذى هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع
بين المظلّ وبين الشمس يرى رأى العين حركة وانتقالا وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لا تنسخه الشمس
وأمّا التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به
صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات
واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتاثير بالكلية وقصرها على مجرّد الدلالة على وجود المسببات
لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس فى مقام واحد على أنها أعظم من ابقاء الظلّ على حاله
فى الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهى أولى وأحق بالايراد
فى معرض البيان وقوله تعالى (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) عطف على مدّ داخل فى حكمه أى جعلناها
علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به
الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما فى الجعل المذكور العارى عن التأثير مع ما يشاهد
بين الشمس والظلّ من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو
السرّ فى ايراد كلمة التراخى وقوله تعالى (ثم قبضناه) عطف على مدّ داخل فى حكمه وثم للتراخى الزمانىّ
لما أن فى بيان كون القبض والمدّ مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية
ويجوز أن تكون للتراخى الرتبىّ أى أزلناه بعد ما أنشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع
شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير فى ذلك أصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه
لما أنه قد عبر عن احداثه بالمدّ الذى هو البسط طولا وقوله تعالى (الينا) للتنصيص على كون مرجعه
اليه تعالى كما أن حدوثه منه عزّ وجلّ (قبضا يسيرا) أى على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة
معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة
ودحا الارض تحتها ألقت القبة ظلها على الارض لعدم النيّر وذلك مدّه تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا
على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظلّ أى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل
فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتدّ ويقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير أو قبضا سهلا
عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظلّ فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر
انشاؤه بانشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضى للدلالة على تحقق

الوقوع (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفى تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام الليل الذى هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه أى هو الذى جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس (والنوم سباتا) أى وجعل النوم الذى يقع فى الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذى هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة فى انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (وجعل النهار نشورا) أى زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى أن النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) وقرئ بالتوحيد على أن المراد هو الجنس (بشرا) تخفيف بشر جمع بشور أى مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور أى ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون أيضا على أنه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى (بين يدى رحمته) استعارة بديعة أى قدام المطر والالتفات الى نون العظمة فى قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح أى أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا فى الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا فى نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور فى العربية اما صفة كما تقول ماء طهور أو اسم كما فى قوله عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوأ حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم أحق بذلك وأولى (لنحيى به) أى بما أنزلنا من الماء الطهور (بلدة ميتا) بانبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت أو غامرة (ونسقيه) أى ذلك الماء الطهور عند جريانه فى الاودية أو اجتماعه فى الحياض والمناقع أو الآبار (مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) أى أهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم بالذكر لان أهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وأسقى وسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسى جمع انسى أو انسان كظرابى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت نونه ياء وقرئ أناسى بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كأناعم فى أناعيم (ولقد صرفناه) أى وبالله لقد كررنا هذا القول الذى هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة فى القرآن وغيره من الكتب السماوية (بينهم) أى بين الناس من المتقدمين والمتأخرين (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته فى ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله فى بعض البلاد دون غيرها أو فى بعض الاوقات دون بعض أو جعله تارة وابلا وأخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رهمة والاول هو الاظهر (فأبى أكثر الناس) ممن سلف وخلف (الا كفورا) أى لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو الا جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى والانواء أمارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما

وتفضيلا لك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) اى فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كأنه نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف فى الدعوة لما أنه عليه الصلاة والسلام كان يود أن يدخلوا فى الاسلام ويجتهد فى ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد (وجاهدهم به) أى بالقرآن بتلاوة ما فى تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الامم المكذبة (جهادا كبيرا) فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهى عن الطاعة وأنت خبير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا أن تجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كأنه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما فى قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه عليه الصلاة والسلام نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه الصلاة والسلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وأنت خبير بأن بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها فى الكيفية (وهو الذى مرج البحرين) أى خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش لغاية عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد فى بارد (وجعل بينهما برزخا) حاجزا غير مرئى من قدرته كما فى قوله تعالى بغير عمد ترونها (وحجرا محجورا) وتنافرا مفرطا كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) هو الماء الذى خمر به طينة آدم عليه السلام أو جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة أو هو النطفة (فجعله نسبا وصهرا) أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) مبالغا فى القدرة حيث قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى (ويعبدون من دون الله) الذى شأنه ما ذكر (ما لا ينفعهم ولا يضرهم) أى ما ليس من شأنه النفع والضر أصلا وهو الاصنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه) الذى ذكرت آثار ربوبيته (ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم (وما أرسلناك الا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) للكافرين (قل) لهم (ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة الذى ينبئ عنه الارسال (من أجر) من جهتكم (الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى الا فعل من يريد أن يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما أدعوهم اليهما فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه الصلاة والسلام وقيل الاستثناء منقطع أى لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) فى الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) ما ظهر منها وما بطن (خبيرا) اى مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شئ منها فيجزيهم جزاء وافيا (الذى خلق

السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحى وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التى هى من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من أنشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين فى أوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الامر اليه (الرحمن) مرفوع على المدح أى هو الرحمن وهو فى الحقيقة وصف آخر للحى كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه فى الاعراب لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا فى النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق فى تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن فى استوى (فاسأل به) أى بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا فى تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعى لكون المسؤل أمرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من أن التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على أن الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به (خبيرا) عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان أنكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) قالوه لما أنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لانهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) أى للذى تأمرنا بسجوده أو لامرك ايانا من غير أن نعرف أن المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بياء الغيبة على أنه قول بعضهم لبعض (وزادهم) أى الامر بسجود الرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) هى البروج الاثنا عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) هى الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ قمرا أى ذا قمر وهى جمع قمراء ولما أن الليالى بالقمر تكون قمراء أضيف اليها ثم حذف وأجرى حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما فى قول حسان رضى الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل أى ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) أى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغى أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهى اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس (لمن أراد أن يذكر) أى يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم أنه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد (أو أراد شكورا) أى أن يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم أو ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده فى أحدهما تداركه فى الآخر وقرئ أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر (وعباد الرحمن) كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما فى آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن أى عباده المقبولون (الذين يمشون على الارض هونا) أى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على أنه حال من فاعل يمشون أو على أنه نعت لمصدره أى يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة أو مشيا

هينا وقوله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون) أى السفهاء كما فى قول من قال

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(قالوا سلاما) بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم فى أنفسهم أى اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسليما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبى العالية وقوله تعالى (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) بيان لحالهم فى معاملتهم مع ربهم أى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أى يحيون الليل كلا أو بعضا بالصلاة وقيل من قرأ شيأ من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل (والذين يقولون) أى فى أعقاب صلواتهم أو فى عامة أوقاتهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أى شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى فى صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون (انها ساءت مستقرا ومقاما) تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها فى نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز أن يكون تعليلا للاولى وليس بذاك وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز وهو بعيد خال عما فى الاول من المبالغة فى بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المعاصى والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء (وكان بين ذلك) أى بين ما ذكر من الاسراف والقتر (قواما) وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على أنه مبنى لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشئ عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) شروع فى بيان اجتنابهم عن المعاصى بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفى الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفى الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما فى سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم أى لا يعبدون معه تعالى الها آخر (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) أى حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه مبالغة فى التحريم (الا بالحق) أى لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق أو لا يقتلونها فى حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق (ولا يزنون) أى الذين لا يفعلون شيأ من هذه العظائم القبيحة التى جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التى من جملتها الموءودة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه أصلا (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين (يلق) فى الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما (أثاما) وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم أى يلق جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرئ أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم الصعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لاتحادهما فى المعنى كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب (ويخلد فيه) أى فى ذلك العذاب المضاعف (مهانا) ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسمانى والروحانى وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب

ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصى الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة (فأولئك) اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الافراد فى الافعال الثلاثة باعتبار لفظه أى أولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح (يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل بملكة المعصية ودواعيها فى النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الاولى ويأتى بالثانية وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزناعفة واحصانا (وكان الله غفورا رحيما) اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من المحو والاثبات (ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها بالكلية والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به مافرط منه أو خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعات (فانه) بما فعل (يتوب الى الله) أى يرجع اليه تعالى (متابا) أى متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله تعالى الذى يحب التوابين ويحسن اليهم أو فانه يرجع اليه تعالى أو الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه (واذا مروا) على طريق الاتفاق (باللغو) أى ما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) المنطوية على المواعظ والاحكام (لم يخروا عليها صما وعميانا) أى أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفى الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده أهله فى طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له فى مناهج الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة حسبما وعد بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية أو بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد أعين المتقين ولا ريب فى قلتها نظرا الى غيرها (واجعلنا للمتقين اماما) أى اجعلنا بحيث يقتدون بنا فى اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو لان المراد واجعل كل واحد منا اماما أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وأنت خبير بأن مدار الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم فى عصر واحد فما ظنك باجتماعهم فى مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره فى استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلنى للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وأبقى اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول فى المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بأن كل واحد مما ذكر فى حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف الذاتى كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب فى المزدحم

(أولئك) اشارة الى المتصفين بما فصل فى حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يجزون الغرفة) والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم فى الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم فى الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة

العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال أى يثابون أعلى منازل الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقيل هى اسم من أسماء الجنة (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها) من جهة الملائكة (تحية وسلاما) أى يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقى (خالدين فيها) لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) الكلام فيه كالذى مر فى مقابله (قل) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلا أى قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر (ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) أى أى عبء يعبأ بكم وأى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه أى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز أن تكون ما نافية وقوله تعالى (فقد كذبتم) بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم أى فقد كذبتم بما أخبرتكم به وخالفتموه أيها الكفرة ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الايذان بأن مناط فوز أحدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسى المصحح للاشتراك فى الفوز ليس الا اختلافهما فى الاعمال (فسوف يكون لزاما) أى يكون جزاء التكذيب أو أثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم فى النار كما تعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما أضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل أمره وللتنبيه على أنه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

*(سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخرها وهى مائتان وست او سبع وعشرون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(طسم) بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها فى الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على أحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف وهو أظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه فى مطلع سورة يونس عليه السلام أو النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك فى قوله تعالى (تلك آيات الكتاب المبين) اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد أو اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هنالك وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه فى الفخامة ومحله الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها أو الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة (لعلك باخع نفسك) أى قاتل وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق أى اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) أى لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى (ان نشأ) الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهى عن التحسر المذكور ببيان أن ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أعنى قوله تعالى (ننزل عليهم من السماء آية) أى ملجئة لهم

الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مرّ مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر (فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم فى الصيغة أيضا كما فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين وقيل أريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس أى فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة مافعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم أشنع وأقبح أى ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرّغ من أعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أى ما يأتيهم من ذكر فى حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه (فقد كذبوا) أى كذبوا بالذكر الذى يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطير وأخرى شعرا والفاء فى قوله تعالى (فسيأتيهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أى فسيأتيهم البتة من غير تخلف أصلا (أنباء ما كانوا به يستهزؤن) عدل عما يقتضيه سائر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير اليه حسبما وقع فى قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن وأنباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما أنبأ بها القرآن الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم أى فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قبل من غير أن يتدبروا فى أحواله ويقفوا عليها (أولم يروا) الهمزة للانكار التوبيخى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أفعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا (الى الارض) أى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما أعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) استئناف مبين لما فى الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج أى صنف مميز والكريم من كل شئ مرضيه ومحموده أى كثيرا من كل صنف مرضى كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيأ الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون (انّ فى ذلك) اشارة الى مصدر أنبتنا أو الى كل واحد من تلك الازواج وأيا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الفضل (لآية) أى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومه عليه الصلاة والسلام (مؤمنين) قيل أى فى علم الله تعالى وقضائه حيث علم أزلا أنهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم

الذى عليه يدور أمر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة
والمعنى وما أكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم فى المكابرة والعناد مع تعاضد
موجبات الايمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم
معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما أشير اليه من التحقيق مما يخفى على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل ان
فى ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم فى الكفر والضلالة وانهماكهم
فى الغى والجهالة ونسبة عدم الايمان الى أكثرهم لان منهم من سيؤمن (وان ربك لهو العزيز) الغالب على كل
ما يريده من الامور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء (الرحيم) المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم
بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه الصلاة والسلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى (واذ نادى ربك موسى)
كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها
اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى
عليه الصلاة والسلام أى واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام
وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من أن
يحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن
لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحى الناطق بقصتهم
وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة
وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا (أن ائت)
بمعنى أى ائت على أن أن مفسرة أو بأن ائت على أنها مصدرية حذف منها الجار (القوم الظالمين) أى
بالكفر والمعاصى واستعباد بنى اسرائيل وذبح أبنائهم وليس هذا مطلع ما ورد فى حيز النداء وانما هو ما فصل
فى سورة طه من قوله تعالى انى أنا ربك الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى فى قصة واحدة من
المقالات بعبارات شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه فى أوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال أنظرنى
(قوم فرعون) بدل من الاول أو عطف بيان له جىء به للايذان بأنهم علم فى الظلم كأن معنى القوم الظالمين
وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة أن نفسه أول داخل فى الحكم (الا يتقون)
استئناف جىء به اثر ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم فى الظلم وافراطهم
فى العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم أدى الى
مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد أجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من
حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبتدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ
بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون نحو ألا يسجدوا (قال)
استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا
الى الله عز وجل (رب انى أخاف أن يكذبون) من أول الامر (ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى)
معطوفان على أخاف (فأرسل) أى جبريل عليه السلام (الى هرون) ليكون معى وأتعاضد به فى تبليغ
الرسالة رتب عليه الصلاة والسلام استدعاءه ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد
ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق
لانها اذا اجتمعت تمس الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته
ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف فى تلقى الامر فى شئ وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به
وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه
(ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو سمى باسمه والمراد به قتل القبطى
وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة فى غير موضع
(فأخاف) أى ان أتيتهم وحدى (أن يقتلون) بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغى وليس هذا أيضا تعللا

واغماهو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى (قال كلا فاذهبا بآياتنا) حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفى قوله بآياتنا رمز الى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى (انا معكم مستمعون) تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انى معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا فى المعية وقيل أجريا مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية أى سامعون ما يجرى بينكما و بينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذى شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجرى بينهم ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة فى الوعد بالاعانة أو استعير الاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء فى قوله تعالى (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتى لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أو لانه مصدر وصف به وأن فى قوله تعالى (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشأم (قال) أى فرعون لموسى عليه السلام بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به روى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك فأديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك (ألم نربك فينا) فى حجرنا ومنازلنا (وليدا) أى طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن اثنتى عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله أعلم (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال و بخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل (وأنت من الكافرين) أى بنعمتى حيث عمدت الى قتل رجل من خواصى أو أنت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه الصلاة والسلام أو جهل أمره عليه الصلاة والسلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فأين هو عليه الصلاة والسلام من مشاركتهم فى الدين فالجملة حينئذ حال من احدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالهيته أو ممن يكفرون فى دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونها أو من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه (قال) مجيبا له مصدقا له فى القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر (فعلتها اذا وأنا من الضالين) أى من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء أى من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء أو من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهبين عما يؤدى اليه الوكز أو الناسين كقوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى (ففررت منكم) الى ربى (لما خفتكم) أن تصيبونى بمضرة وتؤاخذونى بما لا أستحقه بجنايتى من العقاب (فوهب لى ربى حكما) أى حكمة أو نبوة (وجعلنى من المرسلين) ردا أولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عدده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على أن ذلك كان فى الحقيقة نقمة فقال (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) أى تلك التربية نعمة تمن بها على ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدك اياهم بذبح أبنائهم فانه السبب فى وقوعى عندك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أى أو تلك نعمة تمنها على وهى أن عبدت بنى اسرائيل ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وتوحيد الخطاب فى تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه (قال فرعون) لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه فى أمره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع فى الاعتراض على دعواه

عليه

عليه الصلاة والسلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال (ومارب العالمين) حكاية لما وقع في عبارته عليه الصلاة والسلام أي أي شيء رب العالمين الذي ادعيت أنك رسوله منكرا لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه الصلاة والسلام (قال) موسى عليه السلام مجيبا له (رب السموات والارض وما بينهما) بتعيين ما أراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك أوان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا أولى بالايقان لظهوره وانارة دليله (قال) أي فرعون عند سماع جوابه عليه الصلاة والسلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه واذعانهم له (لمن حوله) من أشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) مريا لهم أن ما سمعوه من جوابه عليه الصلاة والسلام مع كونه مما لا يليق بأن يعتقد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال ألا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه (قال) عليه الصلاة والسلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابق (ربكم ورب آبائكم الاولين) وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية (قال) أي فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فأراهم أن ما قاله عليه الصلاة والسلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء وأضافه الى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا الى نفسه (قال) عليه الصلاة والسلام (رب المشرق والمغرب وما بينهما) قاله عليه الصلاة والسلام تكميلا لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون الارض تارة مظلمة وأخرى منورة الى الله تعالى أرشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبيء عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف (ان كنتم تعقلون) أي ان كنتم تعقلون شيأ من الاشياء أوان كنتم من أهل العقل علمتم أن الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه الصلاة والسلام به من الجنون (قال) لما سمع اللعين منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره وأنه ممن لا يجاري في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب (لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) لم يقتنع منه عليه الصلاة والسلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه الصلاة والسلام أن يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في أن تعجيبه وتجهيله من الجواب الاول ونسبته عليه الصلاة والسلام الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عليه الصلاة والسلام الربوبية الى غيره وأما ما قيل من أن سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتجهيله من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر أحواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد أي لاجعلنك ممن عرفت أحوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك (قال أولو جئتك بشيء مبين) أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو في أولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا أنها للعطف وأن كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد

حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما أن الشئ متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من أحواله المفروضة فتعلق الحكم بأبعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا أي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على أن الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى أتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشئ مبين وحال مجيئي به (قال فأت به ان كنت من الصادقين) أي فيما يدل عليه كلامك من أنك تأتي بشئ مبين موضح لصدق دعواك أو في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر ثعبانيته لا أنه شئ يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب أي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه (ونزع يده) من جيبه (فاذا هي بيضاء للناظرين) قيل لما رأى فرعون الآية الاولى وقال هل لك غيرها فأخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فأدخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) أي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق في فن السحر (يريد أن يخرجكم) قسرا (من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بأمرهم أو الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما وقيل احبسهما (وابعث في المدائن حاشرين) أي شرطا يحشرون السحرة (يأتوك) أي الحاشرون (بكل سحار عليم) فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) أي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا) أي أجرا عظيما (ان كنا نحن الغالبين) لا موسى عليه السلام (قال نعم) لكم ذلك (وانكم) مع ذلك (اذا لمن المقربين) عندي قيل قال لهم تكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان (قال لهم موسى) أي بعد ما قال له السحرة اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى (ألقوا ما أنتم ملقون) ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا) أي وقد قالوا عند الالقاء (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم واتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) أي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف (ما يأفكون) أي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة (فألقي السحرة ساجدين) أي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقيا ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه أمر الهي قد ظهر على يده عليه الصلاة والسلام

لتصديقه وفيه دليل على أن قصارى ماينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لاحقيقة له (قالوا آمنا برب العالمين) بدل اشتمال من ألقى أوحال باضمار قد وقوله تعالى (رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بأن الموجب لايمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة (قال) أى فرعون للسحرة (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى بغير أن آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى لا أن الاذن منه ممكن أومتوقع (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فتواطأتم على مافعلتم أوعلمكم شيأ دون شئ فلذلك غلبكم أراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) أى وبال مافعلتم وقوله (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) بيان لما أوعدهم به (قالوا) أى السحرة (لاضير) لاضرر فيه علينا وقوله تعالى (انا الى ربنا منقلبون) تعليل لعدم الضير أى لاضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أولاضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لابد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها وقوله تعالى (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أول المؤمنين) أى من أتباع فرعون أومن أهل المشهد تعليل ثان لنفى الضير أى لاضير علينا فى ذلك انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا أول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أوعلى طريقة قول المدل بأمره كقول العامل لمستأجر أخر أجرته ان كنت عملت لك فوفنى حقى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) وذلك بعد بضع سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الاعتوا وعنادا حسبما فصل فى سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ أن سر من السير (انكم متبعون) تعليل للامر بالاسراء أى يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فأسر بمن معك حتى لايدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم (فأرسل فرعون) حين أخبر بسيرهم (فى المدائن حاشرين) جامعين للعساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء) يريد بنى اسرائيل (لشرذمة قليلون) استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا بالنسبة الى جنوده اذ روى أنه أرسل فى اثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث (وانهم لنا لغائظون) أى فاعلون مايغيظنا (وانا لجميع حاذرون) يريد أنهم لقلتهم لايبالى بهم ولايتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به مايكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثانى على الثبات وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة أى أقوياء واشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى أجسامهم (فأخرجناهم) بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) كانت لهم جملة ذلك (كذلك) اما مصدر تشبيهى لأخرجنا أى مثل ذلك الاخراج العجيب أخرجناهم أوصفة لمقام كريم أى من مقام كريم كائن كذلك أوخبر لمبتدا محذوف أى الامر كذلك (وأورثناها بنى اسرائيل) أى ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها (فأتبعوهم) أى فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس أى طلوعها (فلما تراءى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان (قال أصحاب موسى انا لمدركون) جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفى التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى أى لمتتابعون فى الهلاك على أيديهم (قال كلا) ارتدعوا عن ذلك فانهم لايدركونكم (ان معى ربى) بالنصرة

والهداية (سيهدين) البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روى أن يوشع عليه السلام قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروى أن مؤمنا من آل فرعون كان بين يدى موسى عليه السلام فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال عليه السلام أمرت بالبحر ولعلى أومر بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) القلزم أو النيل (فانفلق) الفاء فصيحة أى فضرب فانفلق فصار اثنى عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك (فكان كل فرق) حاصل بالانفلاق (كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب منها (وأزلفنا) أى قربنا (ثم الآخرين) أى فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى أن عبروا الى البر (ثم أغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك) أى فى جميع مافصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل أمر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية فى قوله تعالى (لآية) أى آية آية وأية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبى عليه الصلاة والسلام بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطى ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصى ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك أو ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه الصلاة والسلام اياها على ما هى عليه من غير أن يسمعها من أحد لآية عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحى الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام (وما كان أكثرهم) أى اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام (مؤمنين) لا بأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا فى حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد مع كون كل من الطريقين مما يؤدى الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأى سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعدما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز أن يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك فى قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى أتى أمر الله الآية (وان ربك لهو العزيز) الغالب على كل ما يريده من الامور التى من جملتها الانتقام من المكذبين (الرحيم) المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحى مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه وأما ما قيل من أن ضمير اكثرهم لاهل مصر فرعون من القبط وغيرهم وأن المعنى وما كان اكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التى دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة فى السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله عليهم الصلاة والسلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بأيديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان وأصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن أن يخبر عنهم بعدم ايمان أكثرهم لاسيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم اياهم فى شئ مما حكى عنهم من الجنايات أصلا مما يوجب تنزيه

التنزيل عن أمثاله فتدبر (واتل عليهم) عطف على المضمر المقدر عاملا لاذ نادى الخ أى واتل على المشركين (نبأ ابراهيم) أى خبره العظيم الشأن حسبما أوحى اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الآيات بأحد الطريقين (اذ قال) منصوب اما على الظرفية للنبأ أى نبأه وقت قوله (لابيه وقومه) أو على المفعولية لاتل على أنه بدل من نبأ أى واتل عليهم وقت قوله لهم (ما تعبدون) على أن المتلو ما قاله لهم فى ذلك الوقت سألهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك ليبنى على جوابهم أن ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) لم يقتصروا على الجواب الكافى بأن يقولوا أصناما كما فى قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا أنزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل أطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم قصدا الى ابراز ما فى نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها أو مستديرين حولها وهذا أيضا من جملة اطنابهم (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم (هل يسمعونكم) أى هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف أو يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى (اذ تدعون) عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع أى هل يسمعونكم شيأ من الاشياء أو الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وأجيبوا هل سمعوا أو أسمعوا قط (أو ينفعونكم) بسبب عبادتكم لها (أو يضرون) أى يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع أو دفع ضر (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اعترفوا بأنها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار أن لا سند لهم سوى التقليد أى ما علمنا أو ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أى مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون) أى أنظرتم فأبصرتم أو تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه (أنتم وآباؤكم الاقدمون) حق الابصار أو حق العلم وقوله (فانهم عدو لى) بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أى فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو لان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذى هو أعدى عدو الانسان لكنه عليه الصلاة والسلام صور الامر فى نفسه تعريضا بهم فانه أنفع فى النصيحة من التصريح واشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان فى معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (الا رب العالمين) استثناء منقطع أى لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو ولى فى الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل على بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى (الذى خلقنى) صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطفه عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتفصيلا لها لكونها أدخل فى اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء فى جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى (فهو يهدين) أى هو يهدينى وحده الى كل ما يهمنى ويصلحنى من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدى كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدإ ايجاده الى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم (والذى هو يطعمنى ويسقين) عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول فى المواقع الثلاثة مع كفاية عطف

ماوقع فى حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل فى استيجاب الحكم حقيق بأن تجرى عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها (واذا مرضت فهو يشفين) عطف على يطعمنى ويسقين نظم معهما فى سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وكما قال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وأما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت امور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما فى سمط واحد فى قوله تعالى (والذى يميتنى ثم يحيين) على أن الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه الصلاة والسلام للحياة الابدية بمعزل من أن يكون غير مطبوع عنده عليه الصلاة والسلام (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) ذكره عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه وتعليما للامة أن يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه الصلاة والسلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على أن يتأملوا فى أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال فى درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه الصلاة والسلام مع كونه فى طاعة الله تعالى وعبادته فى الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال أولئك المغمورين فى الكفر وفنون المعاصى والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى أختى مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه أما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه الصلاة والسلام الى الشأم وأما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين أن جريان هذه المقالات فيما بينهم كان فى مبادى الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها انما تغفر فى الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان فى ذلك تهويلاله واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر (رب هب لى حكما) بعدما ذكر عليه الصلاة والسلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدا خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التى هى الكمال فى العلم والعمل بحيث تمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق (وألحقنى بالصالحين) ووفقنى من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحنى للانتظام فى زمرة الكاملين الراسخين فى الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها أواجمع بينى وبينهم فى الجنة ولقد أجابه تعالى حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى جاها وحسن صيت فى الدنيا بحيث يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى أمة من الامم الا وهى محبة له ومثنية عليه أو صادقا من ذريتى يجدد أصل دينى ويدعو الناس الى ماكانت أدعوهم اليه من التوحيد وهو النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبى ابراهيم (واجعلنى) فى الآخرة (من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى الوراثة فى سورة مريم (واغفر لابى) بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله (انه كان من الضالين) اى طريق الحق وقد مر تحقيق المقام فى تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه (ولا تخزنى) بمعاتبتى على مافرطت أو بنقص رتبتى عن بعض الورّاث أو بتعذيبى لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبنى على هضم النفس منه عليه الصلاة والسلام أو بتعذيب والدى أو ببعثه فى عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزى بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) اى الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما فى عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون) بدل من يوم يبعثون جىء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل اى لا ينفع مال وان كان مصروفا فى الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم) اى عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه الصلاة والسلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اى الا مال من أو بنو من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس

قوله بأن تجرى الخ أنث باعتبار الصفة تأمل اه مصححه

من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما فى قوله تحية بينهم ضرب وجيع اى الاحال من أتى الله بقلب سليم على أنها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل الا سلامة قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله الآية لان غنى المرء فى دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه (وأزلفت الجنة للمتقين) عطف على لا ينفع وصيغة الماضى فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه فى سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما أن صيغة المضارع فى المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع أى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين) الضالين عن طريق الحق الذى هو الايمان والتقوى أى جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الاحوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا (وقيل لهم أينما كنتم) فى الدنيا (تعبدون من دون الله) أى أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم شفعاؤكم فى هذا الموقف (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (أو ينتصرون) بدفعه عن أنفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل (فكبكبوا فيها) أى ألقوا فى الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى الى أن يستقروا فى قعرها (هم) أى آلهتهم (والغاوون) الذين كانوا يعبدونهم وفى تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى أنهم يؤخرون عنها فى الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم (وجنود ابليس) أى شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسوّلون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصى ليجتمعوا فى العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه (أجمعون) تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى (قالوا) الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة (وهم فيها يختصمون) أى قالوا معترفين بخطائهم فى انهماكهم فى الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال أنهم فى الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على أن الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق (تالله ان كنا لفى ضلال مبين) ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذى هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية أى ان الشأن كنا فى ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع فى اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطائهم فى رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى (اذ نسويكم برب العالمين) ظرف لكونهم فى ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام أى ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعى من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أى تالله لقد كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم أيها الاصنام فى استحقاق العبادة برب العالمين الذى أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم وقولهم (وما أضلنا الا المجرمون) بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير أن يستقلوا فى تحققه أو يكون بسبب اضلال الغير كأنه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما فى قوله تعالى ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى رحمه الله الاولون الذين اقتدوا بهم وأيا ما كان ففيه أوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصى (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء على أن عدمهما كناية عن عداوتهما كما أن عدم المحبة فى مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا

منها شافع ولا صديق على أن المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما أن افراد الصديق لقلته أو لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى (فلو أن لنا كرة) للتمني كليت لما أن بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة أي رجعة الى الدنيا وقيل هي على أصلها من الشرط وجوابه محذوف كأنه قيل فلو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى (فنكون من المؤمنين) لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على أصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان أصلا مع أنه المقصود حتما (ان في ذلك) أي فيما ذكر من نبا ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه أمر عبدتها يوم القيامة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما أزلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من ألوان العذاب وأنواع العقاب (لآية) أي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على أهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام أن يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه أو ان في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير أن تسمعه من أحد لآية عظيمة دالة على أن ما تتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وأما أن ضمير أكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه أصلا لظهور أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي فعلوها به عليه الصلاة والسلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان أكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشأم وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى (اذ قال لهم) ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام الى انتهائها (أخوهم) أي نسيبهم (نوح الا تتقون) الله حيث تعبدون غيره (اني لكم رسول) من جهته تعالى (أمين) مشهور بالامانة فيما بينكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه) أي على ما أنا متصد له من الدعاء والنصح (من أجر) أصلا (ان أجري) فيما أتولاه (الا على رب العالمين) والفاء في قوله تعالى (فاتقوا الله وأطيعون) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه الصلاة والسلام عن الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان أجري بسكون الياء (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالكلاب واكلب وأكالب وقرئ وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادئ الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو أكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بأنها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه (قال وما علمي

بما كانوا يعملون) جواب عما أشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة أى وما وظيفتى الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم (ان حسابهم) أى ما محاسبة أعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة (الا على ربى) فانه المطلع على السرائر والضمائر (لو تشعرون) أى بشئ من الاشياء أو لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله (ان أنا الا نذير مبين) كالعلة له أى ما أنا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الاعزاء أو الاذلاء فكيف يتسنى لى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما علىّ الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علىّ استرضاء بعضكم بطرد الآخرين (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين أو المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى فى أواخر الامر ومعنى قوله تعالى (قال رب ان قومى كذبون) تموا على تكذيبى وأصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائى الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله (فافتح بينى وبينهم فتحا) أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح عليه السلام (ونجنى ومن معى من المؤمنين) أى من قصدهم أو من شؤم أعمالهم (فأنجيناه ومن معه) حسب دعائه (فى الفلك المشحون) أى المملوء بهم وبما لا بد لهم منه (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجائهم (الباقين) أى من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) الكلام فيه كالذى مر خلا أن حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح أبعد من السداد وأبعد (كذبت عاد المرسلين) انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الاقصى (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) الكلام فى أن المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر فى صدر قصة نوح عليه السلام أى ألا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) الكلام فيه كالذى مر وتصدير القصص به للتنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا فى بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وأنهم متنزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية (أتبنون بكل ريع) أى مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) أى ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم أو قصورا عالية يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) أى مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) أى راجين أن تخلدوا فى الدنيا أى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسوط أو سيف (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة (فاتقوا الله) واتركوا هذه الافعال (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من أنواع النعماء وأصناف الآلاء أجملها أولا ثم فصلها بقوله (أمدكم بأنعام وبنين) باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام أدخل فى ذلك (وجنات وعيون انى أخاف عليكم) ان لم تقوموا بشكر هذه النعم (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لن نرعوى عما نحن عليه وتغيير الشق الثانى عن مقابله للمبالغة فى بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشريه أصلا (ان هذا) ما هذا الذى جئتنا به (الا خلق الاولين) أى عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء أى اختلاق الاولين كما قالوا أساطير الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث

ولا حساب (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه من الاعمال (فكذبوه) أى أصروا على ذلك (فأهلكناهم) بسببه بريح صرصر (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الله تعالى (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) انكار ونفى لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة أو تذكير للنعمة فى تخليته تعالى اياهم وأسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع الاناث ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو أو متدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الاشجار (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو أبلغ (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر وارتسامه أو نسب حكم الآمر الى أمره مجازا (الذين يفسدون فى الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) أى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم أو من ذوى السحر أى الرئة أى من الانس فيكون قوله تعالى (ما أنت الا بشر مثلنا) تأكيدا له (فأت بآية ان كنت من الصادقين) أى فى دعواك (قال هذه ناقة) أى بعد ما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه الصلاة والسلام حسبما مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود (لها شرب) أى نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) أسند العقر الى كلهم لما أن عاقرها عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب (فأصبحوا نادمين) خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة (فأخذهم العذاب) أى العذاب الموعود (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قيل فى نفى الايمان عن أكثرهم فى هذا المعرض ايماء الى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وأنت خبير بأن قريشا هم المشهورون بعدم ايمان أكثرهم (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن أليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثانى الناس (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لاجل استمتاعكم وكلمة من فى قوله تعالى (من أزواجكم) للبيان ان أريد بما جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان أريد بها العضو المباح منهن تعريضا بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضا (بل أنتم قوم عادون) متعدون متجاوزون الحد فى جميع المعاصى وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات (قالوا لئن لم تنته يا لوط) أى عن تقبيح أمرنا أو نهينا عنه أو عن دعوى النبوة التى من جملة أحكامها التعرض لنا (لتكونن من المخرجين) أى من المنفيين من قريتنا وكأنهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال (قال انى لعملكم من القالين) أى من المبغضين غاية البغض كأنه يقلى الفؤاد والكبد لشدته وهو أبلغ من أن يقال انى لعملكم قال لدلالته على أنه عليه الصلاة والسلام من زمرة الراسخين فى بغضه المشهورين فى قلاه ولعله عليه الصلاة والسلام أراد اظهار الكراهة فى مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا (رب نجنى وأهلى مما يعملون) أى من شؤم عملهم وغائلته (فنجيناه وأهله أجمعين) أى أهل بيته ومن اتبعه فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط استثنيت

قوله انقياد الآمر أى الانقياد له وفى بعض النسخ انقياد المأمور وهى ظاهرة اهـ مصححه

من أهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج (فى الغابرين) أى مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر فى الطريق فأهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم أشد اهلاك وأفظعه (وأمطرنا عليهم مطرا) أى مطرا غير معهود قيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الأيكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبيا منهم ولذلك قيل (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير ألف اتباعا للفظ اللافظ (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل) أى أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) أى حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا) أى الموزونات (بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى لا تنقصوا شيأ من حقوقهم أى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) أى وذوى الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة (قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا) ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة فى التكذيب (وان نظنك لمن الكاذبين) أى فيما تدعيه من النبوة (فأسقط علينا كسفا من السماء) أى قطعا وقرئ بسكون السين وهو أيضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء اما السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الامر بالتقوى من التهديد (ان كنت من الصادقين) فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه (قال ربى أعلم بما تعملون) من الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم فى وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه) أى فتموا على تكذيبه وأصروا عليه (فأخذهم عذاب يوم الظلة) حسبما اقترحوا أما ان أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وأما ان أرادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روى أن شعيبا عليه السلام بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (انه كان عذاب يوم عظيم) أى فى الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع التى أوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر فى مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا بالحق الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها ويعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا فى شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بأنه عليه الصلاة والسلام لم يسمع شيأ منها من أحد أصلا

واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيأ يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة قصة موسى عليه السلام (وانه) أى ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن الذى هى من جملته (لتنزيل رب العالمين) أى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (نزل به) أى أنزله (الروح الأمين) أى جبريل عليه السلام فانه أمين وحيه تعالى وموصله الى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقرئ بتشديد الزاى ونصب الروح والامين أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلا به (على قلبك) أى روحك وان أريد به العضو فتخصيصه به لان المعانى الروحانية تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة (لتكون من المنذرين) متعلق بنزل به أى أنزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه الصلاة والسلام فى سلك أولئك المنذرين المشهورين فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر (بلسان عربى مبين) واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بأمر الانذار وللايماء الى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه الصلاة والسلام لا انزاله باللسان العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى أن غاية الانزال كونه عليه الصلاة والسلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عليهم السلام ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى فى باب الانذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيرا فى قلوب المشركين ما أنذره ابراهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم أنهم على ملته عليه الصلاة والسلام (وانه لفى زبر الاولين) أى وان ذكره أو معناه لفى الكتب المتقدمة فان أحكامه التى لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح (أولم يكن لهم آية) الهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه فى زبر الاولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى (أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر أى أن يعرفوه بنعوته المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل فى تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هى جملة الشان وأن يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا وقرئ تعلمه بالتاء (ولو نزلناه) كما هو بنظمه الرائق المعجز (على بعض الأعجمين) الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الأعجميين وفى لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان (فقرأه عليهم) قراءة صحيحة خارقة للعادات (ما كانوا به مؤمنين) مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم فى المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم فى المكابرة والعناد (كذلك سلكناه) أى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه أى أدخلنا القرآن (فى قلوب المجرمين) ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بانزاله وبعثة من أنزل عليه بأوصافه فقوله تعالى (لا يؤمنون به) جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه (حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان (فيأتيهم بغتة) أى فجأة فى الدنيا والآخرة (وهم لا يشعرون) باتيانه (فيقولوا هل نحن منظرون) تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال

لتلا فى ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فى قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به فى موقع الايضاح والتلخيص له أو فى موقع الحال أى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد أدلة الايمان وتآخذ مبادى الهداية والارشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله تعالى أدخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين (أفبعذابنا يستعجلون) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافى ما لا يخفى على أحد أو أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بأن مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل (أفرأيت) لما كانت الرؤية من أقوى أسباب الاخبار بالشئ وأشهرها شاع استعمال أرأيت فى معنى أخبرنى والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهى متقدمة فى المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأى الجمهور أى فأخبرنى (ان متعناهم سنين) متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم) أى شئ أو أى اغناء أغنى عنهم (ما كانوا يمتعون) أى كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأياما كان فالاستفهام للانكار والنفى وقيل ما نافية أى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الاغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يخبر بأن تمتيعهم ماذا أفادهم وأى شئ أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يخبر بشئ من ذلك أصلا وقرئ يمتعون من الامتاع (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (الا لها منذرون) قد أنذروا أهلها الزاما للحجة (ذكرى) أى تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها فى معنى الانذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون أى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون باضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة أو خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضميرها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع فى حيز النفى على أن معنى أن للكل منذرين أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفى الظالمية مع أن اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم أصلا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد (وما تنزلت به الشياطين) رد لما زعمه الكفرة فى حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الامين (وما ينبغى لهم) أى وما يصح وما يستقيم لهم ذلك (وما يستطيعون) ذلك أصلا (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة فى صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه أصلا من فنون الشرور فمن أين لهم أن يحوموا حول القرآن الكريم المنطوى على الحقائق الرائقة الغيبية التى لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام مع ظهور استحالة صدور المنهى عنه عنه عليه الصلاة والسلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان أن الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه (وانذر) العذاب الذى يستتبعه الشرك والمعاصى (عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم روى أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح

هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى أنه قال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم شيأ ثم قال يا عائشة بنت أبى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لا أغنى عنكن شيأ (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان فحسب (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برىء مما تعملون) أى مما تعملونه أو من أعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على أنه بدل من جواب الشرط (الذى يراك حين تقوم) أى الى التهجد (وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح أحوال المتهجدين كما روى أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه الصلاة والسلام التى بها يستأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبئ عن قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفى العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى تتنزل بحذف احدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل وقوله تعالى (تنزل على كل أفاك أثيم) قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكثير من الكهنة والمتنبئة وتخصيص له بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة عن أن يحوم حولها شائبة شئ من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه الصلاة والسلام (يلقون) أى الافاكون (السمع) الى الشياطين فيتلقون منهم أوهاما وأمارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى (وأكثرهم كاذبون) أى فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أى المسموع من الشياطين الى الناس وأكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر أن الاكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجنى وأما فى أكثره فهم كاذبون ومآله وأكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه أن يصدق نادرا فى بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين أى يلقون السمع أى المسموع من الملا الاعلى قبل أن رجموا من بعض المغيبات الى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملا الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما أن يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للالقاء أو استئناف مبين للغرض من التنزل مبنى على السؤال عنه ولا ريب فى أن القاء السمع الى الملا الاعلى بمعزل من احتمال أن يقارن التنزل أو يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملا الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل وأما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل أفاك لانه فى معنى الجمع سواء أريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين أو القاء المسموع الى الناس ويجوز أن يكون استئناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما أن كلا من تلقيهم من الشياطين

والقائهم

والقائهم الى الناس يكون بعد التنزيل وأن يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كأنه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى وأكثرهم كاذبون على التقدير الاول استئناف فقط وعلى الثانى يحتمل الحالية من ضمير يلقون أى يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال أنهم فى أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر (والشعراء يتبعهم الغاوون) استئناف مسوق لابطال ما قالوا فى حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عليه الصلاة والسلام بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لاحواله عليه الصلاة والسلام والمعنى أن الشعراء يتبعهم أى يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة فى الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) استشهاد على أن الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا تختص برؤية راء دون راء أى ألم تر أن الشعراء فى كل واد من أودية القيل والقال وفى كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفى كل مسلك من مسالك الغى والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون فى فيافى الغواية والسفاهة ويتيهون فى تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح فى الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفى الافراط والتفريط فى المدح والهجاء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم أن يتبعهم فى مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم فى سلكهم من تنزهت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشىء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل أمر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق أعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل فى تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن أن يكون من الشعراء أن أتباع الشعراء الغاوون وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب فى أن تعليل عدم كونه عليه الصلاة والسلام منهم بكون أتباعه عليه الصلاة والسلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالى وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة الموعظة والزهد فى الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم فى بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب ابن مالك وكعب بن زهير بن أبى سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد ووعيد أكيد لما فى سيعلم من تهويل متعلقه وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ أى منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء

كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

*(سورة النمل مكية وهي ثلاث او أربع وتسعون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(طس) بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذى مر فى نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى هذا طس أى مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها فى فاتحة سورة يونس وغيرها اورفعه بالابتداء على أن ما بعده خبره ضعيف لما ذكرهنالك (تلك) اشارة الى نفس السورة لانها التى نوهت بذكر اسمها الا الى آياتها العدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتى وما فى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره (آيات القرآن) والجملة مستأنفة مقررة لما أفاده التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل أو عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر فى فاتحة فاتحة الكتاب أى تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشان أى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص (وكتاب) أى كتاب عظيم الشان (مبين) مظهر لما فى تضاعيفه من الحكم والاحكام وأحوال الآخرة التى من جملتها الثواب والعقاب أولسبيل الرشد والغى أوفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام أوظاهر الاعجاز على أنه من أبان بمعنى بان ولقد فخم شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا فى بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس فى سورة الحجر نظرا الى ماذكرهنالك من الوجه وما قيل من أن الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أى وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) فى حيز النصب على الحالية من الآيات على أنهما مصدران أقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة أى هادية ومبشرة أو الرفع على أنهما بدلان من الآيات أو خبران آخران لتلك أو لمبتدا محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى (وهم بالآخرة هم يوقنون) جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب أو هو من تتمة الصلة والواو حالية أو عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم أوحديون فيه (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) بيان لاحوال الكفرة بعد بيان أحوال المؤمنين أى لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن (زينا لهم أعمالهم) القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها فى أنفسها حالا واستتباعها الفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار أمرهم بها وايجابها عليهم (فهم يعمهون) يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار فى الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر أو فى الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثانى لترتيب ضد المسبب على السبب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم

ومكابرتهم

ومكابرتهم وتعكيسهم فى الامور (أولئك) اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده أى أولئك الموصوفون بالكفر والعمه (الذين لهم سوء العذاب) أى فى الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أى أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب (وانك لتلقى القرآن) كلام مستانف قد سيق بعد بيان بعض شؤن القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفى التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه أى لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين (من لدن حكيم عليم) أى أى حكيم وأى عليم وفى تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه الصلاة والسلام فى معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما فى رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بأن ما فى القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى (اذ قال موسى لاهله) منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بتلاوة بعض من القرآن الذى يلقاه عليه الصلاة والسلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له أى اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لاهله فى وادى طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فأصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار (انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد فى المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح أنه لم يكن معه عليه الصلاة والسلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل أو للتعظيم مبالغة فى التسلية (أو آتيكم بشهاب قبس) بتنوينهما على أن الثانى بدل من الاول أو صفة له لانه بمعنى مقبوس أى بشعلة نار مقبوسة أى مأخوذة من أصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذى هو القبس الجامع لمنفعتى الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما فى سورة طه من صيغة الترجى والترديد للايذان بأنه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة (فلما جاءها نودى) من جانب الطور (أن بورك) معناه أى بورك على أن أن مفسرة لما فى النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير فى فقدان التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لما أن الدعاء يخالف غيره فى كثير من الاحكام (من فى النار ومن حولها) أى من فى مكان النار وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله سبحانه نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من فى ذلك الوادى وحواليه من ارض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكفاتهم أحياء وأمواتا ولاسيما تلك البقعة التى كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم دينى تنتشر بركاته فى أقطار الشأم وهو تكليمه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه الصلاة والسلام (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام من ذلك وايذان بأن ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤن ومن أحكام تربيته تعالى للعالمين (ياموسى انه أنا الله) استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير اما للشان وأنا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى (العزيز الحكيم) صفتان لله تعالى ممهدتان لما أريد اظهاره على يده من المعجزات أى أنا القوى القادر على ما لا تناله الاوهام من الامور العظام التى من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما أفعله بحكمة بالغة وتدبير رصين (وألق) عطف على بورك منتظم معه فى سلك تفسير النداء أى نودى أن بورك وأن ألق (عصاك) حسبما نطق به قوله تعالى وأن ألق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه أن حج وأن اعتمر وان شئت أن حج واعتمر والفاء فى قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما فى قوله تعالى فلما رأته

أكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كأنه قيل فألقاها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى (كأنها جان) أى حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير اليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا) من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لامر أريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى (ياموسى لا تخف) أى من غيرى ثقة بى أو مطلقا لقوله تعالى (انى لا يخاف لدى المرسلون) فانه يدل على نفى الخوف عنهم مطلقا لكن لا فى جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون فى مطالعة شؤن الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلا وأما فى سائر الاحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أو لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة ما مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شئ من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه الصلاة والسلام من وكزه القبطى والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عليه الصلاة والسلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) أى آفة كبرص ونحوه (فى تسع آيات) فى جملتها أو معها على أن التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على أنه استئناف بالارسال فيتعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل للارسال أى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان (فلما جاءتهم آياتنا) وظهرت على يد موسى (مبصرة) بينة اسم فاعل أطلق على المفعول اشعارا بأنها لفرط وضوحها وانارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا عن الهداية أو مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحريته (وجحدوا بها) أى كذبوا بها (واستيقنتها أنفسهم) الواو للحال أى وقد استيقنتها أى علمتها أنفسهم علما يقينيا (ظلما) أى للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها أى ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك (وعلوا) أى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من الاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر (ولقد آتينا داود وسليمان علما) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه عليه الصلاة والسلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما الصلاة والسلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه الصلاة والسلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير أو علما سنيا عزيزا (وقالا) أى قال كل واحد منهما شكرا لما أوتيه من العلم (الحمد لله الذى فضلنا) بما آتانا من العلم (على كثير من عباده المؤمنين) على أن عبارة كل منهما فضلنى الا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر فى سورة قد أفلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما أوتى كل منهما لا على ايتاء ما أوتى نفسه فقط وقيل فى العطف بالواو اشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشئ من مواجبه

فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما علماً فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علماً ويأباه تبيين الكثير بالمؤمنين فإن خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الأكثر بالذكر رمز إلى أن البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر (وورث سليمان داود) أي النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال) تشهيراً لنعمة الله تعالى وتنويهاً بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيها (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيراً تجدوه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب تقول في البعد عن الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وأراد عليه الصلاة والسلام بقوله علمنا وأوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكاً مطاعاً لكن لا تجبراً وتكبراً بل تمهيداً لما أراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له في أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شيء كثرة ما أوتيه كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شيء وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما يهمه من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والإنس والشياطين والريح (إن هذا) إشارة إلى ما ذكر من التعليم والإيتاء (لهو الفضل) والإحسان من الله تعالى (المبين) الواضح الذي لا يخفى على أحد أو إن هذا الفضل الذي أوتيته لهو الفضل المبين على أنه عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكراً لا فخراً ولعله عليه الصلاة والسلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس إلى الغزو فإن إخبارهم بإيتاء كل شيء من الأشياء التي من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك فعنى قوله تعالى (وحشر لسليمان جنوده) جمع له عساكره (من الجن والإنس والطير) بمباشرة مخاطبيه فإنهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليباً وتقديم الجن على الإنس في البيان للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير (فهم يوزعون) أي يحبس أوائلهم على أواخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه إشعار بكمال مسارعتهم إلى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهذا إذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي أن معسكره عليه الصلاة والسلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه الصلاة والسلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد

نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح في سمعك فيحكي أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (حتى اذا أتوا على وادي النمل) حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى اذا أتوا الخ ووادي النمل واد بالشأم كثير النمل على ما قاله مقاتل رضي الله عنه وبالطائف على ما قاله كعب رضي الله عنه وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء اذا أنفده وبلغ آخره ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى (قالت نملة) جواب اذا كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه الصلاة والسلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الايذان بأنها عارفة بشؤن سليمان وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام من عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف أي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التي هي أبعدها من ادراك أمثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وأرتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا أنفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء أوزعني (التي انعمت علي وعلى والدي) ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر (وأن اعمل صالحا ترضاه) اتماما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين (وتفقد الطير) أي تعرف أحوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) كأنه قال أولا مالي لا أراه لساتر ستره أو لسبب آخر ثم بدا له أنه غائب فأضرب عنه فأخذ يقول أهو غائب (لأعذبنه عذابا شديدا) قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه (أو لأذبحنه) ليعتبر به أبناء جنسه (أو ليأتيني بسلطان مبين) بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين أولاهما مفتوحة مشددة

قيل انه عليه الصلاة والسلام لما أثم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى (فمكث غير بعيد) أي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله (فقال احطت بما لم تحط به) أي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ أحطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في أنه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام جناية على جنابه فيحتاج الى الاعتذار عنه بأن ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه الصلاة والسلام بذلك مع ما أوتي عليه الصلاة والسلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه الصلاة والسلام في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه تعالى وأضعفهم من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل أراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه الصلاة والسلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالته قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل والى تلقي ما لا تعلمه أميل ثم أيده بقوله (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) حيث فسر ابهامه نوع تفسير وأراه عليه الصلاة والسلام أنه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا فما صدر عنه عليه الصلاة والسلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه الصلاة والسلام على تركه وسبأ منصرف على أنه اسم لحي سموا باسم أبيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه أول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على أنه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة والمدينة وأما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبأهم قبل انباء الهدهد ليس بأمر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو أفعاله تعالى من الحكم والمصالح لما أن المسافة بين محطه عليه الصلاة والسلام وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه الصلاة والسلام هنالك وبين مجيء الهدهد بالخبر أيضا قصيرة ثم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن أقوى منه مبني على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى (اني وجدت امرأة تملكهم) استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها ورث الملك من أربعين أبا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي

وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما أشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه الصلاة والسلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرفها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم اسبا على أنه اسم الحي أو لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها (وأوتيت من كل شئ) أي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك (ولها عرش عظيم) قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها أو الى عروش أمثالها من الملوك وقد جوز أن لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وأياما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه الصلاة والسلام لما مر من ترغيبه عليه الصلاة والسلام في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه الصلاة والسلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي (فصدهم) بسبب ذلك (عن السبيل) أي سبيل الحق والصواب فان تزيين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج (فهم) بسبب ذلك (لا يهتدون) اليه وقوله تعالى (أن لا يسجدوا لله) مفعول له اما للصد أو للتزيين على حذف اللام منه أي فصدهم لأن لا يسجدوا لله تعالى أو زين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أي زين لهم أن لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا لله تعالى وقرئ ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كما في قوله ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله عز وجل أو من سليمان عليه السلام ويوقف على لا يهتدون ويكون أمرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه وأياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب (الذي يخرج الخبء في السموات والارض) أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ في معرفته والاحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما أودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض وأشار بعطف قوله (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) على يخرج الى أنه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم أو للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشئ بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الذي هو أول الاجرام وأعظمها وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه الصلاة والسلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال (سننظر) أي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي سنتعرف بالتجربة البتة (أصدقت أم كنت من الكاذبين) كان مقتضى الظاهر أم كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب

الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لاسيما بين يدى نبى عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ فى الكذب والافك وقوله تعالى (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) استئناف مبين لكيفية النظر الذى وعده عليه الصلاة والسلام وقد قاله عليه الصلاة والسلام بعدما كتب كتابه فى ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه الصلاة والسلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر أصلا (ثم تول عنهم) أى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر) أى تأمل وتعرف (ماذا يرجعون) أى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام (قالت) أى بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما أمر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روى أنه عليه الصلاة والسلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى كامر فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها (يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم) وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوما أو لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد (انه من سليمان) استئناف وقع جوابا السؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان (وانه) أى مضمونه او المكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله الرحمن الرحيم على أن أن المفسرة (أن لا تعلوا على) أن مفسرة ولا ناهية أى لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدا مضمر يليق بالمقام أى مضمونه أن لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض أى بأن لا تعلوا على وقرئ أن لا تغلوا بالغين المعجمة أى لا تتجاوزوا حدكم (وأتونى مسلمين) أى مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشأن النبى عليه الصلاة والسلام على أن الايمان مستتبع للانقياد حتما روى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة (قالت) كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما فى حيزه من قولها (يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أى أجيبونى فى أمرى الذى حزبنى وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى التى هى الجواب فى الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها (ما كنت قاطعة امرا) أى من الامور المتعلقة بالملك (حتى تشهدون) أى الا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها فى الرأى والتدبير (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا فى جوابها فقيل قالوا (نحن اولو قوة) فى الاجساد والآلات والعدد (وأولو بأس شديد) أى نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء فى الحرب (والامر اليك) أى هو موكول اليك (فانظرى ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك او أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة واليك الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نكن فى الخدمة فلما أحست منهم الميل الى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت فى تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج المقاتلة والحراب (أفسدوها) بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها

من الاموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال
(وكذلك يفعلون) تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة
وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل
أن تنفد كلمات ربي (وانى مرسلة اليهم بهدية) تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم وأتت بالجملة الاسمية
الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها
عاطف أى وانى مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة (فناظرة بم يرجع المرسلون) حتى أعمل بما يقتضيه الحال
روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبى خيل
مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان
وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة
معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين
الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان
فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن
فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته
من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر
بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت
الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم
ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر
اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا
ثم أمر بالارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة فجعل رزقها فى الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها
ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى (فلما جاء سليمان) أى
الرسول (قال) أى مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده
أنه قرئ فلما جاؤا والاول أولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد
فى قوله تعالى ارجع اليهم (أتمدونني بمال) وهو انكار لامدادهم اياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع
علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى (فما آتاني الله) أى مما رأيتم آثاره
من النبوة والملك الذى لا غاية وراءه (خير مما آتاكم) أى من المال الذى من جملته ما جئتم به فلا حاجة لى الى
هديتكم ولا وقع لها عندى تعليل للانكار ولعله عليه الصلاة والسلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد
ما جرى بينه وبينهم ما حكى من قصة الحق وغيرها كما أشير اليه لا أنه عليه الصلاة والسلام خاطبهم بها أول ما جاؤه
كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدوني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله
تعالى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم
بهديتهم التى أهدوها اليه عليه الصلاة والسلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر
من حديث الحق والجزعة وتغيير زى الغلمان والجوارى وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على أن امداده
عليه الصلاة والسلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام مما يتنافس فيه
المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل أنتم بما يهدى اليكم تفرحون
حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا (ارجع) أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر
الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل أى ارجع أيها الرسول (اليهم)
أى الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم) أى فوالله لنأتينهم (بجنود لا قبل لهم بها) أى لا طاقة لهم بمقاومتها
ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم) عطف على جواب القسم (منها) من سبأ (أذلة)

أى حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفى جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى (وهم صاغرون) أى اسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) قاله عليه الصلاة والسلام لما دنا مجىء بلقيس اليه عليه الصلاة والسلام روى أنه لما رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة و بعثت الى سليمان عليه السلام انى قادمة اليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم آذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف وروى أنها أمرت فجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى (قبل أن يأتونى مسلمين) لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات فى أول مجيئها وقيل لانها اذا أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها (قال عفريت) أى مارد خبيث (من الجن) بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا (أنا آتيك به) أى بعرشها (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أى انا آت به فى تلك المدة البتة (وانى عليه) أى على الاتيان به (لقوى) لا يثقل على حمله (أمين) لا اختزل منه شيأ ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتى قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل او ملك أيده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شئ وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما فى وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بأنه أمر متحقق غنى عن الاخبار به وجىء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما فى قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل (فلما رآه مستقرا عنده) أى رأى العرش حاضرا لديه كما فى قوله عز وجل فلما رأينه أكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه أيضا عن التصريح به اذ التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام اياه شئ ما أصلا وفى تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه الصلاة والسلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما فى سلك ملكه (قال) أى سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وخاص عباده (هذا) أى حضور العرش بين يديه فى هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل (من فضل ربى) أى تفضله على من غير استحقاق له من قبلى (ليبلونى أأشكر) بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتى ولا قوة وأقوم بحقه (أم أكفر) بأن أجد لنفسى مدخلا فى البين او أقصر فى اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد (ومن شكر فانما يشكر لنفسه)

لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران (ومن كفر) أى لم يشكر (فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر أيضا (قال) أى سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكى سابقا ولاحقا من كلامه عليه الصلاة والسلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الاول من باب الشكر لله تعالى والثانى أمر لخدمه (نكروا لها عرشها) أى غيروا هيئته بوجه من الوجوه (ننظر) بالجزم على أنه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى) الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها التقدم عرشها من مسافة طويلة فى مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير (أم تكون) أى بالنسبة الى علمنا (من الذين لا يهتدون) أى الى ما ذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فان كونها فى نفس الامر منهم وان كان أمرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه أمر حادث يظهر بالاختبار (فلما جاءت) شروع فى حكاية التجربة التى قصدها سليمان عليه السلام أى فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه (قيل) أى من جهة سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة (أهكذا عرشك) لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش فى معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه الصلاة والسلام بسخافة العقل (قالت كأنه هو) فأنبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة فى الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب فى محاورته عليه الصلاة والسلام (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه الصلاة والسلام أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التى شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن أى صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى (انها كانت من قوم كافرين) تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد أى انها كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى بين ظهرانيهم الى أن دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرئ أنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بحذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها أصابت فى الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من أمر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أى وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرانى الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف (قيل لها ادخلى الصرح) الصرح القصر وقيل صحن الدار روى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام الى ملك هو أشد وأفظع فقالوا ان فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها (فلما رأته) وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها وأحاطت بتفاصيل أحواله خبرا (حسبته لجة وكشفت

عن ساقيها) وتشمرت لئلا تبتل أذيالها فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما خلا أنها شعراء قيل هي السبب
في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه الصلاة والسلام وأمر الجن فبنوا لها سيلحين
وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على
اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع وقرئ سأقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤق واسؤق
(قال) عليه الصلاة والسلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب (انه) أي ما توهمته ماء
(صرح ممرد) أي مملس (من قوارير) من الزجاج (قالت) حين عاينت تلك المعجزة أيضا (رب انى
ظلمت نفسى) بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظنى بسليمان حيث ظننت أنه يريد اغراقها
في اللجة وهو بعيد (وأسلمت مع سليمان) تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى (لله رب العالمين) من
الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة
وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس (ولقد أرسلنا) عطف على
قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير أنه عليه الصلاة والسلام يلقى القرآن
من لدن حكيم عليم فان هذه القصة أيضا من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه الصلاة والسلام واللام جواب
قسم محذوف أي وبالله لقد أرسلنا (الى ثمود أخاهم صالحا) وأن في قوله تعالى (أن اعبدوا الله) مفسرة
لما في الارسال من معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء (فاذا هم
فريقان يختصمون) ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال)
عليه الصلاة والسلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من
المكابرة الى أن قالوا له عليه الصلاة والسلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة) أي بالعقوبة السيئة (قبل الحسنة) أي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا
من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه (لولا تستغفرون الله)
هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها (لعلكم ترحمون) بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول (قالوا اطيرنا)
أصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما أنهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا
تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى
وقسمته أو من عمل العبد أي تشاءمنا (بك وبمن معك) في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا
قحطوا أو لم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) أي سببكم الذي منه ينالكم
ما ينالكم من الشر (عند الله) وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى (بل أنتم قوم تفتنون)
أي تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من
بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه (وكان في المدينة) وهي الحجر
(تسعة رهط) أي اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر أنه من
الثلاثة أو من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل
ابن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة
وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم
(يفسدون في الارض) لا في المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شئ ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى
(ولا يصلحون) أي لا يفعلون شيأ من الاصلاح او لا يصلحون شيأ من الاشياء (قالوا) استئناف لبيان
بعض ما فعلوا من الفساد أي قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه الصلاة والسلام وكان
ذلك غب ما أنذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الخ (تقاسموا بالله) اما أمر مقول لقالوا أو ماض
وقع بدلا منه أو حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى (لنبيتنه وأهله) أي لنباغتن صالحا وأهله ليلا ولنقتلنهم
وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على أن تقاسموا فعل ماض (ثم لنقولن
لوليه) أي لولي صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله (ما شهدنا مهلك أهله) أي ما حضرنا هلاكهم او وقت

هلاكهم أو مكان هلاكهم فضلا أن نتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا (وانا لصادقون)
من تمام القول أو حال أى نقول ما نقول والحال انا لصادقون فى ذلك لان الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو
لانا ما شاهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين (ومكروا مكرا)
بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا) أى أهلكناهم اهلاكا غير معهود (وهم لا يشعرون) أو جازيناهم مكرهم
من حيث لا يحتسبون (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) شروع فى بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر
وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أى فتفكر فى أنه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله
تعالى (أنا دمرناهم) اما بدل من عاقبة مكرهم على أنه فاعل كان وهى تامة وكيف حال أى فانظر كيف
حصل أى على أى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة لما فى عاقبة مكرهم من
الابهام أى هى تدميرنا اياهم (وقومهم) الذين لم يكونوا معهم فى مباشرة التبييت (أجمعين) بحيث لم يشذ منهم
شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر فى كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار أى
لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى
أنا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف روى أنه كان لصالح عليه السلام
مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب
حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى
كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة
ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا (فتلك بيوتهم) جملة مقررة لما قبلها وقوله
تعالى (خاوية) أى خالية أو ساقطة متهدمة (بما ظلموا) أى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم
والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من
التدمير العجيب بظلمهم (لآية) لعبرة عظيمة (لقوم يعلمون) أى ما من شأنه أن يعلم من الاشياء أو لقوم
يتصفون بالعلم (وأنجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه من المؤمنين (وكانوا يتقون) أى الكفر
والمعاصى اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا فى صدر قصة
صالح داخل معه فى حيز القسم أى وأرسلنا لوطا وقوله تعالى (اذ قال لقومه) ظرف للارسال على أن
المراد به أمر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا
باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا أى وأنجينا لوطا وهو بعيد (أتأتون الفاحشة)
أى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله تعالى (وانتم تبصرون) جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة
لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه أقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب
أى أتفعلونها والحال أنكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون
بها (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق
التصريح وتحلية الجملة بحرفى التأكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول
وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التى علل بها الاتيان
(من دون النساء) متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل
الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه
مع كونه صفة لقوم لكونهم فى حيز الخطاب (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من
قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أفعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما أنه استهزاء وقد مر فى سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذى صدر عنهم فى المرة الاخيرة من
مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهى لا أنه لم يصدر عنهم كلام اخر غيره (فأنجيناه واهله الا امرأته
قدرناها) أى قدرنا أنها (من الغابرين) أى الباقين فى العذاب (وامطرنا عليهم مطرا) غير معهود

(فساء مطر المنذرين) قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) اثر ما قص الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام قصص الانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وأخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة أقدارهم وصحة أخبارهم وبين على ألسنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن أعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه الصلاة والسلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أمره عليه الصلاة والسلام بأن يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمع من دونها الطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه أخبارهم التي هي من جملة المعارف التي أوحيت اليه عليه الصلاة والسلام أداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو أمر للوط عليه السلام بأن يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده (آلله خير أما يشركون) أي آلله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير أم ما يشركونه به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين أن ليس فيما أشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فأنبتنا الخ فانه صريح في أن التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على أنه حكاية منه عليه الصلاة والسلام لما أمر به بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وأم في قوله تعالى (أم من خلق السموات والارض) منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد وأما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقريرهم أي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها ما يليق به من منافعه من أخس تلك المخلوقات وأدناها بل بأن لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا أن تشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى بل أمن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأ منافع ما بينهما (وأنزل لكم) التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام أي انزل لاجلكم ومنفعتكم (من السماء ماء) أي نوعا منه هو المطر (فأنبتنا به حدائق) أي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط (ذات بهجة) أي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار (ما كان لكم) أي ما صح وما أمكن لكم (أن تنبتوا شجرها) فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير أم ما تشركون وقرئ أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله وتقديم صلتي الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بأن انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها أو حالا وتوحيد وصفها الاول أعني ذات بهجة لما أن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها (أاله مع الله) أي أاله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض أفعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان أحدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء

أحكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي أن يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على أن التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كأنه قيل أاله آخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفى بحق المقام لافادته نفي وجود اله آخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ آاله بتوسط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أالها باضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون أو أتشركون (بل هم قوم يعدلون) اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم أي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل أمر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة (أم من جعل الارض قرارا) قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والاظهر أن كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر أدخل في الالزام بجهة من الجهات أي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم (وجعل خلالها) أوساطها (أنهارا) جارية ينتفعون بها (وجعل لها رواسي) أي جبالا ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى (وجعل بين البحرين) أي العذب والمالح او خليجي فارس والروم (حاجزا) برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق (أاله مع الله) في الوجود أو في ابداع هذه البدائع على ما مر (بل أكثرهم لا يعلمون) أي شيأ من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره (أم من يجيب المضطر اذا دعاه) وهو الذي أحوجته شدة من الشدائد والجأته الى اللجأ والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو المجهود وعن السدي رحمه الله تعالى من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر (ويكشف السوء) وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) أي خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط (أاله مع الله) الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام (قليلا ما تذكرون) أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بأن مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وأنه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام (أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي في ظلمات الليالي فيهما على أن الاضافة للملابسة أو في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وهي المطر ولئن صح أن السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب في أن الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا (أاله مع الله) نفي لأن يكون معه اله آخر وقوله تعالى (تعالى الله عما يشركون) تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم أي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون أي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا

فان

فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى أو عن اشراكهم (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده) أى بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى بأسباب سماوية وأرضية قدرتها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التى عليها بنى أمر التكوين خير أم ما تشركونه به فى العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شئ ما أصلا (أاله) آخر موجود (مع الله) حتى يجعل شريكا له فى العبادة وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم) أمر له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم اثر تبكيت أى هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدل على أن معه تعالى الها لا على أن غيره تعالى يقدر على شئ مما ذكر من أفعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها فى الحقيقة فطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفى اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام أن لهم برهانا وأنى لهم ذلك (ان كنتم صادقين) أى فى تلك الدعوى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من أمر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من أهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كأنه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على أن المراد بمن فى السموات والارض من تعلق علمه بهما او اطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولاولى العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة (وما يشعرون أيان يبعثون) أى متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن أهم الامور عندهم وأيان مركبة من أى وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتى من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم (بل ادارك علمهم فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفى شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ فى تأكيده وتقريره بأن أضرب عنه وبين أنهم فى جهل أفحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون أحوال الآخرة مطلقا مع تعاضد أسباب معرفتها على أن معنى اداراك علمهم فى الآخرة تدارك وتتابع علمهم فى شأن الآخرة التى ما ذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشئ مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى أنه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيأ فشيأ بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم فى ذلك حيث قيل (بل هم فى شك منها) أى فى شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير فى أمر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التى ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك الى بيان أن ما هم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل (بل هم منها عمون) بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل أدرك علمهم بمعنى انتهى وفنى وقد فسره الحسن البصرى باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناهما الظاهر أى تكامل واستحكم أو تم أسباب علمهم بأن القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون فى ذلك وقوله تعالى بل هم فى شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو أشد منه وأفظع من العمى وأنت خبير بأن تنزيل أسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابان على ما ذكر وأصل اداراك تدارك وبه قرأ أبى فأبدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار اداراك وقرئ بل ادرك وأصله افتعل وبل أأدرك بهمزتين وبل آأدرك بألف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى أأدرك وأم تدارك وأم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفى وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك على وجه التهكم الذى هو أبلغ

وجوه النفي والانكار ومابعده اضراب عن التفسير مبالغة فى النفي ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون
فيها بل أنهم منها عمون اورد وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا) بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها
بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل
فى قولهم (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أى أنخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون
ولا مساغ لأن يكون هو العامل فى اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقييد الاخراج بوقت
كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان
البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج فى حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم
كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة فى أئنا للمبالغة والتشديد فى الانكار وتحلية
الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما فى قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار
التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون على الخبر (لقد وعدنا هذا)
أى الاخراج (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل وعده عليه الصلاة والسلام وتقديم الموعود على نحن لانه
المقصود بالذكر وحيث أخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد
التأكيد وقوله تعالى (ان هذا الا أساطير الاولين) تقرير اثر تقرير (قل سيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين) بسبب تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله
عز وجل وحده وباليوم الآخر الذى تنكرونه فان فى مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولى الابصار وفى التعبير
عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين فى ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) لاصرارهم على الكفر والتكذيب
(ولا تكن فى ضيق) فى حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم فان الله تعالى يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد
وهو أيضا مصدر ويجوز أن يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك أى لا تكن فى أمر ضيق (ويقولون
متى هذا الوعد) أى العذاب العاجل الموعود (ان كنتم صادقين) فى اخباركم باتيانه والجمع باعتبار
شركة المؤمنين فى الاخبار بذلك (قل عسى أن يكون ردف لكم) أى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد
كالباء فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال
وهى لغة فيه (بعض الذى تستعجلون) وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك بمنزلة
الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجرى
وعد الله تعالى ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال عسى أن يردفكم الخ لكونه أدل على تحقق
الوعد (وان ربك لذو فضل على الناس) أى لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير
عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصى التى من جملتها استعجال العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون)
لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء (وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم) أى ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشئ اذا سترته (وما يعلنون) من الافعال والاقوال
التى من جملتها ما حكى عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم
على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره فى سورة البقرة عند قوله تعالى أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون (وما من غائبة فى السماء والارض) أى من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة
كما فى الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية (الا فى كتاب مبين) أى بين أو مبين لما فيه
لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة (ان هذا القرآن يقص على بنى
اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) من جملته ما اختلفوا فى شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزابا وركبوا متن
العتو والغلو فى الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد فى أشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث
لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا فى حيز الانصاف (وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين) على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بنى اسرائيل دخولا اوليا (ان ربك يقضى بينهم) اى بين

بنى اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده أنه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد حكمه وقضاؤه (العليم) بجميع الاشياء التى من جملتها ما يقضى به والفاء فى قوله تعالى (فتوكل على الله) لترتيب الامر على ما ذكر من شؤنه عزوجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به أى فتوكل على الله الذى هذا شأنه فانه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه و يفوض جميع أموره اليه وقوله تعالى (انك على الحق المبين) تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى (انك لا تسمع الموتى) الخ تعليل آخر للتوكل الذى هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل أولا بما يوجبه من جهته تعالى أعنى قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه الصلاة والسلام على أحد الوجهين أعنى كونه عليه الصلاة والسلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر أعنى اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشئ من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر أشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعرى الاذن والعين كما فى قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه أنفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمى مزيد مزية (ولا تسمع الصم الدعاء) أى الدعوة الى أمر من الامور وتقييد النفى بقوله تعالى (اذا ولوا مدبرين) لتكميل التشبيه وتأكيد النفى فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعى مولون على أدبارهم ولا ريب فى أن الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعى بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) هداية موصلة الى المطلوب كما فى قوله تعالى انك لا تهدى من أحببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة فى نفى الهداية وقرئ وما أنت تهدى العمى (ان تسمع) أى ما تسمع سماعا يجدى السامع نفعا (الا من يؤمن بآياتنا) أى من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع فى النفى والاثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال ان تهدى الا من يؤمن الخ لما أن طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية (فهم مسلمون) تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) بيان لما أشير اليه بقوله تعالى بعض الذى تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجئ الساعة وما فيها من فنون الاهوال التى كانوا يستعجلونها و بوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما أن المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد أريد بالوقوع دنوه واقترابه كما فى قوله تعالى أتى أمر الله أى اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذى لا يكادون يسمعونه ومصداقه (أخرجنا لهم دابة من الارض) وهى الجساسة وفى التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمى من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد فى الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقى خلقها خلق الطير وروى عن على رضى الله عنه أنه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى أنه رجل والمشهور أنها دابة وروى لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن

رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سئل من اين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى أبو هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى (تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي تكلمهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بأن الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع أنهم كانوا جاحدين بها للايذان بأنه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها وتكلمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركو مكة وقد روي عن وهب أنها تخبر كل من تراه ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا أي واذكر لهم وقت حشرنا أي جمعنا من كل أمة من أمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل أمة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج أي فوجا مكذبين بها (فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار (حتى اذا جاؤوا) الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب (قال) أي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة (أكذبتم بآياتي) الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى (ولم تحيطوا بها علما) جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ أي أكذبتم بها بادئ الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في أن المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم أي أجمعتم بين

التكذيب وعدم التدبر فيها (أم ماذا كنتم تعملون) أى أم أى شئ كنتم تعملون بها او أم أى شئ كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصى مع أنهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون فى النار وذلك قوله تعالى (ووقع القول عليهم) أى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله (بما ظلموا) بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله (فهم لا ينطقون) لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أى ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) أى ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب فى أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذى هو حال الناس حالا له ووصفا من أوصافه التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار فى الابصار (ان فى ذلك) أى فى جعلهما كما وصفا وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته فى الفضل (لآيات) أى عظيمة كثيرة (لقوم يؤمنون) دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد فى الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهى للحياة وعاين فى نفسه تبدل النوم الذى هو أخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قضاء متقنا وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها فى الحياة أحد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والذى يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه أن المراد بالنفخ ههنا هى النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) ما يعترى الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات فى الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضى مع كون المعطوف عليه أعنى ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعى الترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر فى قصة البقرة (الا من شاء الله) أى أن لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش (وكل) أى كل واحد من المبعوثين عند النفخة (أتوه) حضروا الموقف بين يدى رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ آتوه أى حاضروه (داخرين) أى صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى (وترى الجبال) عطف على ينفخ داخل فى حكم التذكير وقوله عز وجل (تحسبها جامدة) أى ثابتة فى أماكنها اما بدل منه أو حال من ضمير ترى أو من مفعوله وقوله تعالى (وهى تمر مر السحاب) حال من ضمير الجبال فى تحسبها أو فى جامدة أى تراها رأى العين ساكنة والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما فى قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ماذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لايكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضى فى المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هى النفخة الاولى والفزع هو الذى يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض الآية فيختص أثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوزان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب فى أن ذلك مما ينبغى أن ينزه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى أريدت بقوله تعالى ما ينظر هؤلاء الاصيحة واحدة مالها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة فى البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لاارتباط له بالمقام قطعا والحق الذى لامحيد عنه ما قدمناه ومما هو نص فى الباب ما سيأتى من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أى صنع الله ذلك صنعا على أنه عبارة عما ذكر من النفخ فى الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل أمرها والايذان بأنها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو اليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هى من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التى لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادى الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى (الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى (انه خبير بما تفعلون) تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان أن علمه تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هى عليه من الحسن والسوء وترتيب أجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد الله حق لاريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) بيان لما أشير اليه باحاطة علمه تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزيتها عليها أى من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار أنه أضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة (وهم) أى الذين جاؤا بالحسنات (من فزع) أى عظيم هائل لايقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذى فى قوله تعالى لايحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رحمه الله تعالى حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت (يومئذ) أى يوم اذ ينفخ فى الصور (آمنون) لايعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلا وأما الفزع الذى يعترى كل من فى السموات ومن فى الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل فى ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهى والاهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما فى قوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها أيضا والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الاولى لاجميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه أعظم الافزاع

وأكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه (ومن جاء بالسيئة) قيل هو الشرك (فكبت وجوههم فى النار) أى كبوا فيها على وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) على الالتفات للتشديد أو على اضمار القول أى مقولا لهم ذلك (انما أمرت أن اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها) أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم ذلك بعدما بين لهم أحوال المبدا والمعاد وشرح أحوال القيامة تنبيها لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق فى مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا واصلحوا أو فسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمور أنفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه الصلاة والسلام بأمر دعوتهم أنه عليه الصلاة والسلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك أحوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هى مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما فى قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا يرى أنهم مع كونها محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطى أفجر أفراد الفجور وأشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله أنى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى (وله كل شئ) أى خلقا وملكا وتصرفا من غير أن يشاركه شئ فى شئ من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على أن افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى أثبت على ما كنت عليه من كونى من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد أى الذين أسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله (وأن أتلو القرآن) أى أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه الرائعة المخزونة فى تضاعيفه شيأ فشيأ أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته فى الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة أخرى فمعنى قوله تعالى (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياى فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الى (ومن ضل) بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه أو بمخالفتى فيما ذكر (فقل) فى حقه (انما أنا من المنذرين) وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس على من وبال ضلاله شئ وانما هو عليه فقط (وقل الحمد لله) أى على ما أفاض على من نعمائه التى أجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقنى لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى (سيريكم آياته) من جملة الكلام المأمور به أى سيريكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى (فتعرفونها) أى فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم فى الآخرة وقوله تعالى (وما ربك بغافل عما تعملون) كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبى عليه الصلاة والسلام وتخصيص الخطاب أولا به عليه الصلاة والسلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا أى وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة له والله تعالى أعلم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

قوله تغليبا أى ثابتا لا لأجل التغليب تأمل اهـ مصححه

## *(سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهى ثمان وثمانون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) قد مرّ ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل فى أشباهه (نتلو عليك) أى نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز أن تكون التلاوة مجازا من التنزيل (من نبإ موسى وفرعون) مفعول نتلو أى بعض نبئهما (بالحق) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو أو من مفعوله أو صفة لمصدره أى نتلو عليك بعض نبئهما ملتبسين أو ملتبسا بالحق أو تلاوة ملتبسة بالحق (لقوم يؤمنون) متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده أى انه تجبر وطغا فى أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة فى الظلم والعدوان (وجعل أهلها شيعا) أى فرقا يشيعونه فى كل ما يريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه يستعمل كل صنف فى عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة امّا حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى (يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم) بدل منها وكان ذلك لما أن كاهنا قال له يولد فى بنى اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذلك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه (انه كان من المفسدين) أى الراسخين فى الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من أولاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ونريد أن نمنّ) أى نتفضل (على الذين استضعفوا فى الارض) على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع فى نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما فى الوقوع فى حيز التفسير للنبإ او حال من يستضعف بتقدير المبتدا اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمنّ عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما أن تعلق الارادة للمنّ تعلق استقبالىّ على أن منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت فى شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة فى المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها (ونجعلهم أئمة) يقتدى بهم فى أمور الدين بعد أن كانوا أتباعا مسخرين لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لجميع ما كان منتظما فى سلك ملك فرعون وقومه ووراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه أعنى قوله تعالى (ونمكن لهم فى الارض) الخ أى نسلطهم على مصر والشأم يتصرفون فيهما كيفما يشاؤن وأصل التمكين أن تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) أى من أولئك المستضعفين (ما كانوا يحذرون) ويجتهدون فى دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية (وأوحينا الى أم موسى) بالهام او رؤيا (أن ارضعيه) ما امكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بأن يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه (فألقيه فى اليمّ) فى البحر وهو النيل (ولا تخافى) عليه ضيعة بالغرق ولا شدة (ولا تحزنى انا رادوه اليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه من المرسلين) والجملة تعليل للنهى عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أى انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روى أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بنى اسرائيل كانت مصافية لامّ موسى عليه السلام فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه فى قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك واخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك فى قلبى محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة فألقته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيأ فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما ألحّ فرعون فى طلب الولدان اوحى الله

تعالى

قوله من يستضعف اى من فاعله كما لا يخفى اه مصححه

قوله الا لاقبل هو مضارع قبلت القابلة الولد تلقته عند خروجه قبالة بالكسر كما فى المصباح اه

قوله من بردى هكذا فى بعض النسخ وهو كما فى المصباح نبات معروف يعمل منه الحصر وهو على لفظ المنسوب الى البرد اه مصححه

تعالى اليها ما أوحى وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله والفاء فى قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال أى فألقته فى اليم بعد ما جعلته فى التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أى أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بنى اسرائيل من سبط موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كانت عمته حكاه السهيلى وأقبلت بنت فرعون فى جوار بها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت فى النيل تضرب به الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروا بالسفن فأحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فأعياهم فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فألقى الله تعالى محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن أن هذا هو الذى تحذر منه رمى فى البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى واللام فى قوله تعالى (ليكون لهم عدوا وحزنا) لام العاقبة ابرز مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له فى الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى فى كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو فى أن قتلوا لاجله ألوفا ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روى أنه ذبح فى طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون ألف وليد أو كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على أنه تخفيف خاطئين او على أنه بمعنى متعدين الصواب الى الخطا (وقالت امرأة فرعون) أى لفرعون حين أخرجته من التابوت (قرة عين لى ولك) أى هو قرة عين لنا لما أنهما لما رأياه أحباه اولما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفى الحديث أنه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها (لا تقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة (او نتخذه ولدا) أى نتبناه فانه خليق بذلك (وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبنى له وقوله تعالى ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم وقيل حال من أحد ضميرى نتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لا يعلمون أنه لغيرنا وقد تبنيناه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أى خلاء لا عقول فيها ويعضده أنه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى اولسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى بالهمز اجراء للضمة فى جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما فى وجوه (ان كادت لتبدى به) أى انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة أو الفرح بتبنيه (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) أى المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه (وقالت لاخته) مريم والتعبير عنها بأخوته عليه الصلاة والسلام دون أن يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر (قصيه) أى اتبعى اثره وتتبعى خبره (فبصرت به) أى أبصرته (عن جنب) عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى (وهم لا يشعرون) أنها تقصه وتتعرف حاله اوأنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منعناه

(الا أن تكون جبارا فى الارض) وهو الذى يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر فى العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس بالقول والفعل (وجاء رجل من أقصى المدينة) أى كائن من آخرها او جاء من آخرها (يسعى) أى يسرع صفة لرجل أو حال منه على أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان (قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخرين ويأتمر (فاخرج) أى من المدينة (انى لك من الناصحين) اللام للبيان لما أن معمول الصلة لا يتقدمها (فخرج منها) أى من المدينة (خائفا يترقب) لحوق الطالبين (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) أى نحو مدين وهى قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فأخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الاخريين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين (ولما ورد ماء مدين) أى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) أى فوق شفيرها (أمة) جماعة كثيفة (من الناس يسقون) أى مواشيهم (ووجد من دونهم) أى فى موضع أسفل منهم (امرأتين تذودان) أى تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم (قال) عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود (ما خطبكما) ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقى كدأب هؤلاء (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى عادتنا أن لا نسقى حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا أنا لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الافعال أنفسها اذ هى التى دعت موسى عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه الصلاة والسلام انما رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال وأما الرعاء فجمع قياسى كصيام وقيام وقوله تعالى (وأبونا شيخ كبير) ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام فى توليهما للسقى بأنفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يقضى الناس أوطارهم من الماء (فسقى لهما) رحمة عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفا روى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم فى السقى لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فان الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقى لهما وقد روى أنه دفعهم عن الماء الى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروى أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما (ثم تولى الى الظل) الذى كان هنالك (فقال رب انى لما أنزلت الى) أى أى شئ أنزلته الى (من خير) جل أو قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام (فقير) أى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جئ بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت الى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما) قيل هى كبراهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء أى جاءته عقيب ما رجعتا الى أبيهما روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وقوله تعالى (تمشى) حال من فاعل جاءت . وقوله تعالى

قوله صفوراء الخ هكذا فى البيضاوى أيضا والذى فى القاموس صفوراء او صفورة أو صفوريا اه

(الا أن تكون جبارا فى الارض) وهو الذى يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر فى العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس بالقول والفعل (وجاء رجل من أقصى المدينة) أى كائن من آخرها او جاء من آخرها (يسعى) أى يسرع صفة لرجل أو حال منه على أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان (قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخرين ويأتمر (فاخرج) أى من المدينة (انى لك من الناصحين) اللام للبيان لما أن معمول الصلة لا يتقدمها (فخرج منها) أى من المدينة (خائفا يترقب) لحوق الطالبين (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) أى نحو مدين وهى قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فأخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الاخريين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين (ولما ورد ماء مدين) أى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) أى فوق شفيرها (أمة) جماعة كثيفة (من الناس يسقون) أى مواشيهم (ووجد من دونهم) أى فى موضع أسفل منهم (امرأتين تذودان) أى تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم (قال) عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود (ما خطبكما) ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقى كدأب هؤلاء (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى عادتنا أن لا نسقى حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا أنا لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الافعال أنفسها اذ هى التى دعت موسى عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه الصلاة والسلام انما رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال وأما الرعاء فجمع قياسى كصيام وقيام وقوله تعالى (وأبونا شيخ كبير) ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام فى توليهما للسقى بأنفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يقضى الناس أوطارهم من الماء (فسقى لهما) رحمة عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفا روى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم فى السقى لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فان الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقى لهما وقد روى أنه دفعهم عن الماء الى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروى أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما (ثم تولى الى الظل) الذى كان هناك (فقال رب انى لما أنزلت الى) أى أى شئ أنزلته الى (من خير) جل أو قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام (فقير) أى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جئ بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت الى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما) قيل هى كبراهما واسمها صفوراء او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء أى جاءته عقيب ما رجعتا الى أبيهما روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وقوله تعالى (تمشى) حال من فاعل جاءت . وقوله تعالى

قوله صفوراء الخ هكذا فى البيضاوى أيضا والذى فى القاموس صفورة او صفورى وصفوريا اهـ

(على استحياء) متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشى أى جاءته تمشى كائنة على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتى المشى والمجىء معا لا عند المجىء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة أى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها (قالت) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت له عليه الصلاة والسلام فقيل قالت (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) أى جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة الى أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روى أنه عليه الصلاة والسلام أجابها فانطلقا وهى أمامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام (فلما جاءه وقص عليه القصص) أى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمى به المفعول كالعلل (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام انما أجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه أجرا حسبما صرحت به ألا يرى الى ما روى أن شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لا سيما فى دار نبى من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه الصلاة والسلام أن يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب أنه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعهما ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر (قالت احداهما) وهى التى استدعته الى أبيها وهى التى زوجها من موسى عليهما السلام (يا أبت استأجره) أى لرعى الغنم والقيام بأمرها (ان خير من استأجرت القوى الامين) تعليل جار مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فى ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضى للدلالة على أنه أمين مجرب روى أن شعيبا عليه السلام قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه (قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى) أى تكون أجيرا لى أو تثيبنى من أجرت كذا اذا أثبته اياه فقوله تعالى (ثمانى حجج) على الاول ظرف وعلى الثانى مفعول به على تقدير مضاف أى رعية ثمانى حجج ونقل عن المبرد أنه يقال أجرت دارى ومملوكى غير ممدود وآجرت ممدودا والاول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثانى محذوفا والمعنى على أن تأجرنى نفسك وقوله تعالى ثمانى حجج ظرف كالوجه الاول (فان أتممت عشرا) فى الخدمة والعمل (فمن عندك) أى فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندى بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل (وما اريد أن أشق عليك) بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ويوزع رأيك فى مزاولته (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه الصلاة والسلام بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى (قال ذلك بينى وبينك) مبتدأ وخبر أى ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى (ايما الاجلين) أى أكثرهما او اقصرهما (قضيت) أى وفيتكه باداء الخدمة فيه (فلا عدوان على) تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة أى لا عدوان على بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان فى أكثرهما رأسا لقصد الى التسوية بينهما فى الانتفاء أى كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو ايما الاجلين قضيت فلا اثم على يعنى كما لا اثم على فى قضاء الاكثر لا اثم على فى قضاء الاقصر فقط وقرئ أى الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها فى القراءة الاولى مزيدة لتأكيد ابهام أى وشياعها

وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال

تنظرت نسرا والسماكين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره

(والله على ما نقول) من الشروط الجارية بيننا (وكيل) شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه أصلا وليس ما حكى عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ما جرى بينهما من الكلام فى انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين فى تلك الشريعة تفصيلا روى أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى وكانت عنده عصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها ادم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل عليه السلام بعد موت ادم عليه السلام فكانت معه حتى لقى بها موسى عليه السلام ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضى الله تعالى عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى اليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى (فلما قضى موسى الاجل) فصيحة أى فعقدا العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما أتم الاجل (وسار بأهله) نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روى أنه عليه الصلاة والسلام قضى أبعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه فى ذلك فأذن له فخرج بأهله (آنس من جانب الطور) أى أبصر من الجهة التى تلى الطور (نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) أى بخبر الطريق وقد كانوا اضلوه (او جذوة) أى عود غليظ سواء كانت فى رأسه نار أولا قال قائلهم

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليها حرها والتهابها

ولذلك بين بقوله تعالى (من النار) وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات (لعلكم تصطلون) أى تستدفئون (فلما أتاها) أى النار التى آنسها (نودى من شاطئ الوادى الايمن) أى أتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ او صلة لنودى (من الشجرة) بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) وهذا وان خالف لفظا ما فى طه والنمل لكنه موافق له فى المعنى المراد (وأن ألق عصاك) عطف على أن ياموسى وكلاهما مفسر لنودى والفاء فى قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها أى فألقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جان) أى فى سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها (ولى مدبرا) أى منهزما من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع (ياموسى) أى قيل ياموسى (أقبل ولا تخف انك من الآمنين) من المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أى أدخلها فيه (تخرج بيضاء من غير سوء) أى عيب (واضمم

اليك جناحك) أى يديك المبسوطتين لتتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو أن يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه (من الرهب) أى من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات (فذانك) اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك (برهانان) حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن فى قوله تعالى (من ربك) متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان أى كائنتان منه تعالى (الى فرعون وملائه) واصلان ومنتهيان اليهم (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين (قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا) أى معينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة (انى أخاف أن يكذبون) ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقنى بالجزم على أنه جواب الامر (قال سنشد عضدك بأخيك) أى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطانا) أى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك (فلا يصلون اليكما) باستيلاء أو محاجة (بآياتنا) متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع أخر أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بآياتنا أو بمعنى لا يصلون أى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون فى قوله تعالى (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) بمعنى أنه صلة لما يبينه او صلة له على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) أى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان أظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره فى سورة طه (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر أصناف السحر (وما سمعنا بهذا) أى السحر او ادعاء النبوة (فى آبائنا الاولين) أى واقعا فى أيامهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان (فأوقد لى يا هامان على الطين) أى اصنع آجرا (فاجعل لى) منه (صرحا) أى قصرا رفيعا (لعلى اطلع الى اله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال (وانى لاظنه من الكاذبين) أو أراد أن يبنى له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أرض مصر (بغير الحق) بغير

استحقاق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو الانسب بالمقام (فأخذناه وجنوده) عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات (فنبذناهم في اليم) قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كأنه تعالى أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) وبينها للناس ليعتبروا بها (وجعلناهم) أي صيرناهم في عهدهم (أئمة يدعون) الناس (الى النار) الى ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم أهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم أئمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب حينئذ أن يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال أبو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيامة اما متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعملكم من القالين (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المؤديين الى اختلال نظام العالم وفساد أحوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها (بصائر للناس) أي أنوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر (وهدى) أي هداية الى الشرائع والاحكام التي هي سبل الله تعالى (ورحمة) حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة أو على حذف المضاف أي ذا بصائر الخ وقيل على العلة أي آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منه التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي) شروع في بيان أن انزال القرآن الكريم أيضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين أنه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم الآية أي وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع (اذ قضينا الى موسى الامر) أي عهدنا اليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي وايتاء التوراة (وما كنت من الشاهدين) أي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الالواح فتخبره للناس (ولكنا أنشأنا قرونا) أي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة (فتطاول عليهم العمر) وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى

(وما كنت ثاويا فى أهل مدين) نفى لاحتمال كون معرفته عليه الصلاة والسلام للقصة بالسماع ممن شاهدها أى وما كنت مقيما فى أهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى (تتلو عليهم) أى تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم (آياتنا) الناطقة بالقصة اما حال من المستكن فى ثاويا او خبر ثان لكنت (ولكنا كنا مرسلين) اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أى وقت ندائنا موسى انى أنا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون (ولكن رحمة من ربك) أى ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه الصلاة والسلام بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى عنه فى الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بأنه المراد فيهما أيضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى (لتنذر قوما) متعلق بالفعل المعلل بالرحمة وهو ما ذكرنا من ارساله عليه الصلاة والسلام بالقرآن حتما لما أنه المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (ما أتاهم من نذير من قبلك) صفة لقوما أى لم يأتهم نذير لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببنى اسرائيل (لعلهم يتذكرون) أى يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعى بين قضاء الامر والثواء فى أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه الصلاة والسلام للقصة بطريق الوحى الالهى ولو ذكر أولا نفى ثوائه عليه الصلاة والسلام فى أهل مدين ثم نفى حضوره عليه الصلاة والسلام عند النداء ثم نفى حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر فى قصة البقرة (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أى عقوبة (بما قدمت أيديهم) أى بما اقترفوا من الكفر والمعاصى (فيقولوا) عطف على تصيبهم داخل فى حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكره فى حيزها للايذان بأنه السبب الملجئ لهم الى قولهم (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أى هلا أرسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات (فنتبع آياتك) الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية (ونكون من المؤمنين) بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التى قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية (فلما جاءهم) أى أهل مكة (الحق من عندنا) وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلاة والسلام (قالوا) تعنتا واقتراحا (لولا أوتى) يعنونه عليه الصلاة والسلام (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة وأما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق أى ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى (قالوا) استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى (سحران) خبر لمبتدأ محذوف أى هما يعنون ما أوتى محمد وما أوتى موسى عليهما السلام سحران (تظاهرا) أى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود فى عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلاة والسلام فقالوا انا نجده فى التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى (وقالوا انا بكل) اى بكل واحد من الكتابين (كافرون) تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم فى الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم هذا هو الذى تستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل ألا ترى الى قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى (اتبعه) جواب للامر أى ان تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام (ان كنتم

صادقين) أى فى أنهما سحران مختلقان وفى ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) أى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بأنه عليه الصلاة والسلام على كمال أمن من أمره كأن أمره عليه الصلاة والسلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى أمر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه (فاعلم أنما يتبعون اهواءهم) الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك ما أصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به (ومن اضل ممن اتبع هواه) استفهام انكارى للنفى أى لا اضل ممن اتبع هواه (بغير هدى من الله) اى هو أضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفى الاضل لا لنفى المساوى كما مرّ فى نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقريع والاشباع فى التشنيع والتضليل والا فقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين (ولقد وصلنا لهم القول) وقرئ بالتخفيف أى أنزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما فيه (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل ايتاء القرآن (هم به يؤمنون) وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشأم (واذا يتلى) أى القرآن عليهم (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) أى الحق الذى كنا نعرف حقيته وهو استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم وقوله تعالى (انا كنا من قبله) أى من قبل نزوله (مسلمين) بيان لكون ايمانهم به أمرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب المتقدمة وأنهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن (أولئك) الموصوفون بما ذكر من النعوت (يؤتون أجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام وأتبع السيئة الحسنة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو) من اللاغين (اعرضوا عنه) عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما (وقالوا) لهم (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) بطريق المتاركة والتوديع (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم (انك لا تهدى) هداية موصلة الى البغية لا محالة (من أحببت) من الناس ولا تقدر على أن تدخله فى الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل حد معهود (ولكن الله يهدى من يشاء) أن يهديه فيدخله فى الاسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت فى أبى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال له يا ابن أخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) اى ألم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن لحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله وهم آمنون (يجبى اليه) وقرئ تجبى اى يجمع ويحمل اليه (ثمرات كل شئ) من كل اوب والجملة صفة أخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة (رزقا من لدنا) فاذا كان حالهم ما ذكروهم عبدة أصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) اى جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من ثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين أن الامر

قوله خرع بالخاء المعجمة والراء المهملة من باب علم ومعناه الدهش كما فى النهاية وفى رواية بالجيم والزاى اه مصححه

قوله اكلة رأس اى جماعة قليلون يشبعهم رأس واحد والجملة اعتراض كما قاله زكريا اه مصححه

بالعكس وأنهم احقاء بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها) اى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية بما ظلموا (لم تسكن من بعدهم) من بعد تدميرهم (الا قليلا) أى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم أو لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت (وما كان ربك مهلك القرى) بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة أى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة أو ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته أن لا يهلكها (حتى يبعث فى أمها) أى فى أصلها وقصبتها التى هى أعمالها وتوابعها لكون أهلها افطن وأنبل (رسولا يتلو عليهم آياتنا) الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى (وما كنا مهلكى القرى) عطف على ما كان ربك وقوله تعالى (الا وأهلها ظالمون) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى وما كنا مهلكين لاهل القرى بعدما بعثنا فى أمها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل (وما أوتيتم من شئ) من أمور الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أى فهو شئ شأنه أن يتمتع ويتزين به أياما قلائل (وما عند الله) وهو الثواب (خير) فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم (وأبقى) لانه أبدى (أفلا تعقلون) ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) أى مدركه لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جئ بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ماقبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ماعند الله تعالى أى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره أو احضرناه يوم القيامة النار أو العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل مالا يخفى وثم للتراخى فى الزمان أو فى الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا أو باضمار اذكر (فيقول) تفسير للنداء (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما (قال) استئناف مبنى على حكاية السؤال كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال (الذين حق عليهم القول) وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم أربابا من دون الله تعالى بأن أطاعوهم فى كل ما أمروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول أنه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضا لاصالتهم فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ماقالوا ردا لقولهم الا أنه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هم الذين

أغويناهم

أغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بحضرتهم وأنهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى (أغويناهم كما غوينا) هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له أى ما أكرهناهم على الغى وانما أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الاشارة وأغويناهم الخبر (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصى هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى (ما كانوا ايانا يعبدون) اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل ادعوا شركاءكم) اى لتخليصكم او تبكيتا لهم (فدعوهم) لفرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة (ورأوا العذاب) قد غشيهم (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمنى أى تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) عطف على ما قبله سئلوا أولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك (فعميت عليهم الانباء يومئذ) أى صارت كالعمى عنهم لا تهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأ لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما أجابوا به الرسل او جميع الانباء وهى داخلة فيه دخولا أوليا واذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم فى ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤل فما ظنك بأولئك الضلال من الامم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بأن الكل سواء فى الجهل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) أى جمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) أى الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام أو للترجى من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح (وربك يخلق ما يشاء) أن يخلقه (ويختار) ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له أصلا (ما كان لهم الخيرة) أى التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفى الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد أنه ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى أنه نزل فى قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذى كان لهم فيه الخير والصلاح (سبحان الله) أى تنزه بذاته تنزها خاصا به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به (وربك يعلم ما تكن صدورهم) كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) أى المستحق للعبادة (لا اله الا هو) لا أحد يستحقها الا هو (له الحمد فى الاولى والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) أى القضاء النافذ فى كل شئ من غير مشاركة فيه لغيره (واليه ترجعون) بالبعث لا الى غيره (قل) تقريرا لما ذكر (أرأيتم) أى أخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلامص من الدلاص يقال درع دلاص أى ملساء لينة (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر (من اله غير الله) صفة لاله (يأتيكم بضياء) صفة أخرى له عليها يدور أمر التبكيت والالزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله تعالى فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا أنه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لا يراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين (افلا تسمعون) هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكانها فى وسط السماء او بتحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة من متاعب الاشغال

ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أى في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار بأنواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل او لكي تعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها (ويوم يناديهم) منصوب باذكر (فيقول أين شركاءى الذين كنتم تزعمون) تقريع اثر تقريع للاشعار بأنه لا شئ أجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شئ أدخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى (ونزعنا) عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله أى أخرجنا (من كل أمة) من الامم (شهيدا) نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد (فقلنا) لكل أمة من تلك الامم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) يومئذ (أن الحق لله) في الالهية لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) أى غاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) في الدنيا من الباطل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فمالى وروى أنه لما جاوز بهم موسى عليه السلام البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهرون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتى بآية فأمر رؤساء بنى اسرائيل أن يجئ كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحى ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكرناه في حق موسى وهرون عليهما السلام (وآتيناه من الكنوز) أى الاموال المدخرة (ما ان مفاتحه) أى مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح (لتنوء بالعصبة أولى القوة) خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما مر في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بأن البغى ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بأن الايتاء أيضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو أظهر الفرح ويجوز أن يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما أوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه (لا تفرح) أى لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا فقيل (ان الله لا يحب الفرحين) أى بزخارف الدنيا (وابتغ) وقرئ واتبع (فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) أى ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه (ولا تنس) أى لا تترك ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) أى الى عباد الله تعالى (كما أحسن الله اليك) فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد في الارض) نهى عما كان عليه من الظلم والبغى (ان الله لا يحب المفسدين) لسوء أفعالهم (قال) مجيبا لناصحيه (انما أوتيته على علم عندى) كأنه يريد به الرد على قولهم كما أحسن الله اليك لانبائه عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله أى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندى صفة له او متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى او في ظنى ورأيى

(اولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) توبيخ له من جهة الله تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة فى التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجب منه فالمعنى ألم يقرأ التوراة ولم يعلم مافعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لايغتر بما اغتروا به أورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم منه فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لامحالة (فخرج على قومه) عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (فى زينته) اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله أى فخرج عليهم كائنا فى زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئى فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة فى السعة واليسار (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه فى سبل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا (انه لذو حظ عظيم) تعليل لتمنيهم وتأكيد له (وقال الذين أوتوا العلم) أى بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغى وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على أن العلم باحوال النشأتين يقتضى الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وأن تمنى المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغى (ويلكم) دعاء بالهلاك شاع استعماله فى الزجر عما لايرتضى (ثواب الله) فى الآخرة (خير) مما تتمنونه (لمن آمن وعمل صالحا) فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى (ولا يلقاها) أى هذه الكلمة التى تكلم بها العلماء او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) أى على الطاعات وعن الشهوات (فخسفنا به وبداره الارض) روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى أن يفضح موسى عليه السلام بين بنى اسرائيل فجعل لبغى من بغايا بنى اسرائيل ألف دينار وقيل طشتا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها عليه السلام أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن ارميك بنفسى فخر موسى ساجدا لربه يبكى ويقول يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى وبالرحم وهو لايلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه الصلاة والسلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له من فئة) جماعة مشفقة (ينصرونه من دون الله) بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين) أى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضى القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الامر أن الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وأن وتقديره ويك اعلم أن الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطا والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وتندموا على ذلك (لولا أن من الله علينا) بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطائنا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا

من الله علينا (لخسف بنا) كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي غلبة وتسلطا (ولا فسادا) أي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها (والعاقبة) الحميدة (للمتقين) أي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال (من جاء بالحسنة فله) بمقابلتها (خير منها) ذاتا ووصفا وقدرا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم (الا ما كانوا يعملون) أي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة (ان الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به (لرادك الى معاد) أي معاد تمتد اليه أعناق الهمم وترنو اليه أحداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على أنه تعالى قد وعده وهو بمكة في أذية وشدة من أهلها أنه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه أعلم أي يعلم وقيل بأعلم على أنه بمعنى عالم (ومن هو في ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الا رحمة من ربك) ولكن ألقاه اليك رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة أي لاجل الترحم (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك) أي الكافرون (عن آيات الله) أي عن قراءتها والعمل بها (بعد اذ أنزلت اليك) وفرضت عليك وقرئ يصدنك من أصد المنقول من صد اللازم (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم في الامور (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع أطماع المشركين عن مساعدته عليه الصلاة والسلام لهم واظهار أن المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلا (لا اله الا هو) وحده (كل شيء هالك الا وجهه) الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم (له الحكم) أي القضاء النافذ في الخلق (واليه ترجعون) عند البعث للجزاء بالحق والعدل * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

*(سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(الم) الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة خلا أن ما بعده لا يحتمل أن يتعلق به تعلقا اعرابيا (أحسب الناس) الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بأن والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى أحسب الناس (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) في قوة أن يقال أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا او أن يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة

ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ فى الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى النار روى أنها نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين جزعوا من أذية المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته وهو أول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل بقوله تعالى أحسب أو بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغى أن يتوقع خلافها والمعنى أن الامم الماضية قد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبى عليه الصلاة والسلام قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى فى قولهم آمنا (وليعلمن الكاذبين) فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينبئ عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير أى فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان الذى أظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن أو ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام أى وليعرفنهم الناس أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أى يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوى أعمالهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو أبطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم أن لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصروا على المعاصى ولم يتفكروا فى العاقبة نزلوا منزلة من يطمع فى ذلك كما فى قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده (ساء ما يحكمون) أى بئس الذى يحكمونه حكمهم ذلك أو بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك (من كان يرجو لقاء الله) أى يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا أو عقابا أو ملاقاة حكمه يوم القيامة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل فى الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتى ويذر فاما أن يلقاه ببشر وكرامة لما رضى من أفعاله أو بضد ما سخطه (فان أجل الله) الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر فى الاستعمال أى فان الوقت الذى عينه تعالى لذلك (لآت) لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان أجزاء الزمان على التقضى والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء أيضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف أى فليختر من الاعمال ما يؤدى الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما فى قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يوجب القربة والزلفى (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بأحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد (ومن جاهد) فى طاعة الله عز وجل (فانما يجاهد لنفسه) لعود منفعتها اليها (ان الله لغنى عن العالمين) فلا حاجة له الى طاعتهم وانما أمرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى أحسن جزاء أعمالهم لا جزاء أحسن أعمالهم فقط (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى بايتاء والديه

وايلائهما فعلا ذا حسن أو ما هو فى حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجرى مجرى أمر معنى وتصرفا غير أنه يستعمل فيما كان فى المأمور به نفع عائد الى المأمور أو غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا أحسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أى وقلنا أولهما أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم) أى بالاهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها للايذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه (فلا تطعهما) فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفى تعليق النهى عن طاعتهما بمجاهدتهما فى التكليف اشعار بأن موجب النهى فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية (الى مرجعكم) أى مرجع من امن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فأنبئكم بما كنتم تعملون) بأن أجازى كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه عند اسلامه حيث حلفت أمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية أن لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التى فى سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل والحرث أخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب واستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على أن اقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه أما اذا عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى فى زمرة الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول أنبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وانه فى الآخرة لمن الصالحين او فى مدخل الصالحين وهو الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله) أى فى شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) أى ما يصيبه من أذيتهم (كعذاب الله) فى الشدة والهول فيرتد عن الدين مع أنه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى أصلا (ولئن جاء نصر من ربك) أى فتح وغنيمة (ليقولن) بضم اللام نظرا الى معنى من كما أن الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح (انا كنا معكم) أى مشايعين لكم فى الدين فأشركونا فى المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) أى بأعلم منهم بما فى صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق ولما لحق من قوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا) أى بالاخلاص (وليعلمن المنافقين) سواء كان كفرهم بأذية الكفرة أولا أى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما أن مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من أضلوه واللام للتبليغ أى قالوا مخاطبين لهم (اتبعوا سبيلنا) أى اسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذى هو المشى خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه أو اتبعونا فى طريقتنا (ولنحمل خطاياكم) أى ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للمبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى (وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ) وقرئ من خطيآتهم أى وما هم بحاملين شيأ من

خطاياهم التي التزموا أن يحملوا كلها على أن من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض أو حال (انهم لكاذبون) حيث أخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بأنهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (وليحملن أثقالهم) بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر أي وبالله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة (وأثقالا) أخر (مع أثقالهم) لما تسببوا بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير أن ينتقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلا (وليسألن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) أي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأذية أممهم اثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء أولى وأحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين عاما بعث على رأس أربعين سنة ودعا قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأي الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير من نوع بشاعة (فأخذهم الطوفان) أي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء (وهم ظالمون) أي والحال أنهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية (فأنجيناه) أي نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) أي ومن ركب فيها معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) أي السفينة او الحادثة والقصة (آية للعالمين) يتعظون بها (وابراهيم) نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال لقومه) على الاول ظرف للارسال أي أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم (اعبدوا الله) أي وحده (واتقوه) أن تشركوا به شيأ (ذلكم) أي ما ذكر من العبادة والتقوى (خير لكم) أي مما أنتم عليه ومعنى التفضيل مع أنه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل (ان كنتم تعلمون) أي الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو ان كنتم تعلمون شيأ من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى (انما تعبدون من دون الله أوثانا) بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق أي انما تعبدون من دونه تعالى أوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك (وتخلقون افكا) أي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله تعالى أو تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ أفكا على انه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقا ذا افك (ان الذين تعبدون من دون الله) بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا (لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدرون على أن يرزقوكم شيأ من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين (واعبدوه) وحده (واشكروا له) على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد (اليه ترجعون) أي بالموت

ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا (وان تكذبوا) أى تكذبونى فيما أخبرتكم به من أنكم اليه ترجعون بالبعث (فقد كذب أمم من قبلكم) تعليل للجواب أى فلا تضرنى تكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيأ وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك أصلا (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أى ألم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة أى قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى (ثم يعيده) عطف على أولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما أنشأه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب (ان ذلك) أى ما ذكر من الاعادة (على الله يسير) اذ لا يفتقر فعله الى شئ أصلا (قل سيروا فى الارض) أمر لابراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أى سيروا فيها (فانظروا كيف بدأ الخلق) أى كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير فى الارض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين فى أقطارها (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على أنها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة أو بحذف العامل أى ينشئ فينشؤن النشأة الآخرة كما فى قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا فى الارض داخلة معها فى حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره فى بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التى من جملتها الاعادة لا يتصور أن يتردد فى قدرته عليها ولا فى وقوعها بعد ما اخبر به (يعذب) أى بعد النشأة الآخرة (من يشاء) أن يعذبه وهم المنكرون لها حتما (ويرحم من يشاء) أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب (واليه تقلبون) عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة (وما أنتم بمعجزين) له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم (فى الارض ولا فى السماء) أى بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها ولا بالتحصن فى السماء التى هى أفسح منها لو استطعتم الرقى فيها كما فى قوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا أو القلاع الذاهبة فيها وقيل فى السماء صفة لمحذوف معطوف على أنتم أى ولا من فى السماء (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين كفروا بآيات الله) أى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام (ولقائه) الذى تنطق به تلك الآيات (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه (يئسوا من رحمتى) أى ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضى للدلالة على تحققه او يئسوا منها فى الدنيا لانكارهم البعث والجزاء (وأولئك لهم عذاب أليم) وفى تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أى

اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام (فما كان جواب قومه) بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى (الا أن قالوا اقتلوه او حرقوه) وقرئ بالرفع على العكس وقد مرّ ما فيه في نظائره وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى (فأنجاه الله من النار) الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه عليه الصلاة والسلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع أخر وقد مرّ في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه الصلاة والسلام فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلا (ان في ذلك) أي في انجائه منها (لآيات) بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها (لقوم يؤمنون) وأما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون (وقال) أي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا) أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف أي أوثانا آلهة ويجوز أن يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف اوبتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة أي اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة الظرف وقرئت بالرفع والاضافة على أنها خبر مبتدا محذوف أي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا او خبر ان على أن ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على أحد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحياة وقد أجريتم أحكامه حيث فعلتم بي ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا مني كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم (ثم يوم القيامة) تنقلب الامور وتتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث (يكفر بعضكم) وهم العبدة (ببعض) وهم الاوثان (ويلعن بعضكم بعضا) أي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر (ومأواكم النار) أي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه أبدا (وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع أي ما لاحد منكم من ناصر أصلا (فآمن له لوط) أي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي أن يحمل على ما ذكرنا او على أن يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما السلام (وقال اني مهاجر) أي من قومي (الى ربي) الى حيث أمرني ربي (انه هو العزيز) الغالب على أمره فيمنعني من اعدائي (الحكيم) الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي أنه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر (وجعلنا في ذريته النبوة) فكثر منهم الانبياء (والكتاب) أي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة (وآتيناه أجره) بمقابلة هجرته الينا (في الدنيا) باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي الكاملين في الصلاح (ولوطا) منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى (اذ قال لقومه) كالذي مرّ في قصة ابراهيم عليه السلام (انكم لتأتون الفاحشة) أي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ أئنكم (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع أفراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة أي بالفاحشة حيث روي أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون

سبيل النساء بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال (وتأتون فى ناديكم) أى تفعلون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم (المنكر) كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لاخير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش فى المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أى فما كان جوابا من جهتهم شئ من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة أى لم يصدر عنهم فى هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما ما فى سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم الآية وما فى سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذى صدر عنهم بعد هذه المرة وهى المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف (قال رب انصرنى) أى بانزال العذاب الموعود (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب عليهم (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أى بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا) أى لابراهيم عليه السلام فى تضاعيف الكلام حسبما فصل فى سورة هود وسورة الحجر (انا مهلكوا أهل هذه القرية) أى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان أهلها كانوا ظالمين) تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم فى فنون الفساد وأنواع المعاصى (قال ان فيها لوطا) فكيف تهلكونها (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) أرادوا أنهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من أتباعه المؤمنين وأنهم معتنون بشأنهم أتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم أى والله لننجينه وأهله (الا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقين فى العذاب او القرية (ولما أن جاءت رسلنا) المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام (لوطا سئ بهم) اعتراه المساءة بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة أن صلة لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع (وقالوا) ريثما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا أنه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتى حتى آلت به الحال الى أن قال لو أن لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد (لا تخف) أى من قومك علينا (ولا تحزن) أى على شئ وقيل باهلاكنا اياهم (انا منجوك وأهلك) مما يصيبهم من العذاب (الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرئ لننجينك ومنجوك من الانجاء وأيا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب أهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء) استئناف مسوق لبيان ما أشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يقلق المعذب أى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم المستمر (ولقد تركنا منها) أى من القرية (آية بينة) هى قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة (والى مدين أخاهم شعيبا) متعلق بمضمر معطوف على أرسلنا فى قصة نوح عليه السلام أى وأرسلنا الى مدين شعيبا (فقال يا قوم اعبدوا الله) وحده (وارجوا اليوم الآخر) أى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها الهواء وما يجاورها من الارض (فأصبحوا

في دارهم) أي بلدهم أو منازلهم والافراد لأمن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمود) منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله أي أهلكنا وقرئ ثمود بالتنوين على تأويل الحي (وقد تبين لكم من مساكنهم) أي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشأم وايابا منه (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من فنون الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السوي الموصل الى الحق (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك أو متبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوف على عادا قيل تقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد أدركهم أمر الله عز وجل أي أدركهم فتداركوا نحو الدمار والهلاك (فكلا) تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام أي فكل واحد من المذكورين (أخذنا بذنبه) أي عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) تفصيل للأخذ أي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من أنواع الكفر والمعاصي (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك أوهن من هذا لأن له حقيقة وانتفاعا في الجملة أو مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات وأما العكاب والعكب والاعكب فأسماء الجموع (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي (لو كانوا يعلمون) أي شيأ من الاشياء لجزموا أن هذا مثلهم أو أن دينهم أوهى من ذلك ويجوز أن يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) على اضمار القول أي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون أو مصدرية وشيء عبارة عن المصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيأ بمن هذا شأنه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم (وتلك الامثال) أي هذا المثل وأمثاله (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من أفهامهم (وما يعقلها) على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد (الا العالمون) الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أي محقا مراعيا للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على أنه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤنه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى (ان في ذلك لآية للمؤمنين) دالة لهم على ما ذكر من شؤنه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لأنهم المنتفعون بذلك (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق (وأقم الصلاة) أي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه الصلاة والسلام باقامتها متضمنا لأمر الامة بها علل بقوله تعالى (ان الصلاة

تنهى عن الفحشاء والمنكر) كأنه قيل وصل بهم ان الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما أنها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلابد أن تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى أنس رضى الله عنه أن فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لايدع شيأ من الفواحش الاركبه فوصف له عليه الصلاة والسلام حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله (ولذكر الله أكبر) أى وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بأن ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فى الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (الا بالتى هى أحسن) أى بالخصلة التى هى أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لايدل على الضعف ولا يؤدى الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط فى الاعتداء والعناد أو باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم (وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا) من القرآن (وأنزل اليكم) أى وبالذى أنزل اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة سورة البقرة وعن النبى عليه الصلاة والسلام لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد) لاشريك له فى الالوهية (ونحن له مسلمون) مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (وكذلك) تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل أى مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب (أنزلنا اليك الكتاب) أى القرآن الذى من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى (فالذين آتيناهم الكتاب) من الطائفتين (يؤمنون به) أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا فى كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بأن من بعدهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور (ومن هؤلاء) أى ومن العرب أو أهل مكة على الاول أو ممن فى عصره عليه الصلاة والسلام على الثانى (من يؤمن به) أى بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها (الا الكافرون) المتوغلون فى الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب ابن الاشرف وأصحابه (وما كنت تتلو من قبله) أى ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيأ (من كتاب ولا تخطه) أى ولا تقدر على أن تخطه (بيمينك) حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه (اذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شأنك منشأ ريب أصلا وتسميتهم مبطلين فى ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين فى اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك (بل هو) أى القرآن (آيات بينات) واضحات ثابتة راسخة (فى صدور الذين أوتوا العلم) من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لايقدر أحد على تحريفه (وما يجحد بآياتنا) مع كونها

كما

كماذكر (الا الظالمون) المتجاوزون للحدود فى الشر والمكابرة والفساد (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية (قل انما الآيات عند الله) ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد فى ذلك قطعا (وانما أنا نذير مبين) ليس من شأنى الا الانذار بما أوتيت من الآيات (أولم يكفهم) كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات (أنا أنزلنا عليك الكتاب) الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل عن مدارستها وممارستها (يتلى عليهم) فى كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما فى أيديهم من نعتك ونعت دينك (ان فى ذلك) الكتاب العظيم الشان الباقى على مر الدهور (لرحمة) أى نعمة عظيمة (وذكرى) أى تذكرة (لقوم يؤمنون) أى لقوم همهم الايمان لا التعنت كأولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) بما صدر عنى وعنكم (يعلم ما فى السموات والارض) أى من الامور التى من جملتها شأنى وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله تعالى (وكفروا بالله) مع تعاضد موجبات الايمان به (اولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بأن ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتى هى أحسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما فى قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين (ويستعجلونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك (ولولا أجل مسمى) قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه فى اللوح (لجاءهم العذاب) المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالاجل يوم القيامة لما روى أنه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعى ولا كانوا يستعجلون به (وليأتينهم) جملة مستأنفة مبينة لما أشير اليه فى الجملة السابقة من مجىء العذاب عند محل الاجل أى وبالله ليأتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الاجل (بغتة) أى فجأة (وهم لا يشعرون) أى باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك أنه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أى يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم أى سيحيط بهم وانما جىء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها أو تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى أشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى به المقال وقيل ظرف للاحاطة (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى من جميع جهاتهم (ويقول) أى الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملائكته بأمره (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاء ما كنتم تعملونه

فى الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب (ياعبادى الذين آمنوا) خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة أمور الدين كما ينبغى لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم (ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) أى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض الى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان أرضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) جملة مستأنفة جىء بها حثا على المسارعة فى الامتثال بالامر أى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) أى علالى وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما فى قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم (تجرى من تحتها الانهار) صفة لغرفا (خالدين فيها) أى فى الغرف او فى الجنة (نعم أجر العاملين) أى الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ماقبله عليه وقرئ فنعم (الذين صبروا) اما صفة للعاملين او نصب على المدح أى صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) أى ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) روى أن النبى عليه الصلاة والسلام لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أى وكم من دابة لاتطيق حمل رزقها لضعفها او لاتدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى أنه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع) المبالغ فى السمع فيسمع قولكم هذا (العليم) المبالغ فى العلم فيعلم ضمائركم (ولئن سألتهم) أى أهل مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) اذ لاسبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه (فأنى يؤفكون) انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى فى الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير (الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (من عباده ويقدر له) أى يقدر لمن يشاء أن يقدر له منهم كائنا من كان على أن الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسطه له على التعاقب (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره له فيقدره له او فيعلم أن كلا من البسط والقدر فى أى وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله) معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شئ ما أصلا (قل الحمد لله) على أن جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وأنه أظهر حجتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده (بل أكثرهم لا يعقلون) أى شيأ من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك (وما هذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (الا لهو ولعب) أى الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هى فى ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حى سمى به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة فى هذا المقام المقتضى للمبالغة (لو كانوا يعلمون)

أى

أى لما آثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال (فاذا ركبوا فى الفلك) متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشئ المتحرك وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفى أمثاله بكلمة فى للايذان بأن المركوب فى نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر فى سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله مخلصين له الدين) أى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) أى فاجؤا المعاودة الى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا) أى يفاجؤن الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التى حقها أن يشكروها (فسوف يعلمون) أى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب (أولم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (انا جعلنا) أى بلدهم (حرما آمنا) مصونا من النهب والتعدى سالما أهله من كل سوء (ويتخطف الناس من حولهم) أى والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أى أبعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق (وبنعمة الله يكفرون) وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا أى هو أظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر مرارا (أو كذب بالحق لما جاءه) أى بالرسول أو بالقرآن وفى لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أثر ذى أثير (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألستم خير من ركب المطايا أى ألا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا) أى فى شأننا ولوجهنا خالصا أطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (وان الله لمع المحسنين) معية النصر والمعونة * عنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

* (سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله الآية وهى ستون أو تسع وخمسون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ألم) الكلام فيه كالذى مر فى أمثاله من الفواتح الكريمة (غلبت الروم فى أدنى الارض) أى أدنى أرض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى أطراف الشام أو فى أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هى أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الاردن وفلسطين وقرئ أدانى الارض (وهم) اى الروم (من بعد غلبهم) أى من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهى لغة كالجلب والجلب (سيغلبون) أى سيغلبون فارس (فى بضع سنين) روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال أبو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل

قوله اناحبك بالنون والحاء المهملة والباء الموحدة مجزوم فى جواب الامر ومعناه اعاهدك واعاقدك عليه وقال زكريا اى اراهنك عليه والخطر بفتحتين ما يراهن عليه اهـ

كان النصر للفريقين يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم غلبت على ريف الشأم وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلا من كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) أي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى (ينصر من يشاء) أي من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد (وهو العزيز) المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائنا من كان (الرحيم) المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية أما على القراءة المشهورة فظاهر لان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية وأما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كأنه قيل وعد الله وعدا (لا يخلف الله وعده) أي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز أن تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعدا غير مخلف (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي ما سبق من شؤنه تعالى (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من أفعالهم المترتبة على علمهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم أي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا (وهم عن الآخرة) التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى (هم غافلون) لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون أحوالها التي هي مبادي العلم بأمور الآخرة واشعارا بأن العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان (أولم يتفكروا) انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (في أنفسهم) ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) الخ متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا أي أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط وأقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم

فيعلموا أنه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء (الا) ملتبسة
(بالحق) او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة
لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة
على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التي من
جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحياة الابدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت
درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما
نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم أحسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح
ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقد مر
تحقيقه في أوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى (وأجل مسمى) عطف على الحق أي وباجل معين
قدره الله تعالى لبقائها الا بد لها من أن تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز أن يكون قوله
تعالى في أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب المخلوقات اليهم وهم أعلم بشؤنها
وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة
على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الاحسان
احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير
وأنه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وأنت خبير بأن أمر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة
والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من
الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) تذييل مقرر لما قبله
ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم
الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى
وجزائه بالبعث (أولم يسيروا) توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم
والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقعدوا في أماكنهم ولم يسيروا (في الارض)
وقوله تعالى (فينظروا) عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في أقطار
الارض وشاهدوا (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى
(كانوا أشد منهم قوة) الخ بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها يعني أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث
كانوا أشد منهم قوة (وأثاروا الارض) أي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وغير ذلك (وعمروها) أي عمرها أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها
مما يعد عمارة لها (اكثر مما عمروها) أي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم
أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف
حالهم وضيق عطنهم اذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض
بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس (وجاءتهم رسلهم
بالبينات) بالمعجزات او الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) أي فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله
ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس
من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض
ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)
بأن اجترؤا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي عملوا السيئات وضع
الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم (السوءى) أي العقوبة التي هي أسوأ
العقوبات وأفظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن أو مصدر كالبشرى

وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوءى وهي مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو أدخل في الجزالة وقوله تعالى (أن كذبوا بآيات الله) علة لما أشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والأخروي أي لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى (وكانوا بها يستهزؤن) عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل (الله يبدأ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم اليه ترجعون) الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء (ويوم تقوم الساعة) التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه (يبلس المجرمون) أي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فأبلس اذا سكت وأيس من أن يحتج وقرئ بفتح اللام من أبلسه اذا أفحمه وأسكته (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع أي لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا (وكانوا بشركائهم كافرين) أي بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها (ويوم تقوم الساعة) أعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى (يومئذ يتفرقون) تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال عليه الصلاة والسلام يا أعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل (ولقاء الآخرة) صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر أي أولئك الموصوفون بما فصل من القبائح (في العذاب محضرون) على الدوام لا يغيبون عنه أبدا (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أمر بما ينجي من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما أن التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى أي نزهوه عما ذكر سبحانه أي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والارض في معنى الامر به على أبلغ وجه وآكده وتوسيطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والاشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك

وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقوله عليه الصلاة والسلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى (وعشيا) عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما أنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول فى العشى كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر فى ذلك أنه ليس من الاوقات التى تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا أما فى المساء والصباح فظاهر وأما فى الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر فى سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتمالها عليهما وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى أنها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان فى أى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفى آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى ادرك ما فاته فى ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أى تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحى) النطفة والبيضة من الحيوان (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده (ومن آياته) الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم أظهر من دلالة اخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها (أن خلقكم) أى فى ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه عليه الصلاة والسلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا (من تراب) لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه فى ذاتكم وصفاتكم (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الارض وهذا مجمل ما فصل فى قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية (ومن آياته) الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء (أن خلق لكم) أى لاجلكم (من أنفسكم أزواجا) فان خلق أصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من أنفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى (لتسكنوا اليها) أى لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر (وجعل بينكم) أى بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء فى الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أى جعل بينكم وبينهن كما مر فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وقيل او بين أفراد الجنس أى بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى (مودة ورحمة) فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم توادا وتراحما من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من أنفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب

قوله والفرك هو بالكسر وبفتح البغضة عام أو خاص ببغضة الزوجين كما فى القاموس والمراد هنا الخصوص كما هو ظاهر اه مصححه

العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلته (لآيات) عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها (لقوم يتفكرون) فى تضاعيف تلك الافاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هى مشتملة على آيات شتى (ومن آياته) الدالة على ما ذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزاء (خلق السموات والارض) اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لهما أظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم بأن علم كل صنف لغته وألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه (وألوانكم) ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الاعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة وان كانا فى غاية التشابه وانما نظم هذا فى سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام فى سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (للعالمين) أى المتصفين بالعلم كما فى قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق كافة (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية (وابتغاؤكم من فضله) فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع فى الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول فى الاول والثانى فى الثانى أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة فى ذلك خلا أنه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمان والزمان مع ما وقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون فى تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى (ومن آياته يريكم البرق) الفعل اما مقدر بأن كما فى قول من قال ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى أى أن أحضر أو منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحذوف أى آية يريكم بها البرق كقول من قال

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى ابتغى العيش أكدح

أى فمنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغى فيها أو ومن آياته شئ أو سحاب يريكم البرق (خوفا) من الصاعقة أو للمسافر (وطمعا) فى الغيث أو للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه أو للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها (وينزل من السماء ماء) وقرئ بالتخفيف (فيحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) فانها من الظهور بحيث يكفى فى ادراكها مجرد العقل عند استعماله فى استنباط أسبابها وكيفية تكونها (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) أى بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادى والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر فى غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى أجلهما الذى نطق به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث فى الوجود أخرت عنهن وجعلت

متصلة به فى الذكر أيضا فقيل (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم فى سلكها كما قيل كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هيآتهما بأمره تعالى الى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم أى بعد انقضاء الاجل من الارض وأنتم فى قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعى ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفى فى ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها (وله) خاصة (من فى السموات والارض) من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه (كل له قانتون) أى منقادون لفعله لا يمتنعون عليه فى شأن من شؤنه تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى (وهو أهون عليه) أى بالاضافة الى قدركم والقياس على أصولكم والا فهما عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك وأما ما قيل من أن الانشاء بطريق التفضل الذى يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذى لا بد من فعله حتما فكان أقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بأهونية الفعل أقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل أسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت فى ذلك بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب أو بطريق الاختيار (وله المثل الاعلى) أى الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التى ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا اله الا الله أراد به الوصف بالوحدانية (فى السموات والارض) متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره فى الاعلى (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجز عن بدء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على سنن الحكمة والمصلحة (ضرب لكم مثلا) يتبين به بطلان الشرك (من أنفسكم) أى منتزعا من أحوالها التى هى أقرب الامور اليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى (هل لكم) الخ تصوير للمثل أى هل لكم (مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال وما يجرى مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفى المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى (فأنتم فيه سواء) تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين فى التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوفا معطوفا على أنتم لا أنه عام للفريقين بطريق التغليب أى هل ترضون لانفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم فى البشرية وأحكامها أن يشاركوكم فيما رزقناكم وهو مستعار لكم فأنتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خبرا آخر لانتم أو حال من ضمير الفاعل فى سواء أى تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم (كخيفتكم أنفسكم) أى خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفى مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أى لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم أمثالكم فى البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه فى المعبودية التى هى من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أى نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فان التمثيل تصوير للمعانى المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون فى غاية الايضاح والبيان (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها (بل اتبع الذين ظلموا) اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال

قوله شرع هو كما فى الشهاب بفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وبعدها عين مهملة بمعنى سواء اهـ مصححه

المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيأ من الآيات المفصلة بل اتبعوا (اهواءهم) الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشئ في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (بغير علم) أي جاهلين ببطلان ما أتوا مكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه (فمن يهدى من أضل الله) أي خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه أي لا يقدر على هدايته أحد (وما لهم) أي لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع (فأقم وجهك للدين) تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشئ محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه أي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرة الله) الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء أي الزموا أو عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في أقم لما أن الرسول عليه الصلاة والسلام امام الامة فأمره عليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر أي فطر الله فطرة وقوله تعالى (التي فطر الناس عليها) صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أو عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال به أي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له أو الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء أو الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر (الدين القيم) المستوى الذي لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيصدون عنه صدودا (منيبين اليه) حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في أقم لعمومه للامة حسبما أشير اليه وما بينهما اعتراض أي راجعين اليه من أناب اذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى (واتقوه) أي من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى (وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين) المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به (وكانوا شيعا) أي فرقا تشايع كل منها امامها الذي أضلها (كل حزب بما لديهم) من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل (فرحون) مسرورون ظنا منهم أنه حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده (واذا مس الناس ضر) أي شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدة (اذا فريق منهم بربهم) الذي كانوا دعوه منيبين اليه (يشركون) أي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد أي مقيم على

قوله فاجتالتهم أي حولتهم كما في القاموس اه مصححه

الطريق

الطريق القصد أو متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدى كقوله تعالى (فتمتعوا) غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة فى قوله تعالى (أم أنزلنا عليهم) للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة (سلطانا) أى حجة واضحة وقيل ذا سلطان أى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كما فى قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم به تعالى أو بالامر الذى بسببه يشركون (واذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطرا وأشرا لاحمدا وشكرا (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فاجؤا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون (أولم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين وابن السبيل) ما يستحقانه والخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لمن بسط له كما تؤذن به الفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أو جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا أو جهة التقرب اليه لا جهة أخرى (واولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربا) زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ أتيتم بالقصر أى غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا (ليربو فى أموال الناس) ليزيد ويزكو فى اموالهم (فلا يربو عند الله) أى لا يبارك فيه وقرئ لتربوا أى لتزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا (وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله) أى تبتغون به وجهه تعالى خالصا (فأولئك هم المضعفون) أى ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة مالا يخفى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد جوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم أو بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل أخاه هابيل وفى البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) لتشاهدوا آثارهم (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشو الشرك فيما بينهم أو كان الشرك فى أكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم (فأقم وجهك للدين القيم) أى البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) لا يقدر أحد على رده (من الله) متعلق بيأتى أو بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) أصله يتصدعون أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أى يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون أى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك فى معرض الغاية وعبر عنه بالفضل

قوله والموتان بضم الميم موت يقع فى الماشية كما قاله زكريا عن الجوهرى وقوله واخفاق الغاصة الاخفاق بالخاء المعجمة والفاء الخيبة وعدم الظفر والغاصة بتشديد الصاد المهملة كسادة جمع او اسم جمع لغائص وهو من ينزل لقعر البحر لاخراج اللؤلؤ ونحوه كذا فى زاده باختصار اه مصححه

لما أن الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب وأشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى (انه لا يحب الكافرين) فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة (ومن آياته ان يرسل الرياح) أى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهمّ اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم أو بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم (ولتجرى الفلك) بسوقها (بأمره ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم) كما أرسلناك الى قومك (فجاؤهم بالبينات) أى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء فى قوله تعالى (فانتقمنا من الذين أجرموا) فصيحة أى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفى قوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم واشعار بأن الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حلّ بأولئك الامم من الانتقام (الله الذى يرسل الرياح) استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح (فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى جوها (كيف يشاء) سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) تارة أخرى أى قطعا وقرئ بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) فى التارتين (فاذا اصاب به من يشاء من عباده) أى بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) فاجؤا الاستبشار بمجىء الخصب (وان كانوا) ان مخففة من انّ وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف أى وانّ الشان كانوا (من قبل أن ينزل عليهم) أى المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح وأقرب من ذلك أن يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية (لمبلسين) خبر كانوا واللام فارقة أى آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وأنواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ أثر بالتوحيد وقوله تعالى (كيف يحيى) أى الله تعالى (الارض بعد موتها) فى حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر أى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأيّاما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من أمر البعث وقرئ تحيى بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة (ان ذلك) العظيم الشان الذى ذكر بعض شؤنه (لمحيى الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية أو لمحييهم البتة وقوله تعالى (وهو على كل شئ قدير) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أى مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء التى من جملتها احياؤهم لما أن نسبة قدرته الى الكل سواء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه) أى الاثر المدلول عليه بالآثار أو النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعمّ القليل والكثير (مصفرّا) بعد خضرته وقد جوّز أن يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرّا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام فى لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه فصيحة واللام فى قوله تعالى (لظلوا) لام جواب القسم السادّ مسدّ الجوابين أى والله لئن أرسلنا ريحا حارّة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه

مصفرا الظلتّ (من بعده يكفرون) من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعد تثبيتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط مالايخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وأبوا ما يجديهم وأتوا بما يرديهم (فانك لاتسمع الموتى) لما أنهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتى السوء نبوّ أسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من أوضاعه وحركاته لشئ من كلامه وان لم يسمعه أصلا وأما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيأ وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار أو لعمى قلوبهم وقرئ تهدى العمى (ان تسمع) أى ما تسمع (الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول أو الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا (فهم مسلمون) منقادون لما تأمرهم به من الحق (الله الذى خلقكم من ضعف) مبتدأ وخبر أى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا أى خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا أخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد فى الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر (يخلق ما يشاء) من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة (وهو العليم القدير) المبالغ فى العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أى القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة (يقسم المجرمون ما لبثوا) أى فى القبور أو فى الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم أهى أربعون سنة أو أربعون ألف سنة (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم نسيانا أو كذبا أو تخمينا (كذلك كانوا يؤفكون) مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) فى الدنيا من الملائكة والانس (لقد لبثتم فى كتاب الله) فى علمه أو قضائه أو ما كتبه وعينه أو فى اللوح أو القرآن وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ (الى يوم البعث) ردوا بذلك ما قالوه وأيدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا أن ذلك هو البعث الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون أنه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فردّ العالمون مقالتهم ونبهوهم على أنهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبونهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا (فهذا يوم البعث) الذى كنتم توعدون فى الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما فى قول من قال

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) أى عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل (ولاهم يستعتبون) لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم أى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى فأرضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها فى غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد

اعتذارهم (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (ان أنتم الا مبطلون) أى مزورون (كذلك) مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق (فاصبر) على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة (ولا يستخفنك) لا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك بأباطيلهم التى من جملتها قولهم ان أنتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم أمثال ذلك وقرئ بالنون الخفيفة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق أى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين وأياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والارض وأدرك ما ضيع فى يومه وليلته

---

سورة لقمان مكية وقيل الا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو
ضعيف لانه ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام
وهى اربع أو ثلاث وثلاثون آية

---

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(الم تلك آيات الكتاب) سلف بيانه فى نظائره (الحكيم) أى ذى الحكمة لاشتماله عليها أو هو وصف له بنعته تعالى أو أصله الحكيم منزله أو قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن فى الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد أى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل (هدى ورحمة) بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على أنهما خبران آخران لاسم الاشارة أو لمبتدأ محذوف (للمحسنين) أى العاملين للحسنات فان أريد بها مشاهيرها المعهودة فى الدين فقوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وان أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له (اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال فى مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه (ومن الناس) محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف ومن فى قوله تعالى (من يشترى لهو الحديث) موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذى يشترى أو فريق يشترى على أن مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما فى حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر الآيات ولهو الحديث ما يلهى عما يعنى من المهمات كالاحاديث التى لا أصل لها والاساطير التى لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان أريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية فى النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) أى دينه الحق الموصل اليه تعالى أو عن قراءة كتابه الهادى اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء أى ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزداد

فيه (بغير علم) أى بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض (ويتخذها) بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام أو القرآن أى ويتخذها (هزوا) مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى (اولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الشرارة أى اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال (لهم عذاب مهين) لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه (واذا تتلى عليه) أى على المشترى أفرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها (آياتنا) التى هى آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين (ولى) أعرض عنها غير معتد بها (مستكبرا) مبالغا فى التكبر (كأن لم يسمعها) حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبرا والاصل كأنه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة أى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال (كأنك لم تجزع على ابن طريف) (كأن فى أذنيه وقرا) حال من ضمير لم يسمعها أى مشبها حاله حال من فى أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استئنافين وقرئ فى أذنيه بسكون الذال (فبشره بعذاب أليم) أى فأعلمه بأن العذاب المفرط فى الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان حال الكافرين بها أى الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها (لهم) بمقابلة ما ذكر من ايمانهم وأعمالهم (جنات النعيم) أى نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبران والاحسن أن يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم أو من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة (خلق السموات بغير عمد) الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال أمر الاشراك وتبكيت أهله والعمد جمع عماد كأهب جمع اهاب وهو ما يعمد به أى يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته أى بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى (ترونها) استئناف جئ به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد أى خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز الى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترونها هى عمد القدرة (وألقى فى الارض رواسى) بيان لصنعه البديع فى قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم فى قرار السموات أى ألقى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام فى سورة الرعد (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم فان بساطة أجزائها تقتضى تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشئ من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص (وبث فيها من كل دابة) من كل نوع من أنواعها (وأنزلنا من السماء ماء) هو المطر (فأنبتنا فيها) بسبب ذلك الماء (من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة فى الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بأمرها (هذا) أى ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة (خلق الله) أى مخلوقه (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه فى العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأرونى متعلق به وقوله تعالى (بل الظالمون فى ضلال مبين) اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعى للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة أن يفهموا منها شيأ فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه أو يتأثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم

قوله كأهب الخ أى بفتحتين وهو جمع غير قياسى لاهاب قال بعضهم وليس فى كلام العرب فعال يجمع على فعل بفتحتين الا اهاب وأهب وعماد وعمد ويجمع الاهاب أيضا قياسا على أهب بضمتين مثل كتاب وكتب هكذا فى الصحاح اهـ مصححه

للدلالة على أنهم باشراكهم واضعون للشئ فى غير موضعه ومتعدّون عن الحدود وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتى قبل مبعثه وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وأن داود عليه السلام قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتى بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتى بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ اذا طابا وأخبث شئ اذا خبثا ومعنى (أن اشكر لله) أى اشكر له تعالى على أنّ أن مفسرة فان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقوله تعالى (ومن يشكر) الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر أى ومن يشكر له تعالى (فانما يشكر لنفسه) لانّ منفعته التى هى ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها (ومن كفر فان الله غنىّ) عن كل شئ فلا يحتاج الى الشكر ليتضرّر بكفر من كفر (حميد) حقيق بالحمد وان لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا (واذ قال لقمان لابنه) أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان (وهو يعظه يا بنىّ) تصغير اشفاق وقرئ يا بنى باسكان الياء وبكسرها (لا تشرك بالله) قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) تعليل للنهى أو للانتهاء عن الشرك (ووصينا الانسان بوالديه) الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد فى أثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك وقوله تعالى (حملته أمّه) الى قوله فى عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى (وهنا) حال من أمّه أى ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى تهن وهنا وقوله تعالى (على وهن) صفة للمصدر أى كائنا على وهن أى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله فى عامين) أى فطامه فى تمام عامين وهى مدة الرضاع عند الشافعىّ وعند أبى حنيفة رحمهما الله تعالى هى ثلاثون شهرا وقد بين وجهه فى موضعه وقرئ وفصله (ان اشكر لى ولوالديك) تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية فى حقها خاصة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبرّ أمّك ثم أمّك ثم أمّك ثم قال بعد ذلك ثم أباك (الىّ المصير) تعليل لوجوب الامتثال أى الىّ الرجوع لا الى غيرى فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر (وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به) أى بشركته له تعالى فى استحقاق العبادة (علم فلا تطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) أى صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة (واتبع سبيل من أناب الىّ) بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة (ثم الىّ مرجعكم) أى مرجعك ومرجعهما ومرجع من أناب الىّ (فأنبئكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازى كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشرّ وقوله تعالى (يا بنىّ) الخ شروع فى حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما فى مطلعها من النهى عن الشرك وتأكيده بالاعتراض (انها ان تك مثقال حبة من خردل) أى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على أن الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال الى الحبة كما فى قول من قال (كما شرقت صدر القناة من الدم) أولانّ المراد به الحسنة أو السيئة (فتكن فى صخرة اوفى السموات أوفى الارض) أى فتكن مع كونها فى أقصى غايات الصغر والقماءة فى أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوىّ او السفلىّ (يأت بها الله) أى يحضرها ويحاسب عليها

قوله وكان يسرد الخ من السرد وهو عمل حلق الدرع كما فى الشهاب اهـ مصححه

(انّ

(ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفى (خبير) بكنهه وبعد ماأمره بالتوحيد الذى هو أول مايجب على الانسان فى ضمن النهى عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته أمره بالصلاة التى هى أكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له (يابنى أقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ماأصابك) من الشدائد والمحن لاسيما فيما أمرت به (ان ذلك) اشارة الى كل ماذكر ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الفضل (من عزم الامور) أى مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر أطلق على المفعول وقد جوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر أى جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهى وايذان بأن مابعدها ليس بمثابته (ولا تصعر خدك للناس) أى لاتمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوى منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه وأعلاه (ولا تمش فى الارض مرحا) أى فرحا مصدر وقع موقع الحال أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى تمرح مرحا أو لاجل المرح والبطر (ان الله لايحب كل مختال فخور) تعليل للنهى أو موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشى مرحا لرعاية الفواصل (واقصد فى مشيك) بعد الاجتناب عن المرح فيه أى توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد به مافوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (ان أنكر الاصوات) أى أوحشها (لصوت الحمير) تعليل للامر على أبلغ وجه وآكده مبنى على تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق وافراط فى التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الاجناس وقوله تعالى (ألم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض) رجوع الى سنن ماسلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ماهم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة مافى الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان أولا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير أن يكون له دخل فى استعماله كجميع مافى السموات من الاشياء التى نيطت بها مصالح العباد معاشا أو معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على أن معنى لكم لاجلكم فان جميع مافى السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق ومايستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو فى الحقيقة مسخر لله تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ أصبغ بالصاد وهو جار فى كل سين قارنت الغين أو الخاء أو القاف كما تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سالغ صالغ وقرئ نعمة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام (ولا كتاب منير) أنزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد (واذا قيل لهم) أى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى (اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) يريدون به عبادة الاصنام (أولو كان الشيطان يدعوهم) أى آباءهم لا أنفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك أى أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك (الى عذاب السعير) فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة فى حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى أولو كان آباؤهم لايعقلون شيأ ولا يهتدون من سورة البقرة بما لامزيد عليه (ومن يسلم وجهه الى الله) بأن فوض اليه مجامع أموره وأقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد (وهو محسن)

قوله وهو الصيد أى بفتح الصاد المهملة والمثناة التحتية كما فى الجوهرى وبكسر الصاد ويحرك كما فى القاموس اهـ مصححه

قوله سالغ صالغ فى بعض النسخ سائغ صائغ اهـ

أى فى أعماله آتيا بها جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى وقد مر فى آخر سورة النحل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى تعلق بأوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى الى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلى منه (والى الله) لا الى أحد غيره (عاقبة الامور) فيجازيه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فانه لا يضرك فى الدنيا ولا فى الآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاى وليس بمستفيض (الينا مرجعهم) لا الى غيرنا (فننبئهم بما عملوا) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعذاب والعقاب والجمع فى الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الاول باعتبار لفظها (ان الله عليم بذات الصدور) تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب (نمتعهم قليلا) تمتيعا أو زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد أمد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ أو يضم الى الاحراق الضغط والتضييق (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به (قل الحمد لله) على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضا (بل أكثرهم لا يعلمون) شيأ من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون أن ذلك يلزمهم (لله ما فى السموات والارض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن العالمين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام) أى لو أن الاشجار أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمده من بعده) أى من بعد نفاده (سبعة أبحر) أى والحال أن البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع أبدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله (ما نفدت كلمات الله) ونفدت تلك الاقلام والمداد كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لانها هى المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام أولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة فى الكلمات للايذان بأن ما ذكر لا يفى بالقليل منها فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أى الا كخلقها وبعثها فى سهولة التأتى اذ لا يشغله شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث (ألم تر) قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق أى ألم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية (أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل كل واحد منهما فى الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن ايلاج أحد الملوين فى الآخر متجدد فى كل حين وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد فى آثاره وقد أشير الى ذلك حيث قيل (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا (الى أجل مسمى) قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز أن يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيامة من جملة ما فى حيز رؤيته عليه الصلاة والسلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما فى فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج أحد الملوين فى الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الرأس تزداد القوس التى هى فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض أجزاء الليل اليه الى أن يبلغ المدار الذى هو أقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك

عند

عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسي التى هى فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض أجزائه الى الليل الى أن يبلغ المدار الذى هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى (وأن الله بما تعملون خبير) عطف على أن الله يولج الخ داخل معه فى حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الفائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل أعماله ودقائقها (ذلك) اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الله هو الحق) أى بسبب بيان أنه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد وللايذان بأن الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال أيضا (وان الله هو العلى الكبير) أى وبيان أنه تعالى هو المترفع عن كل شئ المتسلط عليه فان ما فى تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى أى بيان هذا وقيل ذلك أى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى تعالى به بسبب أنه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت الهيته وأنت خبير بأن حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له فى المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه فى سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة أن الاحكام المذكورة هى المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها يقتضيها (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله) باحسانه فى تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجرى أو بمقدر هو حال من فاعله أى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) أى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) تعليل لما قبله أى ان فيما ذكر لآيات عظيمة فى ذاتها كثيرة فى عددها لكل من يبالغ فى الصبر على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الانفس والآفاق ويبالغ فى الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن (واذا غشيهم) أى علاهم وأحاط بهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهى والشدائد (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أى مقيم على القصد السوى الذى هو التوحيد أو متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض للعهد الفطرى أو رفض لما كان فى البحر والختر أشد الغدر وأقبحه (كفور) مبالغ فى كفران نعم الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده) أى لا يقضى عنه وقرئ لا يجزى من أجزأ اذا أغنى والعائد الى الموصوف محذوف أى لا يجزى فيه (ولا مولود) عطف على والد أو هو مبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ) وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر فى الآخرة (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن اخلافه أصلا (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان المبالغ فى الغرور بأن يحملكم على المعاصى بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة (ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وانى قد ألقيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) فى ابانه الذى قدره والى محله الذى عينه فى علمه وقرئ ينزل من الانزال (ويعلم ما فى الارحام) من ذكر أو أنثى تام أو ناقص (وما تدرى نفس) من النفوس (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما تعزم على شئ منهما فتفعل خلافه (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) كما لا تدرى فى أى وقت تموت روى أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل

من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليه السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بأنه ان أعمل حيله وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن (ان الله عليم) مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شئ من الاشياء التي من جملتها ما ذكر (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

*(سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(الم) اما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الاول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف أي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم أي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا أن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل حقها الاخبار بها وقوله تعالى (لا ريب فيه) خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر التنزيل الكتاب فقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور أي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه حينئذ أنه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى (أم يقولون افتراه) فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد أن يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وأبطل حيث جيء بأم المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم أضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل (بل هو الحق من ربك) باضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه الصلاة والسلام ثم أيد ذلك ببيان غايته حيث قيل (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) فان بيان غاية الشئ وحكمته لاسيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشئ ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش أضل الناس وأحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه الصلاة والسلام أي ما أتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه الصلاة والسلام أي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم أو لرجاء اهتدائهم واعلم أن ما ذكر من التأييد انما يتأتى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ وأما على سائر الوجوه فلا تأييد أصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين وأياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) مر بيانه فيما سلف (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى أحد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه أي ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على أن الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير (أفلا تتذكرون) أي ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او أتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع (يدبر الامر من السماء الى الارض) قيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها وأحكامها الى الارض (ثم يعرج اليه) أي يثبت في علمه موجودا بالفعل

(في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كألف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر أمر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وأنت خبير بأن قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء (ذلك) اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده أي ذلك العظيم الشأن (عالم الغيب والشهادة) فيدبر أمرهما حسبما تقتضيه الحكمة (العزيز) الغالب على أمره (الرحيم) على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء الى أنه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان (الذي أحسن كل شئ خلقه) خبر آخر أو نصب على المدح أي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن أي يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على أنه بدل اشتمال من كل شئ والضمير للمبدل منه أي حسن خلق كل شئ وقيل بدل الكل على أن الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى أعطى أي أعطى كل شئ خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شئ مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شئ مما يحتاجون اليه وقال أبو البقاء عرف مخلوقاته كل شئ يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى (وبدأ خلق الانسان) من بين جميع المخلوقات (من طين) على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى (ثم جعل نسله) الخ أي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه (من سلالة من ماء مهين) هو المني الممتهن (ثم سواه) أي عدله بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي (ونفخ فيه من روحه) اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية وأن أقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى وأخرى بالنسبة الى أمره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من أمر ربي (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى (قليلا ما تشكرون) بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على أن القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده أي شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية أحوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه (وقالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة (أئذا ضللنا في الارض) أي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه أو غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا أنتن وقيل من الصلة وهي الارض أي صرنا من جنس الصلة

قوله وقرئ يعدون الخ عبارة البيضاوي وقرئ يعرج ويعدون وقال الشهاب في يعرج أي بالبناء للمفعول وأصله يعرج به اهـ

قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند القول الى الكل والعامل في اذا مايدل عليه قوله تعالى (أئنا في خلق جديد) وهو نبعث أو يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرئ انا على الخبر وأيا ما كان فالمعنى على تأكيد الانكار لا انكار التأكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة (بل هم بلقاء ربهم كافرون) اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا (قل) بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل (يتوفاكم ملك الموت) لا كما تزعمون أن الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة أي يقبض أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيأ أو لا يترك منكم أحدا على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم (الذي وكل بكم) أي بقبض أرواحكم واحصاء آجالكم (ثم الى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون) وهم القائلون أئذا ضللنا في الارض الآية أو جنس المجرمين وهم من جملتهم (ناكسو رؤسهم عند ربهم) من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا (ربنا) أي يقولون ربنا (أبصرنا وسمعنا) أي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيأ (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل) عملا (صالحا) حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى (انا موقنون) ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيأ أصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اى سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضي فيها وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اى لرأيت أمرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا الخ أى ونقول لو شئنا أى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه الى دار الجزاء (ولكن حق القول مني) أى سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من أتباع ابليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق

الفعلي بأفعال العباد عند حدوثها لا أن المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى أزلا بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو أريدت هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم أن المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤن والفاء في قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا أو على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى (بما نسيتم لقاء يومكم هذا) للايذان بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضا بسبب موجب له من قبلهم كأنه قيل لا رجع لكم الى الدنيا أو حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية (انا نسيناكم) أي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق أولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا) استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو أوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها (الذين اذا ذكروا بها) أي وعظوا (خروا سجدا) اثر ذي أثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد أي سقطوا على وجوههم (وسبحوا بحمد ربهم) أي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي أجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم (وهم لا يستكبرون) أي والحال أنهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد (تتجافى جنوبهم) أي تنبو وتتنحى (عن المضاجع) أي الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال أنس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي عليه الصلاة والسلام وعن أنس أيضا رضي الله عنه أنه قال نزلت في أناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الاوابين وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي عليه الصلاة والسلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى (يدعون ربهم) حال من ضمير جنوبهم أي داعين له تعالى على الاستمرار (خوفا) من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته (وطمعا) في رحمته (ومما رزقناهم) من المال (ينفقون) في وجوه البر والحسنات (فلا تعلم نفس) من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم (ما أخفي لهم) أي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة (من قرة أعين) مما تقر به أعينهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

قوله بله من جملة كلام الله وهو اسم فعل بمعنى دع واترك هكذا فى زاده اه مصححه

قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقرئ ما أخفى لهم وما نخفى لهم وما أخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) أى جزوا جزاء او أخفى لهم للجزاء بما كانوا يعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله تعالى ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أى أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذى حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكرت أحواله (لا يستوون) التصريح به مع افادة الانكار لنفى المشابهة بالمرة على أبلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتى عليه والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) تفصيل لمراتب الفريقين فى الآخرة بعد ذكر أحوالهما فى الدنيا وأضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقى وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وأيا ما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التى هى مأواهم فى الدنيا (نزلا) أى ثوابا وهو فى الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية (بما كانوا يعملون) فى الدنيا من الاعمال الصالحة او بأعمالهم (وأما الذين فسقوا) أى خرجوا عن الطاعة (فمأواهم) أى ملجأهم ومنزلهم (النار) مكان جنات المأوى للمؤمنين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى أنه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا وكلمة فى للدلالة على أنهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض (وقيل لهم) تشديدا عليهم وزيادة فى غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به) أى بعذاب النار (تكذبون) على الاستمرار فى الدنيا (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) أى عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) الذى هو عذاب الآخرة (لعلهم) لعل الذين يشاهدونه وهم فى الحياة (يرجعون) يتوبون عن الكفر روى أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضى الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) بيان اجمالى لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما فى بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر مرارا (انا من المجرمين) أى من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته (منتقمون) فكيف ممن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل مجرم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على أن ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام (فلا تكن فى مرية من لقائه) من لقاء الكتاب الذى هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه من الوحى مثل ما لقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة (وجعلناه) أى الكتاب الذى آتيناه موسى (هدى لبنى اسرائيل) قيل لم يتعبد بما فى التوراة ولد اسمعيل (وجعلنا منهم أئمة يهدون) بقيتهم بما فى تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق أو يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه (بأمرنا) اياهم بذلك او بتوفيقنا له (لما صبروا) هى لما التى فيها معنى الجزاء نحو أحسنت اليك لما جئتنى والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم أئمة أو هى ظرف بمعنى الحين أى جعلناهم أئمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين أو صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا أى لصبرهم (وكانوا بآياتنا) التى فى تضاعيف الكتاب (يوقنون) لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل تلك الهداية (ان ربك هو يفصل) أى يقضى (بينهم) قيل بين الانبياء وأممهم وقيل

بين المؤمنين والمشركين (يوم القيامة) فيميز بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور الدين (أولم يهد لهم) الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطى فى أن المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل مادل عليه قوله تعالى (كم أهلكنا) أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أو ولم يبين لهم مآل أمرهم كثرة اهلاكنا (من قبلهم من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز أن يكون الفاعل على القراءة الاولى أيضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى (يمشون فى مساكنهم) أى يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية أو فى مساكنهم (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى التى جرز نباتها أى قطع وأزيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن (فنخرج به) من تلك الارض (زرعا تأكل منه) أى من ذلك الزرع (انعامهم) كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء (وأنفسهم) كالحبوب التى يقتاتها الانسان والثمار (أفلا يبصرون) أى ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله (ويقولون) كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء (متى هذا الفتح) أى النصر أو الفصل بالحكومة (ان كنتم صادقين) فى أن الله تعالى ينصركم أو يفصل بيننا وبينكم (قل) تبكيتا لهم وتحقيقا للحق (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس مما ينبغى أن يسأل عنه لكونه أمرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كأنه قيل لا تستعجلوا فكأنى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر وأما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما فى الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر (فأعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (انهم منتظرون) قيل أى الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر أن يقال انهم منتظرون هلاكهم كما فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو فان الملائكة ينتظرونه * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحيى ليلة القدر وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام

*(سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها النبى اتق الله) فى ندائه عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه (ولا تطع الكافرين) اى المجاهرين بالكفر (والمنافقين) المضمرين له اى فيما يعود بوهن فى الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه عليه الصلاة والسلام فى الموادعة التى كانت بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وهموا بقتالهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد

الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك (ان الله كان عليما حكيما) مبالغا فى العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهى مؤكد لوجوب الامتثال بهما (واتبع) اى فى كل ما تأتى وتذر من أمور الدين (ما يوحى اليك من ربك) من الآيات التى من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر (ان الله كان بما تعملون خبيرا) قيل الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم وقيل له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده ثم يجوز أن يكون للكل على ضرب من التغليب وأيا ما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه أما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا وأما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام أمرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغى لك أن تعمله فى دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحى والعمل بمقتضاه حتما (وتوكل على الله) اى فوض جميع أمورك اليه (وكفى بالله وكيلا) حافظا موكولا اليه كل الامور (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) شروع فى القاء الوحى الذى أمر عليه الصلاة والسلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم) وتنبيها على أن كون المظاهر منها أما وكون الدعى ابنا أى بمنزلة الام والابن فى الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم فى الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين فى جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر أو لجميل بن أسد الفهرى ذو القلبين أى ما جمع الله تعالى قلبين فى رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ولا زوجية ولا امومة فى امرأة ولا دعوة وبنوة فى شخص لكن لا بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما فى القلب ولا بمعنى نفى الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الامومة ونفى الجمع بين أحكام الدعوة وأحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة وأحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء أحكام الامومة على المظاهر منها واجراء أحكام البنوة على الدعى ومعنى الظهار أن يقول لزوجته أنت على كظهر أمى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاى وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية فى الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وأدعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص أفعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقى وأتقياء كأنه شبه به فى اللفظ فجمع جمعه كقتلاء وأسراء (ذلكم) اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذى هو المقصود من مساق الكلام أى دعاءكم بقولكم هذا ابنى (قولكم بأفواهكم) فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة فى الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع أحكام البنوة كما زعمتم (والله يقول الحق) المطابق للواقع (وهو يهدى السبيل) أى سبيل الحق لا غير فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله عز وجل (ادعوهم لآبائهم) أى انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى (هو أقسط عند الله) تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما فى قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اى الدعاء لآبائهم بالغ فى العدل والصدق فى حكم الله تعالى وقضائه (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم) فهم اخوانكم (فى الدين ومواليكم) وأولياؤكم فيه أى فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية (وليس عليكم جناح) أى اثم

(فيما أخطأتم به) أي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو أو النسيان او سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها روي أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فان كل نبي أب لامته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وأزواجه أمهاتهم) أي منزلات منزلة الامهات في التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء (وأولوا الارحام) أي ذووا القرابات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين (في كتاب الله) في اللوح أو فيما أنزله وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله تعالى (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لاولي الارحام أو صلة لاولى أي اولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) استثناء من أعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح أو القرآن وقيل في التوراة (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) وتخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لابانة خطره الجليل (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا عظيم الشأن او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه وأخذه هو أخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى (ليسأل الصادقين عن صدقهم) متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا بأخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة أي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من أول الامر بأنهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه أي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وأما ما قيل من أن المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى (وأعد للكافرين عذابا أليما) عطف على ما ذكر من المضمر لا على أخذنا كما قيل والتوجيه بأن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بأن المعنى ان الله تعالى أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع أنه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات ثم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كأنه قيل فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم (اذ جاءتكم جنود) ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على أنه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي

ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا
فى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق فى المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد
يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم
الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب ونوفل بن عبد الله
وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بنى محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا
خيولهم فاقتحموا وجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من
المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها فأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له
على رضى الله عنه يا عمرو انى أدعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لى اليه قال فانى أدعوك الى النزال
قال يا ابن أخى والله لا أحب أن أقتلك قال على لكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك وكان غيورا
مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقرها وضرب وجهه ثم أقبل على على فتناولا وتجاولا فضربه على رضى
الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان
منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى قتله أيضا على رضى الله عنه وقيل لم يكن بينهم
الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحا) عطف على
جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتى بقيتها فى آخر القصة (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة عليهم
السلام وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأمر الملائكة
فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وقذف
فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدى أما محمد فقد بدأكم
بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وترتيب مبادى
الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء أى بما يعمله الكفار أى من التحزب
والمحاربة أو من الكفر والمعاصى (بصيرا) ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله
(اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (من فوقكم) من أعلى الوادى من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن
تابعهم من أهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير
(ومن أسفل منكم) اى من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الأحابيش وبنى كنانة
وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (واذ زاغت الأبصار) عطف على ما قبله داخل معه
فى حكم التذكير أى حين مالت عن سننها أو انحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ
فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) لأن الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب
بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ
الحناجر حقيقة والخطاب فى قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) لمن يظهر الايمان على الاطلاق أى تظنون
بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده فى اعلاء دينه
كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية أو يمتحنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت
وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير ألف وهو القياس وزيادتها
لمراعاة الفواصل كما تزاد فى القوافى (هنالك) ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أى فى ذلك الزمان الهائل
أو المكان الدحض (ابتلى المؤمنون) أى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ
من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاى (واذ يقول المنافقون) عطف على
اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته (والذين فى قلوبهم
مرض) أى ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من اعلاء الدين والظفر (الا غرورا) أى وعد غرور
وقيل قولا باطلا والقائل معتب بن قشير وأضرابه راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر وأحدنا
لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) هم أوس بن قيظى وأتباعه وقيل عبد الله

ابن أبيّ وأشياعه (يا أهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبيّ عليه الصلاة والسلام أن تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عليه الصلاة والسلام ونداؤهم اياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها (لا مقام لكم) لا موضع اقامة لكم أو لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أى لا قيام او لا موضع قيام لكم (فارجعوا) أى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد عليه الصلاة والسلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه وأسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى (ويستأذن فريق منهم النبيّ) معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مرّ من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عليه الصلاة والسلام في الرجوع ممتثلين بأمرهم وقوله تعالى (يقولون) بدل من يستأذن أو حال من فاعله او استئناف مبنيّ على السؤال عن كيفية الاستئذان (ان بيوتنا عورة) أى غير حصينة معرّضة للعدوّ والسرّاق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختلّ مبالغة وقد جوّز أن تكون تخفيف عورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق (وما هي بعورة) والحال أنها ليست كذلك (ان يريدون) ما يريدون بالاستئذان (الا فرارا) من القتال (ولو دخلت عليهم) اسند الدخول الى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجارّ والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو أسند الى الجارّ والمجرور (من أقطارها) أى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد (ثم سئلوا) من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة (الفتنة) أى الردّة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة (لآتوها) لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر أى لفعلوها وجاؤها (وما تلبثوا بها) بالفتنة أى ما ألبثوها وما أخروها (الا يسيرا) ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أنهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشئ يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذى أثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة أخرى مع أن العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرّون على الاعراض عن الحق المجدّون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار) فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا أن لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلنّ (وكان عهد الله مسئولا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل) فانه لا بدّ لكل شخص من حتف أنف أو قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم (واذن لا تمتعون الا قليلا) اى وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة) أى او يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم الضرر (قد يعلم الله المعوّقين منكم) أى المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من منافقي المدينة (هلمّ الينا) وهو صوت سمى به فعل متعدّ نحو احضر أو قرّب ويستوى فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم

فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال أى قربوا أنفسكم الينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون
من المعسكر متوجهون نحو المدينة (ولا يأتون البأس) أى الحراب والقتال (الاقليلا) أى اتيانا
اوزمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون و يثبطون ما أمكن لهم و يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم
ولا تراهم يبارزون و يقاتلون الا شيأ قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من
تتمة كلامهم معناه ولا يأتى أصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا (اشحة عليكم) أى بخلاء
عليكم بالمعاونة أو النفقة فى سبيل الله او الظفر و الغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو من
المعوقين أو على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى أحداقهم (كالذى يغشى
عليه من الموت) صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من أعينهم أى ينظرون نظرا
كائنا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك أو ينظرون كائنين كالذى الخ
او تدور أعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور أعينهم كائنة كعينه (فاذا ذهب الخوف) وحيزت
الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بالسنة حداد) وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا
غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرئ صلقوكم (اشحة على الخير) نصب
على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع (اولئك) الموصوفون بما ذكر من صفات السوء (لم يؤمنوا)
بالاخلاص (فاحبط الله اعمالهم) أى اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل أو ابطل تصنعهم ونفاقهم
فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا وتخصيص يسره بالذكر
مع أن كل شئ عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعى وعدم
الصوارف بالكلية (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى هؤلاء لجبنهم يظنون أن الاحزاب لم ينهزموا
ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب) تمنوا أنهم
خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى (يسألون) كل قادم من جانب
المدينة وقرئ يساءلون أى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الاعراب
كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسندت اليه فاعلا من وجه
ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما فى المثال المذكور ونظائره (عن أنبائكم) عما جرى عليكم
(ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعيير
(لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) خصلة حسنة حقها أن يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة
الشدائد أو هو فى نفسه قدوة يحق التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا أى هى فى نفسها هذا القدر من
الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة فيها (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى ثواب الله أو لقاءه أو أيام
الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن
كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله)
أى وقرن بالرجاء ذكر الله (كثيرا) أى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدى الى ملازمة
الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) بيان لما صدر عن
خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أى لما شاهدوهم حسبما
وصفوا لهم (قالوا هذا) مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن
تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى
الخطب أو البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذى هو (ما وعدنا الله ورسوله)
فان ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله
عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام
ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة (وصدق الله ورسوله)

أى ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم
للتعظيم (وما زادهم) أى ما رأوه (الا ايمانا) بالله تعالى وبمواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره
(من المؤمنين) أى المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة (رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه) من الثبات مع الرسول عليه الصلاة والسلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله
عنهم نذروا أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان
وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقنى اذا قال لك الصدق ومحل ما عاهدوا النصب
اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره أى فى سنه واما بجعل المعاهد عليه
مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكرمائه (نجرنى الاعداء ان لم تجرى) وقالوا له سنفى بك
وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا (فمنهم من قضى نحبه) تفصيل لحال
الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو أن يلتزم الانسان شيأ من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه
الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين فى قوله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أى فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير
وأنس بن النضر عم أنس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر
على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التى هى المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر
وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على ما سيأتى (ومنهم) أى وبعضهم او وبعض منهم
(من ينتظر) أى قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى
حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقى وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز
أن يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام أسبابه التى هى أفعال اختيارية للناذر منزلة
التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح وأيا ما كان
ففى وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة فى المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من أن
النحب استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم
الكريم عن مقتضى المقام بالكلية (وما بدلوا) عطف على صدقوا وفاعله فاعله أى وما بدلوا عهدهم وما غيروه
(تبديلا) أى تبديلا ما لا أصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون
أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع
ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثانى لهم فى الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على
أن المحتاج الى البيان حالهم وقد روى أن طلحة رضى الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى
أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة الجنة وفى رواية أوجب طلحة وعنه عليه الصلاة والسلام
فى رواية جابر رضى الله عنه من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفى رواية
عائشة رضى الله عنها من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير
الى أنه من الاولين حكما (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان
ما هو داع الى وقوع ما حكى من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر فى قوله تعالى ليسأل الصادقين
عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا
(ويعذب المنافقين) بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية (ان شاء) تعذيبهم (او يتوب عليهم)
ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفى التبديل المنطوق واثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة
السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى
وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله
تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزى الآية فتأمل وبالله التوفيق (ان الله كان غفورا رحيما) أى لمن تاب

وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى (وردّ الله الذين كفروا) رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزى الله كأنه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث وردّ الله الخ واما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريق أهل الايمان وأهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها أى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى (بغيظهم) حال من الموصول أى ملتبسين به وكذا قوله تعالى (لم ينالوا خيرا) بتداخل أو تعاقب أى غير ظافرين بخير أو الثانية بيان للاولى أو استئناف (وكفى الله المؤمنين القتال) بما ذكر من ارسال الريح والجنود (وكان الله قويا) على احداث كل ما يريد (عزيزا) غالبا على كل شئ (وأنزل الذين ظاهروهم) أى عاونوا الاحزاب المردودة (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف الشديد بحيث اسلموا أنفسهم للقتل واهليهم وأولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال أتنزع لأمتك والملائكة ما وضعوا السلاح انّ الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فأذن فى الناس أن لا يصلوا العصر الا ببنى قريظة فحاصروهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى عليه الصلاة والسلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول فى الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما فى قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل (واورثكم أرضهم وديارهم) أى حصونهم (وأموالهم) نقودهم واثاثهم ومواشيهم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال عليه الصلاة والسلام انكم فى منازلكم فقال عمر رضى الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عليه الصلاة والسلام لا انما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) أى أورثكم فى علمه وتقديره أرضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح الى يوم القيامة وقيل خيبر (وكان الله على كل شئ قديرا) فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضى التى تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها (يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) أى السعة والتنعم فيها (وزينتها) وزخارفها (فتعالين) أى أقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعكنّ) بالجزم جوابا للامر وكذا (واسرحكنّ) أى اعطكن المتعة واطلقكن (سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روى أنهنّ سألنه عليه الصلاة والسلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهنّ الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف فى أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهنّ حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار أو لا فذهب الحسن وقتادة واكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهنّ بين الارادتين على أنهنّ ان أردن الدنيا فارقهنّ عليه الصلاة والسلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكنّ واسرحكنّ وذهب آخرون الى أنه كان تفويضا للطلاق اليهنّ حتى لو أنهنّ اخترن أنفسهنّ كان ذلك طلاقا وكذا اختلف فى حكم التخيير فقال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ أصلا ولو اختارت نفسها

قوله ارقعة اى سموات جمع رقيع وهى السماء وقوله سبعة لتأويل السماء بالسقف وكون حكم الله من فوقها اما باعتبار اللوح المحفوظ كما قيل او باعتبار نزول الملائكة بالوحى منه هكذا فى الشهاب ١٨ مصححه

وقعت

وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان وروى عن زيد بن ثابت أنها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروى عن علي رضي الله عنه أنها ان اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضا أنها ان اختارت زوجها لا يقع شيء أصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روى عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم (وان كنتن تردن الله ورسوله) أي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه الصلاة والسلام عنده تعالى (والدار الآخرة) أي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا (فان الله أعد للمحسنات منكن) بمقابلة احسانهن (أجرا عظيما) لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل (يا نساء النبي) تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام (من يأت منكن بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي عليه الصلاة والسلام بل يدعوه اليه لمراعاة حقه (ومن يقنت منكن) وقرئ بالتاء أي ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى (وأعتدنا لها) في الجنة زيادة على أجرها المضاعف (رزقا كريما) مرضيا (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن (فلا تخضعن بالقول) عند مخاطبة الناس أي لا تجبن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب (وقلن قولا معروفا) بعيدا عن الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا (وقرن في بيوتكن) أمر من قر يقر من باب علم وأصله اقررن فحذفت الراء الاولى وألقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر وأصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد أو من قر يقر حذفت احدى راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن (ولا تبرجن) أي لا تتبخترن في مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) أي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهما السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية

الاخرى الفسوق فى الاسلام ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر
او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة) أمرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما
أصلى الطاعات البدنية والمالية (وأطعن الله ورسوله) أى فى كل ما تأتين وما تذرن لاسيما فيما امرتن به
ونهيتن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن
ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء
أو المدح (اهل البيت) مرادا بهم من حواهم بيت النبوة (ويطهركم) من أوضار الاوزار والمعاصى
(تطهيرا) بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة
على كون نساء النبى عليه الصلاة والسلام من أهل بيته قاضية ببطلان رأى الشيعة فى تخصيصهم أهلية
البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضوان الله عليهم وأما ما تمسكوا به من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود وجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء
الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فانما يدل على كونهم من
أهل البيت لا على أن من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها فى مقابلة النص
(واذكرن ما يتلى فى بيوتكن) أى اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى فى بيوتكن (من آيات الله
والحكمة) من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة
منطويا على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما أنعم عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحى
وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه
والتعرض للتلاوة فى البيوت دون النزول فيها مع أنه الانسب لكونها مهبط الوحى لعمومها لجميع الآيات
ووقوعها فى كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالى لتعم
تلاوة جبريل وتلاوة النبى عليهما الصلاة والسلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما (ان الله كان لطيفا
خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهى أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل
أن يكون من أهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) أى الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور
والاناث (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب أن يصدق به من الفريقين (والقانتين والقانتات)
المداومين على الطاعات القائمين بها (والصادقين والصادقات) فى القول والعمل (والصابرين والصابرات)
على الطاعات وعن المعاصى (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين
والمتصدقات) بما وجب فى مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم
والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم)
بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة (مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من
الاعمال الصالحة (وأجرا عظيما) على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة
والتدرع بهذه الخصال الحميدة روى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله
الرجال فى القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة أم سلمة وروى
أنه لما نزل فى نساء النبى عليه الصلاة والسلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث
على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى وأما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون
ضروريا ولذلك ترك فى قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن مدار اعداد ما أعد لهم جمعهم بين هذه
النعوت الجميلة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات
(اذا قضى الله ورسوله أمرا) أى اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم أمره عليه الصلاة والسلام او
للاشعار بأن قضاءه عليه الصلاة والسلام قضاء الله عز وجل لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت
عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله وقيل فى أم كلثوم
بنت عقبة بن أبى معيط وهبت نفسها للنبى عليه الصلاة والسلام فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا
انما أردنا رسول الله فزوجنا عبده (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل يجب

عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه الصلاة والسلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء (ومن يعص الله ورسوله) في أمر من الامور ويعمل فيه برأيه (فقد ضل) طريق الحق (ضلالا مبينا) أي بين الانحراف عن سنن الصواب (واذ تقول) أي واذكر وقت قولك (للذى أنعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته (وأنعمت عليه) بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد (امسك عليك زوجك) أي زينب وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) في أمرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك (زوجناكها) وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه عليه الصلاة والسلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى تولى نكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) ضيق ومشقة (في أزواج أدعيائهم) أي في حق تزوجهن (اذا قضوا منهن وطرا) فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على أن حكمه عليه الصلاة والسلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل (وكان أمر الله) أي ما يريد تكوينه من الامور أو مأموره الحاصل بكن (مفعولا) مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله (ما كان على النبي من حرج) أي ما صح وما استقام في الحكمة أن يكون له ضيق (فيما فرض الله له) أي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج أي سن الله ذلك سنة (في الذين خلوا) مضوا (من قبل) من الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا أو مدح لهم بالنصب أو بالرفع وقرئ رسالة الله (ويخشونه) في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم (ولا يخشون أحدا الا الله) في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف فينبغي أن لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه الصلاة والسلام أبا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه الصلاة والسلام لا لهم (ولكن رسول الله) أي كان رسول الله وكل رسول أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام

فحكمه حكمهم وليس للتبني والادّعاء حكم سوى التقريب والاختصاص (وخاتم النبيين) أي كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء أي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وأيّاما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين كما يروى أنه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لأنّ معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض أمّته (وكان الله بكل شئ عليما) ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس (ذكرا كثيرا) يعمّ الاوقات والاحوال (وسبحوه) ونزهوه عما لا يليق به (بكرة وأصيلا) أي أوّل النهار وآخره على أن تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصلّ يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذي يصلي عليكم) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى (وملائكته) عطف على المستكنّ في يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أوّلا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على أن يراد بهما معنى مجازيّ عامّ يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقيّ له او الترحم والانعطاف المعنويّ المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوريّ الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في أن استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم وأمّا أن ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر (ليخرجكم من الظلمات الى النور) متعلق بيصلي أي يعتني بأموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة أو كان بكم رحيما على أنّ المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) بيان للاحكام الآجلة لرحمة الله تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم وهدايتهم الى الطاعة أي ما يحيون به على أنه مصدر أضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أو اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى (وأعدّ لهم أجرا كريما) بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلا وأجرهم أجر كريم او ولهم أجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان أن الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل (يا أيها النبيّ انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤدّيها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدّرة (ومبشرا ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار (وداعيا الى الله) أي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وأفعاله (باذنه) أي بتيسيره أطلق عليه مجازا لما أنه من أسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بأنواره الى مناهج الرشد والهداية

(وبشر المؤمنين) عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين منهم (بأن لهم من الله فضلا كبيرا) أى على مؤمنى سائر الامم فى الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والاحسان (ولا تطع الكافرين والمنافقين) نهى عن مداراتهم فى أمر الدعوة واستعمال لين الجانب فى التبليغ والمسامحة فى الانذار كنى عن ذلك بالنهى عن طاعتهم مبالغة فى الزجر والتنفير عن المنهى عنه بنظمه فى سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهى على التهييج والالهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل (ودع أذاهم) أى لا تبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك فى الدعوة والانذار (وتوكل على الله) فى كل ما تأتى وما تذر من الشؤن التى من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور فى كل الاحوال واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلى ولما وصف عليه الصلاة والسلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهى عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة فى انذارهم كما تحققته وقوبل الداعى الى الله باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من أيده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدى الخلق من ظلمات الغى الى نور الرشاد حقيق بأن يكتفى به عن كل ما سواه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء (فما لكم عليهن من عدة) بأيام يتربصن فيها بأنفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على أن العدة حق الازواج كما أشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة فى حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم أن تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة يؤثر فى العدة كما يؤثر فى النسب (فمتعوهن) أى ان لم يكن مفروضا لها فى العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا فى رواية وفى أخرى غير مستحبة (وسرحوهن) أخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السنى لانه انما يتسنى فى المدخول بهن (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) أى مهورهن فانها أجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلا او تسميتها فى العقد وأيا ما كان فتقييد الاحلال له عليه الصلاة والسلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقديرى الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه الصلاة والسلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية فى قوله تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه فى قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه عليه الصلاة والسلام خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى لم أهاجر معه كنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة) بالنصب عطفا على مفعول أحللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أى أحللناها لك أيضا (ان وهبت نفسها للنبى) أى ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه الصلاة والسلام استنكاحها كما نطق به قوله عز وجل (ان أراد النبى أن يستنكحها) أى أن يتملك بضعها كذلك أى بلا مهر فان ذلك جار منه عليه الصلاة والسلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا فى كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح أن يكون مناطا للخلاف فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف فى اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس

رضى الله عنهما لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه الصلاة والسلام فى الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه الصلاة والسلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى (خالصة لك) أى خاص لك احلالها خالصة أى خلوصا فان الفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة أو خاص لك احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى (من دون المؤمنين) على الاول أن الاحلال المذكور فى المادة المعهودة غير متحقق فى حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثانى أن احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق فى حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى ذلك خلوص لك وخصوص أو هى أى تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أى على المؤمنين (فى أزواجهم) أى فى حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه الصلاة والسلام تكرمة له وتوسعة عليه أى قد علمنا ما ينبغى أن يفرض عليهم فى حق أزواجهم (وما ملكت أيمانهم) وعلى أى حد وأى صفة يحق أن يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص (لكيلا يكون عليك حرج) أى ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه الصلاة والسلام لا باعتبار اختصاصه به عليه الصلاة والسلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثانى الذى هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) ولذلك وسع الامر فى مواقع الحرج (ترجى من تشاء منهن) أى تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد (ومن ابتغيت) أى طلبت (ممن عزلت) طلقت بالرجعة (فلا جناح عليك) فى شئ مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم اولم يقسم واذا طلق فاما أن يخلى المعزولة او يبتغيها وروى أنه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت مما آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وارجى خمسا وآوى أربعا وروى أنه كان يسوى بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنهن وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك (ذلك) أى ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك (أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أى أقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب أعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على أنه تأكيد لهن (والله يعلم ما فى قلوبكم) من الضمائر والخواطر فاجتهدوا فى احسانها (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال (لا يحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى ولوجود الفصل وقرئ بالتاء (من بعد) أى من بعد التسع وهو فى حقه كالاربع فى حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتى خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران (ولا أن تبدل) أى تتبدل بحذف احدى التاءين (بهن) أى بهؤلاء التسع (من أزواج) بأن تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق أراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتى توفى عليه الصلاة والسلام عنهن وهن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وصفية بنت حيى الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى أحللناهن لك بالصفة

قوله لا تتجاوز المؤمنين هكذا فى النسخ ولعل هنا سقطا والاصل لا تتجاوزك الى المؤمنين او لا تتجاوزك للمؤمنين تأمل اه

مصححه

التى تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب أومن الكتابيات أومن الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا أن تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذى ليس من الوظائف البشرية (ولو اعجبك حسنهن) أى حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من أزواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب أى هى ممن أعجبه عليه الصلاة والسلام حسنهن واختلف فى أن الآية محكمة أومنسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا أحللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضى الله عنها مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء وقال أنس رضى الله عنه مات عليه الصلاة والسلام على التحريم (الا ماملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطى حلاله الى حرامه (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى) شروع فى بيان مايجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبى عليه الصلاة والسلام اثر بيان مايجب مراعاته عليه عليه الصلاة والسلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى (الا أن يؤذن لكم) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لاتدخلوها فى حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من أعم الاوقات أى لاتدخلوها فى وقت من الاوقات الا وقت أن يؤذن لكم ورد عليه بأن النحاة نصوا على أن الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك أن يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى (الى طعام) متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بأنه لاينبغى أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى (غير ناظرين اناه) أى غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لاتدخلوا على أن الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه أو من المجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر أنى الطعام أى أدرك (ولكن اذا دعيتم فادخلوا) استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه (فاذا طعمتم فانتشروا) فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبى عليه الصلاة والسلام فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم والا لما جاز لاحد أن يدخل بيوته عليه الصلاة والسلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم (ولا مستأنسين لحديث) أى لحديث بعضكم بعضا او لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل أى ولاتدخلوا أو لاتمكثوا مستأنسين الخ (ان ذلكم) أى الاستئناس الذى كنتم تفعلونه من قبل (كان يؤذى النبى) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه (فيستحيى منكم) أى من اخراجكم لقوله تعالى (والله لايستحيى من الحق) فانه يستدعى أن يكون المستحيى منه أمرا حقا متعلقا بهم لا أنفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغى أن لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وأمركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لايستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ماقبلها (واذا سألتموهن) الضمير لنساء النبى المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلاة والسلام (متاعا) أى شيأ يتمتع به من الماعون وغيره (فاسألوهن) أى المتاع (من وراء حجاب) أى ستر روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى ذلك فنزلت (ذلكم) أى ماذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أى أكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية (وما كان لكم) أى وماصح وما استقام لكم (ان تؤذوا رسول الله) أى أن تفعلوا فى حياته فعلا يكرهه ويتأذى به (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أى من بعد وفاته أو فراقه (ان ذلكم) اشارة الى ماذكر من ايذائه

قوله مخصوصة خبران عن أن فى قوله لانه خطاب أو حال وذلك باعتبار كون الضمير عبارة عن الآية كما هو عبارة البيضاوى اهـ مصححه

عليه الصلاة والسلام ونكاح أزواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الشر والفساد (كان عند الله عظيما) أى أمرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى فى الوعيد حيث قال (ان تبدوا شيأ) مما لا خير فيه كنكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البادية والخافية لا محالة وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة فى الوعيد (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن) استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم أبا فى قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولانه اكتفى عن ذكرهما بذكر أبناء الاخوة وأبناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤلة لما أنهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لابنائهما (ولا نسائهن) أى نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر فى سورة النور (واتقين الله) فى كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما أمرتن به ونهيتن عنه (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت فى علمه الاحوال (ان الله وملائكته) وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأى البصريين (يصلون على النبى) قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما أراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يبركون وقال أبو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم له فينبغى أن يراد بها فى يصلون معنى مجازى عام يكون كل واحد من المعانى المذكورة فردا حقيقيا له أى يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضا بذلك فانكم أولى به (وسلموا تسليما) قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد أمره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله عليه الصلاة والسلام من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال وكل الله تعالى بى ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى أوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب فى العمر مرة وكذا قال فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه عليه الصلاة والسلام أن يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع وأما الصلاة عليه فى الصلاة بأن يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط فى جواز الصلاة عندنا وعن ابراهيم النخعى رحمه الله ان الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما فى التشهد وهو السلام عليك أيها النبى وأما الشافعى رحمه الله فقد جعلها شرطا وأما الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه فى العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا (ان الذين يؤذون الله ورسوله) أريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصى مجازا لاستحالة حقيقة التأذى فى حقه تعالى وقيل فى ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون فى آياته وفى ايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد وقيل طعنهم فى نكاح صفية والحق هو العموم فيهما

وانّما ايذاؤه عليه الصلاة والسلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عزّوجلّ لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وأن ايذاءه عليه الصلاة والسلام ايذاء له سبحانه (لعنهم الله) طردهم وأبعدهم من رحمته (فى الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيأ منها (وأعدّ لهم) مع ذلك (عذابا مهينا) يصيبهم فى الآخرة خاصة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل وتقييده بقوله تعالى (بغير ما اكتسبوا) أى بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بأن اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق وأمّا اذى هؤلاء فمنه ومنه (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) أى ظاهرا بينا قيل انها نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل فى أهل الافك وقال الضحاك والكلبى فى زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر أيضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل فى الزىّ واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتى من أراجيف المرجفين (يا أيها النبىّ) بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء أمر النبىّ عليه الصلاة والسلام بأن يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم فى الجملة من الستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل (قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ) الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها وقيل هى الملحفة وكل ما يستتر به أى يغطين بها وجوههنّ وأبدانهنّ اذا برزن لداعية من الدواعى ومن للتبعيض لما مرّ من أن المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدّى تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين (ذلك) أى ما ذكر من التغطى (أدنى) أقرب (أن يعرفن) ويميزن عن الاماء والقينات اللاتى هنّ مواقع تعرضهم وايذائهم (فلا يؤذين) من جهة أهل الريبة بالتعرض لهنّ (وكان الله غفورا) لما سلف منهنّ من التفريط (رحيما) بعباده حيث راعى من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات (لئن لم ينته المنافقون) عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للايذاء (والذين فى قلوبهم مرض) عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه (والمرجفون فى المدينة) من الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية وأصل الارجاف التحريك من الرجفة التى هى الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك (ثم لا يجاورونك) عطف على جواب القسم وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه الصلاة والسلام أعظم ما يصيبهم (فيها) اى فى المدينة (الا قليلا) زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه (ملعونين) نصب على الشتم او الحال على أن الاستثناء وارد عليه أيضا على رأى من يجوزه كما مرّ فى قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى (أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلا) لانّ ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنّة الله فى الذين خلوا من قبل) أى سنّ الله ذلك فى الامم الماضية سنّة وهى أن يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسعوا فى توهين أمرهم بالارجاف ونحوه أينما ثقفوا (ولن تجد لسنّة الله تبديلا) أصلا لابتنائها على أساس الحكمة التى عليها يدور فلك التشريع (يسألك الناس عن الساعة) أى عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه الصلاة والسلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما أن الله تعالى عمّى وقتها فى التوراة وسائر الكتب (قل انما علمها عند الله) لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى (وما يدريك) خطاب مستقلّ له عليه الصلاة والسلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوّة المجىء عن قريب أى أىّ شىء يعلمك بوقت قيامها أى لا يعلمك به شىء أصلا (لعلّ الساعة تكون قريبا) أى شيأ قريبا أو تكون الساعة فى وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة فى معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار فى حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما أشير اليه (انّ الله لعن الكافرين) على الاطلاق أى طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة (وأعدّ لهم) مع ذلك (سعيرا) نارا شديدة الاتقاد يقاسونها فى الآخرة (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا)

يخلصهم منها (يوم تقلب وجوههم في النار) ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كلحم يشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة أو من حال الى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التاءين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى (يقولون) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فلا نبتلى بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل في يوم (وقالوا) عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة (فأضلونا السبيلا) بما زينوا لنا من الاباطيل والالف للاطلاق كما في وأطعنا الرسولا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعنا كبيرا) أي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس (فبرأه الله مما قالوا) أي فأظهر براءته عليه الصلاة والسلام مما قالوا في حقه أي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك أن قارون أغرى مومسة على قذفه عليه الصلاة والسلام بنفسها بأن دفع اليها مالا عظيما فأظهر الله تعالى نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك بأن أقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هرون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله تعالى على براءته بأن فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة (وكان عند الله وجيها) ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي في كل ما تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه الصلاة والسلام (وقولوا) في كل شأن من الشؤن (قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد (يصلح لكم أعمالكم) يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها (ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات (فقد فاز) في الدارين (فوزا عظيما) لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الايذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بأمرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل أمرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي أشدها وأعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك

لابين

لآبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق رومًا لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه (وحملها الانسان) أى عند عرضها عليه امّا باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق أى تكلفها والتزمها مع مافيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو امّا عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطرى او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى (انه كان ظلوما جهولا) اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من أوّل الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أى انه كان مفرطا فى الظلم مبالغا فى الجهل أى بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدّلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاوّل أشير بقوله عز وجل (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى حملها الانسان ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا لهم من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض أفراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها أبرز فى معرض الغرض أى كان عاقبة حمل الانسان لها أن يعذب الله تعالى هؤلاء من أفراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثانى أشير بقوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى كان عاقبة حمله لها أن يتوب الله تعالى على هؤلاء من أفراده أى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرّة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل أوّلا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار فى موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعيد والوعد حقه والله تعالى أعلم وجعل الامانة التى شأنها أن تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التى هى من أفعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذى ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شأن الطاعة ذريعة الى ذلك بأن من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بأن يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل أوّلا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها أبين الخيانة لامانتها واتين بما أمرناهن به كقوله تعالى أتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما أمرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية هذا قريب من التحقيق فتأمّل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف (وكان الله غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر والله أعلم

## * (سورة سبا مكية وقيل الا ويرى الذين أوتوا العلم الآية وهى خمس وأربعون آية) *

### * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مرّ فى آية الكرسى ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعليق الحمد المعرّف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراده به تعالى على ما بين فى فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون

كل ماسواه من الموجودات التى من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها فى حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذى مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراده به تعالى وقوله تعالى (وله الحمد فى الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الاخروى به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوى به على أن الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه فى الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه فى الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما فى قوله تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة وقوله تعالى الذى أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما فى قوله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا أى لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتى الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الاول على نهج العبادة والثانى على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد فى الخبر أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة (الخبير) ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى (يعلم ما يلج فى الارض) الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التى نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أى يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة (وما يعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم) للحامدين على ماذكر من نعمه (الغفور) للمفرطين فى ذلك بلطفه وكرمه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم او معاصريهم فقط كما أرادوا بنفى اتيانها نفى وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها فى نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لاسيما أجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى (وربى لتأتينكم) تأكيد له على أتم الوجوه وأكملها وقرئ ليأتينكم على تأويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى (عالم الغيب) الخ امداد للتأكيد وتسديد له اثر تسديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما أن ذلك فى حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب فى أن المستشهد به كلما كان أجل وأعلا كانت الشهادة آكد وأقوى والمستشهد عليه أحق بالثبوت وأولى لاسيما اذا خص بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذى أشهر أفراده وأدخلها فى الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين أن لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلا فانهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح (لا يعزب عنه) أى لا يبعد وقرئ بكسر الزاى (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (فى السموات ولا فى الارض) أى كائنة فيهما (ولا أصغر من ذلك) أى من مثقال ذرة (ولا أكبر) أى منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى (الا فى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفى العزوب وقرئ ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء على نفى الجنس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بأنه فتح فى حيز الجر لامتناع الصرف لما أن الاستثناء يمنعه الا أن يجعل الضمير فى عنه للغيب ويجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها (أولئك) اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف أى أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم) بسبب ذلك (مغفرة) لما فرط

منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر (ورزق كريم) لا تعب فيه ولا من عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها (معاجزين) أى مسابقين كى يفوتونا وقرئ معجزين أى مثبطين عن الايمان من أراده (أولئك لهم عذاب) الكلام فيه كالذى مرّ آنفا ومن فى قوله تعالى (من رجز) للبيان قال قتادة رضى الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى (أليم) بالرفع صفة عذاب أى اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ أليم بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا العلم) أى يعلم أولوا العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم (الذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن (هو الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثانى وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثانى ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب عطفا على يجزى أى وليعلم أولوا العلم عند مجىء الساعة معاينة أنه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوّز أن يراد بأولى العلم من لم يؤمن من الاحبار أى ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما (ويهدى) عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه فى تأويله كما فى قوله تعالى صافات ويقبضن أى وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك الحق وهاديا (الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذى أنزل على اضمار مبتدأ أى وهو يهدى كما فى قول من قال (نجوت وأرهنهم مالكا)

(وقال الذين كفروا) هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون به النبى عليه الصلاة والسلام وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى (ينبئكم) أى يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء (اذا مزقتم كل ممزق) أى اذا متم ومزقت أجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا (انكم لفى خلق جديد) أى مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقا جديدا للاشباع فى الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه مادل عليه المذكور لا نفسه لما أن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع (أفترى على الله كذبا) فيما قاله (أم به جنة) أى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب

(بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم فى كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذى هو الجنون حقيقة وفيما يؤدى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم وينث فى أعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كأنه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذى هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام وأنه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (ان نشأ) الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به أى أفعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم

قوله الطنز وبفتح الطاء المهملة وسكون النون آخره زاى السخرية كما فى القاموس اه فعطفها عليه هنا للتفسير
مصححه

(نخسف بهم الارض) كما خسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا) أي قطعا (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي وان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله وكسفا بسكون السين (ان في ذلك) أي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر (لآية) واضحة (لكل عبد منيب) شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه الصلاة والسلام أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فاذا وردها تمكن عندها فضل تمكن (يا جبال أوبي معه) من التأويب أي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بأن يتمثل له ذلك وقرئ أوبي من الاوب أي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال ما يسمع من التسبيح معجزة له عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا (والطير) بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه الصلاة والسلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف أي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على أولي الالباب (وألنا له الحديد) أي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية (أن اعمل) أمرناه أن اعمل على أن أن مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى (سابغات) واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه الصلاة والسلام أول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه الصلاة والسلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء (وقدر في السرد) السرد نسج الدروع أي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر في مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا ورد بأن دروعه عليه الصلاة والسلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع أوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى (واعملوا صالحا) عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولاهله (اني بما تعملون بصير) تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به (ولسليمان الريح) أي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) أي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة أو حال

من

من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو أي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشأم ان شاء الله تعالى (وأسلنا له عين القطر) أي النحاس المذاب أساله من معدنه كما ألان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه) اما جملة من مبتدا وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة (باذن ربه) بأمره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أي ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من أزاغه (نذقه من عذاب السعير) أي عذاب النار في الآخرة روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني (يعملون له ما يشاء) تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى (من محاريب) الخ بيان لما يشاء أي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما (وجفان) جمع جفنة وهي الصحفة (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على أنه مفعول له أو مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له أو لفعله المحذوف أي اشكروا شكرا أو حال أي شاكرين أو مفعول به أي اعملوا شكرا (وقليل من عبادي الشكور) أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي أنه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان عليه السلام (ما دلهم) أي الجن او آله (على موته الا دابة الارض) أي الارضة أضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل اكلت القوادح أسنانه أكلا فأكلت اكلا (تأكل منسأته) أي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بألف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءته على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته أي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منساته (فلما خر تبينت الجن) من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك أي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى أن خر أو من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى أي ظهرت الجن وأن مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في الحقيقة هو أن مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب * روي أن داود عليه السلام أسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان أجله وعلم به سأل ربه أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما أمروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى عليه الصلاة والسلام فلم يكن ينظر اليه شيطان

في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا عصاه قد أكلتها الارضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان أحوال الشاكرين لها أي لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة ألفا ولعله اخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع أي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال (آية) دالة بملاحظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر لمبتدا محذوف أي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهوام شيء (فأعرضوا) عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي سيل الامر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفأر الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام (وبدلناهم بجنتيهم) أي أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما (جنتين ذواتي أكل خمط) أي ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك أو كل شجر ذي شوك والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أكل خمط بالاضافة وبتخفيف أكل (وأثل وشيء من سدر قليل) معطوفان على أكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرئ وأثلا وشيأ عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم (ذلك) اشارة الى مصدر قوله تعالى (جزيناهم) أو الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثان له أي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر أو ذلك التبديل جزيناهم لا غيره (بما كفروا) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل (وهل نجازي الا الكفور) أي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع

الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) حكاية لما أوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم او بأجزيتها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين أهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا فيها السير) أي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت في أخرى الى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر والسفر (سيروا فيها) على ارادة القول أي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى (ليالي وأياما) أي متى شئتم من الليالي والايام (آمنين) من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياما كثيرة أو سيروا فيها لياليَ أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا) وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد لكان اجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشأم مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا و بين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها أو دنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه (وظلموا أنفسهم) حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها (فجعلناهم أحاديث) أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى أي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وأصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبا وبينهما اثنا عشر أبا وهو الذي يقال له مزيقيا ابن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتفريق سيل العرم الجنتين وعن أبي زيد الانصاري أن عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع أملاكه وسار بقومه وهم ألوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى أصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حواليها في قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشأم فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشأم وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي أمر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم أولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم في ذلك وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فروة بن مسيك القطيفي سأل النبي عليه الصلاة والسلام

عن سبأ فقال عليه الصلاة والسلام هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشأم وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخر منهم بالشأم وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى أعلم (ان في ذلك) أي فيما ذكر من قصتهم (لآيات) عظيمة (لكل صبار شكور) أي شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها (ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه) أي حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وقرئ بالتخفيف أي صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه) أي أهل سبأ أو الناس (الا فريقا من المؤمنين) الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على أن من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون (وما كان له عليهم من سلطان) أي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة أي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء أو الا ليتميز المؤمن من الشاك أو الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة (وربك على كل شئ حفيظ) أي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان (قل) أي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم (ادعوا الذين زعمتم) أي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته أعني قوله تعالى (من دون الله) مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير وشر ونفع وضر (في السموات ولا في الارض) أي في أمر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا أو لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أو لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم) أي لآلهتهم (فيهما من شرك) أي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا (وما له) أي لله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) يعينه في تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) أي لا توجد رأسا كما في قوله (ولا ترى الضب بها ينجحر) لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى (الا لمن أذن له) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لا تقع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن أذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب أو لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن أذن له أي لاجله

قوله وقيل ظن ذلك عند اخبار الخ أوضح منه عبارة البيضاوي ونصها أو سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم اهـ مصححه

وفى شأنه من المستحقين للشفاعة وأمّا من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم أصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حيث حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى وقرئ أذن له مبنيا للمفعول (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأمّا الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بألف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ماقبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن أذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون فى موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتى وظهرت لهم تباشير الاجابة (قالوا) أى المشفوع لهم اذهم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بأمره (ماذا قال ربكم) أى فى شأن الاذن (قالوا) أى الشفعاء لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة (الحق) أى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا أى ما قاله الحق (وهو العلى الكبير) من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه أى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من أشراف الخلائق أن يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرّغ بالراء المهملة والغين المعجمة أى نفى الوجل عنها وأفنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ وهو من الاسناد المجازى لان الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فأسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن بتخفيف الراء وأصله فرغ الوجل عنها أى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ ارتفع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها (قل من يرزقكم من السموات والارض) أمر عليه الصلاة والسلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وأن الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون أحيانا فى الجواب مخافة الالزام قيل له عليه الصلاة والسلام (قل الله) اذ لا جواب سواه عندهم أيضا (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد النازل فى أدنى المراتب الامكانية لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا أو اياكم اما على هدى أو فى ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بأن الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كأنه منغمس فى ظلام لا يرى شيأ أو محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج منها (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) وهذا أبلغ فى الانصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الاجرام وان أريد به الزلة وترك الاولى الى أنفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة عند الحشر والحساب (ثم يفتح بيننا بالحق) أى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغى أن يقضى به (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحقتموهم (به شركاء) أريد بأمرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطئهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم أى أرونيها لانظر بأى صفة ألحقتموها بالله الذى ليس كمثله شئ فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) أى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فأين شركاؤكم التى هى أخس الاشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا أو للشأن كما فى قل هو الله أحد (وما أرسلناك الا كافة للناس) أى الا ارسالة

قوله وقرئ ارتفع فى بعض النسخ وقرئ افرنقع وليحرر اه

عامّة لهم فانها اذا عمّتهم فقد كفّتهم أن يخرج منها أحد منهم أو الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدّم الحال على صاحبها المجرور (بشيرا ونذيرا ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغيّ والضلال (ويقولون) من فرط جهلهم وغاية غيّهم (متى هذا الوعد) بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربّنا ثم يفتح بيننا (ان كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (قل لكم ميعاد يوم) أي وعد يوم أو زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منوّنين على البدل ويوما باضمار أعني للتعظيم (لا تستأخرون عنه) عند مفاجأته (ساعة ولا تستقدمون) صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مرّ بيانه مرارا ويجوز أن يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة (ولو ترى اذ الظالمون) المنكرون للبعث (موقوفون عند ربهم) أي في موقف المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) أي يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) بدل من يرجع الخ أي يقول الاتباع (للذين استكبروا) في الدنيا واستتبعوهم في الغيّ والضلال (لولا أنتم) أي لولا اضلالكم وصدّكم لنا عن الايمان (لكنّا مؤمنين) باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) استئناف مبنيّ على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) منكرين لكونهم هم الصادّين لهم عن الايمان مثبتين أنهم هم الصادّون بأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) اضرابا عن اضرابهم وابطالا له (بل مكر الليل والنهار) أي بل صدّنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه وأقيم مقامه الظرف اتساعا أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازيّ وقرئ بل مكرا الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين أي بل صدّنا مكركم في الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف اليه أو مكر عظيم على أنه للتفخيم وقرئ بل مكرّ الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرّون الاغواء مكرّا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية أي بل صدّنا مكرّكم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية أي بل تكرّون الاغواء مكرّ الليل والنهار أي مكرّا دائما وقوله تعالى (اذ تأمروننا) ظرف للمكر أي بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا (أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) على أن المراد بمكرهم امّا نفس أمرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأيّ نعمة وامّا أمور أخر مقارنة لأمرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك (وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب) أي أضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال وأخفاها كلّ منهما عن الآخر مخافة التعيير أو أظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه بذمّهم والتنبيه على موجب اغلالهم (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون أو الا بما كانوا يعملونه على نزع الجارّ (وما أرسلنا في قرية) من القرى (من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا مُني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أيّ الفريقين خير مقاما وأحسن نديا بأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفو أهل مكة في حقه عليه الصلاة والسلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا امور الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا أن المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم وها وعلى

قوله ممّا مُني به أي ابتلي به اه

ذلك الرأى الركيك بنوا أحكامهم (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) اما بناء على انتفاء العذاب الاخروى رأسا أو على اعتقاد أنه تعالى اكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم فى الآخرة على تقدير وقوعها (قل) ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذى عليه يدور أمر التكوين (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) على من يشاء أن يقدره عليه من غير أن يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصى ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه أخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون أن الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة فى تحقيق الحق وتقرير ما سبق أى وما جماعة أموالكم وأولادكم بالجماعة التى تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث أو بالخصلة التى تقربكم وقرئ بالذى أى بالشئ الذى (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم أى وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أى الا أموال من الخ (فأولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى فأولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح (لهم جزاء الضعف) أى ثابت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تأكيد لتكرر الاسناد أو يثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزاء (بما عملوا) من الصالحات (وهم فى الغرفات) أى غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ فى الغرفة على ارادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) سابقين لانبيائنا أو زاعمين أنهم يفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون) لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) أى يوسعه عليه تارة (ويقدر له) أى يضيقه عليه تارة أخرى فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اما عاجلا واما آجلا (وهو خير الرازقين) فان غيره واسطة فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته (ويوم يحشرهم جميعا) أى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتى تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر (ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الخ واقناطا لهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك (سبحانك أنت ولينا من دونهم) والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على التحقق أى أنت الذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون أجواف الاصنام

اذا عبدت فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول للانس أو للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرّؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع أنه لا بحث عنه أصلا اما لتعميم العجز أو لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها أو لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل (ونقول للذين ظلموا) عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل فانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة أي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) بيان لبعض آخر من كفرانهم أي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك (قالوا ما هذا) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستدعيه من غير أن يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد (وقالوا ما هذا) يعنون القرآن الكريم (الا افك) أي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع (مفترى) باسناده الى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز (لما جاءهم) من غير تدبر ولا تأمل فيه (ان هذا الا سحر مبين) ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى (وكذب الذين من قبلهم) من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلي) عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ (فكيف كان نكير) أي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل انما أعظكم بواحدة) أي ما أرشدكم وأنصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى (أن تقوموا لله) على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد (مثنى وفرادى) أي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بأنه أوثق وأقرب الى الاطمئنان (ثم تتفكروا) في أمره عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى (ما بصاحبكم من جنة) استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه وقد علمتم

انه

أنه عليه الصلاة والسلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأزههم نفسا وأفضاهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا أى شئ به من آثار الجنون (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) هو عذاب الآخرة فانه عليه الصلاة والسلام مبعوث فى نسم الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أى أى شئ سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيأ ان أعطيتنى شيأ فخذه وقيل ما موصولة أريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه الصلاة والسلام قرباهم (ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرئ ان أجرى بسكون الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) أى يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به فى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو مقدرا بأعنى وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب (قل جاء الحق) أى الاسلام والتوحيد (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أى زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا فى الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد أقفر من أهله عبيد * فليس يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد أو لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها (قل ان ضللت) عن الطريق الحق (فانما أضل على نفسى) فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربى بفتح الياء (انه سميع قريب) يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى اخفائهما (ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا هائلا (فلا فوت) فلا يفوتون الله عز وجل بهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى قليبها أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذ بالعطف على محله أى فلا فوت هناك وهناك أخذ (وقالوا آمنا به) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره فى قوله تعالى ما بصاحبكم (وأنى لهم التناوش) التناوش التناول السهل أى ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه فى حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشئ اذا طلبته وعن أبى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال

تمنى نئيشا أن يكون اطاعنى * وقد حدثت بعد الامور أمور

(وقد كفروا به) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالعذاب الشديد الذى أنذرهم اياه (من قبل) أى من قبل ذلك فى أوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أو فى العذاب المذكور من بت القول بنفيه (من مكان بعيد) من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى الشعر والسحر والكذب وان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته المعروفة فيما بين الدانى والقاصى الكذب ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم فى لحوقه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان والنجاة

قوله في نسم الساعة أي في أوائلها كما ذكره زكريا اه

من النار وقرئ باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) أى باشباههم من كفرة الامم الدارجة (انهم كانوا فى شك مريب) أى موقع فى الريبة أوذى ريبة والاول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثانى من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

* (سورة الملائكة مكية وهى خمس وأربعون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضى فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل فى المشتق (جاعل الملائكة) الكلام فى اضافته وكونه نعتا أوبدلا كما قبله وقوله تعالى (رسلا) منصوب به على الوجه الثانى من الاضافة بالاتفاق وأما على الوجه الاول فكذلك عند الكسائى وأما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال أبو سعيد السيرافى اسم الفاعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى لان باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثانى فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بأنه بالاضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة أى جاعلهم وسايط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه أيضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا أما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين (أولى أجنحة) صفة لرسلا وأولوا اسم جمع لذو كما أن اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة فى العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا آخر لكل منهم أربعة أجنحة وروى أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلفون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأله عليهما السلام أن يتراءى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج عليه الصلاة والسلام فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل عليهما السلام فى صورته فغشى عليه عليه الصلاة والسلام ثم أفاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير (يزيد فى الخلق ما يشاء) استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة فى عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من أحكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلى ناطق بأنه تعالى يزيد فى أى خلق كان كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التى لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام من تخصيص بعض المعانى بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا (ما يفتح الله للناس من رحمة) عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بأنها أنفس الخزائن التى يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام أى أى شئ يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به (فلا ممسك لها) أى لا أحد يقدر على امساكها (وما يمسك) أى أى شئ يمسك (فلا مرسل له) أى لا أحد يقدر على

اوسباله واختلاف الضميرين لما أن مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بأن رحمته سبقت غضبه (من بعده) أى من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من جملتها الفتح والامساك (الحكيم) الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين وبعدما بين سبحانه أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير أن يكون لاحد فى ذلك دخل ما بوجه من الوجوه أمر الناس قاطبة او أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال (يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) أى انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما أى راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى أن يكون فى الوجود شئ غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى باستحالة أن يجاب عنه بنعم فقال (هل من خالق غير الله) أى هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له فى قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى (يرزقكم من السماء والارض) أى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب داخل فى حيز النفى والانكار ولا مساغ لما قيل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجروره لان معناه نفى وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفى وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من أنه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من أنه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية أى هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناهما نفى رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفى وجوده رأسا مع أنه المراد حتما ألا يرى الى قوله تعالى (لا اله الا هو) فانه استئناف مسوق لتقرير النفى المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفى الوجود تعين أن يكون ذلك أيضا كذلك قطعا والفاء فى قوله تعالى (فأنى تؤفكون) لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كأنه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابى الناس مسارعة الى تسليته عليه الصلاة والسلام بعموم البلية أولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا أى وان استمروا على أن يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما أقمت عليهم الحجة وألقمتهم الحجر فتأس بأولئك الرسل فى المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكرا كتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة أى رسل اولوا شأن خطير وذووا عدد كثير (والى الله ترجع الامور) لا الى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما أنتم عليه من الاحوال التى من جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول أدخل فى التهويل (يأيها الناس) رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير (ان وعد الله) المشار اليه برجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء (حق) ثابت لا محالة من غير خلف (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى (ولا يغرنكم بالله) وعفوه وكرمه تعالى (الغرور) أى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان أمكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرئ الغرور بالضم على أنه مصدر أو جمع غار كقعود جمع قاعد (ان الشيطان لكم عدو) عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به (فاتخذوه عدوا) بمخالفتكم له فى عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه فى مجامع أحوالكم وقوله تعالى

(انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم فى العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون (الذين كفروا لهم) بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته (عذاب شديد) لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لا غاية لهما (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها أى أبعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا تكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى (فان الله يضل) الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئته تعالى أى فانه تعالى يضل (من يشاء) أن يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده أسفل سافلين (ويهدى من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه الصلاة والسلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا أى أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة فى دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه فى غاية الحسن عندهم أى أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع فى اسلامه وتتعب نفسك فى دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ على أنه ممن شاء الله تعالى أن يضله فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له أى فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه الصلاة والسلام على احوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى (ان الله عليم بما يصنعون) أى من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد * عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى أبى جهل ومشركى مكة (والله الذى أرسل الرياح) مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع فى قوله تعالى (فتثير سحابا) لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك أسند اليها أو للدلالة على استمرار الاثارة (فسقناه الى بلد ميت) وقرئ بالتخفيف (فأحيينا به الارض) أى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما فى الذهن كما فى الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب (بعد موتها) أى يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضى للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى (كذلك النشور) فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى حيز الرفع على الخبرية أى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء الاموات فى صحة المقدور به وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما أصلا سوى الالف فى الاول دون الثانى وقيل فى كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم كما فى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها (فلله العزة جميعا) أى له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح

يرفعه

رفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات أى اليه يصل الكلم الطيب الذى به يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطى طلبته بالذات والمستكن فى يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل اوللعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولاينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وعن ابن مسعود رضى الله عنه مامن عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عزوجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ (والذين يمكرون السيئات) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ وأهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف أى يمكرون المكرات السيئات وهى مكرات قريش بالنبى عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى الثلاث التى هى الاثبات والقتل والاخراج (لهم) بسبب مكراتهم (عذاب شديد) لايقادر قدره ولايؤبه عنده لما يمكرون (ومكر أولئك) وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامى أمرهم فى الطغيان وبعد منزلتهم فى العدوان أى ومكر أولئك المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه الصلاة والسلام (هو يبور) أى هو يهلك ويفسد خاصة لامن مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التى اكتفوا فى حقه عليه الصلاة والسلام بواحدة منهن (والله خلقكم من تراب) دليل آخر على صحة البعث والنشور أى خلقكم ابتداء منه فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا (ثم من نطفة) أى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا أو ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته (وما يعمر من معمر) أى من أحد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره أى وما يمد فى عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أى من عمر أحد على طريقة قولهم لايثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فأربعون واليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وقيل المراد بالنقص مايمر من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتى على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم (الا فى كتاب) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عزوجل وقيل صحيفة كل انسان (ان ذلك) أى ماذكر من الخلق ومابعده مع كونه محارا للعقول والافهام (على الله يسير) لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى (ومن كل) أى من كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا (وتستخرجون) أى من المالح خاصة (حلية تلبسونها) اما استطراد فى صفة البحرين ومافيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما أنهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المؤمن

وان شاركه فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصة العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر أو تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب فى منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) أى فى كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط (مواخر) شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما دل عليه الافعال المذكورة أى فعل ذلك لتبتغوا من فضله (ولعلكم تشكرون) أى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجى للايذان بكونه مرضيا عند الله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) بزيادة أحدهما ونقص الآخر باضافة بعض أجزاء كل منهما الى الآخر (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن ايلاج أحد الملوين فى الآخر متجدد حينا فحينا وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير اليه بقوله تعالى (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جريانا مستمرا (لأجل مسمى) قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما فى فلكيهما والاجل المسمى هو منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله فى سورة لقمان (ذلكم) اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم العظيم الشأن الذى أبدع هذه الصنائع البديعة (الله ربكم له الملك) وفيه من الدلالة على أن ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز أن يكون الاخير كلاما مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل فى القلة والحقارة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع (ولو سمعوا) على الفرض والتقدير (ما استجابوا لكم) لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم فى الدنيا (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم من الالهية (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) فى أنفسكم وفيما يعن لكم من أمر مهم أو خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا (والله هو الغنى الحميد) أى المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أى ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين (على الله بعزيز) بمتعذر ولا متعسر (ولا تزر وازرة) أى لا تحمل نفس آثمة (وزر أخرى) اثم نفس أخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها وأما ما فى قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيهما من أوزار غيرهم شئ (وان تدع مثقلة) أى نفس أثقلها الاوزار (الى حملها) لحمل بعض أوزارها (لا يحمل منه شئ) لم تجب بحمل شئ منه (ولو كان) أى المدعو المفهوم من الدعوة (ذا قربى) ذا قرابة من الداعى وقرئ ذو قربى وهذا نفى للحمل اختيارا والاول نفى له اجبارا (انما تنذر) استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر أى انما تنذر بهذه الانذارات (الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخشونه تعالى غائبين عن عذابه

أو عن الناس في خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلوة) أى راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا أى انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والعناد (ومن تزكى) أى تطهر من أوضار الاوزار والمعاصى بالتأثر من هذه الانذارات (فانما يتزكى لنفسه) لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانها من معظم مبادى التزكى (والى الله المصير) لا الى أحد غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء (وما يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) أى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق (ولا الظل ولا الحرور) أى ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفى الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع فى الطرفين تحقيقا للتباين بين أفراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة (ان الله يسمع من يشاء) أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وما أنت بمسمع من فى القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع فى اقناطه عليه الصلاة والسلام من ايمانهم (ان أنت الا نذير) ما عليك الا الانذار وأما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم (انا أرسلناك بالحق) أى محقين أو محقا أنت أو ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يتعلق بقوله (بشيرا ونذيرا) أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة) أى ما من أمة من الامم الدارجة فى الازمنة الماضية (الا خلا) أى مضى (فيها نذير) من نبى أو عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام (وان يكذبوك) أى تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم (فقد كذب الذين من قبلهم) من الامم العاتية (جاءتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبالزبر) كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين (ثم أخذت الذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ (فكيف كان نكير) أى انكارى بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها (ألم تر) استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد فى جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أى ألم تعلم (ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة (ثمرات مختلفا ألوانها) أى أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيآتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما فى قوله تعالى (ومن الجبال جدد) أى ذو جدد أى خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تأكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقانى للاحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره فى الصفة قول النابغة (والمؤمن العائذات الطير يمسحها) وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أى ومنهم بعض مختلف ألوانه أو وبعضهم مختلف ألوانه على ما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية فى الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس فى الاحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار وأما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان أمرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريرى المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية

عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى (كذلك) مصدر تشبيهى لقوله تعالى مختلف أى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك أى كاختلاف الثمار والجبال وقرئ ألوانا وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة فى الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما فى الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما فى الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أى انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشؤنه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام انا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتى من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب فى دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع فى ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة فى تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما أن الباقى مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن وأما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى (لن تبور) أى لن تكسد ولن تهلك بالخسران أصلا صفة لتجارة جئ بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من أكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى (ليوفيهم أجورهم) متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور أعمالهم (ويزيدهم من فضله) على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من أفعالهم المرضية أى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على أن اللام للعاقبة (انه غفور شكور) تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم أى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو وأنفقوا (والذى أوحينا اليك من الكتاب) وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان فى أحوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة هى الامور الروحانية (ثم أورثنا الكتاب) أى قضينا بتوريثه منك أو نورثه والتعبير عنه بالماضى لتقرره وتحققه وقيل أورثناه من الامم السالفة أى أخرناه عنهم وأعطيناه (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم أو الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير

فى العمل به وهو المرجأ لامر الله (ومنهم مقتصد) يعمل به فى أغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيئ (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفى قوله تعالى باذن الله أى بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيآته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له (ذلك) اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف (هو الفضل الكبير) من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى (جنات عدن) اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره (يدخلونها) وعلى الاول هو مستأنف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعى فى ادراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من أساور) هى جمع اسورة جمع سوار (من ذهب) من الاولى تبعيضية والثانية بيانية أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرادها (ولؤلؤا) بالنصب عطفا على محل من أساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب فى صفاء اللؤلؤ (ولباسهم فيها حرير) وتغيير الاسلوب قد مر سره فى سورة الحج (وقالوا) أى يقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا فى مسيرهم وكأنى بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور) أى للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) أى دار الاقامة التى لا انتقال عنها أبدا (من فضله) من انعامه وتفضله من غير أن يوجبه شئ من قبلنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) كلال والفرق بينهما أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفى الثانى مع استلزام نفى الاول له وتكرير الفعل المنفى للمبالغة فى بيان انتفاء كل منهما (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) ويستريحوا ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد اسعارها (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى كل كفور) مبالغ فى الكفر أو الكفران لا جزاء أخف وأدنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرئ يجازى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة أى ألم نمهلكم أو ألم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر أى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو أربعون سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما

قوله لجهد المستغيث الخ أى انما به وذلك أن الصراخ الصياح بجهد فاذن المناسبة موجودة تأمل اهـ مصححه

ستون سنة وروى ذلك عن علىّ رضى الله عنه وهو العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه الصلاة والسلام أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى (وجاءكم النذير) عطف على الجملة الاستفهامية لانها فى معنى قد عمرناكم كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه فى معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مامعه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذى يقتضيه المقام والفاء فى قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الامر بالذوق على ماقبلها من التعمير ومجىء النذير وفى قوله تعالى (فما للظالمين من نصير) للتعليل (ان الله عالم غيب السموات والارض) بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية أى لايخفى عليه خافية فيهما فلا تخفى عليه أحوالهم (انه عليم بذات الصدور) قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى أخفى مايكون كان أعلم بغيرها (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثانى خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاءه فى أرضه وألقى اليكم مقاليد التصرّف فيها وسلطكم على مافيها وأباح لكم منافعها أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها (فعليه كفره) أى وبال كفره لايتعداه الى غيره وقوله تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الاخسارا) بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم أى بغضه الشديد الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الآخرة الذى مابعده شرّ وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة (قل) تبكيتا لهم (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أى آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل مّا أصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه (أرونى ماذا خلقوا من الارض) بدل اشتمال من أرأيتم كأنه قيل أخبرونى عن شركائكم أرونى أىّ جزء خلقوا من الارض (أم لهم شرك فى السموات) أى أم لهم شركة مع الله سبحانه فى خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية (أم آتيناهم كتابا) ينطق بأنا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) أى حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما فى قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى أن الشرك أمر خطير لابدّ فى اثباته من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا) لما نفى أنواع الحجج فى ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليه (انّ الله يمسك السموات والارض ان تزولا) استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله أى يمسكهما كراهة زوالهما أو يمنعهما أن تزولا لانّ الامساك منع (ولئن زالتا ان امسكهما) أى ما أمسكهما (من أحد من بعده) من بعد امساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادّة مسدّ الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة التى تستوجبها جناياتهم حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من احدى الامم) بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكوننّ أهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (فلما جاءهم نذير) وأىّ نذير أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام (مازادهم) أى النذير أو مجيئه (الانفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا فى الارض) بدل من نفورا أو مفعول له (ومكر السيئ) أصله وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة فى الوصل ولعله اختلاس ظنّ سكونا أو وقفة خفيفة وقرئ مكرا سيأ (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون) أى ماينتظرون

الاسنة

قوله جعلية أى فى جعل الاشياء وخلقها كما فى الشهاب اهـ

(الا سنة الاولين) أى سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا) بأن يضع موضع العذاب غير العذاب (ولن تجد لسنة الله تحويلا) بأن ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل مايفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفى وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفى وجودهما بالطريق البرهانى وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتأكيد انتفائهما (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد على ماقبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أى أقعدوا فى مساكنهم ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم (وكانوا أشد منهم قوة) وأطول أعمارا فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شئ) أى ليسبقه ويفوته (فى السموات ولا فى الارض) اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى (انه كان عليما قديرا) أى مبالغا فى العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك (ولو يؤاخذ الله الناس) جميعا (بما كسبوا) من السيئات كما فعل بأولئك (ماترك على ظهرها) أى على ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها من بنى آدم وقيل ومن غيرهم أيضا من شؤم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما ويعضد الاول قوله تعالى (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت والله تعالى أعلم

سورة يس مكية وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يس) اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والنصب أى هذه يس او اقرأ يس ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان مابعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شئ واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف فى فاتحة سورة البقرة من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظى ذكره سيبويه فى باب أسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما فى حيث وأين حسبما يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد فى الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه يا انسان فى لغة طئ قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله فى أيمن الله (والقرآن) بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم (الحكيم) أى المتضمن للحكمة أو الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازى وقد جوز أن يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة كما مر فى صدر سورة لقمان (انك لمن المرسلين) جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما أشير اليه بقوله تعالى فى جوابهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وفى تخصيص القرآن بالاقسام به أولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على أنه كما يشهد برسالته عليه الصلاة والسلام من حيث نظمه المعجز المنطوى على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية أيضا لما أن الاقسام بالشئ استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى (على صراط مستقيم) خبر آخر لان أو حال من

المستكن فى الجار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان أن شريعته عليه الصلاة والسلام أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمى والوصف اثر بيان أنه عليه الصلاة والسلام من جملة المرسلين بالشرائع (تنزيل العزيز الرحيم) نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وبالجر على أنه بدل من القرآن وأياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته فى كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهار الفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفى تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضمر أى نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية (لتنذر) متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير أى لتنذر به كما فى صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما دل عليه لمن المرسلين أى انك مرسل لتنذر (قوما ما أنذر آباؤهم) أى لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على أن ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار أو الذى أنذره أو شيأ أنذره آباؤهم الابعدون على أنها موصولة أو موصوفة فتكون مفعولا ثانيا لتنذر أو انذار آبائهم الاقدمين على أنها مصدرية فتكون نعتا لمصدر مؤكد أى لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم (فهم غافلون) على الوجه الاول متعلق بنفى الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين أى لم تنذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر أو بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على أن الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه أى عما أنذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام فى قوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم) جواب القسم أى والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم فى العتو والطغيان وتماديهم فى اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم أجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم انما هو لكونهم من جملة أولئك المصرين على تبعية ابليس أبدا واذ قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر أن قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) متفرع فى الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم (فهى الى الاذقان) أى فالاغلال منتهية الى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون الى جهته (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) اما تتمة للتمثيل وتكميل له أى وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شئ ما أصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيأ قطعا كاف فى الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين فى مطمورة الغى والجهالات محرومين عن النظر فى الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهى لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشا وقيل الآيتان فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو عليه الصلاة والسلام يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم بذلك فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله تعالى بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه

بطريق التمثيل أي مستوٍ عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مرّ تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى
(لا يؤمنون) استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه
ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل (انما تنذر) أي انذارا مستتبعا للاثر
(من اتبع الذكر) أي القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصرّ على اتباع خطوات الشيطان (وخشي الرحمن
بالغيب) أي خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو المفعول أو خافه في سريرته ولم يغتر برحمته
فانه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب
الأليم (فبشره بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الامر بها على
ما قبلها من اتباع الذكر والخشية (انا نحن نحيي الموتى) بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء
اجماليا أي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة
بتحقيق المبشر به (ونكتب ما قدموا) أي ما أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها (وآثارهم) التي
أبقوها من الحسنات ككتب علموه أو كتاب ألفوه أو حبيس وقفوه أو بناء بنوه من المساجد والرباطات
والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر
والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي أحدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي
آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم
(وكل شيء) من الاشياء كائنا ما كان (أحصيناه في امام مبين) أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء
مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) ضرب
المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا
امرأة نوح وامرأة لوط وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها
كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على أحد الوجهين أي بينا لكم أحوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال
فالمعنى على الاول اجعل أصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل أي طبق
حالهم بحالهم على أن مثلا مفعول ثان لاضرب وأصحاب القرية مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه
وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله تعالى أصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف
أو بيان له والقرية انطاكية (اذ جاءها المرسلون) بدل اشتمال من أصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه
السلام الى أهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله (اذ أرسلنا اليهم اثنين) بناء على أنه كان بأمره تعالى
لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما (فكذبوهما) أي فأتياهم فدعواهم الى الحق
فكذبوهما في الرسالة (فعززنا) أي قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه
الاعراب وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به (بثالث) هو شمعون (فقالوا)
يشهد بمعنا (انا اليكم مرسلون) مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما أن تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد
ابن عمهم وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى
أصيلات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه قال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه
وقد برص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على أيديهما خلق وبلغ
حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما
الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك
حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك
فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس
العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له
شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر
ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع وهم يحسبون أنه منهم ثم قال

ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وانى أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم فى العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة فى الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن أحد سوى حبيب ولو أن الملك وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا فى ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا أن يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملئه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار (قالوا) أى أهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة (ما أنتم الا بشر مثلنا) من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى لاعمال ما بالا (وما أنزل الرحمن من شئ) مما تدعونه من الوحى والرسالة (ان أنتم الا تكذبون) فى دعوى رسالته (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار (وما علينا) أى من جهة ربنا (الا البلاغ المبين) أى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا أو ما علينا شئ نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فأى شئ تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك (قالوا) لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روى أنه حبس عنهم القطر فقالوا (لئن لم تنتهوا) أى عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) لا يقادر قدره (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم وقرئ طيركم (أئن ذكرتم) أى وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بألف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وأن ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للتشؤم أو مصححا للتوعد أى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك أتاكم التشؤم أو فى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى غيره عليه الصلاة والسلام أحد قبل مبعثه وقيل كان فى غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهر دينه (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما أن خطابهم بياقوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم فى اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوى والاهتداء الى خير الدنيا والدين (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله (واليه ترجعون) مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال (أأتخذ من دونه آلهة) انكار ونفى لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله (ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا) أى لا تنفعنى شيئا من النفع (ولا ينقذون) من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفى

المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردنى ضر أى يجعلنى مورد الضر (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة (لفى ضلال مبين) فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذى لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على أحد ممن له تمييز فى الجملة (انى آمنت بربكم) خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وانما أكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط وأضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال بربكم الذى أرسلكم أو الذى تدعوننا الى الايمان به (فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام أربابا وقيل للناس جميعا (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة فى المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطإ عظيم فى أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر أى بأى شئ غفر لى ربى يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم (وما كنا منزلين) وما صح فى حكمتنا أن ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما أنا قدرنا لكل شئ سببا حيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند أى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة وغيرها (ان كانت) أى ما كانت الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الا صيحة بالرفع على أن كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح (فاذا هم خامدون) ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى أن الحى كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى حقها أن تحضرى فيها وهى ما دل عليه قوله تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون أو قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد يجوز أن يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا لان المعنى ياحسرتى ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول وياحسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) أى ألم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك ألم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى أى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من

قوله وياحسره أى بالهاء كما هو نص البيضاوى اهـ مصححه

المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ ألم يروا من أهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال (وان كل لما جميع لدينا محضرون) بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على أن ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ (وآية لهم الارض الميتة) بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة أو بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى (أحييناها) استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف وأحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ وأحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لهما هو الارض وأحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض (وأخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أي من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى (من العيون) أي بعضا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأي الاخفش (ليأكلوا من ثمره) متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار أي وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادي أثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه أو جمع ثمار وبضمة وسكون (وما عملته أيديهم) عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها (أفلا يشكرون) انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيرون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرونها (سبحان الذي خلق الازواج كلها) استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا أي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا أبعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أي اسبح سبحانه أي أنزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع (مما تنبت الارض) بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها (ومن أنفسهم) أي خلق الازواج من أنفسهم أي الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) أي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما أطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه (وآية لهم الليل) جملة من

خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر وقوله تعالى (نسلخ منه النهار) جملة مبينة لكيفية كونه آية أى نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة (فاذا هم مظلمون) أى داخلون فى الظلام مفاجأة وفيه رمز الى أن الاصل هو الظلام والنور عارض (والشمس تجرى لمستقر لها) لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لكبد السماء فان حركتها فيه توجد أبطأ بحيث يظن أن لها هنالك وقفة قال (والشمس حيرى لها بالجو تدويم) أو لا استقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها أى لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته أى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائعة التى تحار فى فهمها العقول والافهام (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء أى قدرنا له (منازل) وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا (لا الشمس ينبغى لها) أى يصح ويتسهل (ان تدرك القمر) فى سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى الآثار والمنافع أو فى المكان بأن تنزل فى منزله أو فى سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها (ولا الليل سابق النهار) أى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره (وكل) أى وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف اليه الذى هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات أو الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها (فى فلك يسبحون) يسيرون بانبساط وسهولة (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لاسيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم فى السفن أشق واستمساكهم فيها أبدع (فى الفلك المشحون) أى المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفى أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص أعقابهم بالذكر دونهم لانه أبلغ فى الامتنان وأدخل فى التعجيب الذى عليه يدور كونه آية (وخلقنا لهم من مثله) مما يماثل الفلك (ما يركبون) من الابل فانها سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار (وان نشأ نغرقهم) الخ من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفى تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به اى ان نشأ نغرقهم فى اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جىء به فى خلال الآية

بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق (فلا صريخ لهم) أى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) أى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى (الا رحمة منا ومتاعا) استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة أى لا يغاثون ولا ينقذون لشئ من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ أى لنوع من الرحمة وتمتيع (الى حين) أى الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولم اسلم لكى ابقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام (واذا قيل لهم اتقوا) بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أى اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا (ما بين أيديكم وما خلفكم) من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب الارض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) اما حال من واو اتقوا أو غاية له أى راجين أن ترحموا أو كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) انفهاما بينا أما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص وأما اذا كان بغيرها فبدلالته لانهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كأنه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه فى حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه المو[illegible] الى الا[illegible]عان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها [illegible]ف من غيرها (أفلا يش[illegible]ة الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التى من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحى وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التى من جملتها ما ذكر من شؤنه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان به تعالى وايثاره على أن يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى حيز النصب على أنها حال من مفعول تأتى أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى ما تأتيهم من آية من آيات ربهم فى حال من أحوالهم الا حال اعراضهم عنها أو ما تأتيهم آية منها فى حال من أحوالها الا حال اعراضهم عنها (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أى أعطاكم بطريق التفضل والانعام من أنواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا فى الانفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم فى ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية أى اذا قيل لهم بطريق النصيحة أنفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره (قال الذين كفروا) بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى (أنطعم) حسبما تعظوننا به (من لو يشاء الله أطعمه) أى على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من أموالهم التى زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون أنه

تعالى لما لم يشأ أطعامهم وهو قادر عليه فنحن أحق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده
بأسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك (ان انتم الا فى ضلال مبين) حيث
تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوّز أن يكون جوابا لهم من جهته تعالى أو حكاية لجواب المؤمنين لهم
(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) أى فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب فى هذا اما
بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد (ما ينظرون) جواب من جهته تعالى أى ما ينتظرون
(الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم) مفاجأة (وهم يخصمون) أى يتخاصمون فى متاجرهم
ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شئ من مخايلها كقوله تعالى فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم
ظهور علائمها ولا يزعموا أنها لا تأتيهم وأصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وأدغمت فى الصاد ثم كسرت
الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على
الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ
يخصمون من خصمه اذا جادله (فلا يستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم ان كانوا فيما بين أهليهم (ولا الى
أهلهم يرجعون) ان كانوا فى خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا (ونفخ فى الصور) هى النفخة
الثانية بينها وبين الاولى أربعون سنة أى ينفخ فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (فاذا هم من
الاجداث) أى القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (الى ربهم) مالك أمرهم على الاطلاق (ينسلون)
يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين (قالوا) أى فى ابتداء
بعثهم من القبور (يا ويلنا) احضر فهذا أوانك وقرئ يا ويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا
من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وقيل أصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى
الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة
يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وأبى بن كعب وقتادة رحمهم الله
تعالى ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من أهوال
القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر
فى جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا على الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر أى من
رقادنا أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم مراقد الكل (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) جملة من مبتدا
وخبر وما موصولة محذوفة العائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم
تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على أن الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون
الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك فى كتبه وأرسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر
كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم
الصلاة والسلام فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدا محذوف
أو مبتدأ خبره محذوف أى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق (ان كانت) أى ما كانت النفخة التى حكيت
آنفا (الا صيحة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام فى الصور (فاذا هم جميع) أى مجموع
(لدينا محضرون) من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن
الاسباب ما لا يخفى (فاليوم لا تظلم نفس) من النفوس برة كانت أو فاجرة (شيأ) من الظلم (ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون) أى الا جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصى على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شئ واحد أو الا بما كنتم
تعملونه أى بمقابلته أو بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده أنه تعالى يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافا
مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى
(ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار
بحسن حال أعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفى هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة

عماهم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشان الذى يصدّ المرء ويشغله عما سواه من شؤنه لكونه أهمّ عنده من الكل امّا لايجابه كمال المسرّة والبهجة أو كمال المساءة والغمّ والمراد ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ماهم فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية وأمّا أن المراد به افتضاض الابكار أو السماع وضرب الاوتار أو التزاور أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم عما فيه أهل النار على الاطلاق أو شغلهم عن أهاليهم فى النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جارّه خبر لانّ وفاكهون خبر آخر لها أى انهم مستقرون فى شغل وأىّ شغل فى شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ فى شغل بسكون الغين وفى شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهى لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكنّ فى الظرف وقوله تعالى (هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون) استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلهما بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجارّان صلتان له قدّما عليه لمراعاة الفواصل أو هو والجارّان بما تعلقا به من الاستقرار أخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثانى مستأنف على أنه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدا محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكين بلا همز نصبا على الحال من المستكنّ فى الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكنّ فى خبر انّ ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا فى ظلال أو هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظلّ كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة فى ظلل والارائك جمع اريكة وهى السرير المزين بالثياب والستور وقال ثعلب لا تكون اريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى (لهم فيها فاكهة) الخ بيان لما يتمتعون به فى الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ماهم فيه من الشغل والبهجة أى لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما فى قوله تعالى (ولهم ما يدّعون) موصولة أو موصوفة عبر بها عن مدعوّ عظيم الشان معين أو مبهم ايذانا بأنه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرّح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه أو هى باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وأيّا ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدّعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدّعون به لانفسهم من مدعوّ عظيم الشأن أو كل ما يدّعون به كائنا ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرور وأيّا ما كان ففيه دلالة على أنهم فى أقصى غاية البهجة والغبطة ويدّعون يفتعلون من الدعاء كما أشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامى وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادّع علىّ ما شئت بمعنى تمنه علىّ وقال الزجاج هو من الدعاء أى ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشى وقوله تعالى (سلام) على التقدير الاول بدل من ما يدّعون او خبر لمبتدا محذوف وقوله تعالى (قولا) مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجارّ متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام أو ما يدّعون سلام يقال لهم قولا كائنا (من) جهة (ربّ رحيم) أى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونها مبالغة فى تعظيمهم قال ابن عباس رضى الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وأما على التقدير الثانى فقد قيل انه خبر لما يدّعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجارّ والمجرور لبيان من له ذلك أى ما يدّعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى عدة من ربّ رحيم والاوجه أن ينتصب على

الاختصاص

الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أى لهم سلام أى تسليم قولا من رب رحيم أو سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية أى لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين (وامتازوا اليوم) عطف إما على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكأن تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما وإما على مضمر ينساق اليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل اثر بيان كونهم فى شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم (أيها المجرمون) الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وأما ما قيل من أن المضمر فليمتازوا فيعتزل من السداد لما أن المحكى عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدى نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدى لاضمار شئ يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الاوامر والنواهى التى من جملتها قوله تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة فى هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بنى آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها فى مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهى لغة بنى تميم (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل للنهى (وأن اعبدونى) عطف على أن لا تعبدوا على أن أن فيهما مفسرة للعهد الذى فيه معنى القول بالنهى والامر أو مصدرية حذف عنها الجار أى ألم أعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر لما أن حق التخلية التقدم على التحلية كما فى كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى (هذا صراط مستقيم) فانه اشارة الى عبادته تعالى التى هى عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام فى قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان أن جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق فى جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس أى وبالله لقد أضل منكم خلقا كثيرا أو صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذى أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لاجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التى ملأ الآفاق أخبارها وبقى مدى الدهر آثارها والفاء فى قوله تعالى (أفلم تكونوا تعقلون) للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أنها لضلالهم أو فلم تكونوا

تعقلون شيأ أصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى (هذه جهنم التى كنتم توعدون) استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم أى كنتم توعدونها على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم أجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أمر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الخ أى ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا وقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى أن ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا اجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور آثار المعاصى عليها وقرئ وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الامر والجزم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التى هى وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء أى لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضى لافادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر فى قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير (فاستبقوا الصراط) أى فأرادوا أن يستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو بالظرفية (فانى يبصرون) الطريق وجهة السلوك (ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) أى مكانهم الا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم أى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على أرجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ماذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم فى الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم فى الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم (ومن نعمره) أى نطل عمره (ننكسه فى الخلق) أى نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه أولا فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبى فى ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثى المجرد ونكسه من الانكاس (أفلا يعقلون) أى أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ماذكر من الطمس والمسخ وأن عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد وابطال لما كانوا يقولونه فى حقه عليه الصلاة والسلام من أنه شاعر وما يقوله شعر أى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل

الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشؤن واختلط بهم الظنون قاتلهم الله أنى يؤفكون (وما ينبغى له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه أميا لا يهتدى للخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله عليه الصلاة والسلام انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلاة والسلام هل أنت الا اصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير فى له للقرآن أى وما ينبغى للقرآن أن يكون شعرا (ان هو) أى ما القرآن (الا ذكر) أى عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين (وقرآن مبين) أى كتاب سماوى بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا (لينذر) أى القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به أى علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار (من كان حيا) أى عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت أو مؤمنا فى علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول) أى تجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وفى ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة وأحكامها التى هى المعرفة أموات فى الحقيقة (أولم يروا) الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف أى ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة (انا خلقنا لهم) أى لاجلهم وانتفاعهم (مما عملت أيدينا) أى مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به (انعاما) مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع أن حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لاسيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر أمرا نافعا خطيرا كما فى النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثانى المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان فى تأخيره جمعا بينه وبين أحكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى (فهم لها مالكون) الآيات الثلاث أى فملكناها اياهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله أى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم فى ذلك غيرهم أو قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما فى قول من قال

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى (وذللناها لهم) تأسيسا للنعمة على الالتتمة لما قبلها أى صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى (فمنها ركوبهم) الخ فان الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها أى فبعض منها ركوبهم أى مركوبهم أى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم أى ذو ركوبهم (ومنها يأكلون) أى وبعض منها يأكلون لحمه (ولهم فيها) أى فى الانعام بكلا قسميها (منافع) أخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران (ومشارب) من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل فى سورة النحل (أفلا يشكرون) أى أيشاهدون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها (واتخذوا من دون الله) أى متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة (آلهة) من الاصنام وأشركوها به تعالى فى العبادة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور أو يشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) الخ استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم) أى

المشركون (لهم) أى لآلهتهم (جند محضرون) يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدّون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذبّ عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء فى قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) لترتيب النهى على ما قبله فلا بدّ أن يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشرّ على مارتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهوّن الخطب ويورث السلوة وأمّا كونهم معدّين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام عن التأثر منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده فان النهى عن أسباب الشئ ومباديه المؤدّية اليه نهى عنه بالطريق البرهانىّ وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوّه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاى من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (انا نعلم ما يسرّون وما يعلنون) تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا أى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التى لا يعزب عن علمنا شئ منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السرّ على العلن اما للمبالغة فى بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كانّ علمه تعالى بما يسرّونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما فى الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة وامّا لانّ مرتبة السرّ متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو أو مباديه مضمر فى القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا فى أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهده كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام وأمّا ما قيل من أنه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة مقدرة هى مستتبعة للمعطوف كما مرّ فى الجملة الانكارية السابقة أى ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا أنا خلقناه من نطفة الخ أو هى عين الجملة السابقة أعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو أحق منه بالانكار والتعجب لما أن المنكر هنالك عدم علمهم بما يتعلق بخلق أسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب فى أن علم الانسان بأحوال نفسه أهمّ واحاطته بها أسهل وأكمل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك أدخل كأنه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم أيضا مع كون العلم بذلك فى غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى أن المنكر الاول بعيد قبيح والثانى أبعد وأقبح ويجوز أن تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على أنها متقدمة فى الاعتبار وأن تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة فى الكلام كما هو رأى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لانّ مدار الانكار متعلق بأحواله من حيث هو انسان كما فى قوله تعالى أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ وقوله تعالى (فاذا هو خصيم مبين) أى شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتعجب كأنه قيل أولم ير أنا خلقناه من أخس الاشياء وأمهنها ففاجأ خصومتنا فى أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره فى الخصومة واستمراره عليها روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبىّ بن خلف الجمحىّ وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم أبىّ بن خلف ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرنّ اليه ولاخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتّه بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما رمّ قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل

تحت الانكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى (وضرب لنا مثلا) معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتقبيح وأما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا أى أورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الامر هى فى الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهى انكار احيائنا العظام أو قصة عجيبة فى زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وأنكرها أشد الانكار وهى احياؤنا اياها وجعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى (ونسى خلقه) أى خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضرب به اما عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار والتعجيب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه وقوله تعالى (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضرب به المثل كأنه قيل أى مثل ضرب أو ماذا قال فقيل قال (من يحيى العظام) منكرا له أشد النكير مؤكدا له بقوله تعالى (وهى رميم) أى بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه امر عجيب فى نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل أهون منه فى قياس العقل وعلى الثانى هو احياؤه تعالى لها فانه أمر عجيب فى زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الانكار مع أنه فى نفس الامر أقرب شئ من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الانكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبر المؤنث لانه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة فى بدن حى حساس (قل) تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشادا الى طريقة الاستشهاد بها (يحييها الذى أنشأها أول مرة) فان قدرته كما هى لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها (وهو بكل خلق عليم) مبالغ فى العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التى كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلى مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما فى كيفية الدلالة أى خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على أن الجعل ابداعى والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى (فاذا أنتم منه توقدون) فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض) الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أليس الذى أنشأها أول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) فى الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسى أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى (بلى) جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الانكارى من تقرير ما بعد النفى وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على ما يفيده الايجاب أى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم كيفا وكما (انما أمره) أى شأنه (اذا أراد شيأ) من الاشياء

(أن يقول له كن) أى أن يعلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراده بأمر الآمر المطاع المأمور المطيع فى سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شئ ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا فى شأنه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى أن ما فصل من شؤنه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه أكمل ايجاب كما أن وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بأنها مقتضية لذلك أتم اقتضاء والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شئ ومملكة كل شئ وملك كل شئ (واليه ترجعون) لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى * عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى القرآن سورة تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها الا وهى سورة يس

* (سورة والصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والصافات صفا) اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول أو الصافات أنفسها أى الناظمات لها فى سلك الصفوف بقيامها فى مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات أقدامها فى الصلاة وقيل اجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجرا) أى الفاعلات للزجر أو الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصى وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتى وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما أى صفا بديعا وزجرا بليغا وأما ذكرا فى قوله تعالى (فالتاليات ذكرا) فمفعول التاليات أى التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها فى الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وان أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات فى مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها فى صفوف الجماعات وأقدامها فى الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات أنفسهم فى مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أو طوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا وللعدو فى المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه فى تضاعيف ذلك والكلام فى العطف ودلالته على ترتب الصفات فى الفضل أو ترتب موصوفاتها فيه كالذى سلف وأما الدلالة على الترتب فى الوجود كما فى قوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهرة فى شئ من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر فى الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن المعاصى والتاليات

كل

كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاى والذال (ان الهكم لواحد) جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعنى قوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان أو خبر لمبتدا محذوف أي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها وأما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما (انا زينا السماء الدنيا) أي القربى منكم (بزينة) عجيبة بديعة (الكواكب) بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بأنفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأى زينة وقرئ بالاضافة على أنها بيانية لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز أن يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا وأما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بأن زانت الكواكب اياها وأصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسنها وأصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأى العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة وأشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك (وحفظا) منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى (لا يسمعون الى الملأ الاعلى) كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في أثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على أن يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت من قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا ثم يحذف أن ويهدر عملها كما في قول من قال (ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى) لما أن كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فأما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة وعنه أشراف الملائكة عليهم الصلاة والسلام أي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) علة للقذف أي للدحور وهو الطرد أو حال بمعنى مدحورين أو مصدر مؤكد لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال أي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز أن يكون مصدرا كالقبول والولوع (ولهم عذاب واصب) أي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير (الا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف (فأتبعه شهاب) أي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء (ثاقب) مضيء في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخبلهم وانما يعود من يسلم منهم حيا طمعا في السلامة ونيل المراد

كراكب السفينة (فاستفتهم) فاستخبر مشركى مكة (أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب خلقا وأشق ايجادا (أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب (بل عجبت) أى من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث (ويسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتى وكثرة مخلوقاتى الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ وقيل انه مقدر بالقول أى قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا) أى ودأبهم المستمر أنهم اذا وعظوا بشئ من المواعظ (لا يذكرون) لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (واذا رأوا آية) أى معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وقالوا ان هذا) أى ما يرونه من الآيات الباهرة (الا سحر مبين) ظاهر سحريته (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) أى كان بعض أجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون فى قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) أى نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة فى أئنا للمبالغة والتشديد فى ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط (أو آباؤنا الاولون) رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه أى وآباؤنا الاولون أيضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير فى مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفى فى قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا وأياما كان مرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم وقرئ أو آباؤنا (قل) تبكيتا لهم (نعم) والخطاب فى قوله تعالى (وأنتم داخرون) لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أى كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى لغة فيه (فانما هى زجرة واحدة) هى اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر أو تعليل لنهى مقدر أى اذا كان كذلك فانما هى الخ أو لا تستصعبوه فانما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وهى النفخة الثانية (فاذا هم) قائمون من مراقدهم أحياء (ينظرون) يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أى المبعوثون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر (يا ويلنا) أى هلاكنا احضر فهذا أوان حضورك وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أى اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضا وقوله تعالى (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا) خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم (وأزواجهم) أى أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام ونحوها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

الآية

الآية الكريمة وأنت خبير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جىء به لتعليل الحكم بما فى حيز صلته
فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم الى صراط الجحيم) أى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم
(وقفوهم) احبسوهم فى الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمروا بذلك
وعلل بقوله تعالى (انهم مسئولون) ايذانا من أول الامر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير
العذاب فى الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم
بل عما ينطق به قوله تعالى (مالكم لا تناصرون) بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أى لا ينصر بعضكم
بعضا كما كنتم تزعمون فى الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة
الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون
ولا تناصرون بالادغام (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل
عليهم او أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وأقبل) حينئذ (بعضهم على بعض)
هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة
والجدال (قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل
قالوا أى الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء (انكم كنتم تأتوننا) فى الدنيا (عن اليمين) عن أقوى الوجوه
وأمتنها او عن الدين او عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى
هو أشرف الجانبين وأقواهما وأنفعهما ولذلك سمى يمينا ويتيمن بالسانح أو عن القوة والقسر فتقسروننا على
الغى وهو الاوفق للجواب أو عن الحلف حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق (قالوا) استئناف كما سبق
أى قال الرؤساء او القرناء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم
عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه (وما كان لنا عليكم من سلطان) من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم
(بل كنتم قوما طاغين) مختارين للطغيان مصرين عليه (فحق علينا) أى لزمنا وثبت علينا (قول ربنا)
وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (انا لذائقون) أى العذاب الذى ورد به الوعيد
(فأغويناكم) فدعوناكم الى الغى دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغى على الرشد
(انا كنا غاوين) فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا فى الغواية
(فانهم) أى الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) حسبما كانوا مشتركين فى الغواية
(انا كذلك) أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية (نفعل بالمجرمين) المتناهين
فى الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم) بطريق الدعوة
والتلقين (لا اله الا الله يستكبرون) عن القبول (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء
بالحق وصدق المرسلين) رد عليهم وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان
وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة (انكم) بما فعلتم من
الاشراك وتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والاستكبار (لذائقو العذاب الاليم) والالتفات لاظهار
كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله (ولا ذاكر الله الا قليلا) وقرئ لذائقون
العذاب على الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات
او الا بما كنتم تعملونه منها (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من ضمير ذائقو وما بينهما اعتراض
جىء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلا وجعله
استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون
أضعافا مضاعفة مما لا وجه له أصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين
فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقو العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك
وقوله تعالى (أولئك) اشارة اليهم للايذان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادة الله تعالى
عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) اما خبر له وقوله تعالى

(رزق) مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبره قدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدا وقوله تعالى (معلوم) أى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى (فواكه) اما بدل من رزق أو خبر مبتدا مضمر أى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أى ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من أتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها (وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرئ مكرّمون بالتشديد (فى جنات النعيم) أى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن فى مكرمون أو خبر ثان لاولئك وقوله تعالى (على سرر) محتمل للحالية والخبرية فقوله تعالى (متقابلين) حال من المستكن فيه أو فى مكرمون وقوله تعالى (يطاف عليهم) اما استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس أنسهم أو حال من الضمير فى متقابلين أو فى أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون (بكأس) باناء فيه خمر أو بخمر فان الكأس تطلق على نفس الخمر كما فى قول من قال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

(من معين) متعلق بمضمر هو صفة لكأس أى كائنة من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها تجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال تعالى وأنهار من خمر (بيضاء لذة للشاربين) صفتان أيضا لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة كأنها نفس اللذة أو لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد به النوم

(لا فيها غول) أى غائلة كما فى خمور الدنيا من غاله اذا افسده وأهلكه ومنه الغول (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنفى مع اندراجه فيما قبله من نفى الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاى من أنزف الشارب اذا نفد عقله أو شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف بضم الزاى فيهما (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين (كأنهن بيض مكنون) شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فان ذلك أحسن ألوان الابدان (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف أى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضى للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما (قال قائل منهم) فى تضاعيف محاوراتهم (انى كان لى) فى الدنيا (قرين) مصاحب (يقول) لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث (أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه أى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد انكار الجزاء المبنى على انكار البعث (قال) أى ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة

قرينه فى الدنيا (هل أنتم مطلعون) أى الى أهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل ان فى الجنة كوى ينظر منها أهلها الى أهل النار (فاطلع) أى عليهم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى فى وسطها وقرئ فأطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فأطلع انا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ماعرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط فى اطلاعه اطلاعهم كما هو ديدن الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله (هم الفاعلون الخير والآمرونه) أو شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخى (قال) أى القائل مخاطبا لقرينه (تالله ان كدت لتردين) أى لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هى المخففة من انّ وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف واللام فارقة أى تالله انّ الشان كدت لتردين (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) أى من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك وقوله تعالى (أفما نحن بميتين) رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما أتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين (الا موتتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لا يعلمون أنهم لا يموتون فاذا جىء بالموت على صورة كبش أملح فذبح ونودى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها (وما نحن بمعذبين) كالكفار فان النجاة من العذاب أيضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها (ان هذا) أى الامر العظيم الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضا يحتمل أن يكون من كلام رب العزة (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) أصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز أى أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلا أم شجرة الزقوم التى حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا أنها فى النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويتلذذ بها أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة فى أصل الجحيم (طلعها) أى حملها الذى يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له فى الشكل والطلوع من الشجر قالوا أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر (كأنه رؤس الشياطين) فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها أعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين (فانهم لآكلون منها) أى من الشجرة أو من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب (ثم ان لهم عليها) على الشجرة التى ملؤا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز أن تكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم) لشرابا من غساق

قوله كقوله هم الفاعلون الخ تمامه كما فى بعض النسخ
اذا ما خشوا من محدث الدهر معظما
اهـ

قوله فلا موت فى بعض النسخ بلا موت بالموحدة فى الموضعين
اهـ

أو صديد مشوب بماء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به (ثم ان
مرجعهم) أي مصيرهم وقد قرئ كذلك (لالى الجحيم) لالى دركاتها أو الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم
قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها و بين حميم
آن يذهب بهم عن مقارّهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى أن يتملؤا ثم يسقون من الحميم
ثم يردون الى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم ان منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين) تعليل لاستحقاقهم ماذكر من
فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به أصلا أي وجدوهم ضالين
في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل (فهم على آثارهم يهرعون) من غير أن
يتدبروا أنهم على الحق أولا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون
ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة (ولقد ضل قبلهم) أي قبل قومك
قريش (أكثر الاولين) من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم
منذرين) أي أنبياء أولي عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبته الوخيمة
وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من
الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل
أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم أهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى منهم المخلصون
بقوله تعالى (الا عباد الله المخلصين) اى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب
الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى (ولقد نادانا نوح) نوع تفصيل
لما أجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما
أشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان
حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما أشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام
ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما في قوله تعالى
(فلنعم المجيبون) أي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه أحقابا ودهورا فلم يزدهم
دعاؤه الا فرارا ونفورا فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر
عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغرق وقيل من أذية قومه
(وجعلنا ذريته هم الباقين) فحسب حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير أبنائه وأزواجهم أو هم الذين بقوا متناسلين الى يوم
القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو
العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج
(وتركنا عليه في الآخرين) من الامم (سلام على نوح) أي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك
قرأت سورة أنزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام أمة بعد أمة وقيل ثمة قول مقدر أي
فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى (في العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات
هذه التحية واستمرارها أبدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي
المحسنين) تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه أحسن اجابة وابقاء
ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين
فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت
جزاء له عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته
في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها أي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان
لا جزاء أدنى منه وقوله تعالى (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال
ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى (ثم أغرقنا الآخرين) أي المغايرين لنوح وأهله وهم
كفار قومه أجمعين (وان من شيعته) أي ممن شايعه في أصول الدين (لابراهيم) وان اختلفت فروع

شرائعهما ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى أو أكثرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل
دينه وعلى سنته أو ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح
عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (اذ جاء ربه) منصوب باذكر أو متعلق
بما فى الشيعة من معنى المشايعة (بقلب سليم) أى من آفات القلوب أو من العلائق الشاغلة عن التبتل
الى الله عز وجل ومعنى المجىء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل (اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون) بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو لسليم أى أى شئ تعبدونه (أئفكا آلهة دون الله تريدون)
أى أتريدون آلهة من دون الله افكا أى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به
لان الاهم مكافحتهم بأنهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا به بمعنى أتريدون افكا
ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها افك فى نفسها للمبالغة أو يراد بها عبادتها بحذف
المضاف ويجوز أن يكون حالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) أى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه
ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أخس مخلوقاته أو فما ظنكم به أى شئ هو من الاشياء حتى
جعلتم الاصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم من الاشراك به
(فنظر نظرة فى النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر
ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت (فقال انى سقيم) وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه
عن عيدهم وقيل أراد انى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها أو فى كتبها أو فى أحكامها ولا منع من ذلك
حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام ايهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم
ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فأوهمهم أنه قد استدل بأمارة فى علم النجوم على أنه سقيم أى مشارف للسقم
وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم
وتركوه فى بيت الاصنام وذلك قوله تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى هاربين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم)
أى ذهب اليها فى خفية وأصله الميل بحيلة (فقال) للاصنام استهزاء (ألا تأكلون) أى من الطعام الذى كانوا
يصنعونه عندها للتبرك عليه (ما لكم لا تنطقون) أى بجوابى (فراغ عليهم) فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى
(ضربا باليمين) مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم أو لفعل مضمر هو حال من فاعله أى فراغ عليهم يضربهم
ضربا أو هو الحال منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى فراغ عليهم ضاربا باليمين أى ضربا شديدا قويا وذلك
لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية
الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم
(فأقبلوا اليه) أى المأمورون باحضاره عليه الصلاة والسلام بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام
فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا أنه عليه الصلاة والسلام فعله فقيل فأتوا به (يزفون) حال
من واو أقبلوا أى يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من أزف اذا دخل فى الزفيف أو من أزفه أى حمله
على الزفيف أى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف
اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عليه الصلاة والسلام (قال) أى
بعد ما أتوا به عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى
قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون (أتعبدون ما تنحتون)
ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار
والتوبيخ أى والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها
وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد والاسباب
وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بأن مخلوقيتها لله عز وجل ليس من
حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر أعمالهم أيضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه

فينتظم الاصنام انتظاما أوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية أى عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) أى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى شدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه أى جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له فى سورة الانبياء (فأرادوا به كيدا) فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة وألقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه عليه الصلاة والسلام بجعل النار عليه بردا وسلاما (وقال انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى حيث أمرنى ربى كما قال انى مهاجر الى ربى وهو الشام أو الى حيث أتجرد فيه لعبادته تعالى (سيهدين) أى الى ما فيه صلاح دينى أو الى مقصدى وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولذلك أتى بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) أى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا ولقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) فانه صريح فى أن المبشر به عين ما استوهبه عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه غلام وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأى حلم يعادل حلمه عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد أعدل بينة بذلك والفاء فى قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر فى قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وفى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده أى فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه فى أشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعى لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا بيلغ لان بلوغهما لم يكن معا كأنه لما ذكر السعى قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب أكمل فى الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل أوانه أو لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة (قال) أى ابراهيم عليه السلام (يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك) أى أرى هذه الصورة بعينها أو ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فمن ثمة سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك هذا والاظهر الاشهر أن المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذى وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل عليه السلام والآخر أبوه عبد الله فان عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى من أن يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى بفتح الياء فيهما (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو أمر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء أو بفتحها مبنيا للمفعول (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى تؤمر به فحذف الجار أولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد

الى الموصول بعد انتقاله منصوبا بايصاله الى الفعل أو حذفا دفعة أو افعل أمرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على أن الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله تعالى (فلما أسلما) أى استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله وأسلم له منقولان منه ومعناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضى الله عنه فى أسلما أسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو أحد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل فى المنحر الذى ينحر اليوم فيه (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص عن غيره أو المحنة البينة الصعوبة اذ لا شئ أصعب منها (وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل (عظيم) أى عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى وأى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة فى الرمى وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى فى الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء او الاسناد (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم) قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح عليه السلام (كذلك نجزى المحسنين) ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما أشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا (انه من عبادنا المؤمنين) الراسخين فى الايمان على وجه الايقان والاطمئنان (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أى مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق أى بأن يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه الصلاة والسلام وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء الى أنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله أو لنفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على أن النسب لا تأثير له فى الهداية والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب (ولقد مننا على موسى وهرون) أى أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها

من النعم الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان الغشم والعذاب كما في قوله تعالى واذ أنجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة (ونصرناهم) أى اياهما وقومهما على عدوهم (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما فى أسرهم وقسرهم مقهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها (وآتيناهما) بعد ذلك (الكتاب المستبين) أى البليغ فى البيان والتفصيل وهو التوراة (وهديناهما) بذلك (الصراط المستقيم) الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون) أى أبقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل (انا كذلك) الجزاء الكامل (نجزى المحسنين) الذين هما من جملتهم لاجزاء قاصرا عنه (انهما من عبادنا المؤمنين) سبق بيانه (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة (اذ قال لقومه ألا تتقون) أى عذاب الله تعالى (أتدعون بعلا) أتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشأم وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) أى وتتركون عبادته وقد أشير الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم أيضا (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبهم ذلك (لمحضرون) أى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على أن الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الا عباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) هو لغة فى الياس كسيناء فى سينين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمنابن وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه) أى اذكر وقت تنجيتنا اياه (وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب أو الماضين الهالكين (ثم دمرنا الآخرين) فان فى ذلك شواهد على جلية أمره وكونه من جملة المرسلين (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم فى متاجركم الى الشأم وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم فى طريق الشأم (مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء (أفلا تعقلون) أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن المرسلين) وقرئ بكسر النون (اذ أبق) أى هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون) أى المملوء (فساهم) فقارع أهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو مليم) داخل فى الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب

(فلولا أنه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة فى الرخاء (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ بيده عند الضراء (فنبذناه بالعراء) بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه روى عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) أى فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به والاكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وقيل هى التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها (وأرسلناه الى مائة ألف) هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به ارساله السابق أخبر أولا بأنه من المرسلين على الاطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل الى أمة جمة وكأن توسيط تذكير وقت هربه الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم أن ايمانهم الذى سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر (أو يزيدون) أى فى مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) أى بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا (فمتعناهم) أى بالحياة الدنيا (الى حين) قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة (فاستفتهم) أمر الله عز وجل فى صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الاولين وأنه تعالى أرسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا فى كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص وأخرى بالايمان ثم أمره عليه الصلاة والسلام ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم أبطل أصل كفرهم المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه فى سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى فى ذلك أى فاستخبرهم (ألربك البنات) اللاتى هن أوضع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شئ من العقل وقوله تعالى (أم خلقنا الملائكة اناثا) اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما أشير اليه أى بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع اناثا والانوثة

من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى (وهم شاهدون) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم فان أمثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا أى بل أخلقناهم اناثا والحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أى بل أهم شاهدون وقوله تعالى (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) استئناف من جهته غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعا (وانهم لكاذبون) فى قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولدُ الله على أنه خبر مبتدإ محذوف أى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين) اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشئ لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أى الكاذبون فى قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد (مالكم كيف تحكمون) بهذا الحكم الذى يقضى ببطلانه بديهة العقل (أفلا تذكرون) بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أى ألا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مركوز فى عقل كل ذكى وغبى (أم لكم سلطان مبين) اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أى بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلى (فأتوا بكتابكم) الناطق بصحة دعواكم (ان كنتم صادقين) فيها وفى هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيك عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أى وبالله لقد علمت الجنة التى عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم فى قولهم ذلك والمراد به المبالغة فى التكذيب ببيان أن الذين يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازى وهذا القول عندى أقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن فى استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز أن يكون الضمير فى انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء فى استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله (سبحان الله عما يصفون) حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم اياهم فى ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى (الا عباد الله المخلصين) شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئتهم منه بحكم اندراجهم فى زمرة

المخلصين

المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين) تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته أى أفسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم (الا من هو صال الجحيم) منهم أى داخلها لعلمه تعالى بأنه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم فى وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى (وما منا الا له مقام معلوم) تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم فى موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقمائتهم أى وما منا أحد الا له مقام معلوم فى العبادة والانتهاء الى أمر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روى فنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدى الا له مقام معلوم فى القربة والمشاهدة (وانا لنحن الصافون) فى مواقف الطاعة ومواطن الخدمة (وانا لنحن المسبحون) المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز أن صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذى تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر فى تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه أخر فتأمل والله الموفق (وان كانوا ليقولون) ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام هى الفارقة أى ان الشان كانت قريش تقول (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) أى لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من احدى الامم والفاء فى قوله تعالى (فكفروا به) فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فجاءهم ذكر وأى ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به (فسوف يعلمون) أى عاقبة كفرهم وغائلته (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه أى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى (انهم لهم المنصورون وان جندنا) وهم أتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم فى الدنيا والآخرة ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد فان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لانتظامها فى معنى واحد وقرئ كلماتنا (فتول عنهم) فأعرض عنهم واصبر (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على اسوإ حال وأفظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه (فسوف يبصرون) ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد (أفبعذابنا يستعجلون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل (فاذا نزل بساحتهم) أى فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل أى نزل العذاب (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت

قوله المبيت بصيغة اسم الفاعل المتردد من بيت العدو اذا سار ليلا ليهجم عليهم وهم فى غفلاتهم فى الصباح كذا فى الشهاب اهـ مصححه

لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة فى الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع مافى اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بأن مايبصره عليه الصلاة والسلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من أنواع المضار لايحيط به الوصف والبيان وقيل أريد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) تنزيه لله سبحانه عن كل مايصفه المشركون به مما لايليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر فى السورة الكريمة ومالم يذكر من الامور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لاسيما فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام أولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التى منها ترك النصرة لك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى (وسلام على المرسلين) تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بأنهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التى من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بأن ماوعده عليه الصلاة والسلام من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسايط بينهم وبينه عز وعلا فى فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع مافيه من الاشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد * عن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

## *(سورة ص مكية وآياتها ست او ثمان وثمانون آية)*

### *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(ص) بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذكر أو اقرأ لافتحا كما مر فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على أنه اسم الكتاب أو التنزيل وقيل هو فى قراءة الكسر أمر من المصاداة وهى المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذى ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه وتخلق بأخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدى او الرمز الى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف أو اسما للسورة خبر المبتدأ محذوف أو نصبا على اضمار اذكر أو اقرأ أو أمرا من المصاداة فالواو فى قوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) للقسم وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه فان أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان أريد عين السورة فهى اعتبارية كما فى قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وأياما كان ففى التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج اليه فى أمر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من أقاصيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الامم الدارجة

والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدى والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام أى أقسم بالقرآن أو بصاد وبه انه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيق بالاعظام وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره أى انه لصادق والقرآن ذى الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) اضرابا عن ذلك كأنه قيل لاريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم فى استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لايذعنون له وقيل الجواب مادل عليه الجملة الاضرابية أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادى الايمان ودواعيه (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا أهلكنا من القرون الخالية (فنادوا) عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى (ولات حين مناص) حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أى فوت ونجاة من ناصه أى فاته لامن ناص بمعنى تأخر ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفى الاحيان ولم يبرز الا أحد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وحين مناص منصوب على أنه اسمها أى ولا حين مناص لهم أو بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف أى وليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثانى مبتدأ محذوف الخبر أى ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما فى قوله

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج أولان أوان شبه باذ فى قوله

نهيتك عن طلابك أم عمرو * بعاقبة وأنت اذ صحيح

فى أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان أصله أوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريون بالتاء كالافعال وما قيل من أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم أى عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم فى الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الانكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون فى الكفر والفسوق (هذا ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال (أجعل الآلهة الها واحدا) بأن نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا لشئ عجاب) بليغ فى العجب وذلك لانه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لايدعون أن لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا فى حدوث شئ من الاشياء حتى يلزم من نفى ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو أبلغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء

وقد جئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملأ منهم) أي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه الصلاة والسلام في الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا عما كانوا يرجونه بتوسط أبي طالب من المصالحة على الوجه المذكور (أن امشوا) أي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا (واصبروا على آلهتكم) أي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وأن هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل أي اجتمعوا وا كثروا وقرئ امشوا بغير أن على اضمار القول وقرئ يمشون أن اصبروا (ان هذا لشيء يراد) تعليل للامر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال أمرها لشيء يراد أي من جهته عليه الصلاة والسلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء القالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل أحد فتأمل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل (ما سمعنا بهذا) الذي يقوله (في الملة الآخرة) أي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة أو في الملة التي أدركنا عليها آباءنا ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من هذا أي ما سمعنا بهذا من أهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك أقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الامور قبل الظهور (ان هذا) أي ما هذا (الا اختلاق) أي كذب اختلقه (أأنزل عليه الذكر) أي القرآن (من بيننا) ونحن رؤساء الناس وأشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي (بل هم في شك من ذكري) أي من القرآن أو الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر وأخرى الى الاختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) أي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤن حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز أي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) ترشيح لما سبق أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى (فليرتقوا في الاسباب) جواب شرط محذوف أي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى

يرتقوا

يستووا عليه ويدبروا أمر العالم و ينزلوا الوحى الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم مالاغاية وراءه والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها (جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب) أى هم جند تما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك أكلت شيأما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) الخ استئناف مقرر لمضمون ماقبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند تما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد فى الارض و يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة) أصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى (أولئك الاحزاب) اما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى (ان كل الا كذب الرسل) استئناف جىء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه أى ما كل أحد من آحاد أولئك الاحزاب أو ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأيا ما كان فالاستثناء مفرغ من أعم العام فى خبر المبتدا أى ما كل أحد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوم عليه بأنه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفى اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام أولا والايذان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى (فحق عقاب) أى ثبت ووقع على كل منهم عقابى الذى كانت توجبه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد أى ان كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ماقيل من أنه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاد الخ او قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله (وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب أضرابهم من الاحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفى الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لامرهم وأما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم فى علم الله عز وجل فليس فى حيز الاحتمال أصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء انما يتصور فى حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد وبعد ما بين عقاب الاحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وانما الذين فى مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب أو أشد منه ولما يلاقوا بعد شيأ من غوائلها أى وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة فى الكفر والتكذيب (الا صيحة واحدة) هى النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم و بين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع الا هى حيث أخرت عقوبتهم الى الآخرة لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبى عليه الصلاة والسلام

بين أظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الاولى فمما لا وجه له أصلا لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم (ما لها من فواق) أى من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة أى قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذى توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذى مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشئ من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أى عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان فى الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال (اصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أى قصته تهويلا لامر المعصية فى أعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصى فانه عليه الصلاة والسلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصى أو تذكر قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة (ذا الايد) أى ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى واياد كل شئ ما يتقوى به (انه أواب) رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على أن المراد به القوة فى الدين فانه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته فى الدين وأوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما أشير اليه فى سورة الانبياء من أن تسخير الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها اليه عليه الصلاة والسلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه الصلاة والسلام والاقتداء به فى عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة الى ما فى سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (يسبحن) أى يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال أو استئناف مبين لكيفية التسخير (بالعشى والاشراق) أى ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير) عطف على الجبال (محشورة) حال من الطير والعامل سخرنا أى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له أواب) استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير أى كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دأبه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه فى المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحى فى اليقظة فأعلمه الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذنى بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أبا هذا غيلة فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه

قوله فلان ايد اى كسيد وذو ايد بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية وآد بمد الهمزة واياد بكسر الهمزة اه

وعظمت هيبته فى القلوب (وآتيناه الحكمة) النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) أى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قدروعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما فى حيزه لايذانه بأنه من الانباء البديعة التى حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان (اذ تسوروا المحراب) اذ تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذرّاه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على أن المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وأن اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف أى قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا بأتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى (اذ دخلوا على داود) بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا (ففزع منهم) روى أنه تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله فى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضى الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير (قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه (لا تخف خصمان) أى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط أى لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) الى وسط طريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل (ان هذا أخى) استئناف لبيان ما فيه الخصومة أى أخى فى الدين أو فى الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولى نعجة بسكون الياء (فقال أكفلنيها) أى ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى أى نصيبى (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى أى غالبنى وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة فى انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه فى نعجة من ليس له غيرها مع أن له قطيعا منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم (وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليبغى) ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم على بعض) غير مراع لحق الصحبة والشركة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فانهم يتحامون عن البغى والعدوان (وقليل ما هم) أى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض (وظن داود أنما فتناه) الظن مستعار للعلم الاستدلالى لما بينهما من المشابهة الظاهرة أى علم بما جرى فى مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر أحدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه الصلاة والسلام أنه تعالى

ابتلاء وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو أثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام أنما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة أوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه أبلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا أداه الى الشعور بما هو الغرض كان أوقع في نفسه وأعظم تأثيرا في قلبه وأدعى الى التنبه للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه الصلاة والسلام بترك المجاهرة والاشعار بأنه أمر يستحيي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه الصلاة والسلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على أن أوريا بصدد الخصام (فاستغفر ربه) اثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب (وخر راكعا) أي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه أو خر للسجود راكعا أي مصليا كأنه أحرم بركعتي الاستغفار (وأناب) أي رجع الى الله تعالى بالتوبة * وأصل القصة أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا فمال قلبه اليها فسأله أن يطلقها فاستحيى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين أمته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا أنه عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه أن يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام أهلها فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا وأما ما يذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا أن يقتلوه عليه الصلاة والسلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه الصلاة والسلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به وأناب (فغفرنا له ذلك) أي ما استغفر منه وروي أنه عليه الصلاة والسلام بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له سار به فهزمه (وان له عندنا لزلفى) لقربة وكرامة بعد المغفرة (وحسن مآب) حسن مرجع

في الجنة (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) إما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل وإما مقول قول مقدر هو معطوف على غفرنا أو حال من فاعله أي وقلنا له أو قائلين له يا داود الخ أي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على أن حاله عليه الصلاة والسلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله تعالى فإن الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما (ولا تتبع الهوى) أي هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) بالنصب على أنه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين أي فيكون الهوى أو اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى (إن الذين يضلون عن سبيل الله) تعليل لما قبله ببيان غائلته وإظهار سبيل الله في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بكمال شناعة الضلال عنه (لهم عذاب شديد) جملة من خبر ومبتدإ وقعت خبرا لإن أو الظرف خبر لإن وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار (بما نسوا) بسبب نسيانهم وقوله تعالى (يوم الحساب) إما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الإشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه أعني الضلال عن سبيل الله تعالى فإنه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من أفراده أو ظرف لقوله تعالى لهم أي لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته أن يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فإن تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) كلام مستأنف مقرر لما قبله من أمر البعث والحساب والجزاء أي وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا أي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا أودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وأنفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الألطاف بل أرسلنا إليها رسلا وأنزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وأزحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها (ذلك) إشارة إلى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا (ظن الذين كفروا) أي مظنونهم فإن جحودهم بأمر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (فويل للذين كفروا) مبتدأ وخبر والفاء لإفادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصول موضع ضميرهم للإشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لأن ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى (من النار) تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الإشعار بعلية ما يؤدي إليها من ظنهم وكفرهم أي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) أم منقطعة وما فيها من بل للإضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من إنكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أي بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الأولين إلى أعلى عليين ورد الآخرين إلى أسفل سافلين وقوله تعالى (أم نجعل المتقين كالفجار) إضراب وانتقال عن إثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالة وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين

الاوّلين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل فى انكار التسوية من الوصفين الاوّلين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت (كتاب) خبر مبتدإ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى (أنزلناه اليك) صفته وقوله تعالى (مبارك) خبر ثان للمبتدإ أو صفة لكتاب عند من يجوّز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على أنه حال من مفعول أنزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى (ليدبروا آياته) متعلق بأنزلناه أى أنزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعانى الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمتك بحذف احدى التاءين (وليتذكر أولوا الالباب) أى وليتعظ به ذووا العقول السليمة أو ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) وقرئ نعم العبد أى سليمان كما ينبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى (انه أوّاب) أى رجاع الى الله تعالى بالتوبة أو الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما أن الضمير المجرور فى قوله تعالى (اذ عرض عليه) راجع اليه عليه الصلاة والسلام قطعا واذ منصوب باذكر أى اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه (بالعشىّ) هو من الظهر الى آخر النهار (الصافنات) فانه يشهد بأنه أوّاب وقيل ظرف لاوّاب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مرّ مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يتفق الا فى العراب الخلص وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما وأما الذى يقف على سنبكه فهو المتخيم (الجياد) جمع جواد وجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية أى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل هو جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقى مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره (فقال انى أحببت حبّ الخير عن ذكر ربى) قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحببت أن يعدّى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدّى تعديته وحبّ الخير مفعوله كأنه قيل أنبت حبّ الخير عن ذكر ربى ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقرئ انى (حتى توارت بالحجاب) متعلق بقوله أحببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أى أنبت حبّ الخير عن ذكر ربى واستمرّ ذلك حتى توارت أى غربت الشمس تشبيها لغروبها فى مغربها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشىّ عليها وقيل الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل أى بظلامه (ردّوها علىّ) من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم أنه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل قال ردّوها فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فطفق مسحا) فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر أى فردّوها عليه فأخذ يمسح السيف مسحا (بالسوق والاعناق) أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته أى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤق على همز الواو لضمتها كما فى أدؤر وقرئ بالسؤوق تنزيلا لضمة السين

منزلة

منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أظهر ما قيل فى فتنته عليه الصلاة والسلام ما روى مرفوعا أنه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب بنتا له تسمى جرادة من أحسن الناس فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فأنكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام عن حال أهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره (قال) بدل من أناب وتفسير له (رب اغفر لى) أى ما صدر عنى من الزلة (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى فانه عليه الصلاة والسلام لما نشأ فى بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أو لا ينبغى لاحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة أو لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين وكون ذلك أدخل فى الاجابة وقرئ لى بفتح الياء (انك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة أيضا من أحكام وصف الوهابية قطعا (فسخرنا له الريح) أى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد أمره عليه الصلاة والسلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح (تجرى بأمره) بيان لتسخيرها له (رخاء) أى لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد (حيث أصاب) أى حيث قصد وأراد حكى الاصمعى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين (وآخرين مقرنين فى الاصفاد) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل كأنه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل أجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز أن يكون الاقران فى الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعد وقوله تعالى (هذا) الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شأن ما أوتى من الملك وأنه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا أو حال من فاعله كما مر فى خاتمة قصة داود عليه السلام أى وقلنا له أو قائلين له هذا الامر الذى أعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك (عطاؤنا) الخاص بك (فامنن أو أمسك) فأعط من شئت وامنع

من شئت (بغير حساب) حال من المستكن فى الامر أى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق أو من العطاء أى هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته أو صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد (وان له عندنا لزلفى) فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا (وحسن مآب) هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى فى تاريخه أن سليمان عليه السلام ورث ملك أبيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى أن وافى بلاد فارس فنزلها أياما ثم عاد الى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى أعلم (واذكر عبدنا أيوب) عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وأيوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام (اذ نادى ربه) بدل اشتمال من عبدنا وأيوب عطف بيان له (أنى) بأنى (مسنى الشيطان) بفتح ياء مسنى وقرئ باسكانها واسقاطها (بنصب) أى تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل (وعذاب) أى ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر فى قوله انى مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للادب أو لانه وسوس الى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه الصلاة والسلام بل من جملته قوله وأنت أرحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما فى سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى (اركض برجلك) الخ اما حكاية لما قيل له أو مقول لقول مقدر معطوف على نادى أى فقلنا له اركض برجلك أى اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى (هذا مغتسل بارد وشراب) فانه أيضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء أو مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى (ووهبنا له أهله) معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما فى سورة الانبياء ووهبنا له أهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) عطف على أهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا (وذكرى لاولى الالباب) ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة (وخذ بيدك ضغثا) معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير قلنا أى وقلنا خذ بيدك الخ والاول أقرب لفظا وهذا أنسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر وقال (فاضرب به) أى بذلك الضغث (ولا تحنث) فى يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة اما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب (انا وجدناه صابرا) فيما أصابه فى النفس والاهل والمال وليس فى شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء على أنه قال

ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى مناجاته الهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى ما ملكت يمينى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) أى أيوب (انه أوّاب) تعليل لمدحه أى رجاع الى الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا امّا على أن ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار أعنى والباقيان عطف على عبدنا وامّا على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع (أولى الايدى والابصار) أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أو أولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لانّ أكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها أقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين أنهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمّل مع تمكنهم منهما وقرئ أولى الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ أولى الايادى على جمع الجمع (انا أخلصناهم بخالصة) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلوّ الرتبة فى العلم والعمل أى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمى وقوله تعالى (ذكرى الدار) بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم أى تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لانّ مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم فى كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عزوجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا فى الآخرة وقيل أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بأنها الدار فى الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى أى بما خلص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكراها بهمّ آخر أصلا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير والاخيار جمع خير كشرّ وأشرار وقيل جمع خير أو خير مخفف منه كاموات فى جمع ميت وميت (واذكر اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما فى قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن أصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم أعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع (وذا الكفل) هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فرّ اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة (وكل) أى وكلهم (من الاخيار) المشهورين بالخيرية (هذا) اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم (ذكر) أى شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبدا أو نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على أنباء الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى (وان للمتقين لحسن مآب) شروع فى بيان أجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين امّا الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أوّليا وامّا نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التى هى الغاية القاصية من الكمال (جنات عدن) عطف بيان لحسن مآب عند من يجوّز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح وقوله تعالى (مفتحة لهم الابواب) حال من جنات عدن والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها امّا ضمير مقدر كما هو رأى البصريين أى الابواب منها أو الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين اذ الاصل أبوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران لمحذوف أى هى جنات عدن هى مفتحة (متكئين فيها) حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضا حال مما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة

للايذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) أي على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (أتراب) لدات لهم فان التحاب بين الاقران أرسخ أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم (ان هذا) أي ما ذكر من ألوان النعم والكرامات (لرزقنا) أعطيناكموه (ماله من نفاد) انقطاع أبدا (هذا) أي الامر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى (وان للطاغين لشر مآب) شروع في بيان أضداد الفريق السابق (جهنم) اعرابه كما سلف (يصلونها) أي يدخلونها حال من جهنم (فبئس المهاد) وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى واياي فارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره (حميم وغساق) وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف أي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين (وآخر من شكله) أي ومذوق آخر أو عذاب آخر من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ وأخر أي ومذوقات أخر أو أنواع عذاب أخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع الى الغساق (أزواج) أي أجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشئ بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى (لا مرحبا بهم) من اتمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة للفوج أو حال منه أي مقول أو مقولا في حقهم لا مرحبا بهم أي لا أتوا مرحبا أو لا رحبت بهم الدار مرحبا (انهم صالوا النار) تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم (بل أنتم لا مرحبا بكم) الخ على الوجهين الاخيرين ظاهر وأما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الخ قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أي بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قلتم وقوله تعالى (أنتم قدمتموه لنا) تعليل لاحقيتهم بذلك أي أنتم قدمتم العذاب او الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في أعيننا واغرائنا عليها لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا (فبئس القرار) أي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم (قالوا) أي الاتباع أيضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا أي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي عذابا مضاعفا أي ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي (وقالوا) أي الطاغون (ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم (أتخذناهم سخريا) بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على أنفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم (أم زاغت عنهم الابصار) متصل بأتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وان أبصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخا لها

أو على أنها منقطعة والمعنى أتخذناهم سخريا بل أزاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالا فقوله تعالى أم زاغت متصل بقوله مالنا لانرى والمعنى مالنا لانراهم فى النار أليسوا فيها فلذلك لانراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين (ان ذلك) أى الذى حكى من أحوالهم (لحق) لابد من وقوعه البتة وقوله تعالى (تخاصم أهل النار) خبر مبتدإ محذوف والجملة بيان لذلك وفى الابهام أولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرئ بالنصب على أنه بدل من ذلك وما قيل من أنه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لايوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل (قل) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (انما أنا منذر) من جهته تعالى أنذركم عذابه (وما من اله) فى الوجود (الا الله الواحد) الذى لايقبل الشركة والكثرة أصلا (القهار) لكل شئ سواه (رب السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزيز) الذى لايغلب فى أمر من أموره (الغفار) المبالغ فى المغفرة يغفر مايشاء لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين مالا يخفى وتثنية مايشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه (قل) تكرير الامر للايذان بأن المقول أمر جليل له شأن خطير لابد من الاعتناء به أمرا وائتمارا (هو) أى ما أنبأتكم به من أنى منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لاشريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر أنه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا أوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة (نبأ عظيم) وارد من جهته تعالى وقوله تعالى (أنتم عنه معرضون) استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان أنهم لايقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة أخرى لنبأ وقوله تعالى (ما كان لى من علم بالملإ الاعلى) الخ استئناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبإ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحى من عند الله تعالى وأن سائر أنبائه أيضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى (اذ يختصمون) متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفى علمه عليه الصلاة والسلام بحالهم لابذواتهم والتقدير ما كان لى فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملإ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال أيضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحى فلابد من اعتبار العموم فى نفيه أيضا لامحالة وقوله تعالى (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين) اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعيينا لسببه الا أن بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه الصلاة والسلام بشئ من مباديه المعهودة تعين أنه ليس الا بطريق الوحى حتما فجعل ذلك أمرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبار ما هو داع الى الوحى ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما أنا منذر فى ضمن تحقيق علمه عليه الصلاة والسلام بقصة الملإ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر أو ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الى حال الملإ الاعلى أو ما يوحى الى ما يوحى من الامور الغيبية التى من جملتها حالهم الا لانما أنا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعى الوحى اليه ومن موجباته حتما وأما أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور أو هو أنما أنا نذير مبين بلا تقدير الجار وأن المعنى ما يوحى الى الا للانذار أو ما يوحى الى الا أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف فى توجيه قصر الوحى على كونه للانذار فى الاول وقصره على الانذار فى الثانى فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر على

الحكاية وقوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة) شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه والايذان بأن وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه الصلاة والسلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه أدل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم الخ دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه داخل في حيز الامر (اني خالق) أي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه (بشرا) قيل أي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية (من طين) لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع أخر (فاذا سويته) أي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه (ونفخت فيه من روحي) النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فاذا كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من أمري (فقعوا له) أمر من وقع وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريما (فسجد الملائكة) أي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة (كلهم) بحيث لم يبق منهم أحد الا سجد (أجمعون) أي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد أيضا وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح أو على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف (الا ابليس) استثناء متصل لما أنه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم أو لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم أو منقطع وقوله تعالى (استكبر) على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق أنه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله أي لكن ابليس استكبر (وكان من الكافرين) أي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله تعالى عز وجل (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أي خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة والسلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ (أستكبرت) بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل أي أتكبرت من غير استحقاق (ام كنت من العالين) المستحقين للتفوق وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها وقوله تعالى (قال أنا خير منه) ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بأنه لا يليق أن يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقوله تعالى (خلقتني من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه الصلاة والسلام ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك أمر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الارض

وأن له خواص ليست لغيره (قال فاخرج منها) الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل أى فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته فى سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التى كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى (فانك رجيم) تعليل للامر بالخروج أى مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب (وان عليك لعنتى) أى ابعادى عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها فى قوله تعالى وان عليك اللعنة لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضا من جهته تعالى وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هى أنموذج لما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على أنها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على أنه سيلقى يومئذ من ألوان العذاب وأفانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل ألا يرى الى قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضا (قال رب فأنظرنى) أى أمهلنى وأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أى اذا جعلتنى رجيما فأمهلنى ولا تمتنى (الى يوم يبعثون) أى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث (قال فانك من المنظرين) وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل واضح على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين أى انك من جملة الذين أخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين (الى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤل فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قول من قال فان ترحم فأنت لذاك أهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت فى سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ماذكر ههنا وفى سورة الحجر وان خطر ببالك أن كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى أحد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز وأما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه (قال فبعزتك) الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما أغويتنى وقوله رب بما أغويتنى فان اغواءه تعالى اياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من أحكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين أقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر أى فأقسم بعزتك (لاغوينهم أجمعين) أى ذرية آدم بتزيين المعاصى لهم (الا عبادك منهم المخلصين) وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى (قال) أى الله عز وجل (فالحق والحق أقول) برفع الاول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدا ونصب الثانى على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر أى لا أقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى فالحق قسمى (لاملأن جهنم) على أن الحق اما اسمه تعالى أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به أو فأنا الحق أو فقولى الحق وقوله تعالى لاملأن جهنم الخ حينئذ جواب لقسم محذوف أى والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة أعنى فقولى الحق وقرئا منصوبين على أن الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على أن الاول

مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (منك) أى من جنسك من الشياطين (وممن تبعك) فى الغواية والضلال (منهم) من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف عليه أى لاملأنها من المتبوعين والاتباع أجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم أجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر (قل ما اسألكم عليه) على القرآن أو على تبليغ ما يوحى الى (من أجر) دنيوى (وما أنا من المتكلفين) أى المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو) أى ما هو (الا ذكر) من الله عز وجل (للعالمين) أى للثقلين كافة (ولتعلمن نبأه) أى ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصر على ذنب صغير أو كبير وقال أبو أمامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم

## *(سورة الزمر مكية الا قوله قل لعبادى الآية وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(تنزيل الكتاب) خبر لمبتدا محذوف هو اسم اشارة أشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر فى قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة أو من الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول أوفى بمقتضى المقام الذى هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم والتعرض لوصفى العزة والحكمة للايذان بظهور أثريهما فى الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) شروع فى بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول أيضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال اى بسبب الحق واثباته واظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب أى أنزلناه اليك محقين فى ذلك أو أنزلناه ملتبسا بالحق والصواب أى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء فى قوله تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين) لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه الصلاة والسلام بالحق أى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل اليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص) استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى أى ألا هو الذى يجب أن يخص باخلاص الطاعة له لانه المتفرد بصفات الالوهية التى من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء) تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتى من الجملة المصدرة بان والاولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) حال بتقدير

القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ الصدر ملاق له فى المعنى أى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين مانعبدهم لشئ من الاشياء الاليقربونا الى الله تعالى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) أى و بين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أى بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة

فما كان بين الخير لوجاء سالما * أبو حجر الا ليال قلائل

أى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا (فيماهم فيه يختلفون) من الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق منهم صحة ما انتحله وحكمه تعالى فى ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين مانعبدهم الاليقربونا الى الله ان الله يحكم بينهم أى بين العبدة والمعبودين فيماهم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا فيحوجا الى الحكم والفصل وانما ذلك بين فريق الموحدين والمشركين فى الدنيا من الاختلاف فى الدين الباقى الى يوم القيامة وقرئ قالوا مانعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس فى الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ مانعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء (ان الله لا يهدى) أى لا يوفق للاهتداء الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب (من هو كاذب كفار) أى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن فى الضلالة والتمادى فى الغى والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ماقيل اندراجا أوليا أى لو أراد الله أن يتخذ ولدا (لاصطفى) أى لاتخذ (مما يخلق) أى من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه (ما يشاء) أن يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين أن اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه أشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذى تقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه أى لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لفعل شيأ ليس هو من اتخاذ الولد فى شئ أصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب فى أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكأنه قيل لو أراد الله أن يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على أنه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى (سبحانه) تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اى تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على أن السبحان مصدر من سبح اذا بعد أو أسبحه تسبيحا لائقا به على أنه علم للتسبيح مقول على ألسنة العباد أو سبحوه تسبيحا حقيقا بشأنه وقوله تعالى (هو الله الواحد القهار) استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضى بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة على تفرده

بما ذكر من الصفات الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فإن حدوث الليل والنهار في الأرض منوط بتحريك السموات أي يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد (وسخر الشمس والقمر) جعلهما منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى (كل يجري لأجل مسمى) بيان لكيفية تسخيرهما أي كل منهما يجري لمنتهى دورته أو منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة (ألا هو العزيز) الغالب القادر على كل شيء من الأشياء التي من جملتها عقاب العصاة (الغفار) المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها (خلقكم من نفس واحدة) بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للإيذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداءة بخلق الإنسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصالته في المعرفة فإن الإنسان بحال نفسه أعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله (ثم جعل منها زوجها) عطف على محذوف هو صفة لنفس أي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فإنهما وإن كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب للتعجب من السامع فعطفت على الأولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا أب وأم وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى (وأنزل لكم) بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أي قضى أو قسم لكم فإن قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ أو أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب (من الأنعام ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى هي الإبل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن كون الإنزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الأمور المهمة المشوقة إلى ما أنزل لا محالة وقوله تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم) استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطوارهم المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى (خلقا من بعد خلق) مصدر مؤكد أي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق أي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة (في ظلمات ثلاث) متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء أي ذلكم العظيم الشأن الذي عددت أفعاله (الله) وقوله تعالى (ربكم) خبر آخر أي مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به (له الملك) على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى (لا إله إلا هو) والفاء في قوله تعالى (فأنى تصرفون) لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى أي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية إلى عبادة غيره من غير داع إليها مع كثرة الصوارف عنها (إن تكفروا) به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر (فإن الله غني عنكم) أي فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما (ولا يرضى لعباده الكفر) أي عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم

قوله وكونه من الجهة العالية هذا لا يظهر إلا لو كان الظرف الثاني من السماء ولا وجود له في الآية وإنما الموجود فيها من الأنعام تأمل اهـ مصححه

لا لتضرره

لالتضرره تعالى به (وان تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لالانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لالكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء (ولا تزر وازرة وزر أخرى) بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره أصلا أى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى (ثم الى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت (فينبئكم) عند ذلك (بما كنتم تعملون) أى كنتم تعملونه فى الدنيا من أعمال الكفر والايمان أى يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا (انه عليم بذات الصدور) أى بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة (واذا مس الانسان ضر) من مرض وغيره (دعا ربه منيبا اليه) راجعا اليه مما كان يدعوه فى حالة الرخاء لعلمه بأنه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار (ثم اذا خوله نعمة منه) أى اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد أى جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به أو من الخول وهو الافتخار أى جعله يخول أى يختال ويفتخر (نسى ما كان يدعوا اليه) أى نسى الضر الذى كان يدعوا الله تعالى فيما سبق الى كشفه (من قبل) أى من قبل التخويل أو نسى ربه الذى كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على أن ما بمعنى من كما فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد واما ايذانا بأن نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن أن يعرفه من هو كما مر فى قوله تعالى عما أرضعت (وجعل لله اندادا) شركاء فى العبادة (ليضل) الناس بذلك (عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء أى يزداد ضلالا أو يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا أن هذا أقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله أنهما اضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلا (قل) تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله (تمتع بكفرك قليلا) أى تمتعا قليلا أو زمانا قليلا (انك من أصحاب النار) أى من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته (أمن هو قانت آناء الليل) الخ من تمام الكلام المأمور به وأم اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به أأنت أحسن حالا ومآلا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات فى ساعات الليل حالتى السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه (ساجدا وقائما) أى جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل فى معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يحذر الآخرة) حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجى لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أمن هو قانت الخ أفضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف (قل) بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور (والذين لا يعلمون) أى ما ذكر أو شيأ فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الاولين فى اعلى معارج الخير وكون الآخرين فى أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون وقوله تعالى (انما يتذكر أولوا الالباب) كلام مستقل غير داخل فى الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تأثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما فى قول من قال

عوجوا فحيوا النعمي دمنة الدار * ماذا تحيون من نؤى وأحجار

أى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر بأولى الالباب ايذانا بأنهم هم كما سيصرح به أى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين أمر الله أدخل فى ايجاب الامتثال به وقوله تعالى (للذين أحسنوا) تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان فى حيز الصلة دون التقوى للايذان بأنه من باب الاحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مر فى قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفى قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله تعالى (فى هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا أى عملوا الاعمال الحسنة فى هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (حسنة) أى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهى الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها أو حال من ضميرها فى الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له فى التفريط أصلا وقوله تعالى (انما يوفى الصابرون) الخ ترغيب فى التقوى المأمور بها وايثار الصابرين على المتقين للايذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة فى تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها أى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا فى مراعاة حقوقه لما اعتراهم فى ذلك من فنون الآلام والبلايا التى من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان (أجرهم) بمقابلة ما كابدوا من الصبر (بغير حساب) أى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وفى الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الاخلاص فى عبادة الله الذى هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة فى حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق فى الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضى الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما فى أردت لأن أقوم بدليل قوله تعالى وأمرت أن أكون أول من أسلم فالمعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومى أو أكون أول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه (قل انى أخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما أنتم عليه من الشرك (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهى والاهوال (قل الله أعبد) لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا (مخلصا له دينى) من كل شوب أمر عليه الصلاة والسلام أولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على أبلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه فى الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كى يحل بهم العقاب (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الذى هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) باختيارهم الكفر لهما أى أضاعوهما وأتلفوهما (يوم القيامة) حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدى وأوقعوهما فى هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا

من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور فى الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل فى الجنة وخسروا أهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وأياما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين فى الخسران بما ذكر بل بيان أنهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم أو عما هم مندرجون فيه اندراجا أوليا وما فى قوله تعالى (ألا ذلك هو الخسران المبين) من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه فى الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار) الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على أن لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والاظهر أنه حال من الضمير فى الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل أى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار (ومن تحتهم) أيضا (ظلل) أى أطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لآخرين بل لهم أيضا عند ترديهم فى دركاتها (ذلك) العذاب الفظيع هو الذى (يخوف الله به عباده) ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرحمة وقرئ يا عبادى (والذين اجتنبوا الطاغوت) أى البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت والمراد به هو الشيطان (أن يعبدوها) بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها (وأنابوا الى الله) وأقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا (لهم البشرى) بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الموصوفون بالاجتناب والانابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا فى الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل (أولئك) اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول أى أولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة (الذين هداهم الله) للدين الحق (وأولئك هم أولو الالباب) أى هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) بيان لاحوال أضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أنها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفى بمضمونيهما معا أى أأنت مالك أمر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من فى النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع فى النار وأن اجتهاده عليه الصلاة والسلام فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد فى دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل أولا أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل أفأنت تنقذ من فى النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذى يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن فى النار الذين قيل فى حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك منهم بقوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادى الذين آمنوا اتقوا

ربكم الآية وبين أن لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم أي لهم علالي بعضها فوق بعض (مبنية) بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في الرصانة والاحكام (تجري من تحتها) من تحت تلك الغرف (الانهار) من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد وأي وعد (لا يخلف الله الميعاد) لاستحالته عليه سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استئناف وارد اما لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآية أو للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى وأحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع في الارض) أي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار أي في ينابيع (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة (ثم يهيج) أي يتم جفافه ويشرف على أن يثور من منابته (فتراه مصفرا) من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرة كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج (ان في ذلك) اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه (لذكرى) لتذكيرا عظيما (لاولي الالباب) لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها أو يجزمون بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى أو شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روي أنه عليه الصلاة والسلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه الصلاة والسلام الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها (فهو) بموجب ذلك مستقر (على نور) عظيم (من ربه) وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) اى من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أي اذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله أي عن قبوله (أولئك) البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب (في ضلال) بعد عن الحق (مبين) ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وأبي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي جهل وذويه (الله نزل أحسن الحديث) هو القرآن الكريم روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ملوا ملة فقالوا له عليه الصلاة والسلام حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفى ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد استناده اليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على أنه وحى معجز مالا يخفى (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا أولا فان مساغ مجىء الحال من النكرة المضافة اتفاقى ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى (متشابها) أو لكونه فى قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه فى الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق فى المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه فى الفصاحة وتجاوب نظمه فى الاعجاز (مثانى) صفة أخرى لكتابا أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى فى التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما فى قوله تعالى فارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رأيت رجلا حسنا شمائل أى شمائله والمعنى متشابهة مثانيه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) قيل صفة لكتابا أو حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة فى سامعيه بعد بيان أوصافه فى نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى (ذلك) أى الكتاب الذى شرح أحواله (هدى الله يهدى به من يشاء) أن يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما فى تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى (ومن يضلل الله) أى يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلا أو ومن يخذل (فماله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذى ذكر من الخشية والرجاء أثر هداه تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل أى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فماله من هاد من مؤثر فيه بشئ قط (أفمن يتقى بوجهه) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالى المهتدى والضال والكلام فى الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذى مر فى نظيره والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يقى نفسه بوجهه الذى هو أشرف أعضائه (سوء العذاب) أى العذاب السيئ الشديد (يوم القيامة) لكون يده التى بها كان يتقى المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى أبى جهل (وقيل للظالمين) عطف على يتقى أى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى باضمار قد ووضع المظهر فى مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر فى قوله تعالى (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وبال ما كنتم تكسبونه فى الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصى (كذب الذين من قبلهم) استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوى اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروى أى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة (فأتاهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها (فأذاقهم الله الخزى) أى الذل والصغار (فى الحيوة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدته وسرمديته (لو كانوا يعلمون) أى لو كان من شأنهم أن يعلموا شيأ لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر فى أمور دينه (لعلهم يتذكرون)

كى يتذكروا به ويتعظوا (قرآناً عربياً) حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيد هو الوصف كقولك
جاءنى زيد رجلا صالحا أو مدح له (غير ذى عوج) لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم
وأخص بالمعانى وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) علة أخرى مترتبة على الاولى (ضرب الله مثلا
رجلا فيه شركاء متشاكسون) ايراد لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة فى ضربها هو التذكر
والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما مرّ
فى سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول أخر عن الثانى للتشويق اليه وليتصل به ما هو
من تتمته التى هى العمدة فى التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان أنه فى الاصل كذلك
مما لا حاجة اليه والجملة فى حيز النصب على أنه وصف لرجلا أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على
الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل
من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المتباينة فى تحيره وتوزع قلبه
(ورجلا) أى وجعل للموحد مثلا رجلا (سلما) أى خالصا (لرجل) فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلا وقرئ سلما
بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا أى خلص نعت بها مبالغة أو حذف منها ذو
وقرئ سالما وسالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه أفطن لما يجرى عليه من الضر والنفع (هل
يستويان مثلا) انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على أبلغ وجه وآكده وايذان بأن ذلك من الجلاء والظهور
بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلعثم فى الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما فى أعلى عليين والآخر
فى أسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز أى هل يستوى حالاهما
وصفتاهما والاقتصار فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى أكثر أموالا وأولادا
للاشعار باختلاف النوع أو لان المراد هل يستويان فى الوصفين على أن الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل
فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الحمد لله) تقرير لما قبله من نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه
للموحدين على أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وأنها نعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده
وعبادته أو على أن بيانه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام
منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب وانتقال من بيان
عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره
فيبقون فى ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) تمهيد لما يعقبه من الاختصام
يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أى انكم
جميعا بصدد الموت (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم) أى مالك أموركم (تختصمون) فتحتج أنت عليهم
بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الاحكام والمواعظ التى من جملتها ما فى تضاعيف هذه الآيات واجتهدت فى الدعوة
الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا فى المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجارى فى الدنيا بين
الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فانه الى آخره مسوق لبيان حال
كل من طرفى الاختصام الجارى فى شأن الكفر والايمان لا غير أى أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه
وتعالى بأن أضاف اليه الشريك والولد (وكذب بالصدق) أى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق
وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) أى فى أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل (أليس فى جهنم
مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من أول الامر
والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة وهم داخلون
فى الحكم دخولا أوليا (والذى جاء بالصدق وصدق به) الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن تبعه كما أن المراد فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه الصلاة والسلام وقومه
وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذين جاؤا بالصدق
وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق (أولئك) الموصوفون بما ذكر من المجيء

بالصدق

بالصدق والتصديق به (هم المتقون) المنعوتون بالتقوى التي هي أجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس فأداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به أي بسببه لان ماجاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام وقرئ صدق به على البناء للمفعول (لهم مايشاؤن عند ربهم) بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان مالهم في الدنيا من محاسن الاعمال أي لهم كل مايشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض مايشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) الذي ذكر من حصول كل مايشاؤنه (جزاء المحسنين) أي الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) الخ متعلق بقوله تعالى لهم مايشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت مايشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ماسيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع مايشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوا والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان خلا أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف أكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان أمكن في الاول بناء على أن تخصيص الاسوا بالذكر لبيان تكفير مادونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوا التكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة (أليس الله بكاف عبده) انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى (ويخوفونك بالذين من دونه) أي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه الصلاة والسلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا (فما له من هاد) يهديه الى خير ما (ومن يهد الله فما له من مضل) يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى (أليس الله بعزيز) غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع (ذي انتقام) ينتقم من أعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل وسنوح السبيل (قل) تبكيتا لهم (أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أي بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فأخبروني أن آلهتكم ان أرادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر (أو أرادني برحمة) أي أو أرادني بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره

وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة (قل حسبي الله) أي في جميع أموري من اصابة الخير ودفع الشر روي أنه عليه الصلاة والسلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك (عليه يتوكل المتوكلون) لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ما سواه تحت ملكوته تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم (اني عامل) أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بأن حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزي أعدائه دليل غلبته عليه الصلاة والسلام وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم هو عذاب النار (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد (بالحق) حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله (فمن اهتدى) بأن عمل بما فيه (فلنفسه) أي انما نفع به نفسه (ومن ضل) بأن لم يعمل بموجبه (فانما يضل عليها) لما أن وبال ضلاله مقصور عليها (وما أنت عليهم بوكيل) لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت أي بلاغ (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) أي يقبضها من الابدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت أو ظاهرا فقط كما عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت (ويرسل الاخرى) أي النائمة الى بدنها عند التيقظ (الى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر (ان في ذلك) أي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في أحدهما والارسال في الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها (أم اتخذوا) أي بل أتخذ قريش (من دون الله) من دون اذنه تعالى (شفعاء) تشفع لهم عنده تعالى (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه أي قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيأ من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن أن يملكوا الشفاعة عند الله تعالى أو هي لانكار الوقوع ونفيه على أن المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فالمقدر حينئذ غير ما قدر أولا وعلى أي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها أي أيشفعون لو كانوا يملكون شيأ ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا (قل) بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق (لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعة ما الا أن يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى (له ملك السموات والارض) تقرير له وتأكيد أي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة لا الى أحد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا (واذا ذكر الذين من دونه) فرادى أو مع ذكر الله تعالى (اذا هم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو أن يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز أن يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه أديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من

دونه

قوله بل أتخذ اشارة الى أن أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة وقوله أتخذ بهمزة استفهام مفتوحة مقطوعة وبعدها همزة وصل محذوفة وأصله أأتخذ هكذا في الشهاب اه مصححه

دونه فاجأوا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أى التجئ اليه
تعالى بالدعاء لما تحيرت فى أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم فى المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء
بجملتها والعالم بالاحوال برمتها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى حكما يسلمه كل مكابر
معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوى أو الاخروى وقوله تعالى (ولو أن للذين ظلموا
ما فى الارض جميعا) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذى استدعاه النبى صلى الله عليه وسلم
وغاية شدته وفظاعته أى لو أن لهم جميع ما فى الدنيا من الاموال والذخائر (ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب يوم القيامة) أى لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص
وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أى ظهر
لهم من فنون العقوبات ما لم يكن فى حسابهم وهذه غاية من الوعيد لاغاية وراءها ونظيره فى الوعد قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض
عليهم صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم جزاؤه (فاذا مس الانسان ضر دعانا)
اخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم
القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم أى انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره (ثم اذا خولناه نعمة منا)
أعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما أعطى جزاء (قال انما أوتيته على علم) أى على علم
منى بوجوه كسبه أو بأنى سأعطاه لما لى من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بى وباستحقاقى والهاء لما ان
جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما أن المراد شئ من النعمة (بل هى فتنة) أى محنة وابتلاء له
أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بأن ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن
الكرامة وانما هو أمر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير
(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الامر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالانسان هو الجنس (قد قالها الذين
من قبلهم) الهاء لقوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون
وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وهم راضون به (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع
الدنيا ويجمعون منه (فأصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات أعمالهم أو أجزية ما كسبوا
وتسميتها سيئات لانها فى مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) المشركين ومن
للبيان أو للتبعيض أى أفرطوا فى الظلم والعتو (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) من الكفر والمعاصى
كما أصاب أولئك والسين للتأكيد وقد أصابهم أى اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم
يوم بدر (وما هم بمعجزين) أى فائتين (أو لم يعلموا) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا
(ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) لمن يشاء أن يقدره له من غير أن يكون لاحد مدخل ما
فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا (ان فى ذلك) الذى ذكر (لآيات) دالة على أن
الحوادث كافة من الله عز وجل (لقوم يؤمنون) اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل يا عبادى
الذين أسرفوا على أنفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه
بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم (لا تقنطوا من رحمة الله) أى لا تيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا
(ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة
خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر فى الاطلاق
فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة الحصر والوعد
بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين
للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها
وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق

والتأكيد بالجميع وماروى من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لايقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد فى كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولايخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص فى قوله تعالى (وأنيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) اذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن الامر بهما وتنافى الوعيد بالعذاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) أى القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له (أن تقول نفس) أى كراهة أن تقول والتنكير للتكثير كما فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه فى مطلع سورة الحجر (ياحسرتا) بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ ياحسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ ياحسرتاى بالجمع بين العوضين وقرئ ياحسرتى على الاصل أى احضرى فهذا أوان حضورك (على مافرطت) أى على تفريطى وتقصيرى (فى جنب الله) أى جانبه وفى حقه وطاعته وعليه قول من قال

أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرى وعين ترقرق

وهو كناية فيها مبالغة وقيل فى ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة النصب على الحال أى فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هدانى) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لاتخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لاطائل تحته وقوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لما أن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودى لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لايمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا مافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لايليق بشأنه كاتخاذ الولد (وجوههم مسودة) بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية (أليس فى جهنم مثوى) أى مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصى أى من جهنم وقرئ ينجى من الانجاء (بمفازتهم) مصدر ميمى اما من فاز بالمطلوب أى ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب أى ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة وقوله تعالى (لايمسهم السوء ولاهم يحزنون) اما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه أى نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لايمسهم الى آخره تفسير وبيان لمفازتهم أى ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أى بنفى السوء والحزن عنهم أو للسببية اما على حذف المضاف أى ينجيهم بسبب مفازتهم التى هى تقواهم كما يشعر به ايراده فى حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذى هو التقوى وليس المراد نفى دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه كيفما يشاء (له مقاليد السموات والارض) لايملك أمرها ولايتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لايدخلها ولايتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير

قوله له كبد حرى الخ الذى فى البيضاوى بدل هذا الشطر له كبد حرى عليك تقطع اه مصححه

وعن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه الصلاة والسلام تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوى والسفلى والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة فى الآفاق والانفس والتنزيلية التى من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجى الله وما بينهما اعتراض فتدبر (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله أعبد وتأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما يدل عليه تأمرونى أعبد لانه بمعنى تعبدوننى وتقولون لى اعبد على أن أصله تأمروننى أن أعبد فحذف أن ورفع ما بعدها كما فى قوله

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى

ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمروننى باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) أى من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم عند الاشراك منهم لان الاشراك منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به فى قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه (وما قدروا الله حق قدره) ما قدروا عظمته تعالى فى أنفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء (ونفخ فى الصور) هى النفخة الاولى (فصعق من فى السموات ومن فى الارض) أى خروا أمواتا أو مغشيا عليهم (الا من شاء الله) قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى هى النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع (فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الارض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف الى الاسم الجليل (ووضع الكتاب) الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الاعمال فى أيدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجئ بالنبيين والشهداء) للامم وعليهم من

الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد (ووفيت كل نفس ما عملت) اى جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من أفعالهم وقوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها أى سيقوا اليها بالعنف والاهانة أفواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم وقرئ نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى) قد أتونا وأنذرونا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) حيث قال الله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا تكذبون (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أى مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول (فبئس مثوى المتكبرين) اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا أى فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق فى أن دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه فى سورة الم السجدة (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) من جميع المكاره والآلام (طبتم) طهرتم من دنس المعاصى أو طبتم نفسا بما أتيح لكم من النعيم (فادخلوها خالدين) كان ما كان مما يقصر عنه البيان (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى يتبوأ كل واحد منا فى أى مكان أراده من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) أى حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق فى شؤنه عز وجل (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلا منا منزلته التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم أو الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

* (سورة المؤمن مكية وآيها خمس أو ثمان وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم) بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار اقرأ أو نحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفى قوله تعالى (تنزيل الكتاب) كالذى سلف فى ألم السجدة وقوله تعالى (من الله العزيز العليم) كما فى مطلع سورة الزمر فى الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتى العزة والعلم ما ذكر هنالك (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) انما صفات أخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على

ماهو المقصود والاضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو أبدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلى على طاعته في أوامره ونواهيه (اليه المصير) فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المطيع والعاصى (ما يجادل في آيات الله) أى بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (الا الذين كفروا) بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزال الاقدام وابطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) لترتيب النهى أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شئ أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم (وهمت كل أمة) من تلك الامم العاتية (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) الذى لا أصل ولا حقيقة له أصلا (ليدحضوا به الحق) الذى لا محيد عنه كما فعل هؤلاء (فأخذتهم) بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر (فكيف كان عقاب) الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك) أى كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب أيضا (على الذين كفروا) أى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام فان ذلك للاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التى من جملتها نصرته عليه الصلاة والسلام وتعذيب أعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى (أنهم أصحاب النار) في حيز النصب بحذف لام التعليل أى لانهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التى هى عذاب النار وملازموها أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أى كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره (يسبحون بحمد ربهم) والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين أى ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى لا تتناهى (ويؤمنون به) ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف أهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا) فان المشاركة في الايمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعى الى النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من

قوله وقرئ في بعض النسخ عرضة اهـ

تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى فى موقع القبول روى أن حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفى الحديث ان الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيمانهم على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (ربنا) على ارادة القول أى يقولون ربنا على أنه اما بيان لاستغفارهم أو حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للاغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد (ربنا وأدخلهم) عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى الجؤار (جنات عدن التى وعدتهم) أى وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة وان كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الاول أى وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبى أين ولدى أين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد (انك أنت العزيز) أى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) أى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها (وقهم السيئات) أى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالاتباع أو المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك) اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه (هو الفوز العظيم) الذى لا مطمع وراءه لطامع (ان الذين كفروا) شروع فى بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار (ينادون) أى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا أى أبغضوها أشد البغض وأنكروها أبلغ الانكار وأظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم الامارة بالسوء أو مقته اياكم فى الدنيا (اذ تدعون) من جهة الانبياء (الى الايمان) فتأبون قبوله (فتكفرون) اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها أو اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة أو من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر أى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد

بأنفسهم أضرابهم مما لا داعي اليه (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) صفتان لمصدري الفعلين المذكورين أي اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد وافعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كأنه قيل أمتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال الا مسحت أو مجلف

أي لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ قيل أرادوا بالاماتة الاولى خلقهم أمواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء اجالهم على أن الاماتة جعل الشيء عادم الحياة أعم من أن يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أو بجعله كذلك بعد الحياة وبالاحياءين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل أرادوا بالاماتة الاولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحياءين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم (فاعترفنا بذنوبنا) والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به أطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي أرادوه بقولهم (فهل الى خروج من سبيل) مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا أنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في أن الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام أي من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة أي ذلكم الذي أنتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل (بأنه) اي بسبب أن الشأن (اذا دعي الله) في الدنيا أي عبد (وحده) أي منفردا (كفرتم) أي بتوحيده (وان يشرك به تؤمنوا) أي بالاشراك به وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك (فالحكم لله) الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة (العلي الكبير) الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج أبدا (هو الذي يريكم آياته) الدالة على شؤنه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة (وينزل) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال (لكم من السماء رزقا) أي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة (وما يتذكر) بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها (الا من ينيب) الى الله تعالى ويتفكر فيما أودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به (ولو كره الكافرون) ذلك وغاظهم اخلاصكم (رفيع الدرجات) نحو بديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال أي رفيع درجات ملائكته أي معارجهم ومصاعدهم الى العرش (ذو العرش) أي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما ايذانا

بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له امّا بطريق الاستشهاد بهما
عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي
تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لاغاية وراءها وامّا بجعلهما عبارة
عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى (يلقي الروح من
أمره) فانه خبر آخر لما ذكر منبئ عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني
الذي هو المطر أي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من أمره بيان للروح
الذي أريد به الوحي فانه أمر بالخير أو حال منه أي حال كونه ناشئا ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأي من يجوّز
حذف الموصول مع بعض صلته أي الروح الكائن من أمره أو متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله
تعالى مما خطيئاتهم أي يلقي الوحي بسبب أمره (على من يشاء من عباده) وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ
أحكامه اليهم (لينذر) أي الله تعالى أو الملقى عليه أو الروح وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الرسول عليه
الصلاة والسلام أو الروح لانها قد تؤنث (يوم التلاق) اما ظرف للمفعول الثاني أي لينذر الناس العذاب يوم
التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثاني
اتساعا أو أصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار أصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم
(يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق أي خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة
أو بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون
عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم
شئ) استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا
أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أي لا يخفى عليه تعالى شئ ما من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجلية
والخفية السابقة واللاحقة (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب
بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة أو مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
بروزهم وظهور أحوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ أي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه
أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة
في صعيد واحد في أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية
واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الخ اما من تتمة الجواب
لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء الحق أو حكاية لما سيقوله تعالى
يومئذ عقيب السؤال والجواب أي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير أو شر
(لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب (ان الله سريع الحساب) أي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى
شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تعالى اذا أخذ
في حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون
ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه أو سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار
(وأنذرهم يوم الآزفة) أي القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير أن فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل
الخطة الآزفة وهي مشارفة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي وقوله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر) بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع
من أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت (كاظمين) على الغم حال من
أصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم أو من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار أن الكظم من
أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنها حال مقدرة أي أنذرهم
مقدرا كظمهم أو مشارفين الكظم (ما للظالمين من حميم) أي قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) أي لا شفيع
مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله (على لا حب لا يهتدى بمناره) والضمائر ان عادت الى

الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أو خيانة الاعين على أنها مصدر كالعافية (وما تخفي الصدور) من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على أنه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضي بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل (والذين يدعون) يعبدونهم (من دونه) تعالى (لا يقضون بشيء) تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي أو لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا أو على اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ أشد منكم بالكاف (وآثارا في الارض) مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا (فأخذهم الله بذنوبهم) أخذا وبيلا (وما كان لهم من الله من واق) أي من واق يقيهم عذاب الله (ذلك) أي ما ذكر من الاخذ (بأنهم) بسبب أنهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات أو بالاحكام الظاهرة (فكفروا فأخذهم الله انه قوي) متمكن مما يريد غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه عند عقابه بعقاب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهي معجزاته (وسلطان مبين) أي وحجة قاهرة وهي اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكائيل به مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) أي فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين (فلما جاءهم بالحق من عندنا) وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) كما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه الصلاة والسلام وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده (وما كيد الكافرين الا في ضلال) أي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيأ وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما أظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) كان ملؤه اذا هم بقتله عليه الصلاة والسلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته أنه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله (وليدع ربه) تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه أخوف ما يخافه (اني أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه (أو أن يظهر في الارض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون (وقال موسى) أي لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه الصلاة والسلام (اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ

عن الحفظ والتربية لانهما الذى يستدعيه وأضافه اليه واليهم حثالهم على موافقته فى العياذ به تعالى والتوكل عليه فان فى تظاهر النفوس تأثيرا قويا فى استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عذت بالادغام (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا أو غريبا موحدا (يكتم ايمانه) أى من فرعون وملئه (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لأن يقول او كراهة أن يقول (ربى الله) أى وحده من غير روية وتأمل فى أمره (وقد جاءكم بالبينات) والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (فان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) أى ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابة بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقى الترديد كونه كاذبا أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد

ترّاك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لما أن مراده بالبعض نفسه (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما أيده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراد به المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين عالين على بنى اسرائيل (فى الارض) أى أرض مصر لا يقاومكم أحد فى هذا الوقت (فمن ينصرنا من بأس الله) من اخذه وعذابه (ان جاءنا) اى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور فى الارض اليهم خاصة ونظم نفسه فى سلكهم فيما يسوءهم من مجىء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بأنه مناصح لهم ساع فى تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه فى حق نفسه ليتأثروا بنصحه (قال فرعون) بعد ما سمع نصحه (ما أريكم) أى ما أشير عليكم (الا ما أرى) وأستصوبه من قتله (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) أى الصواب أو لا أعلمكم الا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لانه مقصور على السماع أو للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل (وقال الذى آمن) مخاطبا لقومه (ياقوم انى أخاف عليكم) فى تكذيبه والتعرض له بالسوء (مثل يوم الاحزاب) مثل أيام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) أى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل (والذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما أن المنفى فيه ارادة ظلم ما فينتفى الظلم بطريق الاولوية (وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) خوفهم بالعذاب الاخروى بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى اصحاب الجنة وأصحاب النار حسبما حكى فى سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب (يوم تولون مدبرين) بدل من يوم التناد أى منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين منها حسبما نقل آنفا (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضلل الله فما له من هاد) يهديه الى طريق النجاة (ولقد جاءكم يوسف) هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم

ابن

ابن يوسف الصديق (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات الواضحة (فما زلتم في شك مما جاءكم به) من الدين (حتى إذا هلك) بالموت (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث (كذلك) مثل ذلك الاضلال الفظيع (يضل الله من هو مسرف) في عصيانه (مرتاب) في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد (الذين يجادلون في آيات الله) بدل من الموصول الاول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين (بغير سلطان) متعلق بيجادلون أي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة (أتاهم) صفة سلطان (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون (كذلك) أي مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا) أي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر (لعلي أبلغ الاسباب) أي الطرق (أسباب السموات) بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها (فأطلع الى اله موسى) بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه أو أن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه (واني لأظنه كاذبا) فيما يدعيه من الرسالة (وكذلك) أي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهماكا لا يرعوى عنه بحال (وصد عن السبيل) أي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون الا في تباب) أي خسار وهلاك أو على أنه من صد صدودا أي أعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على أنه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا أي هو وقومه (وقال الذي آمن) أي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام (يا قوم اتبعون) فيما دللتكم عليه (أهدكم سبيل الرشاد) أي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أي تمتع يسير لسرعة زوالها أجمل لهم أولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها رأس كل شر ومنه تتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال (وان الآخرة هي دار القرار) لخلودها ودوام ما فيها (من عمل) في الدنيا (سيئة فلا يجزى) في الآخرة (الا مثلها) عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بأمثالها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بأنه لا عبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كأنه قيل أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل مالي أراك حزينا أي مالك تكون حزينا وقوله تعالى (تدعونني لأكفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام (وأشرك به ما ليس لي به) بشركته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته (علم) والمراد نفي المعلوم والاشعار بأن الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة

قوله وتذكيره هكذا في النسخ ولعل الاولى أن يقال وتوحيده وعبارة البيضاوي وافراده للفظ اه مصححه

والغلبة ومايتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لاجرم) لارد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى (أنّ ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا أوعدم دعوة مستجابة أوعدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ماحصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا من لا بدّ فعل من التبديد أى التفريق والمعنى لاقطع لبطلان الوهية الاصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد (وأنّ مردّنا الى الله) أى بالموت عطف على أن ماتدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى (وأن المسرفين) أى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فستذكرون) وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب (ما أقول لكم) من النصائح (وأفوض أمرى الى الله) قاله لما أنهم كانوا توعدوه (ان الله بصير بالعباد) فيحرس من يلوذ به من المكاره (فوقاه الله سيئات مامكروا) شدائد مكرهم وماهموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام (وحاق بآل فرعون) أى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما أنه فرّ الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم (سوء العذاب) الغرق والقتل والنار (النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار خبر مبتدإ محذوف كأنّ قائلا قال ماسوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط فى الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد أنّ آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ماهموا به عليهم بل يكفى فى ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن أرواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص وأما فيما بينهما فالله تعالى أعلم بحالهم واما للتأبيد هذا مادامت الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال للملائكة (أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب) أى عذاب جهنم فانه أشدّ مما كانوا فيه أو أشدّ عذاب جهنم فان عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب (واذ يتحاجون فى النار) أى واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها (فيقول الضعفاء) منهم (للذين استكبروا) وهم رؤساؤهم (انا كنا لكم تبعا) أتباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) بالدفع أو بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أى دافعون عنا نصيبا الخ أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أى مغنون عنا حاملين نصيبا الخ أو نصب على المصدرية كشيأ فى قوله تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ فانه فى موقع غناء فكذلك نصيبا (قال الذين استكبروا انا كل فيها) أى نحن وأنتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد لاسم انّ بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب (انّ الله قد حكم بين العباد) وقضى قضاء متقنا لا مردّ له ولا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم (لخزنة جهنم) أى للقوام بتعذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع أو لبيان محلهم فيها بأن تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها أعتى الكفرة وأطغاهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) أى مقدار يوم أو فى يوم ما من الايام على أنه ظرف لا معيار شيأ (من العذاب)

واقتدارهم فى الاستدعاء على ماذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا أو تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس فى حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم (قالوا) أى الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أى ألم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة أوقات الدعاء وتعطيل أسباب الاجابة (قالوا بلى) أى أتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى (قالوا فادعوا) فصيحة كما فى قول من قال فقد جئنا خراسانا أى اذا كان الامر كذلك فادعوا أنتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان أن سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم أن الاذن فى حيز الامكان وأنهم لو أذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرح حوابه فى قولهم (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى ضياع وبطلان وقوله تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو أن شأننا المستمر أنا ننصر رسلنا وأتباعهم (فى الحيوة الدنيا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبى وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هى بالعواقب وغالب الامر (ويوم يقوم الاشهاد) أى يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) أى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم من بعده التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا (لاولى الالباب) لذوى العقول السليمة العاملين بما فى تضاعيفه (فاصبر) على ما نالك من اذية المشركين (ان وعد الله) أى وعده الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التى من جملتها ذلك (حق) لا يحتمل الاخلاف أصلا واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) تداركا لما فرط منك من ترك الاولى فى بعض الاحايين فانه تعالى كافيك فى نصرة دينك واظهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر (ان الذين يجادلون فى آيات الله) ويجحدون بها (بغير سلطان أتاهم) فى ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بأن التكلم فى أمر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى (ان فى صدورهم الا كبر) خبر لان أى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الا ارادة أن تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا أن فيها موقع جدال ما أو أن لهم شيأ يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم فى الجملة وقوله تعالى (ما هم ببالغيه) صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون ان لست صاحبنا المذكور فى التوراة بل هو المسيح ابن داود يريدون الدجال يخرج فى آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) أى فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك وفيه رمز الى أنه من همزات الشياطين (انه هو السميع البصير) لاقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون

قيه من أمر البعث عـلى منهاج قوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهـم (ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون) لقصورهـم فى النظر والتأمّل لفرط غفلتهـم واتباعهـم لاهوائهـم (وما يستوى الاعمى والبصير) أى الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) أى والمحسن والمسىء فلابدّ أن تكون لهـم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعـد البعث وزيادة لا فى المسىء لتأكيد النفى لطول الكلام بالصلة ولانّ المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه عـلى الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ما تتذكرون) عـلى الخطاب بطريق الالتفات أى تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس أو الكفار (انّ الساعة لآتية لا ريب فيها) أى فى مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدّقون بها لقصور أنظارهـم عـلى ظواهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعونى) أى اعبدونى (أستجب لكم) أى أثبكم لقوله تعالى (انّ الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين أذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فانه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبنىّ للمفعول من الادخال (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) بأن خلقه باردا مظلما ليؤدّى الى ضعف المحرّكات وهدء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجارّ والمجرور عـلى المفعول قد مرّ سرّه مرارا (والنهار مبصرا) أى مبصرا فيه أو به (انّ الله لذو فضل) عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل (على الناس ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم) المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقرّرها وقرئ خالق بالنصب عـلى الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أىّ وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى مثل ذلك الافك العجيب الذى لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أىّ آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح فى الجملة (الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى (وصوّركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء فى فأحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير أى صوّركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) أى اللذائذ (ذلكم) الذى نعت بما ذكر من النعوت الجليلة (الله ربكم) خبران لذلكم (فتبارك الله) أى تعالى بذاته (ربّ العالمين) أى مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه فى ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية (هو الحىّ) المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية (لا اله الا هو) اذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك الجلىّ والخفىّ (الحمد لله ربّ العالمين) أى قائلين ذلك * عن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية (وأمرت أن أسلم لربّ العالمين) أى بأن أنقاد له وأخلص له دينى (هو الذى خلقكم من تراب) أى فى ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسبما مرّ تحقيقه مرارا (ثم من نطفة) أى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أى منىّ (ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) أى أطفالا والافراد لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفراده (ثم لتبلغوا أشدّكم) علة ليخرجكم معطوفة عـلى علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيأ فشيأ ثم لتبلغوا كمالكم فى القوّة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه عـلى لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا

(ومنكم

قوله منتصب القامة الخ أفرد ذلك كما على تأويل كل فرد في الشهاب اهـ مصححه

(ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد أو قبله أيضا (ولتبلغوا) متعلق بفعل مقدر بعده أى ولتبلغوا (أجلا مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك (ولعلكم تعقلون) ولكى تعقلوا ما فى ذلك من فنون الحكم والعبر (هو الذى يحيى) الاموات (ويميت) الاحياء أو الذى يفعل الاحياء والاماتة (فاذا قضى أمرا) أى أراد أمرا من الامور (فانما يقول له كن فيكون) من غير توقف على شئ من الاشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون فى آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه أى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى (الذين كذبوا بالكتاب) أى بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على أنه بدل من الموصول الاول أو فى حيز النصب أو الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لا فى الكل وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب أو مطلق الوحى والشرائع (فسوف يعلمون) كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (اذ الاغلال فى أعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى (يسحبون) بحذف العائد أى يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن فى الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون (فى الحميم) وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال فى أعناقهم فى معنى اعناقهم فى الاغلال أو اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى ملئ والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب الى باب (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) أى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن (كذلك) أى مثل ذلك الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث لا يهتدون الى شئ ينفعهم فى الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) أى تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون فى البطر والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ (ادخلوا أبواب جهنم) أى أبوابها السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدرا خلودكم فيها (فبئس مثوى المتكبرين) أى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود (فاصبر) الى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب (ان وعد الله) بتعذيبهم (حق) كائن لا محالة (فاما نرينك) أى فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها (بعض الذى نعدهم) وهو القتل والاسر (أو نتوفينك) قبل ذلك (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عدد الانبياء

عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) أى وما صح وما استقام لرسول منهم (أن يأتى بآية الا باذن الله) فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها (فاذا جاء أمر الله) بالعذاب فى الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه (وخسر هنالك) أى وقت مجيء أمر الله اسم مكان استعير للزمان (المبطلون) أى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا أوليا (الله الذى جعل لكم الانعام) قيل هى الابل خاصة أى خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى (لتركبوا منها ومنها تأكلون) تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها أى تعلقهما بها وقيل للتبعيض أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم فى الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار بأصالة الركوب (ولكم فيها منافع) أخر غير الركوب والاكل كألبانها وأوبارها وجلودها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بحمل أثقالكم من بلد الى بلد (وعليها وعلى الفلك تحملون) لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر فى فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك فى الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هى الازواج الثمانية فعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر (ويريكم آياته) دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأى آيات الله) أى فأى آية من تلك الآيات الباهرة (تنكرون) فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل فى الجملة وهو ناصب لأى واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير أى هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه (أفلم يسيروا) أى أقعدوا فلم يسيروا (فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المهلكة وقوله تعالى (كانوا أكثر منهم وأشد قوة) الخ استئناف مسوق لبيان مبادى أحوالهم وعواقبها (وآثارا فى الارض) باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هى آثار أقدامهم فى الارض لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة أى لم يغن عنهم أو أى شئ أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو بالآيات الواضحة (فرحوا بما عندهم من العلم) أى أظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الانبياء الذى أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) وقيل الفرح أيضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم أن ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار يجرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الاغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على أن التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا

كأنه

كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختيارى (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

*( سورة السجدة مكية وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية )*

*( بسم الله الرحمن الرحيم )*

(حم) ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا أو مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أو خبر آخر اوتنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره (كتاب) وهو على الوجوه الاول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (فصلت آياته) ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعانى من قولك فصل من البلد فصولا (قرآنا عربيا) نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة أو من آياته (لقوم يعلمون) أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآنا أى كائنا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بفصلت (بشيرا ونذيرا) صفتان اخريان لقرآنا أى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية أو حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره مع كونه على لغتهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به (وقالوا) أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية متكاثفة (مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر) أى صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف (ومن بيننا وبينك حجاب) غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج أسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه الصلاة والسلام (فاعمل) أى على دينك وقيل فى ابطال أمرنا (اننا عاملون) أى على ديننا وقيل فى ابطال أمرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فان الخطاب فى الهكم محكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فاستقيموا اليه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال (واستغفروه) مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وويل للمشركين) ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤتون الزكوة) لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (وهم بالآخرة هم كافرون) وهو عطف على لا يؤتون

داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم ايتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملونه (قل أئنكم لتكفرون) انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل (بالذى خلق الارض فى يومين) لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين أو فى نوبتين على أن ما يوجد فى كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها (وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بأن يكون مدار الانكار هو التعدد أى وتجعلون له أندادا والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد (ذلك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ما ذكر (رب العالمين) أى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته ندا له وقوله تعالى (وجعل فيها رواسى) عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمر هو صفة لرواسى أى كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار (وبارك فيها) أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الانسان وأصناف النبات التى منها معايشهم (وقدر فيها أقواتها) أى حكم بالفعل بأن يوجد فيما سيأتى لاهلها من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصولها فى يومين وانما قيل فى أربعة أيام أى تتمة أربعة تصريحا بالفذلكة (سواء) مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام أى استوت سواء أى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها وقرئ بالرفع أى هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها أقواتها لاجل السائلين أى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء) شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوى على غيره (وهى دخان) أى أمر ظلمانى عبر به عن مادتها أو عن الاجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها أو دخان مرتفع من الماء كما سيأتى وانما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى (فقال لها وللارض) اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها ووجود ما فيها (ائتيا) أى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر ومأمور

كما فى قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعا أو كرها) تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى (قالتا أتينا طائعين) أى منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أى خلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثانى (فى يومين) فى وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل فى ستة أيام حسبما نص عليه فى مواقع من التنزيل (وأوحى فى كل سماء أمرها) عطف على قضاهن أى خلق فى كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى الى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأيا ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهى وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء و يوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما تنبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهى الموافقة وأنت خبير بأن المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها أيضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر أن يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب فى أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله ولا يقدح فى ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الارض فى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها وتحمل البعدية اما على أنه قاصر عن الاول فى الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على أنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روى عن الحسن رضى الله عنه نصا فى تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة فى ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدى عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانهما

حينئذ أيضا على ماذكر من التوافق والمؤاتاة ولا يقدح فى ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخى الزمانى وأما على تقدير كونها للتراخى الرتبى كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب كما فى الوجه الاول وعلى ذلك بنى الكلام فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هنالك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) من الكواكب فانها كما ترى متلألئة عليها كأنها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى (وحفظا) مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أى وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (ذلك) الذى ذكر بتفاصيله (تقدير العزيز العليم) البالغ فى القدرة والعلم (فان أعرضوا) متصل بقوله تعالى قل أئنكم الخ أى فان أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان أو عن الايمان بعد هذا البيان (فقل) لهم (أنذرتكم) أى أنذركم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به (صاعقة) أى عذابا هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أى الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاءتهم أى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجئ كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجئ أنفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم وممن يجئ من خلفهم أى من بعدهم فكأن الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى (ان لا تعبدوا الا الله) أى بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أى لا تعبدوا على أنها مفسرة (قالوا لو شاء ربنا) أى ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما أرادوه من نفى رسالة البشر وقد مر فيما سلف (لأنزل ملائكة) أى لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لأنزل (فانا بما أرسلتم به) أى على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم (كافرون) لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال فى ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب انت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه عليه الصلاة والسلام وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فأما عاد فاستكبروا فى الارض) شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق أى فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها (بغير الحق) أى بغير استحقاق للتعظم والولاية (وقالوا) مدلين بشدتهم وقوتهم (من أشد منا قوة) حيث كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (أولم يروا) أى أغفلوا أولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان (ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وانما أورد فى حيز

الشدة لخلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم (وكانوا بآياتنا) المنزلة على الرسل (يجحدون) أى ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض أو عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير (فى أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح أو الى الايام وأضيف العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو فى الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وأزحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر أعداء الله) شروع فى بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتى من قوله تعالى فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها (الى النار) أى الى موقف الحساب اذ هنالك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى (حتى اذا ما جاؤها) أى جميعا غاية ليحشر أو ليوزعون أى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فان ما تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحا وأجلب للخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أى أنطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) فان من قدر على خلقكم وانشائكم أولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد

عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا (ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) من القبائح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بأن شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم * عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى فقال أحدهم أترون أنّ الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان أخفينا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكى حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب أن يراد بالظن معنى مجازى يعم معناه الحقيقى وما يجرى مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما فى قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ليعم ما حكى من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر (وذلكم) اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته فى الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا (فأصبحتم) بسبب ذلك الظن السوء الذى أهلككم (من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى محل ثواء واقامة أبدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم فى غاية دركات النار (وان يستعتبوا) أى يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه (فما هم من المعتبين) المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة (وقيضنا لهم) أى قدرنا وقرنا للكفرة فى الدنيا (قرناء) جمع قرين أى أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمور الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط (وحق عليهم القول) أى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهو قوله تعالى لابليس فالحق والحق أقول لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأنّ جهنم منكم أجمعين كما مرّ مرارا (فى أمم) حال من الضمير المجرور أى كائنين فى جملة أمم وقيل فى بمعنى مع وهذا كما ترى صريح فى أن المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهود دون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل (قد خلت) صفة لامم أى مضت (من قبلهم من الجن والانس) على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين (وقال الذين كفروا) من رؤساء المشركين لاعقابهم أو قال بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) أى لا تنصتوا له (والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقنّ الذين كفروا) أى فوالله لنذيقنّ هؤلاء القائلين واللاغين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أوليا (عذابا شديدا) لا يقادر قدره (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى جزاء سيئات أعمالهم التى هى فى أنفسها أسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة (ذلك) مبتدأ وقوله تعالى (جزاء أعداء الله) خبره أى ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى (النار) عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدا محذوف أى الامر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار اقامتهم على أن فى للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها

قوله وقرئ وان يستعتبوا أى بالبناء للمفعول والمعتبين بصيغة الفاعل اه

والمراد

والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) منصوب بفعل مقدر أى يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون وقدمت عليه لمراعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون فريقى شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بتخفيفا كفخذ فى فخذ وقيل معناه أعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) أى ذلا ومهانة أو مكانا (ان الذين قالوا ربنا الله) شروع فى بيان حسن أحوال المؤمنين فى الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أى قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على أن ثم للتراخى فى الزمان أو فى الرتبة فان الاستقامة لها الشان كله وماروى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما أن الكفرة يغويهم ماقيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه (أن لا تخافوا) ماتقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه (ولا تحزنوا) على ماخلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وأن اما مفسرة أو مخففة من الثقيلة والاصل بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة أو استئناف (وأبشروا) أى سروا (بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم فى أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا) الخ من بشاراتهم فى الدنيا أى أعوانكم فى أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى مافيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفى الآخرة) نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم مايقع من التعادى والخصام (ولكم فيها) أى فى الآخرة (ماتشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها ماتدعون) ماتتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب أى تدعون لانفسكم وهو أعم من الاول ولكم فى الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ماتدعون على ماتشتهى للاشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل منهما (نزلا من غفور رحيم) حال مما تدعون مفيدة لكون ما تتمنونه بالنسبة الى مايعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أى الى توحيده تعالى وطاعته * عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع مافيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان أى مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر على أذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان أى لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى وقوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتى هى أحسن مايمكن دفعها به

من الحسنات كالاحسان الى من أساء فانه أحسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) بيان لنتيجة الدفع المأمور به أى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (وما يلقاها) أى ما يلقى هذه الخصلة والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) أى شأنهم الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره ولا تطعه (انه هو السميع) باستعاذتك (العليم) بنيتك أو بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه (ومن آياته) الدالة على شؤنه العظيمة (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى أو الاناث أو لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما فى المخلوقية فى سلك الاعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك آياته تعالى (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود أقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعى رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أى دائما (وهم لا يسأمون) لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الياء (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا أنزلنا عليها الماء) أى المطر (اهتزت وربت) أى تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا أن يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت أى ارتفعت (ان الذى أحياها) بما ذكر بعد موتها (لمحيى الموتى) بالبعث (انه على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها الاحياء (قدير) مبالغ فى القدرة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون (فى آياتنا) بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة (لا يخفون علينا) فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء (اعملوا ما شئتم) من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبران هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائى سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى (وانه لكتاب عزيز) أى كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى (تنزيل من حكيم حميد) خبر لمبتدا محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى (ما يقال لك) الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما أنزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) أى الا مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضا (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر

(لقالوا)

(لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى (أأعجمى وعربى) انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى والمعنى أكلام أعجمى ورسول أو مرسل اليه عربى على أن الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما أن المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ أعجمى أى أكلام منسوب الى أمة العجم وقرئ أعجمى على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وأيا ما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبره (فى آذانهم وقر) على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى (وهو عليهم عمى) وقيل خبر الموصول فى آذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول أى هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم (أولئك) اشارة الى الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها (ينادون من مكان بعيد) تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك أى وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى حق أمتك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبى الامم السالفة (وانهم) أى كفار قومك (لفى شك منه مريب) أى من القرآن وجعل الضمير الاول لليهود والثانى للتوراة مما لا وجه له (من عمل صالحا) بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها (فلنفسه) أى فلنفسه يعمل او فنفعه لنفسه لا لغيره (ومن أساء فعليها) ضرره لا على غيره (وما ربك بظلام للعبيد) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الانفال (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها يقال الله يعلم أو لا يعلمها الا الله تعالى (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) اى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد (وما تحمل من انثى ولا تضع) أى حملها وقوله تعالى (الا بعلمه) استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشئ من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط (ويوم يناديهم أين شركائى) اى بزعمكم كما نص عليه فى قوله تعالى أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل (قالوا آذناك) اى أخبرناك (ما منا من شهيد) من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك أو ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد

قوله أين شركائى الخ التلاوة ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم اهـ



ي د

تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه أولان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) أى يعبدون (من قبل) اى غابوا عنهم اوظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم (وظنوا) أى أيقنوا (مالهم من محيص) مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى (لا يسأم الانسان) أى لا يمل ولا يفتر (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير (وان مسه الشر) أى العسر والضيقة (فيؤس قنوط) فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره فى الشخص فيتضاءل وينكسر أى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) أى حقى أستحقه لمالى من الفضل والعمل أولى لا لغيرى فلا يزول عنى أبدا (وما أظن الساعة قائمة) أى تقوم فيما سيأتى (ولئن رجعت الى ربى) على تقدير قيامها (ان لى عنده للحسنى) أى للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما بغيكم على أنفسكم من سورة يونس (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) أى عن الشكر (ونأى بجانبه) [illegible]به وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجو[illegible]ن عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (واذا مسه الشر فذو دعاء [illegible]) [illegible]ى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذ الطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل فى بعض الاوقات (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان كان) أى القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) مع تعاضد موجبات الايمان به (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا) الدالة على حقيته وكونه من عند الله (فى الآفاق) هو ما أخبرهم به النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة (وفى أنفسهم) هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآفاق أى منازل الامم الخالية وآثارهم وفى انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفى انفسهم فتح مكة وقيل فى الآفاق أى فى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليهما من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الاجنة فى ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى أنفسكم افلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما (حتى يتبين لهم) بذلك (انه الحق) أى القرآن أو الاسلام والتوحيد (أولم يكف بربك) استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم فى شان القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد الا مع كفى وقوله تعالى (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه أى ألم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد أى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه [illegible]ق وأنه من عنده

ولولم

ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصرحاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ماقيل من أن المعنى اولم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لايليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى (الا انهم فى مرية من لقاء ربهم) اى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهو لغة فيها (الا انه بكل شئ محيط) عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لامحالة * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله أعلم

## (سورة حم عسق وتسمى الشورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية)

## (بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق أو أن ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الاول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الاول اشارة الى مافيها وعلى الثانى الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل مافى هذه السورة من المعانى أوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ماأشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق ومافيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل ايحائها أوحى اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما فى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحى وأن ايحاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو ايحائها مشبها به من تفخيمها مالايخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع مافيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز ومابعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى (له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم) خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرئ بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما فى سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول أبلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهن) أى يبتدأ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثانى للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة فى الارض حيث أثرت فى جهة الفوق فلأن تؤثر فى جهة التحت أولى وقيل الضمير للارض فانها فى معنى الارضين (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) ينزهونه تعالى عما لايليق به ملتبسين بحمده (ويستغفرون لمن فى الارض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا فى ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما فى قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثانى بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار

الملائكة وفرط غفرانه ورحمته فقيها رمز الى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة
(والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم
فيجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكول اليه أمرهم وانما وظيفتك الانذار
(وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا) ذلك اشارة الى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية
وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا أى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا لالبس
فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما أنت نذير
فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين
(لتنذر أم القرى) أى أهلها وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) أى يوم القيامة
لانه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال
والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الاول وأول
مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن (لا ريب فيه) اعتراض
مقرر لما قبله (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه أولا ثم يفرقون
بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أى
وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) أى
فى الدنيا (أمة واحدة) قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله
على دين واحد فمعنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن
يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة
لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين
فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل (والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير)
للايذان بأن الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما فى الادخال
فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله
تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة
لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته
وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل
مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ
تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد
الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم
الذين هم فى فترة ادريس أو فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر
بأن لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من
الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أى شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالانذار
فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم فى رحمته ولا يتأثر به الآخرون
ويتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون فى الآخرة الى السعير من
غير ولى يلى أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها
من انتفاء أن يكون للظالمين ولى أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها
والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان
أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء فى شىء لان ذلك فرع كون الاصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل
أاتخذوا متجاوزين الله أولياء من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى (فالله هو الولى) جواب شرط محذوف
كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه أولياء ان أرادوا أولياء فى الحقيقة فالله هو الولى لا ولى سواه (وهو يحيى
الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شىء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من

لا يقدر

لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم (فحكمه) راجع (الى الله) وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين (ذلكم) الحاكم العظيم الشان (الله ربى) مالكى (عليه توكلت) فى مجامع أمورى خاصة لا على غيره (واليه أنيب) أرجع فى كل ما يعن لى من معضلات الامور لا الى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر فى الاول صيغة الماضى وفى الثانى صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فى شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام (فاطر السموات والارض) خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدا محذوف أو مبتدأ خبره (جعل لكم) وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل فى قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف (من أنفسكم) من جنسكم (أزواجا) نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة (ومن الانعام) أى وجعل للانعام من جنسها (أزواجا) أو خلق لكم من الانعام أصنافا أو ذكورا واناثا (يذرؤكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذرو والذر (فيه) أى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شئ) أى ليس مثله شئ فى شأن من الشؤن التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) أى خزائنهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة (انه بكل شئ عليم) مبالغ فى الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغى أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وايذان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لامته عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام والا فما من نبى الا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من أصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بايحائه اليه عليه الصلاة والسلام اما ما ذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع فى الآيات المذكورة ولما فى الايحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر فى تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (ان أقيموا الدين) أى دين الاسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله و بيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به

قوله بالذى اى الذى هو اصل
الموصولات وعبارة الشهاب قوله
والذى اوحينا التعبير بالتوصية
فيهم والوحى فيه للاشارة الى أن
شريعته صلى الله عليه وسلم هى
الشريعة الكاملة ولذا عبر فيه
بالذى الذى هو اصل الموصولات
واضافه اليه بضمير العظمة
تخصيصا له ولشريعته بالتشريف
منه

مؤمنا والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا
اما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام
المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميربه وليس بذاك لما أنه مع افضائه الى
خروجه عن حيز الايحاء الى النبي عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى (ولا تتفرقوا
فيه) للانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي الى أممهم تمحل ظاهر مع أن الاظهر أنه متوجه
الى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر
من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى (كبر على المشركين) شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع
من الدين القويم أي عظم وشق عليهم (ما تدعوهم اليه) من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه
حيث قالوا أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء) استئناف
وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بأن منهم من يجيب الى الدعوة أي الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء أن
يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى (ويهدي اليه من ينيب) أي يقبل
اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى (وما تفرقوا) شروع في بيان أحوال أهل الكتاب عقيب
الاشارة الاجمالية الى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى
وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا
كما آمن بعضهم (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن
من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم أو العلم ببعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من أعم
الاحوال أو من أعم الاوقات أي وما تفرقوا في حال من الاحوال أو في وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم
أو الا وقت مجيء العلم (بغيا بينهم) وحمية وطلبا للرياسة لا لأن لهم في ذلك شبهة (ولولا كلمة سبقت من ربك)
وهي العدة بتأخير العقوبة (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة (لقضي بينهم) لأوقع القضاء بينهم
باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) الخ بيان لكيفية
كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا أي وان المشركين الذين أورثوا
القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم (لفي شك منه) من القرآن (مريب) موقع في القلق أو في الريبة
ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قيل
من أن ضمير تفرقوا للامم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع علمهم بأن الفرقة
ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت
من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله تعالى
أهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين
ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال
من غير انظار وامهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام
تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما
يوهم الاخلال بذلك المرام (فلذلك) أي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب أو فلاجل أنه شرع لهم
الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون (فادع) أي الناس كافة الى اقامة ذلك الدين
والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن
التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بأن
ربك أوحى لها أي فالى ذلك الدين فادع (واستقم) عليه وعلى الدعوة اليه (كما أمرت) وأوحي اليك
(ولا تتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي كتاب كان من الكتب المنزلة

قوله القويم في نسخة القديم اه

لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مرّ بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة (وأمرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوّى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا أعمله ولا أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم وأصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لاعدل او زائدة أى أمرت أن أعدل والباء محذوفة (الله ربنا وربكم) أى خالقنا جميعا ومتولى أمورنا (لنا أعمالنا) لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان أو عقابا (ولكم أعمالكم) لا تجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيآتكم (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) فيظهر هنالك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف المجاوبة لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) أى فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلاة والسلام وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقرّوا بنبوّته عليه الصلاة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق (حجتهم داحضة عند ربهم) زالة زائلة باطلة بل لا حجة لهم أصلا وانما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل (وعليهم غضب) عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) لا يقادر قدره (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به فى أحكامه وأخباره أو بما يحق انزاله من العقائد والاحكام (والميزان) والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوّى بين الناس أو نفس العدل بأن انزل الامر به أو آلة الوزن (وما يدريك) أى أى شئ يجعلك عالما (لعل الساعة) التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أى شئ قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد وأصحابه (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب (ويعلمون أنها الحق) أى الكائن لا محالة (الا ان الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه أبعد وأبعد (الله لطيف بعباده) أى برّ بليغ البرّ بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون (يرزق من يشاء) أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البرّ على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة (نزد له فى حرثه) نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد) بأعماله (حرث الدنيا) وهو متاعها وطيباتها (نؤته منها) أى شيأ منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه (وماله فى الآخرة من نصيب) اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مرّ تفصيله فى سورة الاسراء (أم لهم شركاء) أى بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع (شرعوا لهم) بالتسويل (من الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا أو تماثيل من سنّ الضلالة لهم

(ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل أي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة (ترى الظالمين) يوم القيامة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له للقصد الى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) أي ووباله لاحق بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) مستقرون في أطيب بقاعها وأنزهها (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن (ذلك) اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه (هو الفضل الكبير) الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته (ذلك) الفضل الكبير هو (الذي يبشر الله عباده) أي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله تعالى عباده (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقرئ يبشر من ابشر (قل لا أسألكم عليه) روي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت أي لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ والبشارة (أجرا) نفعا (الا المودة في القربى) أي الا أن تودوني لقرابتي منكم أو تودوا أهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة وفي القربى حال منها أي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله أي الا أن تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى (ومن يقترف حسنة) أي يكتسب أي حسنة كانت فتتناول مودة ذي القربى تناولا أوليا وعن السدي انها المرادة وقيل نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم (نزد له فيها) أي في الحسنة (حسنا) بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أي يزد الله وقرئ حسنى (ان الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم يقولون) بل أيقولون (افترى) محمد (على الله كذبا) بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للانكار التوبيخي كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها وقوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك) استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر أي ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو

الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم (انه عليم بذات الصدور) فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والاثبات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبدا وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما يفعلون) كائنا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام (ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية أو الكيفية (ولكن ينزل بقدر) أى بتقدير (ما يشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (انه بعباده خبير بصير) محيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وروى ان أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجدبوا انتجعوا (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال (من بعد ما قنطوا) يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا (وهو الولى) الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة (الحميد) المستحق للحمد على ذلك لا غيره (ومن آياته خلق السموات والارض) على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة (وما بث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الارض فان ما يختص بأحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله فى السماء حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم (وهو على جمعهم) أى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى (اذا يشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى (قدير) فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع (وما أصابكم من مصيبة) أى مصيبة كانت (فبما كسبت أيديكم) أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم لاسباب أخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين فى الارض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولى) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار)

السفن الجارية (في البحر) وقرئ الجواري (كالاعلام) أي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة (ان يشأ يسكن الريح) التي تجريها وقرئ الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر أي غير جاريات لا غير متحركات أصلا (ان في ذلك) الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى (لآيات) عظيمة في أنفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤنه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه أو لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر (أو يوبقهن بما كسبوا) عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى (ويعف عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم (ما لهم من محيص) أي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل (فما أوتيتم من شيء) مما ترغبون وتتنافسون فيه (فمتاع الحيوة الدنيا) أي فهو متاع تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتا لخلوص نفعه (وأبقى) زمانا حيث لا يزول ولا يفنى (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره أصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى (والذين يجتنبون كبائر الاثم) أي الكبائر من هذا الجنس (والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) مع ما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة) نزل في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له (وأمرهم شورى بينهم) أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا (ومما رزقناهم ينفقون) أي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات (والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى أن البادئ هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به (فمن عفا) عن المسيء اليه (وأصلح) بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (فأجره على الله) عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود (انه لا يحب الظالمين) البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) أي بعد ما ظلم وقد قرئ به (فأولئك) اشارة الى من باعتبار المعنى كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ (ما عليهم من سبيل) بالمعاتبة أو المعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالاضرار أو يعتدون في الانتقام (ويبغون في الارض بغير الحق) أي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق (لهم عذاب أليم)

بسبب ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر) لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره الى الله تعالى (ان ذلك) الذى ذكر من الصبر والمغفرة (لمن عزم الامور) أى ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وهذا فى المواد التى لا يؤدى العفو الى الشر كما أشير اليه (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) أى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (يقولون هل الى مرد) أى الى رجعة الى الدنيا (من سبيل) حتى نؤمن ونعمل صالحا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين متضائلين مما دهاهم (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين) أى المتصفين بحقيقة الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعريض للعذاب الخالد (يوم القيامة) اما ظرف لخسروا فالقول فى الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى (الا ان الظالمين فى عذاب مقيم) اما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا (ومن يضلل الله فما له من سبيل) يؤدى سلوكه الى النجاة (استجيبوا لربكم) اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لا يمكن رده (ما لكم من ملجأ يومئذ) أى مفر تلتجئون اليه (وما لكم من نكير) أى انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام أى فان لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم اليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم (ان عليك الا البلاغ) وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) أى نعمة من الصحة والغنى والامن (فرح بها) أريد بالانسان الجنس لقوله تعالى (وان تصبهم سيئة) أى بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على أن ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها بأعمالهم للايذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام فى سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم (لله ملك السموات والارض) فمن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفى كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده (يخلق ما يشاء) مما نعلمه ومما لا نعلمه (يهب لمن يشاء اناثا) من الاولاد (ويهب لمن يشاء الذكور) منهم من غير أن يكون فى ذلك مدخل لاحد (أو يزوجهم) أى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا (ذكرانا واناثا) قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية أو جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وأنثى توأمين (ويجعل من يشاء عقيما) والمعنى يجعل أحوال العباد فى حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها أكثر لتكثير النسل أو لان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما تتعلق به مشيئته تعالى لا ما تتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك أو لان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه فى الرابع لافصاحه بأنه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبى صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين (انه عليم قدير) مبالغ فى العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة

(وما كان لبشر) أى وما صح لفرد من أفراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الا وحيا) أى الا بأن يوحى اليه ويلهمه ويقذف فى قلبه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليهما السلام فى ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (أو يرسل رسولا) أى ملكا (فيوحى) ذلك الرسول الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى (باذنه) أى بأمره تعالى وتيسيره (ما يشاء) أن يوحيه اليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا وقرئ أو يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروى أن اليهود قالت للنبى عليه الصلاة والسلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضى الله عنها أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية (انه على) متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا بأحد الوجوه المذكورة (حكيم) يجرى أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها اما الهاما واما خطابا (وكذلك) أى ومثل ذلك الايحاء البديع (أوحينا اليك روحا من أمرنا) هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة أبدية فنزل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحى (ما كنت تدرى) قبل الوحى (ما الكتاب) اى اى شئ هو (ولا الايمان) اى الايمان بتفاصيل ما فى تضاعيف الكتاب من الامور التى لا تهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه الصلاة والسلام له مما لا ريب فيه قطعا (ولكن جعلناه) أى الروح الذى أوحيناه اليك (نورا نهدى به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى (وانك لتهدى) تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور أى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته (الى صراط مستقيم) هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى أى ليهديك الله وقرئ لتدعو (صراط الله) بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك أتم ايجاب (ألا الى الله تصير الامور) أى أمور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له

*(سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من أرسلنا وآيها تسع وثمانون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(حم) الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم (والكتاب) بالجر على أنه مقسم به اما ابتداء أو عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تأكيد مضمون الجملة القسمية (المبين) أى البين لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى أبواب الديانة (انا جعلناه قرآنا عربيا) جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى (لعلكم تعقلون) فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم واتمام النعمة عليهم

وازاحة

وازاحة أعذارهم أى جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية (وانه فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر (لدينا) أى عندنا (لعلى) رفيع القدر بين الكتب شريف (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لانّ وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى أم الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بأنه من علو الشان بحيث لا يحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما أنه كاف فيهما من حيث اعجازه ورمز الى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شئ آخر أولى منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذى أنبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار أن يكون الامر بخلافه فقيل (أفنضرب عنكم الذكر) أى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهملكم فننحى الذكر عنكم (صفحا) أى اعراضا عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحا أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفننحيه عنكم جانبا (أن كنتم قوما مسرفين) أى لأن كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) تقرير لما قبله ببيان أن اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم بأشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها أن تسير مسير المثل (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليسندن خلقها الى من هذا شأنه فى الحقيقة وفى نفس الامر لا أنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لا ريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاؤا أو أبوا وقد جوّز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى (الذى جعل لكم الارض مهادا) استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها فى أسفاركم (لعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم أو بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (فأنشرنا به) أى أحيينا بذلك الماء (بلدة ميتا) خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميّتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بأمر الاحياء والاشعار بعظم خطره (كذلك) أى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض (تخرجون) أى تبعثون من قبوركم أحياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس (والذى خلق الازواج كلها) أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج

كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) أى ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها (لتستووا على ظهوره) أى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) أى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بألسنتكم (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) متعجبين من ذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين من أقرن الشئ اذا أطاقه وأصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى راجعون وفيه ايذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب الى الله تعالى فيبنى أموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شئ مما يأتى ويذر أمرا ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لامر مشروع (وجعلوا له من عباده جزءا) متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ أى وقد جعلوا له سبحانه بألسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى (وأصفاكم بالبنين) اما عطف على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجيب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ أى بل أتخذ من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه أما كان لكم شئ من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا اليه ما ذكر من حالهم أن أحدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها أى اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد أن يجانس الوالد ويماثله (ظل وجهه مسودا) أى صار أسود فى الغاية من سوء ما بشر به (وهو كظيم) مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على أن فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له (أومن ينشأ فى الحلية) تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا أى أو جعلوا من شأنه أن يربى فى الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لامر بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما فى أم المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوانى أى أو اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته (وهو) مع ما ذكر من القصور (فى الخصام) أى الجدال الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة (غير مبين) غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاه وأغلاه وغالاه (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله تعالى

اياهم

اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بأنوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما (ستكتب شهادتهم) هذه في ديوان أعمالهم (ويسألون) عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) بيان لفن آخر من كفرهم أي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وأنهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بأنه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطؤا في الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى (ما لهم بذلك) أي بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة (من علم) يستند الى سند ما (ان هم الا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز أن يشار بذلك الى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه الى ابطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستمسكون) وعليه معولون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أي لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون (وكذلك) أي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى (ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم أيضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد (قال) حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم أي قال كل نذير من أولئك المنذرين لامهم (أولو جئتكم بأهدى) بدين أهدى (مما وجدتم عليه آباءكم) من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على أنه حكاية أمر ماض أوحي حينئذ الى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) فانه حكاية عن الامم قطعا أي قال كل أمة لنذيرها انا بما أرسلت به الخ وقد أجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما أرسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى (فانتقمنا منهم) أي بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك (واذ قال ابراهيم) أي واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لابيه وقومه) المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله (انني براء مما تعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال أو ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أي انني بريء من عبادتكم أو معبودكم (الا الذي فطرني) استثناء منقطع أو متصل على أن ما تعم أولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو صفة على أن ما موصوفة أي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني (فانه سيهدين) أي سيثبتني على الهداية أو سيهدين الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها) أي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي ما تكلم به عبارة عنها (كلمة باقية في عقبه) أي

فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف (لعلهم يرجعون) علة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد (بل متعت هؤلاء) اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بان وصى بها بنيه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة (وآباءهم) بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) أى هؤلاء (الحق) أى القرآن (ورسول) أى رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعله سببا لزيادة الكفران أقصى مراتب الكفر والضلال (ولما جاءهم الحق) لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (عظيم) أى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل الى أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى (أهم يقسمون رحمت ربك) انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) أى أسباب معيشتهم (فى الحيوة الدنيا) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية (ورفعنا بعضهم فوق بعض) فى الرزق وسائر مبادى المعاش (درجات) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو فى طرف التمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم فى تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها (ورحمت ربك) أى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا فى الكفر اذا رأوا أهله فى سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) أى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن افراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كأنه لغة فى سقف وسقوفا (ومعارج) أى جعلنا لهم معارج من فضة أى مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج (عليها يظهرون) أى يعلون السطوح والعلالى (ولبيوتهم) أى وجعلنا لبيوتهم (ابوابا وسررا) من فضة (عليها) أى على السرر (يتكئون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير (وزخرفا)

أى زينة عطف على سقفا أوذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) أى وما كل ماذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الاشئ يتمتع به فى الحياة الدنيا وفى معناه ماقرئ وما كل ذلك الامتاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على أن ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرئ بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الخ كما فى قوله تعالى تماما على الذى أحسن (والآخرة) بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان (عند ربك للمتقين) أى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا (ومن يعش) أى يتعام (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح أى يعم يقال عشى يعشى اذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه فى حظوظها الفانية والشهوات (نقيض له شيطانا فهو له قرين) لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع يقيض (وانهم) أى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو (ليصدونهم) أى قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها (عن السبيل) المستبين الذى يدعو اليه القرآن (ويحسبون) أى العاشون (انهم) أى الشياطين (مهتدون) أى الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أى وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون اليه وصيغة المضارع فى الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى (حتى اذا جاءنا) فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما أن تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير فى جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ماذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة (قال) مخاطبا له (ياليت بينى وبينك) فى الدنيا (بعد المشرقين) أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما (فبئس القرين) أى أنت وقوله تعالى (ولن ينفعكم) الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عزوجل توبيخا وتقريعا أى لن ينفعكم (اليوم) أى يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم (اذ ظلمتم) أى لاجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم أى اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال (اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة) أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى (انكم فى العذاب مشتركون) تعليل لنفى النفع أى لان حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ويجوز أن يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل أعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم مالا تبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى) وهو انكار تعجيب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقرونا بالصمم (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث

لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى أنه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء (فاما نذهبن بك) أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين (فانا منهم منتقمون) لا محالة فى الدنيا والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لا تفارق النون المؤكدة (أو نرينك الذى وعدناهم) أى او أردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم (فانا عليهم مقتدرون) بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى اليك) من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه الى يوم الآخرة وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (انك على صراط مستقيم) تعليل للاستمساك أو للامر به (وانه لذكر) لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسألون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤل عنه عين مانطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) ملتبسا بها (الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أى فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية) من الآيات (الا هى أكبر من أختها) الا وهى بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فى شئ منها أو الا وهى مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (لعلهم يرجعون) لكى يرجعوا عما هم عليه من الكفر (وقالوا يا أيها الساحر) نادوه بذلك فى مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ أيه الساحر بضم الهاء (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة (اننا لمهتدون) أى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوته (اذا هم ينكثون) فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله فى الاعراف (ونادى فرعون) بنفسه أو بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) أى من تحت قصرى أو أمرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجرى حال منها أو للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبر للمبتدأ (أفلا تبصرون) ذلك يريد به استعظام ملكه (أم أنا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير من المهانة وهى القلة (ولا يكاد يبين) أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له عليه السلام فى أعين الناس باعتبار ما كان فى لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم اما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبادى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه حالى من هذا الخ واما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلا ألقى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما أنهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرئ أساور جمع اسورة وقرئ أساورة

جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ كذلك وقرئ ألقى عليه اسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما أمرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي (فلما آسفونا) أي أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف اذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) في اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على أنه جمع سليف أي فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا أو لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى (اذا قومك منه) أي من ذلك المثل (يصدون) أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرئ يصدون أي من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المفاجأة (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أي ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك الى أن نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الافحام من أول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما أظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى (ما ضربوه لك الا جدلا) أي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك (بل هم قوم خصمون) أي لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير أم هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل

فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن أشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) أى بالنبوة (وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل) أى امرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم فى شأن الملائكة وعلى الثانى والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو بأبطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدى منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى فى الحقيقة وفيما أوحى الى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس الا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى (ولو نشاء) الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضا من درجة المعبودية أى قدرتنا بحيث لو نشاء (لجعلنا) أى لخلقنا بطريق التوالد (منكم) وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة (ملائكة) كما خلقناهم بطريق الابداع (فى الارض) مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء (يخلفون) أى يخلفونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس فى السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وانه) وان عيسى (لعلم للساعة) أى انه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة فى الساعة وقرئ لعلم أى علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن فيه الاعلام بالساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فى وقوعها (واتبعون) أى واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى (هذا) أى الذى أدعوكم اليه أو القرآن على أن الضمير فى انه له (صراط مستقيم) موصل الى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعى (انه لكم عدو مبين) بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) أى بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات (قال) لبنى اسرائيل (قد جئتكم بالحكمة) أى الانجيل أو الشريعة (ولأبين لكم) عطف على مقدر ينبئ عنه المجىء بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم اياها ولأبين لكم (بعض الذى تختلفون فيه) وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم (فاتقوا الله) فى مخالفتى (وأطيعون) فيما أبلغه عنه تعالى (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا) أى التوحيد والتعبد بالشرائع (صراط مستقيم) لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) أى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) من المختلفين (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون) أى ما ينتظر الناس (الا الساعة أن تأتيهم) أى الا اتيان الساعة (بغتة) أى فجأة لكن لا عند

كونهم مستغرقين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى (وهم لا يشعرون الاخلاء) المتحابون فى الدنيا على الاطلاق أو فى الامور الدنيوية (يومئذ) يوم اذ تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدوّ) لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها أسبابا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى أو نصب على المدح (وكانوا مسلمين) أى مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد يا عبادى فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الاديان الباطلة رؤسهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرّون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم) بعد دخولهم الجنة حسبما أمر وابه (بصحاف من ذهب وأكواب) كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) أى فى الجنة (ما تشتهيه الانفس) من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهى (وتلذ الاعين) أى تستلذه وتقرّ بمشاهدته وقرئ وتلذه (وأنتم فيها خالدون) اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التى أورثتموها) وقرئ ورثتموها (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما فى الاولين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط (منها تأكلون) أى بعضها تأكلون فى كل نوبة وأما الباقى فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهى مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها (ان المجرمين) أى الراسخين فى الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات (فى عذاب جهنم خالدون) خبران أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به (لا يفتر عنهم) أى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) أى فى العذاب وقرئ فيها أى فى النار (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك (ولكن كانوا هم الظالمين) لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد (ونادوا) خازن النار (يا مالك) وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه (ليقض علينا ربك) أى أمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا لا ينافى ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمنّ للموت لفرط الشدة (قال انكم ماكثون) أى فى العذاب أبدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة (لقد جئناكم بالحق) فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى (ولكن أكثركم للحق) أى حق كان (كارهون) لا يقبلونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه (أم أبرموا أمرا) كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان أريد بالابرام الاحكام حقيقة فهى لانكار الوقوع واستبعاده وان أريد الاحكام صورة فهى لانكار الواقع واستقباحه أى أأبرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا حقيقة لا هم أو فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا كيدهم صورة كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا

هم المكيدون وكانوا يتناجون فى أنديتهم ويتشاورون فى أموره عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أى بل أيحسبون (أنا لانسمع سرهم) وهو ماحدثوا به أنفسهم أوغيرهم فى مكان خال (ونجواهم) أى ماتكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى (بلى) نحن نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلازمونهم أينما كانوا (لديهم) عندهم (يكتبون) أى يكتبونهما او يكتبون كل ماصدر عنهم من الافعال والاقوال التى من جملتها ماذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على مايترجم عنه بلى أوحال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون (قل) أى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أولمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة مانسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) أى له وذلك لانه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بشؤنه تعالى وبما يجوز عليه وبما لايجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد مالايخفى مع مافيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا أول الآنفين أى المستنكفين منه أومن أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه وقيل ان نافية أى ما كان للرحمن ولد فانا أول من قال بذلك وقرئ ولد (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى يصفونه به من أن يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى أعظم الاجرام وأقواها تنبيه على أنها ومافيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شئ منها جزأ منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش (فذرهم) حيث لم يذعنوا للحق بعد ماسمعوا هذا البرهان الجلى (يخوضوا) فى أباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم فان ماهم فيه من الافعال والاقوال ليست الامن باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الامر (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون مافعلوا ومايفعل بهم (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذى مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولامساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول واله خبر المبتدا محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الالهية لاعلى سبيل الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى (وهو الحكيم العليم) كالدليل على ماقبله (وتبارك الذى له ملك السموات والارض ومابينهما) اما على الدوام كالهواء أوفى بعض الاوقات كالطير (وعنده علم الساعة) أى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيامة (واليه ترجعون) للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء (ولايملك الذين يدعون) أى يدعونهم وقرئ بالتاء مخففا ومشددا (من دونه الشفاعة) كما يزعمون (الامن شهد بالحق) الذى هو التوحيد (وهم يعلمون) بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الافراد أولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل مايعبد من دون الله أومنفصل على أنه خاص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) أى سألت العابدين والمعبودين (ليقولن الله) لتعذر الانكار لغاية بطلانه (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى (وقيله) بالجر اما على أنه عطف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام (يارب) الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر أوعلى أن الواو للقسم وقوله تعالى (ان هؤلاء قوم لايؤمنون) جوابه وفى الاقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى مالايخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أوعلى محل الساعة أوباضمار فعله أوبتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر مابعده وقد جوز

عطفه على علم الساعة (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم (وقل سلام) أى أمرى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على أنه داخل فى حيز قل * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

*( سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع أو تسع وخمسون آية )*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(حم والكتاب المبين) الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة (انا أنزلناه) أى الكتاب المبين الذى هو القرآن (فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله أو أنزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد فى هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة (انا كنا منذرين) استئناف مبين لما يقتضى الانزال كأنه قيل انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف (فيها يفرق كل أمر حكيم) استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرّق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل أى يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص أى أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره فى حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهى ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان فى المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حالا من أحد ضميرى أنزلناه أى آمرين أو مأمورا به (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى (رحمة من ربك) غاية للارسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أى انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمرا على أن قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب فى أن كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى (انه هو السميع العليم) تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لا تحق الا لمن هذه نعوته (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرئ بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على اضمار مبتدا (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم من أهل الايقان فى العلوم أو ان كنتم موقنين فى اقراركم بأنه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الامر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لا اله الا هو) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض (يحيى ويميت) مستأنفة كما قبلها

وكذا قوله تعالى (ربكم ورب آبائكم الاولين) باضمار مبتدأ أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر (بل هم في شك) مما ذكر من شؤنه تعالى غير موقنين في اقرارهم (يلعبون) لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء في قوله تعالى (فارتقب) لترتيب الارتقاب أو الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما أي فانتظر لهم (يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره أو لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار أو لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى (يغشى الناس) أي يحيط بهم (هذا عذاب أليم) أي قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة فيدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى (أنى لهم الذكرى) الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية أي كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم (وقد جاءهم رسول مبين) أي والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال (ثم تولوا عنه) عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوه من العظائم الموجبة للاقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولي (وقالوا) في حقه (معلم مجنون) أي قالوا تارة يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى (انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون) جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوما وريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى (انا منتقمون) لا لمنتقمون لان ان مانعة من ذلك أي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الخ وقرئ نبطش أي نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام أو أوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على المؤمنين أو في نفسه لان

الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدّوا الىّ عباد الله) أى بأن أدّوا الىّ بنى اسرائيل وأرسلوهم معى أو بأن أدّوا الىّ يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لان مجىء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدّوا الىّ الخ وقوله تعالى (انى لكم رسول أمين) تعليل للامر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد ائتمنى الله تعالى على وحيه وصدّقنى بالمعجزات القاهرة (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى (انى آتيكم) أى من جهته تعالى (بسلطان مبين) تعليل للنهى أى آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل أو المضارع وفى ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) أى التجأت اليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) من أن ترجمونى أى تؤذونى ضربا أو شتما أو أن تقتلونى قيل لما قال وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال فى التاء (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لى فخلونى كفافا لا علىّ ولا لى ولا تتعرضوا لى بشرّ ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة عنى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن يأباه المقام (فدعا ربه) بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام (أن هؤلاء) أى بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (فأسر بعبادى ليلا) باضمار القول امّا بعد الفاء أى فقال ربه أسر بعبادى وامّا قبلها كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر بعبادى أى بنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى أن تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضرب بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ أنهم بالفتح أى لانهم (كم تركوا) أى كثيرا تركوا بمصر (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل محسنة (ونعمة) أى تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) الكاف فى حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا أى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها (وأورثناها قوما آخرين) . وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية أى الامر كذلك فحينئذ يكون أورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر (فما بكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روى انّ المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره فى الارض وقيل تقديره أهل السماء والارض (وما كانوا) لما جاء وقت هلاكهم (منظرين) ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا (ولقد نجينا بنى اسرائيل) بأن فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهين) من استعباد فرعون اياهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم (من فرعون) بدل من العذاب امّا على جعله نفس العذاب لافراطه فيه وامّا على حذف المضاف أى عذاب فرعون أو حال من المهين أى كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوّه وتفرعنه وفى ابهام أمره أولا وتبيينه بقوله تعالى (انه كان عاليا من المسرفين) ثانيا من الافصاح عن كنه أمره فى الشرّ والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين امّا خبر ثان لكان أى كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير فى عاليا أى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) أى عالمين بأنهم أحقاء بالاختيار أو عالمين بأنهم يزيغون فى بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات (على العالمين) جميعا لكثرة الانبياء فيهم أو على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم (ما فيه بلاء مبين) نعمة جلية أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون

(انّ هؤلاء) يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم (ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى) أى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة أخرى كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ماهى الاموتتنا الاولى أى ما الموتة التى تعقبها حياة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التى تعقب حياة القبر كما تزعمون (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (ان كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات (أهم خير) رد لقولهم وتهديد لهم أى أهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك (أم قوم تبع) هو تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك بحرا وبحرا أى بحارا كثيرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن اولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى (أهلكناهم) استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى (انهم كانوا مجرمين) تعليل لاهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم فى الاجرام أضعف منهم فى الشدة والقوة أولى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أى ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن (لاعبين) لاهين من غير أن يكون فى خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أو أعم الاسباب أى ما خلقناهما ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق أو ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء (ان يوم الفصل) أى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (أجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان ويوم الفصل خبرها أى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل (يوم لا يغنى) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه (مولى) من قرابة أو غيرها (عن مولى) أى مولى كان (شيأ) أى شيأ من الاغناء (ولا هم ينصرون) الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) الذى لا ينصر من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن أراد أن يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات (طعام الاثيم) أى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالمهل) وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت (يغلى فى البطون) وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة (كغلى الحميم) غليانا كغليه (خذوه) على ارادة القول والخطاب للزبانية (فاعتلوه) أى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهى لغة فيه (الى سواء الجحيم) أى وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وقرئ بالفتح أى لانك أو عذاب أنك (ان هذا) أى العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم

(انّ المتقين) أى عن الكفر والمعاصى (فى مقام) فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة (امين) يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كأنّ المكان المخيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام جئ به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) امّا خبر ثان أو حال من الضمير فى الجارّ أو استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرّب (متقابلين) فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى الامر كذلك أو كذلك أثبناهم (وزوّجناهم بحور عين) على الوصف وقرئ بالاضافة أى قرناهم بهنّ والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى أنهنّ نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون باحضار مايشتهونه من الفواكه لايتخصص شئ منها بمكان ولازمان (آمنين) من كل مايسوءهم (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يستمرّون على الحياة أبدا والاستثناء منقطع أو متصل على أنّ المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لايذوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى حينئذ (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ مشددا للمبالغة فى الوقاية (فضلا من ربك) أى أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) فذلكة للسورة الكريمة أى انما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك (فارتقب) فانتظر مايحلّ بهم (انهم مرتقبون) مايحلّ بك * روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له

## *(سورة الجاثية مكية وهى سبع أو ست وثلاثون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(حم) الكلام فيه كما مرّ فى فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سرّه مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الاوّل خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ماقبله أى المؤلف من جنس ماذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسمى به تنزيل الخ وقد مرّ مرارا أنّ الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لاعهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها وأمّا جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتدّ بها تمحل على تمحل وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) كما مرّ فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى (انّ فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحلّ الآيات امّا نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على مايقصر عنه البيان وامّا خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق بقوله تعالى (وفى خلقكم) أى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى أطوار مختلفة الى تمام الخلق (ومايبث من دابة) عطف على المضاف دون المضاف اليه أى وفيما ينشره ويفرّقه من دابة (آيات) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المتقدم والجملة معطوفة على ماقبلها من الجملة المصدّرة بانّ وقيل آيات عطف على ماقبلها من آيات باعتبار المحلّ عند من يجوّزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على ماقبلها من اسم انّ والخبر هو الخبر كأنه قيل وانّ فى خلقكم ومايبث من دابة آيات (لقوم يوقنون) أى من شأنهم أن يوقنوا بالاشياء على ماهى عليه (واختلاف الليل والنهار) بالجرّ على اضمار الجارّ المذكور فى الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما امّا تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصرا

(وما أنزل الله من السماء) عطف على اختلاف (من رزق) أى من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة (فأحيى به الارض) بان أخرج منها أصناف الزروع والثمرات والنبات (بعد موتها) وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار (وتصريف الرياح) من جهة الى أخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بأنه آية مستقلة حيث لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار (آيات لقوم يعقلون) بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان (بالحق) حال من فاعل نتلو ومن مفعوله أى نتلوها محقين أو ملتبسة بالحق (فبأى حديث) من الاحاديث (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضا ومناط العطف التغاير العنوانى (يؤمنون) بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير الآثام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير فى أثيم (تتلى عليه) حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه أن يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم يصر) أى يقيم على كفره وأصله من اصرار الحمار على العانة (مستكبرا) عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشترى من أحاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التى حقها أن تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال (يرى غمرات الموت ثم يزورها)

قوله يرى الخ هو عجز بيت وصدره
ولا يكشف الغماء الا ابن حرة

(كأن لم يسمعها) أى كأنه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر أى يصر شبيها بغير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره واستكباره (واذا علم من آياتنا شيأ) أى اذا بلغه من آياتنا شئ وعلم أنه من آياتنا لا أنه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيأ يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوصل به الى الطعن والغميزة (اتخذها) أى الآيات كلها (هزوا) أى مهزوءا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتأنيث لانه فى معنى الآية (اولئك) اشارة الى كل أفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد (لهم) بسبب جناياتهم المذكورة (عذاب مهين) وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى (من ورائهم جهنم) أى من قدامهم لانهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف وقدام (ولا يغنى عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا) من الاموال والاولاد (شيأ) من عذاب الله تعالى أو شيأ من الاغناء (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى الاصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع أن عدم اغناء الاصنام أظهر وأجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه تهكم (ولهم) فيما وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (هذا) أى القرآن (هدى) فى غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها (والذين كفروا) أى بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى (بآيات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم (لهم عذاب من رجز) أى من أشد العذاب (أليم) بالرفع صفة عذاب وقرئ

بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية (الله الذى سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه (لتجرى الفلك فيه بأمره) وأنتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض) من الموجودات بأن جعلها مدار المنافعكم (جميعا) اما حال من ما فى السموات والارض أو توكيد له (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا أو حال من ما أى جميعا كائنا منه تعالى أو سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أى هى جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازى أو خبر مبتدا محذوف أى ذلك منه (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من الامور العظام (لآيات) عظيمة الشأن كثيرة العدد (لقوم يتفكرون) فى بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها (قل للذين آمنوا) حذف المقول لدلالة (يغفروا) عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط أى قل لهم اغفروا يغفروا (للذين لا يرجون أيام الله) أى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبى ما قال وذلك أنهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبى غلامه يستقى فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر فقال ابن أبى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فأنزلها الله تعالى (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم أى أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوما أيما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على أذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من جملتها ما حكى من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه أن مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديرى المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بأن لا يتحقق بعض منه فى الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفى ذلك من التكلف ما لا يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفا وأشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أى ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزى بنون العظمة (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) لا يكاد يسرى عمل الى غير عامله (ثم الى ربكم) مالك أموركم (ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أو شرا (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى الحكمة النظرية والعملية والفقه فى الدين أو فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم (والنبوة) حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات من الامر) دلائل ظاهرة فى أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (فما اختلفوا) فى ذلك الامر (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه (بغيا بينهم) أى عداوة وحسدا لا شكا فيه (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة) بالمؤاخذة والجزاء (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك على شريعة) أى سنة وطريقة عظيمة الشأن (من الامر) أى أمر الدين (فاتبعها) باجراء أحكامها فى نفسك وفى غيرك من غير اخلال بشئ منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) مما أراد بك ان اتبعتهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض)

لا توالهم ولا تتبع أهواءهم الا من كان ظالما مثلهم (والله ولى المتقين) الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية (هذا) أى القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) من شأنهم الايقان بالامور (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) استئناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالى الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما فى قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب (أن نجعلهم) اى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى الاحوال (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم فى الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى (سواء محياهم ومماتهم) أى محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير فى الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شئ منهما فان هؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيا وفى لعنة الله والعذاب الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية الكريمة وجوه أخر من الاعراب والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على أنه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأيا ما كان فنسبة حسبان التساوى اليهم فى ضمن الانكار التوبيخى مع أنهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة فى الانكار والتشديد فى التوبيخ فان انكار حسبان التساوى والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده (ساء ما يحكمون) أى ساء حكمهم هذا أو بئس شيأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى اياهما ولما فيهما بالحق المقتضى للعدل يستدعى لا محالة تفضيل المحسن على المسئ فى المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك فى المحيا فهو بعد الممات حتما (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم) أى النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه عبده أى أنظرت فرأيته فان ذلك مما يقضى منه العجب وقرئ آلهة هواه لان أحدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ آلهة شتى (وأضله الله) وخذله (على علم) أى عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه) بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات والنذر (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل (وقالوا) بيان لاحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم (ما هى) أى ما الحياة (الا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها

ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوّز أن يريدوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيا (وما يهلكنا الا الدهر) الا مرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره أى غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر فى هلاك الانفس هو مرور الايام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (وما لهم بذلك) أى بما ذكر من اقتصار الحياة على ما فى الدنيا واسناد الحياة والموت الى الدهر (من علم) مستند الى عقل أو نقل (ان هم الا يظنون) ما هم الا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شئ يصح أن يتمسك به فى الجملة هذا معتقدهم الفاسد فى أنفسهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذى من جملته البعث (بينات) واضحات الدلالة على ما نطقت به أو مبينات له (ما كان حجتهم) بالنصب على أنه خبر كان أى ما كان متمسكا لهم شئ من الاشياء (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) فى أنا نبعث بعد الموت أى الا هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيأ من الاشياء الا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) بعد الموت (الى يوم القيامة) للجزاء (لا ريب فيه) أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما (ولله ملك السموات والارض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) العامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة) من الامم المجموعة (جاثية) باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع والجذو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة (كل أمة تدعى الى كتابها) الى صحيفة أعمالها وقرئ كل بالنصب على أنه بدل من الاول وتدعى صفة أو حال أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى (هذا كتابنا) الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بأمر الله تعالى أضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى (ينطق عليكم) أى يشهد عليكم (بالحق) من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى (انا كنا نستنسخ) الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير اخلال بشئ منها أى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الاعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى فى جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد (ذلك) أى الذى ذكر من الادخال فى رحمته تعالى (هو الفوز المبين) الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) أى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم يكن تأتيكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) أى قوما عادتهم الاجرام (واذا قيل ان وعد الله) أى ما وعده من الامور الآتية أو وعده بذلك (حق) أى واقع لا محالة أو مطابق للواقع (والساعة) التى هى أشهر ما وعده (لا ريب فيها) أى فى وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها (قلتم) لغاية عتوكم (ما ندرى ما الساعة) أى أى شئ هى استغرابا لها (ان نظن الا ظنا) أى ما نفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان أتبع الا ما يوحى الى وقيل ما نعتقد الا ظنا أى لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا

ضعفا وبرده قوله تعالى (وما نحن بمستيقنين) أى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا (وبدا لهم) أى ظهر لهم حينئذ (سيئات ما عملوا) على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان جزاء السيئة سيئة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من الجزاء والعقاب (وقيل اليوم ننساكم) نترككم فى العذاب ترك المنسى (كما نسيتم) فى الدنيا (لقاء يومكم هذا) أى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها (ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب أنكم (اتخذتم آيات الله هزوا) مهزوءا بها ولم ترفعوا لها رأسا (وغرتكم الحيوة الدنيا) فحسبتم أن لا حياة سواها (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار (ولا هم يستعتبون) أى يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه (فلله الحمد) خاصة (رب السموات ورب الارض رب العالمين) فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بأن ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو (وله الكبرياء فى السموات والارض) لظهور آثارها وأحكامها فيهما واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز) الذى لا يغالب (الحكيم) فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

* (سورة الاحقاف مكية وآيها أربع او خمس وثلاثون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة (ما خلقنا السموات والارض) بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما (وما بينهما) من المخلوقات (الا بالحق) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الاحوال من فاعل خلقنا أو من مفعوله أى ما خلقناها فى حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق أو حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى (وأجل مسمى) عطف على الحق بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه أمر الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) فان ما أنذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية أى ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له (قل) توبيخا لهم وتبكيتا (أرأيتم) أخبرونى وقرئ أرأيتكم (ما تدعون) ما تعبدون (من دون الله) من الاصنام (أرونى) تأكيد لأرأيتم (ماذا خلقوا من الارض) بيان للابهام فى ماذا (أم لهم شرك) أى شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها أو ملكها وتدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له فى وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى (ائتونى بكتاب) الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى أى ائتونى بكتاب الهى كائن (من قبل هذا) الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى أو سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شئ منهما وقد قامت على خلافها أدلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة أى مناظرة فانها تثير المعانى وأثرة أى شئ

أوثرتم به وخصصتم من علم مطوي من غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء أما المكسورة فبمعنى الاثرة وأما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث أي رواه وأما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار ونفي لأن يكون أحد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة أي هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة (الى يوم القيامة) غاية لنفي الاستجابة (وهم عن دعائهم) الضمير الاول لمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها (غافلون) لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية (واذا حشر الناس) عند قيام القيامة (كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أي مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما روي أنه تعالى يحيي الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات أو مبينات (قال الذين كفروا للحق) أي لاجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة (لما جاءهم) أي في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل (هذا سحر مبين) أي ظاهر كونه سحرا (أم يقولون افتراه) اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو أشنع منها وما في أم من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجيب أي بل أيقولون افترى القرآن (قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لي من الله شيأ) اذ لا ريب في أنه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف أجترئ على أن أفتري عليه تعالى كذبا فأعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى أيضا على أنه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما أوحي اليهم (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي أي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رضي الله عنه ما أدري ما يصير اليه أمري وأمركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز أن يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز أن تكون ما موصولة والاستفهامية أقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي ما أفعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على

اتباع الوحى لاقصر اتباعه على الوحى كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى (وما أنا الا نذير) أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى (مبين) بين الانذار بالمعجزات الباهرة (قل أرأيتم ان كان) أى ما يوحى الى من القرآن (من عند الله) لاسحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى (وكفرتم به) حال باضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين أجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على أن نظمه فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله فى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به أمر محقق عندهم أيضا وانما ترددهم فى أن ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال فى قوله تعالى (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) وما بعده من الفعلين فان الكل أمور محققة عندهم وانما ترددهم فى أنها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولا والمعنى أخبرونى ان كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى اسرائيل الواقفين على شؤن الله تعالى وأسرار الوحى بما أوتوا من التوراة (على مثله) أى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه فى الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء فى قوله تعالى (فآمن) للدلالة على أنه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحى الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر فقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما فى التوراة من بعثة النبى عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبى وقال مسروق والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبى بأن الآية مدنية وان كانت السورة مكية (واستكبرتم) عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبرونى ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بنى اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد وقوله تعالى (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم (وقال الذين كفروا) حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة فى حق القرآن العظيم والمؤمنين به أى قال كفار مكة (للذين آمنوا) أى لاجلهم (لو كان) أى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين (خيرا ما سبقونا اليه) فان معالى الامور لا ينالها أيدى الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها

فقد

فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكتفين بنفي خيريته (هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك (ومن قبله) أي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب موسى) قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا (اماما ورحمة) حالان من كتاب موسى أي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه (وهذا) الذي يقولون في حقه ما يقولون (كتاب) عظيم الشأن (مصدق) أي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة أو لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق أو من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي (لينذر الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب (وبشرى للمحسنين) في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر أي وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من المستكن في أصحاب وقوله تعالى (جزاء) منصوب اما بعامل مقدر أي يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى أولئك أصحاب الجنة في معنى جازيناهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات العلمية والعملية (ووصينا الانسان) بأن يحسن (بوالديه احسانا) وقرئ حسنا أي بأن يفعل بهما حسنا أي فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين أيضا وبفتحهما أي بأن يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيناه ايصاء حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أي ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) أي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما أراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى أمده (ثلاثون شهرا) تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ أشده) أي اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبي قبل أربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعني) أي ألهمني وأصله أولعني من أوزعته بكذا (أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أي نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها (وأن أعمل صالحا ترضاه) التنكير للتفخيم والتكثير (وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبي بكر رضي الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر ابن فهيرة ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضا فقال وأصلح لي في ذريتي فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي عليه الصلاة والسلام

ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (انى تبت اليك) عما لا ترضاه أو عما يشغلنى
عن ذكرك (وانى من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) اشارة الى الانسان والجمع لان
المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته أى أولئك
المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فان المباح حسن
ولا يثاب عليه (ونتجاوز عن سيئاتهم) وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما
للمفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور (فى أصحاب الجنة) أى كائنين
فى عدادهم منتظمين فى سلكهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله
تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذى كانوا يوعدون) على ألسنة الرسل (والذى قال لوالديه) عند
دعوتهما له الى الايمان (أف لكما) هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت
لك وقرئ أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل
ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو
نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى من أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قبل
اسلامه يرده ما سيأتى من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم
وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك (أتعدانني أن أخرج) أبعث من القبر بعد الموت وقرئ
[illegible] الصحف الاولى وقرئ أخرج من الخروج (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يسألانه
أن يغيثه بتوفيقه للايمان (ويلك) [illegible] أى قائلين له ويلك وهو فى الاصل دعاء عليه بالثبور أريد به الحث
والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن ان وعد الله حق) أى البعث أضافاه اليه تعالى تحقيقا للحق
وتنبيها على خطئه فى اسناد الوعد اليهما وقرئ أن وعد الله أى آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذبا
لهما (ما هذا) الذى تسميانه وعد الله (الا أساطير الاولين) أباطيلهم التى سطروها فى الكتب من غير
أن يكون لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات الباطلة (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى
لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى (فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس) وقد مر تفصيله فى سورة الم السجدة (انهم) جميعا (كانوا خاسرين) قد ضيعوا فطرتهم
الاصلية الجارية مجرى رؤس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى
(ولكل) من الفريقين المذكورين (درجات مما عملوا) مراتب من أجزية ما عملوا من الخير والشر
والدرجات غالبة فى مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب (وليوفيهم أعمالهم) أى أجزية أعمالهم
وقرئ بنون العظمة (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة
للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم
فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات (ويوم يعرض
الذين كفروا على النار) أى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف أى قتلوا وقيل يعرض النار
عليهم بطريق القلب مبالغة (اذهبتم طيباتكم) أى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم
بهمزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخى أى أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها
(فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فلم يبق لكم بعد ذلك شئ منها (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى
الهوان وقد قرئ كذلك (بما كنتم) فى الدنيا (تستكبرون فى الارض بغير الحق) بغير استحقاق لذلك
(وبما كنتم تفسقون) أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ
تفسقون بكسر السين (واذكر) أى لكفار مكة (أخا عاد) أى هودا عليه السلام (اذ أنذر قومه)
بدل اشتمال منه أى وقت انذاره اياهم (بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء
من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال
لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) أى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر

(من

(من بين يديه) أى من قبله (ومن خلفه) أى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله (أن لا تعبدوا الا الله) مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا يخلو فى نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الخالى (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أى تصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب العظيم (ان كنت من الصادقين) فى وعدك بنزوله بنا (قال انما العلم) أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ذلك (عند الله) وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به فى وقته المقدر له (وأبلغكم ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ أبلغكم من الابلاغ (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث تقترحون علىّ ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى (فلما رأوه) فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى (عارضا) اما تمييزا أو حالا أو راجع الى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا أى فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم) أى متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى (قالوا هذا عارض ممطرنا) ولذلك وقعا وصفين للنكرة (بل هو) أى قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم أى ليس الامر كذلك بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب (ريح) بدل من ما أو خبر لمبتدا محذوف (فيها عذاب أليم) صفة لريح وكذا قوله تعالى (تدمر) أى تهلك (كل شئ) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف أو هو الهاء فى ربها ويجوز أن يكون استئنافا واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شئ لكونه بمعنى الاشياء وفى ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) فصيحة أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى القوم المجرمين) وقد مر تفصيل القصة فى سورة الاعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى ان أول ما عرفوا به أنه عذاب ما رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم) أى قررنا عادا أو أقدرناهم وما فى قوله تعالى (فيما ان مكناكم فيه) موصولة أو موصوفة وان نافية أى فى الذى أو فى شئ ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادى التصرفات كما فى قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة ما وهو الداعى الى قلب ألفها هاء فى مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره (فما أغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى

ومواعظ الرسل (ولا أبصارهم) حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم (ولا أفئدتهم) حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى (من شيء) أي شيأ من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه فان قولك اكرمته اذا اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) كررناها لهم (لعلهم يرجعون) لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما يتقرب به الى الله تعالى وأحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور (وذلك) أي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم (افكهم) أي أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ أفكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ أي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال أي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم أي قولهم الافك أي ذو الافك كما يقال قول كاذب (وما كانوا يفترون) عطف على افكهم أي وأثر افترائهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الافك (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى (يستمعون القرآن) وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن (فلما حضروه) أي القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أي اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) أتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلاة والسلام (ولوا الى قومهم منذرين) مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم * روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كتقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ

قلت

قلت ثم رجال الاسود استشعرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (قالوا) أى عند رجوعهم الى قومهم (ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) أرادوا به التوراة (يهدى الى الحق) من العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم فى الاجابة ثم أكدوه بقولهم (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان (ويجركم من عذاب أليم) معد للكفرة واختلف فى أن لهم أجرا غير هذا أولا والاظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعى الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة فى الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه فى الارض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها وقوله تعالى (وليس له من دونه أولياء) بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى (أولئك) بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (أولم يروا) الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان (أن الله الذى خلق السموات والارض) ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه (ولم يعى بخلقهن) أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا أو لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى (بقادر) فى حيز الرفع لانه خبر أن كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة الاولى اشتمال النفى الوارد فى صدر الآية على أن وما فى حيزها كأنه قيل أوليس الله بقادر (على أن يحيى الموتى) ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (بلى انه على كل شئ قدير) تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) ظرف عامله قول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) على أن الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر فى سورة الاحزاب وقيل هى الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما فى الدنيا وأنى لهم ذلك (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بها فى الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء فى قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أى اذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين (ولا تستعجل لهم) أى لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا ساعة) يسيرة (من نهار) لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلغ وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا (فهل يهلك

(الا القوم الفاسقون) أى الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

*(سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآيها تسع او ثمان وثلاثون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا أو منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها او جعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للايمان أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتى من قوله تعالى فتعسا لهم وأضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل عام للكل (وآمنوا بما نزل على محمد) خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل فى الكل ولذلك أكد بقوله تعالى (وهو الحق من ربهم) بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وأيا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البنائين ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) أى سترها بالايمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى حالهم فى الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق (ذلك) اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك كائن بسبب أن الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه أصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح فى شئ من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذى لا أصل له أصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها لبيان أن ابطالها لبطلان مبناها وزواله وأما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغى لما أن الكفر والصد أخس منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها فى الموقعين (كذلك) أى مثل ذلك الضرب البديع (يضرب الله) أى يبين (للناس أمثالهم) أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية فى الغرابة مجرى الامثال وهى اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) لترتيب ما فى حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام أى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم فى المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ

والتعبير به عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى أيسر ما يكون منه (حتى اذا أثخنتموهم) أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك (فاما منا بعد واما فداء) أى فاما تمنون منا بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق وقرئ فدا كعصا (حتى تضع الحرب أوزارها) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لا تقوم الا بها من السلاح والكراع وأسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعى لاحد الامور الاربعة أو للمجموع والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا تبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وان حملت على الجنس فهى غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلموا (ذلك) أى الامر ذلك أو افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال (ولكن) لم يشأ ذلك (ليبلو بعضكم ببعض) فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا فى سبيل الله) أى استشهدوا وقرئ قاتلوا أى جاهدوا وقتلوا (فلن يضل أعمالهم) أى فلن يضيعها وقرئ يضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت فى يوم أحد (سيهديهم) فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الثواب أو سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) فى الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا اليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم وأفرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة أو حال باضمار قد أو بدونه (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على أعدائكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الاسلام (والذين كفروا فتعسا لهم) التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا أى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للموصول (ذلك) أى ما ذكر من التعس واضلال الاعمال (بأنهم) بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الامارة بالسوء (فأحبط) لاجل ذلك (أعمالهم) التى لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها (أفلم يسيروا فى الارض) أى أقعدوا فى اماكنهم فلم يسيروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن أخبارهم وقوله تعالى (دمر الله عليهم) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به (وللكافرين) أى ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم (أمثالها) أمثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال ما لاولئك وأضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الاولين وقد قتلوا وأسروا بأيدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة أمثالها (ذلك) اشارة الى ثبوت أمثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا) أى ناصرهم على أعدائهم وقرئ

ولىّ الذين (وأنّ الكافرين لا مولى لهم) فيدفع عنهم ما حلّ بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردّوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك (انّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية (والذين كفروا يتمتعون) أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الانعام) غافلين عن عواقبهم (والنار مثوى لهم) أى منزل ثواء واقامة والجملة امّا حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف (وكأيّن) كلمة مركبة من الكاف وأىّ بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى (من قرية) تمييزها وقوله تعالى (هى أشدّ قوة من قريتك) صفة لقرية كما أن قوله تعالى (التى اخرجتك) صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى (أهلكناهم) أى وكم من أهل قرية هم أشدّ قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدّة القوة للايذان بأولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرّج بالدم

وقوله تعالى (فلا ناصر لهم) بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية (أفمن كان على بينة من ربه) تقرير لتباين حالى فريقى المؤمنين والكافرين وكون الاوّلين فى أعلى عليين والآخرين فى أسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبىّ عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك أمره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية (كمن زين له سوء عمله) من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه أقبح القبائح (واتبعوا) بسبب ذلك التزيين (أهواءهم) الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما أن افراد الاوّلين باعتبار لفظها (مثل الجنة التى وعد المتقون) استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية أنهارها التى أشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بأن الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذى هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى (فيها أنهار) الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاوّل هو الانسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ (من ماء غير آسن) أى غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير أسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصا ولا خازرا كألبان الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هى تلذذ محض ولذة امّا تأنيث لذ بمعنى لذيذ أو مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على أنها صفة أنهار وبالنصب على العلة أى لاجل لذة الشاربين (وأنهار من عسل مصفى) لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة فى الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها (ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الانهار (من كل الثمرات) أى صنف من كل الثمرات (ومغفرة) أى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى كائنة من ربهم وقوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن فى الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو

خالد فى النار فعرّى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوّى بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوّى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار (وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم (ومنهم من يستمع اليك) هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سيأتى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال آنفا) أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشئ وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير فى قال وقرئ أنفا (أولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) لعدم توجههم نحو الخير أصلا (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه (والذين اهتدوا) الى طريق الحق (زادهم) أى الله تعالى (هدى) بالتوفيق والالهام (وآتاهم تقواهم) أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أى القيامة وقوله تعالى (ان تأتيهم بغتة) أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء أشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) حكم بخطئهم وفساد رأيهم فى تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجئ عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى اذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو الذى ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل (وللمؤمنين والمؤمنات) أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة (ومثواكم) فى العقبى فانها مواطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما أمركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) بطريق الامر به أى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال * عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم

المكروه أو يؤول اليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين الى مابعد اللام فوزنه أفلع
(طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم
ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أي أمرنا ذلك (فاذا عزم الامر) أسند العزم وهو الجد الى الامر
وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف أي خالفوا وتخلفوا
وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله) على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو
جئتني لاطعمتك أي فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه
(لكان) أي الصدق (خيرا لهم) وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة
وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك ألسنتهم وأياما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض
وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسيتم) الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع أي هل
يتوقع منكم (ان توليتم) أمور الناس وتأمرتم عليهم (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم)
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا
حين أمرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم
الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت أعنتكم وصرتم آمرين ماذكر من الافساد وقطع الارحام
وقيل ان أعرضتم عن الاسلام أن ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور
والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه أن الواقع في حيز الشرط في مثل هذا
المقام لابد أن تكون محذوريته باعتبار مايستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في أن الاعراض عن
الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم
على البناء للمفعول أي جعلتم ولاة وقرئ توليتم أي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد
وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار
أي في أرحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون
عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا (أولئك) اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بأن ذكر هناتهم
أوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره (الذين لعنهم الله) أي
أبعدهم من رحمته (فأصمهم) عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم (وأعمى أبصارهم)
لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق (أفلا يتدبرون القرآن) أي ألا يلاحظونه
ولا يتصفحونه ومافيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات (أم على قلوب اقفالها)
فلا يكاد يصل اليها ذكر أصلا وأم منقطعة ومافيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ
بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها
بابهام أمرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القساوة واما
لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة
لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ أقفلها واقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على أدبارهم)
أي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح
الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الظاهرة
والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعدما وجدوا
نعته في كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت
خبرا لان أي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل
لاستمرار القلب فمعنى سول له أمرا حينئذ أوقعه في أمنيته فان السؤل الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على
حذف المضاف أي كيد الشيطان (وأملى لهم) ومد لهم في الاماني والآمال وقيل امهلهم الله تعالى
ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ وأملي لهم على صيغة المتكلم فالمعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم فالواو
للحال أو للاستئناف وقرئ أملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم (ذلك) اشارة الى

ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيأ منهما ليس مسببا عن
القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا) يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود
الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نعته فى التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول
ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين او المشركين على رأى القائل بل من حين بعثته عليه
الصلاة والسلام (للذين كرهوا ما نزل الله) أى اليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى (سنطيعكم
فى بعض الامر) عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من
أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة
والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم
واعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية
الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب
عنه قوله تعالى (والله يعلم اسرارهم) أى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ أسرارهم أى جميع أسرارهم
التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة
والفاء فى قوله تعالى (فكيف اذا توفتهم الملائكة) لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل
محذوف هو العامل فى الظرف كأنه قيل يفعلون فى حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم
الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فكيف حالهم أو حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم
على أنه اما ماض أو مضارع قد حذف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وأدبارهم) حال من فاعل توفتهم
أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد
على معصية الا يضرب الملائكة وجهه ودبره (ذلك) التوفى الهائل (بأنهم) أى بسبب أنهم (اتبعوا
ما أسخط الله) من الكفر والمعاصى (وكرهوا رضوانه) أى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا
بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود (فأحبط) لاجل ذلك (أعمالهم) التى
عملوها حال ايمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها (أم حسب
الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا
لما نعى عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم) فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشان الذى
هو اسمها محذوف وان بما فى حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين فى قلوبهم حقد
وعداوة للمؤمنين أنه لن يخرج الله أحقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى
أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال (ولو نشاء) ارادتهم (لاريناكهم)
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة
(فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التى نسمهم بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من
المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام
الجواب كررت فى المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة وأما ما فى قوله تعالى (ولتعرفنهم
فى لحن القول) فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه
قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم
وهذا وعد للمؤمنين وايذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد ونحوه من
التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء
(ونبلو أخباركم) ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على
ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه (من بعد ما تبين
لهم الهدى) بما شاهدوا نعته عليه الصلاة والسلام فى التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من

الآيات وهم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر (لن يضرّوا الله) بكفرهم وصدّهم (شيأ) من الاشياء أو شيأ من الضرر أو لن يضرّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيأ وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط أعمالهم) أى مكايدهم التى نصبوها فى ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمنّ والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (انّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) حكم يعمّ كل من مات على الكفر وان صح نزوله فى أصحاب القليب (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أن على جواب النهى وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وترامروه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عمّ يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ماسبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى (وأنتم الاعلون) جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى (والله معكم) فان كونهم الاعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولن يتركم أعمالكم) أى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فافردته عنه من الوتر الذى هو الفرد وعبر عن ترك الاثابة فى مقابلة الاعمال بالوتر الذى هو اضاعة شئ معتد به من الانفس والاموال مع أن الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة أعظم الحقوق واتلافها وقد مرّ فى قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) لا ثبات لها ولا اعتداد بها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها المتنافسون (ولا يسألكم أموالكم) بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم (ان يسألكموها) أى أموالكم (فيحفكم) أى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج اضغانكم) أى أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان (ها أنتم هؤلاء) أى أنتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين أى ها أنتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق فى سبيل الله يعمّ نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) أى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى (والله الغنىّ) دون من عداه (وأنتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى (وان تتولوا) عطف على ان تؤمنوا أى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) يخلف مكانكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة

* (سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(انا

(انا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحا بحراب أو بدونه فانه مالم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لامحالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه مالا يخفى وقيل هو ما أتيح له عليه الصلاة والسلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلاريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين بلغه أن رجلا قال ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة مالم يصب فى غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هى أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح (فتحا مبينا) بينا ظاهر الامر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى (ليغفر لك الله) غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه مالم يكن حاصلا قبل (وينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى (نصرا عزيزا) أى نصرا فيه عزة ومنعة أو قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة أو عزيزا صاحبه (هو الذى أنزل السكينة) بيان لما أفاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أى يقينا منضما الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم بجميع الامور (حكيما) فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود

السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر مادبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم سيئاتهم) أى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ماهو المطلب الاعلى (وكان ذلك) أى ماذكر من الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لا يقادر قدره لانه منتهى ماتمتد اليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا أى كائنا عند الله أى فى علمه تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين مالا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب (الظانين بالله ظن السوء) أى ظن الامر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أى مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه مايراد ذمه من كل شئ وأما المضموم فجار مجرى الشر (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف على مااستحقوه فى الآخرة على مااستوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ماقبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما فى الوعيد وأصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض (وساءت مصيرا) أى جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما) اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة (انا أرسلناك شاهدا) أى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (ومبشرا) على الطاعة (ونذيرا) على المعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولامته (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه اوتصلوا له من السبحة (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاى المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره (ان الذين يبايعونك) أى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى (انما يبايعون الله) خبر ان يعنى أن مبايعتك هى مبايعة الله عزوجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرئ انما يبايعون لله أى لاجله ولوجهه (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فانه أبقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها أى ومن وفى بعهده (فسيؤتيه أجرا عظيما) هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة (سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق معه الهدى ليعلم أنه لايريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيعتلون ويقولون (شغلتنا أموالنا وأهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم فى الاعتذار والاستغفار (قل) ردا لهم عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم (فمن يملك لكم من الله شيأ) أى فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شئ من النفع (ان أراد بكم ضرا) أى مايضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما

ودفع

ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم (أو أراد بكم نفعا) أي ومن يقدر على شيء من الضرر ان أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيرا) فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام أي بل ظننتم (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) بأن يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تاء التأنيث وأما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى أهلهم (وزين ذلك في قلوبكم) وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه أو الى الشيطان (وظننتم ظن السوء) المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال (وكنتم قوما بورا) أي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع بائر كعائذ وعوذ أو فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته أي ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين (فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) أي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل أو لانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له (ويعذب من يشاء) أن يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم (وكان الله غفورا رحيما) مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا (سيقول المخلفون) أي المذكورون وقوله تعالى (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم مكة (ذرونا نتبعكم) الى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها (يريدون أن يبدلوا كلام الله) بأن يشاركوا في الغنائم التي خصها بأهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وأياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا فان ذلك في غزوة تبوك (قل) اقناطا لهم (لن تتبعونا) أي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة (كذلكم قال الله من قبل) أي عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهي (بل تحسدوننا) أي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أي لا يفهمون (الا قليلا) أي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في أمور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة أو يسلموا وأما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة أبي بكر رضي الله عنه

اذلم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة فيخص دوام نفى الاتباع بما فى غزوة خيبر كما قاله محيى السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وان تتولوا) عن الدعوة (كما توليتم من قبل) فى الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أى فى التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفى نفى الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة (ومن يطع الله ورسوله) فيما ذكر من الاوامر والنواهى (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) وقرئ ندخله بنون العظمة (ومن يتول) أى عن الطاعة (يعذبه) وقرئ بالنون (عذابا أليما) لا يقادر قدره (لقد رضى الله عن المؤمنين) هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى (اذ يبايعونك تحت الشجرة) منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى رسولا الى أهل مكة فهموا به فنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه الصلاة والسلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى على الموت دونه وأن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الارض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة وقوله تعالى (فعلم ما فى قلوبهم) عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضى أى فأنزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح (وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم (ومغانم كثيرة يأخذونها) أى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم فى مقام الامتنان (وكان الله عزيزا) غالبا (حكيما) مراعيا لمقتضى الحكمة فى أحكامه وقضاياه (وعدكم الله مغانم كثيرة) هى ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيامة (تأخذونها) فى أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها (فعجل لكم هذه) أى غنائم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) أى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من بنى أسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون آية للمؤمنين) أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر أى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أى فعجل لكم هذه أو كف أيدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثانى عاطفة (ويهديكم) بتلك الآية (صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون وما تذرون (وأخرى) عطف على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولا ريب فى أن الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة فى بيان

تعجيلها

قوله خراش هو هكذا بالخاء والشين المعجمتين بينهما راء وألف وهو صحابى معروف وما وقع فى بعض النسخ مخالفا لذلك فهو تحريف كما نص عليه الشهاب اه مصححه

تعجيلها (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا) أى أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر (لولوا الادبار) منهزمين (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التى قد خلت من قبل) أى سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييرا (وهو الذى كف أيديهم) أى أيدى كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أى فى داخلها (من بعد ان اظفركم عليهم) وذلك أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم وهزمهم أولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء (بصيرا) فيجازيكم بذلك او يجازيهم (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى) بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى (معكوفا) حال من الهدى أى محبوسا وقوله تعالى (ان يبلغ محله) بدل اشتمال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض أى محبوسا من أن يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى (ان تطؤهم) أى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم) أى من جهتهم (معرة) أى مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم أى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى (ليدخل الله فى رحمته) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة بقسميها (من يشاء) وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الامن مستضعفين تحت أيدى الكفرة وأما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم فى الرحمة الاخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عمن رغب فى الاسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى (لو تزيلوا) الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما أى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (اذ جعل الذين كفروا) منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو أحسن الله اليكم وأياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى (فى قلوبهم الحمية) أى الانفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة فى قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية أى حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسيرله والسكينة الثبات والوقار يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله

الرحمن الرحيم فقالوا مانعرف ماهذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت وماقاتلناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ماتريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) أى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق بها) متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار (وأهلها) أى المستأهل لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم حق كل شئ فيسوقه الى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ماحلقنا ولاقصرنا ولارأينا المسجد الحرام فنزلت أى صدقه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه كما فى قولهم صدقنى سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى (بالحق) اماصفة لمصدر مؤكد محذوف أى صدقا ملتبسا بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الايمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أى ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الاحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذى هو من أسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف أى والله لتدخلن الخ وقوله تعالى (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة أو غير ذلك أو هى حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لاصحابه (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى (محلقين رؤسكم ومقصرين) أى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة (لاتخافون) حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استئناف أى لاتخافون بعد ذلك (فعلم مالم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أى فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة مالم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم مايشهد بالصدق علما فعليا (فجعل) لاجله (من دون ذلك) أى من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الخ (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين وأما جعل مافى قوله تعالى مالم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فتأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى ملتبسا به أو بسببه ولاجله (ودين الحق) وبدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين بجميع أفراده التى هى الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الاديان اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم مايستقلون اليه فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على أن ماوعده كائن لامحالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام باظهار المعجزات (محمد) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (رسول الله) بدل أو بيان أو نعت أى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى (والذين معه) مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم فى الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرئ أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال من المستكن فى معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) اى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاولين

آخر أو استئناف وقوله تعالى (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى ثوابا ورضا اما خبر آخر أو حال من ضمير تراهم أو من المستتر فى ركعا سجدا أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ (سيماهم) أى سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره (فى وجوههم) أى فى جباههم وقوله تعالى (من أثر السجود) حال من المستكن فى الجار أى من التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام لا تعلبوا صوركم أى لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما يقال لهما ذوا الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير قال قائلهم

ديار على والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذى الثفنات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من آثار السجود ومن إثر السجود بكسر الهمزة (ذلك) اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن الجارى فى الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى (فى التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى (ومثلهم فى الانجيل) عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى (كزرع أخرج شطأه) الخ تمثيل مستأنف أى هم كزرع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الانجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة أو من الايزار وهى الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أى شد أزره وقوله تعالى (فاستغلظ) فصار غليظا بعد ما كان دقيقا (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عليه الصلاة والسلام قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) فان الكفار اذا سمعوا بما أعد للمؤمنين فى الآخرة مع ما لهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ ومنهم للبيان * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

*(سورة الحجرات مدنية وآيها ثمانى عشرة آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما فى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بأنه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به (لا تقدموا) أى لا تفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطى ويمنع أى يفعل الاعطاء والمنع أو لا تقدموا على أمر من الامور على أن حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول أوفى بحق المقام لافادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوز أن يكون

التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الاقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد (واتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التى من جملتها ما نحن فيه (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى عليه الصلاة والسلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة فى الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرئ لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تجهروا له بالقول) اذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تحبط أعمالكم) اما علة للنهى أى لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أو للمنهى أى لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم أن يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشئ ولا ما يقع منهما فى حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضى الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما ما روى عن الحسن من أنها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأنتم لا تشعرون) حال من فاعل تحبط أى والحال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به أى يخفضونها مراعاة للادب أو خشية من مخالفة النهى (أولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الاصل أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضى الله عنه أذهب عنها الشهوات (لهم) فى الآخرة (مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر عظيم) لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة أو استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من

ليس مثلهم (انّ الذين ينادونك من وراء الحجرات) أى من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدا والمنتهى بحسب الجهة بخلاف مالو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمّهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها امّا بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرّقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوّز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه الصلاة والسلام وقيل انّ الذى ناداه عيينة ابن حصن الفزارى والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما أسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك أو أمروا به أولانه وجد فيما بينهم (أكثرهم لا يعقلون) اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) أى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فانّ أنّ وان دلت بما فى حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغنى قيامك وبلغنى أنك قائم وحتى تفيد أنّ الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فانها مختصة بما هو غاية للشئ فى نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بأنه لو خرج لا لاجلهم ينبغى أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم (لكان) أى الصبر المذكور (خيرا لهم) من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بنى العنبر فأطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) أى فتعرّفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان رضى الله عنه لامّه مصدّقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدّوا ومنعوا الزكاة فهمّ عليه الصلاة والسلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفى ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد وقرئ فتثبتوا أى توقفوا الى أن يتبين لكم الحال (ان تصيبوا) حذار أن تصيبوا (قوما بجهالة) ملتبسين بجهالة حالهم (فتصبحوا) بعد ظهور براءتهم عما أسند اليهم (على ما فعلتم) فى حقهم (نادمين) مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع فانّ تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) أنّ بما فى حيزها سادّ مسدّ مفعولى اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من أحد الضميرين فى فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الخ وهى انكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه ايذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق تصديقا لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأمّا صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لانّ عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعنّ لهم من الامور اذ فيه اختلال أمر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لا من اطاعته فى بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرّة وقيل انها للدلالة على أن امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم فى ذلك فان المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفى بحسب المقام كما فى نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار الذى تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار فى نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولا ثم اعتبر استمراره

فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فان أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى فى كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة فى أمر ما من تلك الامور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر فى وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان أريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الامور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك الطاعة فى وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم أن الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه أوفق بالقياس المقتضى لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار واردا على النفى على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية كما فى مثل قوله تعالى ولاهم يحزنون حيث حمل على استمرار نفى الحزن عنهم اذ ليس فى نفى استمرار الحزن مزيد فائدة وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان) الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن أوصاف الاولين واحماد الافعالهم أى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم (وزينه فى قلوبكم) حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها وأحكامها ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كأنه قيل لم يكن ما صدر عنكم فى حق بنى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذى فى قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (فضلا من الله ونعمة) أى وانعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر أى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا (والله عليم) مبالغ فى العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى (فاصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت) أى تعدت (احداهما على الاخرى) ولم تتأثر بالنصيحة (فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ) أى ترجع (الى أمر الله) الى حكمه أو الى ما أمر به (فان فاءت) اليه وأقلعت عن القتال حذارا من قتالكم (فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال فى وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل (وأقسطوا) أى واعدلوا فى كل ما تأتون وما تذرون (ان الله يحب المقسطين) فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على أن الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان وأنه اذا أمسك عن الحرب ترك لانه فئ الى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (انما المؤمنون اخوة) استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح أى انهم منتسبون الى أصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء فى قوله تعالى (فاصلحوا بين اخويكم) للايذان بأن الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة فى تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) فى كل ما تأتون

وماتذرون من الامور التى من جملتها ما أمرتم به من الاصلاح (لعلكم ترحمون) راجين أن ترحموا على تقواكم
(ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم) أى منكم (من قوم) آخرين أيضا منكم وقوله تعالى (عسى أن يكونوا
خيرا منهم) تعليل للنهى أو لموجبه أى عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم
مختص بالرجال لانهم القوّام على النساء وهو فى الاصل اما جمع قائم كصوّم وزوّر فى جمع صائم وزائر أو
مصدر نعت به فشاع فى الجمع وأمّا تعميمه للفريقين فى مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب أو لانهن توابع
واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية فى الجامع والتنكير اما للتعميم أو للقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض
لما أنها مما يجرى بين بعض وبعض (ولانساء) أى ولا تسخر نساء من المؤمنات (من نساء) منهن (عسى أن
يكن) أى المسخور منهن (خيرا منهن) أى من الساخرات فان مناط الخيرية فى الفريقين ليس ما يظهر للناس
من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التى عليها يدور أمر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة
فى القلوب فلا يجترئ أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير
من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هى
ذات الخبر كما فى قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الاول فهى التى لاخبر لها (ولا تلمزوا أنفسكم) أى ولا يعب
بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه
واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم (ولا تنابزوا بالالقاب) أى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان
النبز مختص به عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد
دخولهم الايمان أو اشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم
والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت فى صفية بنت حيىّ
أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام
هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان قبيح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب (ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظنّ) أى كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب
الاحتياط والتأمل فى كل ظنّ ظنّ حتى يعلم أنه من أىّ قبيل فان من الظنّ ما يجب اتباعه كالظنّ فيما لا قاطع
فيه من العمليات وحسن الظنّ بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظنّ فى الالهيات والنبوّات وحيث يخالفه قاطع
وظنّ السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظنّ فى الامور المعاشية (انّ بعض الظنّ اثم) تعليل للامر
بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقىّ والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة
من الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها (ولا تجسسوا) أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس
لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى
وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء
والجيم وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو
فى جوف بيته (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن
ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس (أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تمثيل
وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا
وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرىّ واسناد الفعل الى أحد ايذانا بأن أحدا
من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل
المأكول أخا للآكل وميتا واخراج تماثلها مخرج أمر بين غنىّ عن الاخبار به وقرئ ميّتا بالتشديد وانتصابه
على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء فى قوله تعالى (فكرهتموه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
التمثيل كأنه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرّهتموه أى جبلتم على كراهته
(واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل (انّ الله توّاب رحيم) مبالغ

فى قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يختص ذلك بتائب دون تائب بل يعمّ الجميع وان كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة والسلام انكما قد اغتبتما فنزلت (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحوّاء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوّز أن يكون تأكيدا للنهى السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزى أحد الى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل وتدّعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقى كأنه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاجر شقى هين على الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (ان الله عليم) بكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن أحوالكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدب فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلاة والسلام مافعلوا (قل) ردا لهم (لم تؤمنوا) اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالايمان وللتفادى عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) حال من ضمير قولوا أى ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لالسنتكم وما فى لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من أعمالكم) لا ينقصكم (شيأ) من أجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يألتكم من الالت وهى لغة غطفان أو شيأ من النقص (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى أن فيهم ما يوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بأن اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس فى حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فى طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة (هم الصادقون) أى الذين صدقوا فى دعوى الايمان لا غيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى (والله بكل شئ عليم) تذييل

مقرر لما قبله أى مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ما أخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم (يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب موليها ثوابا ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لا تمنوا على اسلامكم) أى لا تعدوا اسلامكم منة على أو لا تمنوا على باسلامكم فنصب بنزع الخافض (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرئ بالياء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

## *(سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(ق والقرآن المجيد) أى ذى المجد والشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد أو لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل فى مطلع سورة ص وقوله تعالى (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد فى صدر سورة الاعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما أوفق شئ لقضية العقول وأقربه الى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن لجهلهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام منذرا بالقرآن واضمارهم أولا للاشعار بتعينهم بما أسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على أن هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو أشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الاول وأعرق فى كونه كفرا (أئذا متنا وكنا ترابا) تقرير للتعجب وتأكيد للانكار والعامل فى اذا مضمر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أى أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة الانكار (ذلك) اشارة الى محل النزاع (رجع بعيد) أى عن الاوهام أو العادة أو الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم أحياء كما كانوا عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن فى الارض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة

بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث (فهم فى أمر مريج) أى مضطرب لاقرار له من مرج الخاتم فى اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن (أفلم ينظروا) أى أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا (الى السماء فوقهم) بحيث يشاهدونها كل وقت (كيف بنيناها) أى رفعناها بغير عمد (وزيناها) بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع (وما لها من فروج) من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخيره لمراعاة الفواصل (والارض مددناها) أى بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بأن القاءها لارساء الارض بها (وأنبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى) علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف أى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) أى راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) كثيرة أى أشجارا ذوات ثمار (وحب الحصيد) أى حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل (باسقات) أى طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (رزقا للعباد) أى لنرزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لان الانبات رزق (وأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتا) أرضا جدبة لا نماء فيها أصلا بان جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها أى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى أفهام الناس وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها (وأصحاب الرس) قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل (وثمود وعاد وفرعون) أى هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده (واخوان لوط) قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام (وأصحاب الايكة) هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين (وقوم تبع) سبق شرح حالهم فى سورة الدخان (كل كذب الرسل) أى فيما ارسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع (فحق وعيد) أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الاول) استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الامم المهلكة

والعي بالامر العجز عنه يقال عي بالامر وعي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كأنه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة (بل هم في لبس من خلق جديد) عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أي أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده (اذ يتلقى المتلقيان) منصوب بما في أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بأنه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات * وعنه عليه الصلاة والسلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا أقرب اليه مطلعون على أعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال

رماني بأمر كنت منه ووالدي * بريئا ومن أجل الطوي رماني

وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرمي به من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول (الا لديه رقيب) ملك يرقب قوله ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى (عتيد) أي معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له توهم أن معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه أجر أو وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأزيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن أي ملتبسة بالحق أي بحقيقة الامر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) أي الموت (ما كنت منه تحيد) أي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من

أفراده طبعا (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية (ذلك) أى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف (يوم الوعيد) أى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أو يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضا للتهويل ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة (وجاءت كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معها سائق وشهيد) وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أى معها ملكان أحدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجر على أنه وصف لنفس أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) محكى باضمار قول هو اما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث

يا نفس انك باللذات مسرور * فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير

(فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحجاب المغطى لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه) أى الشيطان المقيض له مشيرا اليه (هذا ما لدى عتيد) أى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدا محذوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وان تدعانى احم عرضا ممنعا

أو على أن الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه منه (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرير للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أى الشيطان المقيض له وانما استؤنف استئناف الجمل الواقعة فى حكاية المقاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى (ربنا ما أطغيته) فانه منبئ عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو أطغانى فأجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان) هو بالذات (فى ضلال بعيد) من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال (لا تختصموا لدى) أى فى موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة فى ذلك (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم أنى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز

أن يكون

أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى (ما يبدل القول لدىّ) الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد) وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلىّ وتبيين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما أشير اليه آنفا أى وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كما لا كيفا (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جئ بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمجيد أو مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر أو أنذر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أى يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال (وأزلفت الجنة للمتقين) شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجئ النفوس الى موقف الحساب وقد مرّ سرّ تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للازلاف أى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيأ غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان (هذا ما توعدون) اشارة الى الجنة والتذكير لما أن المشار اليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ العربى كما مرّ فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر أزلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلفت أى مقولا لهم أو مقولا فى حقها هذا ما توعدون (لكل أوّاب) أى رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أوّاب ولا يجوز أن يكون فى حكمه لانّ من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذى أو مبتدأ خبره (ادخلوها) بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أو مفعوله أو صفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه أو هو غائب عن الاعين لا يراه أحد والتعرّض لعنوان الرحمانية للاشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما أن العبرة برجوعه الى الله تعالى (بسلام) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته (ذلك) اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ما ذكر من الامور (يوم الخلود) اذ لا انتهاء له أبدا (لهم ما يشاؤن) من فنون المطالب كائنا ما كان (فيها) متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائده المحذوف من صلته (ولدينا مزيد) هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى

لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشا) أى قوة كعاد وأضرابها (فنقبوا فى البلاد) أى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا فى أقطارها أو جالوا فى أكناف الارض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف (هل من محيص) أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا أى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص أو على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لنفى أن يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة أى ساروا فى مسايرهم وأسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف ابلهم (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى السورة (لذكرى) لتذكرة وعظة (لمن كان له قلب) أى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير (أو ألقى السمع) أى الى ما يتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بأن من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له أصلا (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (فى ستة أيام وما مسنا) بذلك مع كونه مما لا يفى به القوى والقدر (من لغوب) من اعياء ما ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (فاصبر على ما يقولون) أى ما يقوله المشركون فى شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) أى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى أخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما أنعم به عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وأدبار السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات (واستمع) أى لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به (يوم ينادى المنادى) أى اسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادى الخ وهى النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف ما يدل عليه قوله تعالى (ذلك يوم الخروج) أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور (انا نحن نحيى ونميت) فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد (والينا المصير) للجزاء فى الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا (يوم تشقق الارض عنهم) بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق (سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع وسوق (علينا يسير) أى هين وتقديم

الجاثر والمجرور لتخصيص الضمير به تعالى (نحن أعلم بما يقولون) من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه (وما أنت عليهم بجبار) بمتسلط تقسرهم على الايمان أو تفعل بهم ما تريد وانما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب *عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

## *(سورة والذاريات مكية وآيها ستون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والذاريات ذروا) أى الرياح التى تذروا التراب وغيره وقرئ بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) أى السحب الحاملة للمطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) أى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية فى مهابها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف أى جريا ذا يسر (فالمقسمات أمرا) أى الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو السحب التى يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذروا ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فى الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فهى لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذروا الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجرى به باسطة له الى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى (ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع) جواب للقسم وفى تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهى اما جمع حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل (انكم لفى قول مختلف) أى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفى شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف اذ لا صرف أفظع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك أى من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أى قتل الله (الذين هم فى غمرة) من الجهل والضلال (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال أى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبر المبتدا محذوف أى هو يوم هم الخ

قوله كالبرق هو سهو قال الشهاب بضم ففتح جمع برقة وهى ارض ذات حجارة اهـ

والفتح لاضافته الى غير متمكن و يؤيده أنه قرئ بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى (هذا الذى كنتم به تستعجلون) جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر أى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته (انّ المتقين فى جنات وعيون) لايبلغ كنهها ولا يقادر قدرها (آخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضىّ يتلقى بحسن القبول (انهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (محسنين) أى لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغى فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على أن قليلا ظرف أو كانوا يهجعون هجوعا قليلا على أنه صفة للمصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولامساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لايهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالاسحار هم يستغفرون) أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه (وفى أموالهم حق) أى نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة (وفى الارض آيات للموقنين) أى دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوّة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين فى أقطارها والسالكين فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبرّ وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وأنواع الاشجار وأصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دوابّ منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات اذ ليس فى العالم شئ الا وفى الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) أى ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة (وفى السماء رزقكم) أى أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وما توعدون) من الثواب لانّ الجنة فى السماء السابعة أو لانّ الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مبتدأ خبره قوله تعالى (فوربّ السماء والارض انه لحق) على أن الضمير لما وأمّا على الاوّل فاما له واما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الاشارة (مثل ما انكم تنطقون) أى كما أنه لاشك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لا تشكوا فى حقيته ونصبه على الحالية من المستكنّ فى لحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنىّ على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شئ وأن بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحى والضيف فى الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهم عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم عليه السلام أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) أى المكرمين عند الله تعالى أو عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه و بزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو لما فى الضيف من معنى الفعل أو المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم (فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما (قال) أى ابراهيم (سلام) أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام أحسن من

قوله ذكره وبالرفع بدل اشتمال
من مبالغات وقوله والابدل عطف
على القليل وكذلك الهجوع وقوله
الغرار هو بكسر الغين المعجمة القليل
من النوم هكذا يؤخذ من الشهاب
وزاده اه مصححه

تحيتهم وقرئ سلام فوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) انكرهم عليه الصلاة والسلام للسلام الذى هو علم للاسلام أو لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس أو لان أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام انما قاله فى نفسه من غير أن يشعرهم بذلك لا أنه خاطبهم به جهرا أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل والا لكشفوا أحوالهم عنده ذلك ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة (فراغ الى أهله) أى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادره بالقرى ويبادر به حذارا من أن يكفه ويعذره أو يصير منتظرا والفاء فى قوله تعالى (فجاء بعجل سمين) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجىء بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فذبح عجلا فحنذه فجاء به (فقربه اليهم) بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد (قال الا تأكلون) انكار لعدم تعرضهم للاكل (فأوجس منهم) أضمر فى نفسه (خيفة) لتوهم أنهم جاؤا للشر وقيل وقع فى قلبه أنهم ملائكة جاؤا للعذاب (قالوا لا تخف) قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه) وفى سورة الصافات وبشرناه أى بواسطتهم (بغلام) هو اسحق عليه السلام (عليم) عند بلوغه واستوائه (فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم (فى صرة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية أو المفعولية ان جعل أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمنى (فصكت وجهها) أى لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى انا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك القول الكريم (قال ربك) وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا أنا نقوله من تلقاء أنفسنا (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة * روى أن جبريل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام أيضا حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك كما أنه لم يذكر هنالك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفى سورة هود (قال) أى ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة ارسلوا لامر (فما خطبكم) أى شأنكم الخطير الذى لاجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم) أى بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة (حجارة من طين) أى طين متحجر هو السجيل (مسومة) مرسلة من أسمت الماشية أى أرسلتها أو معلمة من السومة وهى العلامة وقد مر تفصيله فى سورة هود (عند ربك للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور وقوله تعالى (فأخرجنا) الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع أخر كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ (من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت) أى غير أهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها) أى فى القرية (آية) أى علامة دالة على ما أصابهم من العذاب قيل هى تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أو ماء منتن (للذين يخافون العذاب الاليم) أى من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية (وفى موسى) عطف على قوله تعالى وفى الارض او على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا (اذ أرسلناه) قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف أى كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا (الى فرعون بسلطان مبين) هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة (فتولى بركنه) أى فأعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشىء وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة الى الجن

وتردد فى أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) وفيه من الدلالة على غاية
عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه مالا يخفى (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من الكفر
والطغيان والجملة حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت بالعقم لانها
اهلكتهم وقطعت دابرهم أو لانها لم تتضمن خيرا مّا من انشاء مطر أو القاح شجر وهى النكباء أو الدبور أو الجنوب
(ما تذر من شئ أتت عليه) أى جرت عليه (الا جعلته كالرميم) هو كل ما رمّ وبلى وتفتت من عظم أو نبات
أو غير ذلك (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم
صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
(فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به (فأخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التى
بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله
تعالى الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ
الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) اليها ويعاينونها (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى
فأصبحوا فى دارهم جاثمين (وما كانوا منتصرين) بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم (وقوم نوح) أى وأهلكنا
قوم نوح فان ما قبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل فى عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل
هو معطوف على مفعول فأخذناه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المهلكين (انهم كانوا قوما فاسقين)
خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة (وانا لموسعون)
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الارض
أو الرزق (والارض فرشناها) مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن
كل شئ) أى من الاجناس (خلقنا زوجين) أى نوعين ذكرا وأنثى وقيل متقابلين السماء والارض
والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله كى تتذكروا
فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى
(ففروا الى الله) مقدر بقول خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على
ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا كان
الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤنه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما
للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ
وقوله تعالى (انى لكم منه نذير مبين) تعليل للامر بالفرار اليه تعالى أو لوجوب الامتثال به فان كونه عليه
الصلاة والسلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالفرار اليه وعليهم أن يمتثلوا
به أى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى أو مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به
وفى أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة
والسلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى
(ولا تجعلوا مع الله الها آخر) نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به
قوله تعالى (انى لكم منه) أى من الجعل المنهى عنه (نذير مبين) فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون
صلته الباء بتضمينه معنى الافرار يقال فر منه أى هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى
اعتقادا أو قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير
كما قيل بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه (كذلك) أى الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول
وتسميتهم له ساحرا أو مجنونا وقوله تعالى (ما أتى الذين من قبلهم) الخ تفسير له أى ما أتاهم (من رسول)
من رسل الله (الا قالوا) فى حقه (ساحر أو مجنون) ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل
ما بعد ما النافية فيما قبلها (أتواصوا به) انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة
التى لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها أى أأوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا

عليه

عليه وقوله تعالى (بل هم قوم طاغون) اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه أمراً أقبح من التواصي وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم (فتول عنهم) فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاباء (فما أنت بملوم) على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود (وذكر) أي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة أوفذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أي الذين قدر الله تعالى ايمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلاة والسلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من أفعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم أي ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي (ان الله هو الرزاق) الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بأنه غني عنه وقرئ اني أنا الرزاق (ذو القوة المتين) بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر وقرئ بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار او الايد (فان للذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكذيباً وهم أهل مكة (ذنوباً) أي نصيباً وافراً من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل أنصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) أي لا يطلبوا مني أن أعجل في المجيء به يقال استعجله أي حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى (من يومهم الذي يوعدون) للتعليل أي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

## *( سورة الطور مكية وآيها تسع أوثمان وأربعون آية )*

*( بسم الله الرحمن الرحيم )*

(والطور) الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور أو ما يكتب في اللوح أو ما يكتبه الحفظة (في رق منشور) الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للاشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس (والبيت المعمور) أى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة (والسقف المرفوع) أى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور (والبحر المسجور) أى المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم (ان عذاب ربك لواقع) أى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى (ماله من دافع) اما خبر ثان لان أو صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما أنها أمور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحا وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) أى اذا وقع ذلك أو اذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم (الذين هم في خوض) أى اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب (يلعبون) يلهون (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بأن تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أفسحر هذا) توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أى أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا) أى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) أى الامران في عدم النفع لا يدفع العذاب ولا يخففه وقوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع (ان المتقين في جنات ونعيم) أى في أية جنات وأى نعيم على أن التنوين للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبر ان أو حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر أو في الحال واما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا واشربوا أكلا وشربا (هنيئا) أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بمقابلته وقيل الباء زائدة

وما فاعل هنيئا أى هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعين عين والباء مع أن التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق أو للسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى (والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى (واتبعتهم ذريتهم) عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى (بايمان) متعلق بالاتباع أى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل أصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرئ اتبعتهم (ألحقنا بهم ذريتهم) أى فى الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية (وما ألتناهم) وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق (من عملهم) من ثواب عملهم (من شئ) بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده أى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب ايمان دانى المنزلة وهو ايمان الذرية كأنه قيل بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم (كل امرئ بما كسب رهين) قيل هو فعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء وألوان الآلاء (يتنازعون فيها) أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع (كأسا) أى خمرا تسمية لها باسم محلها (لا لغو فيها) أى فى شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام (ولا تأثيم) ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح (ويطوف عليهم) أى بالكأس (غلمان لهم) أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا (قالوا) أى المسؤلون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (انا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة أو التوفيق للحق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (انا كنا من قبل ندعوه) أى نعبده أو نسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه (فذكر) فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل اليك من الآيات

والاذكار الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل (فما أنت بنعمة ربك) بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع أى بل أيقولون ننتظر به نوائب الدهر (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكهم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الاحلام بذلك مجاز عن أدائها اليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم (أم يقولون تقوله) اى اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى (ان كانوا صادقين) فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولا ريب فى أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك (أم خلقوا من غير شئ) أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لا شئ من عبادة وجزاء (أم هم الخالقون) لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) أى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم خزائن ربك) أى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا أو أعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (أم هم المسيطرون) أى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء (أم لهم سلم) منصوب الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ولكم البنون) تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى أم المنقطعة من الانكار والتوبيخ (أم تسألهم أجرا) رجوع الى خطابه عليه الصلاة والسلام واعراض عنهم أى بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة (فهم) لذلك (من مغرم) من التزام غرامة فادحة (مثقلون) محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى أو اثبات (أم يريدون كيدا) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (فالذين كفروا) هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أوليا (هم المكيدون) أى هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أم لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) أى عن اشراكهم أو عن شركة ما يشركونه (وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا) لتعذيبهم (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) أى هم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم

بعضه

بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا) وقرئ حتى يلقوا (يومهم الذى فيه يصعقون) على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ) أى شيأ من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعا فى الانتفاع به وليس ذلك الا ماد بروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الاولى فليست مما يجرى فى مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم (وان للذين ظلموا) أى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أى وان لهؤلاء الظلمة (عذابا) آخر (دون ذلك) دون ما لاقوه من القتل أى قبله وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين أو وراءه كما فى قوله تريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الامر كما ذكر وفيه اشارة الى أن فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا أو لا يعلمون شيأ أصلا (واصبر لحكم ربك) بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم (فانك بأعيننا) أى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ (وسبح) أى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا (بحمد ربك) على نعمائه الفائتة للحصر (حين تقوم) من أى مكان قمت قال سعيد ابن جبير وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) افراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل (وادبار النجوم) أى وقت ادبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ أدبار النجوم بالفتح أى فى أعقابها اذا غربت أو خفيت * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

* (سورة والنجم مكية وآيها احدى او اثنتان وستون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والنجم اذا هوى) المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل فى اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما فى قولك آتيك اذا احمر البسر وفى الاقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه أما على الاولين فلان النجم شأنه أن يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل (ما ضل صاحبكم) أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة (وما غوى) أى وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ أصلا وأما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما أشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الاخير ظاهر وأما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء

ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع مافيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هوية على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذى يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض أو على ظهوره منها فمما لا يناسب المقام (وما ينطق عن الهوى) أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا (ان هو) أى ما الذى ينطق به من القرآن (الا وحى) من الله تعالى وقوله تعالى (يوحى) صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى (علمه شديد القوى) أى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أى حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل مارآه أحد من الانبياء فى صورته غير النبى عليه الصلاة والسلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى (وهو بالافق الاعلى) أى أفق الشمس حال من فاعل استوى (ثم دنا) أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام (فتدلى) أى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق (فكان) أى مقدار امتداد ما بينهما (قاب قوسين) أى مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الازار (أو أدنى) أى على تقديركم كما فى قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفى البعد الملبس (فأوحى) أى جبريل عليه السلام (الى عبده) عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها (ما أوحى) أى من الامور العظيمة التى لا تفى بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام (ما رأى) أى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (أفتمارونه على ما يرى) أى أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده (ولقد رآه نزلة أخرى) أى وبالله لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر (عند سدرة المنتهى) هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى اليها أرواح الشهداء وقيل

ينتهى

ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى امّا اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار البستان أو اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى علوم الخلائق أو اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى (عندها جنة المأوى) أى الجنة التي يأوى اليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي أو بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل حين أى يأتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر (ما زاغ البصر) أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه مع ما شاهد هنالك من الامور العجيبة المذهلة مالا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأرى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيأ عظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها أو يطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها أى تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤن الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملا الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل أخبروني عن آلهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآى السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى (ألكم الذكر وله الانثى) شهادة بينة فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان

مـداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثانى عليه وظاهر أن ليس فى شئ من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر وأما ماقيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما أن الاصل أخبرونى أن اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هى أى تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فع مافيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية (اذا قسمة ضيزى) أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ماتستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى (ان هى) الضمير للاصنام أى ما الاصنام باعتبار الالوهية التى يدعونها (الا أسماء) محضة ليس تحتها مما تنبئ هى عنه من معنى الالوهية شئ ما أصلا وقوله تعالى (سميتموها) صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الاصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هى للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وأنت خبير بأنه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للاصنام فليس فى سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هى فى سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور فى حق جميع الاصنام على وجه برهانى فان انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الاولوية أى ماهى الا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها (أنتم وآباؤكم) بمقتضى أهوائكم الباطلة (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) التفات الى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (الا الظن) الا توهم أن ماهم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الانفس) أى تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) قيل هى حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأيا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أى شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب أقبح (أم للانسان ما تمنى) أم منقطعة ومافيها من بل للانتقال من بيان أن ماهم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى أنفسهم الى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلا والهمزة للانكار والنفى أى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التى من جملتها أطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود (فلله الآخرة والاولى) تعليل لانتفاء أن يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص أمور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الامور وقوله تعالى (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ) اقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم من شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيأ من الاغناء فى وقت من الاوقات (الا من بعد أن يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (ويرضى) ويراه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والايمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بألف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من

الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق أى يسمون كل واحد منهم (تسمية الانثى) فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالانثى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بأنها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى (وما لهم به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلا وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون) فى ذلك (الا الظن) الفاسد (وان الظن) أى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لا يغنى من الحق شيأ) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما فى حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أى فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى وهو القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها (ولم يرد الا الحيوة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل (ذلك) أى ما أداهم الى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع الى الهدى أصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء فى الجملة أى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبدا وبمن يقبل الاهتداء فى الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك فى دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفى تعليل الامر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتى صريحا (ولله ما فى السموات وما فى الارض) أى خلقا وملكا لا لغيره أصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى (الذين أساؤا بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله أو بسبب ما عملوا (ويجزى الذين أحسنوا) أى اهتدوا (بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على أن اللام للعاقبة أى هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره الى أن يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول أمره الى أن يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين (الذين يجتنبون كبائر الاثم) بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا (الا اللمم) أى الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن اخراجه من

حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى (هو أعلم بكم) أى بأحوالكم يعلمها (اذ أنشأكم) فى ضمن انشاء أبيكم آدم عليه السلام (من الارض) انشاء اجماليا حسبما مر تقريره مرارا (واذ أنتم أجنة) أى ووقت كونكم أجنة (فى بطون أمهاتكم) على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء فى قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصى بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته (هو أعلم بمن اتقى) المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرأيت الذى تولى) أى عن اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلا) أى شيأ قليلا أو اعطاء قليلا (وأكدى) أى قطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب ان أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى لما أنه كان يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل فى أبى جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى (أعنده علم الغيب فهو يرى) الخ أى أعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) أى وفر وأتم ما ابتلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التى هى التوراة أشهر عندهم وأكثر (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) أى انه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما فى صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما فى صحفهما فقيل هو أن لا تزر الخ والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه ولا يقدح فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره وقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع أنها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان والصلاح ولم يكن لشئ منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وأن مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى) أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه من أريته الشئ (ثم يجزاه) أى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى (الجزاء الاوفى) أو يبدل هو عنه كما فى قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن الى ربك المنتهى) أى انتهاء

الخلائق

الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو خلق قوتى الضحك والبكاء (وأنه هو أمات وأحيى) لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تدفق فى الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر (وأن عليه النشأة الاخرى) أى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهى أيضا مصدر نشأ (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال وأفردها بالذكر لانها أشرف الاموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية (وأنه هو رب الشعرى) أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته اياهم فى دينهم (وأنه أهلك عادا الاولى) هى قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعادلولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها الى لام التعريف (وثمود) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين (فما أبقى) أى أحدا من الفريقين (وقوم نوح) عطف عليه أيضا (من قبل) أى من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة (والمؤتفكة) هى قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها أى انقلبت بهم (أهوى) أى أسقطها الى الارض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء (فغشاها ما غشى) من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل أحد واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المراء متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين (هذا نذير من النذر الاولى) هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر أو الى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأيا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى تعقيبه بقوله تعالى (أزفت الآزفة) اشعار بأن تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة أى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء مع كونه أبعد شئ من ذلك (ولا تبكون) حزنا على ما فرطتم فى شأنه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة (وأنتم سامدون) أى لاهون أو مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال

رمى الحدثان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

والجملة حال من فاعل لاتبكون خلا أن مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول أوفى بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) لترتيب الامر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع أى واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذى أنزله واعبدوه * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة شرفها الله تعالى

*(سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فانه ناطق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرئ وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أى وان يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتى به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوى مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتى لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة (وكذبوا) أى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهواءهم) التى زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الامور مستقر أى منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم) أى فى القرآن وقوله تعالى (من الانباء) أى أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أى وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء (ما فيه مزدجر) أى ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن فى تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها (حكمة بالغة) غايتها لا خلل فيها وهى بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى للاغناء أو انكاره والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجىء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجىء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوب به أى فأى اغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك بأن الانذار لا يؤثر فيهم البتة (يوم يدع الداع) منصوب بيخرجون أو باذكر والداعى اسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا (الى شىء نكر) أى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر (خشعا أبصارهم)

حال

حال من فاعل (يخرجون) والتقديم لان العامل متصرف أى يخرجون (من الاجداث) أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال (كأنهم جراد منتشر) فى الكثرة والتموج والتفرق فى الاقطار (مهطعين الى الداع) مسرعين مادّى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه (يقول الكافرون) استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وأهلها بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون (هذا يوم عسر) أى صعب شديد وفى اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة (كذبت قبلهم قوم نوح) شروع فى تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقرير الفحوى قوله تعالى فما تغنى النذر أى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى (فكذبوا عبدنا) تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفى ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه (وقالوا مجنون) أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون (وازدجر) عطف على قالوا أى وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه أنى) أى بأنى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) أى من جهة قومى ما لى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) أى جعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الارض فغير قضاء لحق المقام (فالتقى الماء) أى ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على أمر قد قدر) أى كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه) أى نوحا عليه السلام (على ذات ألواح) أى أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره فى الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت فى أواخر القصص الاربع تقرير المضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد (للذكر) أى للتذكر والاتعاظ (فهل من مدكر) انكار ونفى للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام (كذبت عاد) أى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم

له روماللاختصار ومسارعة الى بيان مافيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى مايلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله ومابعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابى وانذاراتى لهم وقوله تعالى (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) استئناف ببيان ما أجمل أولا أى أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) أى شؤمه أو مستمر عليهم الى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وماقيل من أن الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة يرده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق (كذبت ثمود بالنذر) أى الانذارات والمواعظ التى سمعوها من صالح أو بالرسل عليهم السلام فان تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع (فقالوا أبشرا منا) أى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره مابعده (واحدا) أى منفردا لاتبع له أو واحدا من آحادهم لامن أشرافهم وهو صفة أخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى (نتبعه) خبره والاول أوجه للاستفهام (انا اذا) أى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة (لفى ضلال) عن الصواب (وسعر) أى جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سعير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول (أألقى الذكر) أى الكتاب والوحى (عليه من بيننا) وفينا من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) أى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بادعاءه وقوله تعالى (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب أى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله اشره وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر وقرئ الاشر أى الابلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى (انا مرسلو الناقة) الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادى الموعود حتما أى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا (فتنة لهم) أى امتحانا (فارتقبهم) أى فانتظرهم وتبصر مايصنعون (واصطبر) على أذيتهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته (فنادوا صاحبهم) هو قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف (فكيف كان عذابى ونذر) الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) هى صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا) أى فصاروا (كهشيم المحتظر) أى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) أى ريحا تحصبهم أى ترميهم بالحصباء (الا آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه أى ملتبسين بسحر (نعمة من عندنا) أى انعاما منا وهو علة لنجينا (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط عليه

السلام

قوله الاشر أى بفتح الهمزة وضم الشين على أنه صفة مشبهة حولت للنسم للمبالغة كحذر وندس وهو من النوادر وقرئ بضمتين على اتباع الهمزة للشين أيضا كذا فى الشهاب اه مصححه

السلام (بطشتنا) أى أخذتنا الشديدة بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابى ونذر) أى فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما أنذروه من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوص (عذاب مستقر) لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى أن ما قبله من عذاب الطمس ينتهى اليه (فذوقوا عذابى ونذر) حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام (ولقد جاء آل فرعون النذر) صدرت قصتهم بالتوكيد القسمى لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك أى وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا كلها) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجىء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهى الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يا معشر العرب (خير) قوة وشدة وعدة وعدة أو مكانة (من أولئكم) الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا وقوله تعالى (أم لكم براءة فى الزبر) اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر أى بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصى وغوائلهما فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وقوله تعالى (أم يقولون نحن جميع منتصر) اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الاعداء لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى (سيهزم الجمع) رد وابطال لذلك والسين للتأكيد أى يهزم جمعهم البتة (ويولون الدبر) أى الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس أو ارادة أن كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع أى الله عز وعلا (بل الساعة موعدهم) أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة أدهى وأمر) أى فى أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذى لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة فى موقع اضمارها لتربية تهويلها (ان المجرمين) من الاولين والآخرين (فى ضلال وسعر) أى فى هلاك ونيران مسعرة وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى (يوم يسحبون) الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى فى ضلال أى كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون (فى النار على وجوههم) واما بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون (انا كل شئ) من الاشياء (خلقناه بقدر) أى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين أو مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره (وما أمرنا الا واحدة) أى كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الامم وقيل أتباعكم (فهل من مدكر) يتعظ بذلك (وكل شئ

فعلوه) من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل (في الزبر) أي في ديوان الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين مالهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل (ان المتقين) أي من الكفر والمعاصي (في جنات) عظيمة الشان (ونهر) أي أنهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كاسد وأسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) أي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شأنه * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

## *(سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآيها ست وسبعون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وأنكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل (الرحمن علم القرآن) لانه أعظم النعم شانا وأرفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه أحداق الامم الا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه أعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على أصالته وجلالة قدره ثم قيل (خلق الانسان علمه البيان) تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) أي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب (والنجم) أي النبات الذي ينجم أي يطلع من الارض ولا ساق له (والشجر) أي الذي له ساق (يسجدان) أي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل (والسماء رفعها) أي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ومتنزل أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) أي شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم واعطائهم (أن لا تطغوا في الميزان) أي لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أي لا تطغوا على أنها

مفسرة لما فى الشرع من معنى القول ولا ناهية أى لا تعتدوا ولا تتجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوه أمر أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضا على أن الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (والارض وضعها) أى خفضها مدحوة على الماء (للانام) أى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى (فيها فاكهة) الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هى اوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب) هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير (ذو العصف) هو ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الرزق أريد به اللب أى فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذى له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان أى خلق الحب والريحان او أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح قاله القرطبى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة فى نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا أو اشتراكا صريحا أو دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى فى العبادة من دواعى اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أى فاذا كان الامر كما فصل فبأى فرد من أفراد الآلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق (خلق الانسان من صلصال كالفخار) تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافى بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين (وخلق الجان) أى الجن أو أبا الجن (من مارج) من لهب صاف (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما أفاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم (رب المشرقين ورب المغربين) بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف أى الذى فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك (مرج البحرين) أى أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أى يتجاوران وتتماس سطوحهما لا فصل بينهما فى مرأى العين وقيل ارسل بحرى فارس والروم يلتقيان

في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الارض (لا يبغيان) أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس منهما شيء يقبل التكذيب (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع أنهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب أو لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) أي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

(المنشآت) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرئ بكسر الشين أي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الامواج بجريهن (في البحر كالاعلام) كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه (كل من عليها) أي على الارض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين (فان) هالك لا محالة (ويبقى وجه ربك) أي ذاته عز وجل (ذو الجلال والاكرام) أي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على أنه صفة ربك وأيا ما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء (يسأله من في السموات والارض) قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر أحوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام (كل يوم) أي كل وقت من الاوقات (هو في شأن) من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصا ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيأ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه (سنفرغ لكم) أي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك أي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم أي سنقصد اليكم (أيها الثقلان) هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة آرائهما أو لانهما مثقلان بالتكليف (فبأي آلاء ربكما) التي من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب (تكذبان) بأقوالكما وأعمالكما (يا معشر الجن والانس) هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفي بما كلفوه (ان استطعتم)

ان قدرتم على (أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) أى أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن أقطار سمواتى وأرضى (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم من عقابى (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) اى بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين (من نار) متعلق بيرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ أى كائن من نار والتنوين للتفخيم (ونحاس) أى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس أى نقتل بالعذاب (فلا تنتصران) أى لا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى لطف وأى لطف ونعمة وأى نعمة (فاذا انشقت السماء) أى انصدعت يوم القيامة (فكانت وردة) كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على أن كان تامة أى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال

ولئن بقيت لارحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

(كالدهان) خبر ثان لكانت أو نعت لوردة أو حال من اسم كانت أى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف أى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) أى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه وأما ما قيل مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به اذا كان المأخوذ شيأ من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله بيدك أى يجمع بين نواصيهم وأقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة تأخذ بالاقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) على ارادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على أن الجملة اما استئناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الاخذ بالنواصى والاقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصى والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض (يطوفون بينها) أى بين النار يحرقون بها (وبين حميم آن) ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد أشير الى سر كون بيان أمثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا (ولمن خاف مقام ربه) شروع فى تعداد الآلاء الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم أن ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل ما يؤدى الى نيلها من الايمان والطاعة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو فى شان من النعم

الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها وأما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل اوهو مقحم للتعظيم (جنتان) جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين فالمعنى لكل خائفين منكما أولكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أوجنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أوجنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أوروحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (ذواتا أفنان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اى ذواتا أنواع من الاشجار والثمار أو جمع فنن أي ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس فيها شيء يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة أخرى لجنتان أي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال أبوبكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عزوجل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان معروف وغريب اورطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (متكئين) حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع اونصب على المدح (على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (وجنى الجنتين دان) أي ما يجتنى من اشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهن) اى في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين اولكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) أي لم يمس الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالاضافة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها اى مشبهات بالياقوت في حمرة الوجنة والمرجان اى صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله أي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (مدهامتان) صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ أي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين

النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهن خيرات) صفة أخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) أى حسان الخلق والخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (حور) بدل من خيرات (مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كالذى مر فى نظيره من جميع الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف خضر) الرفرف اما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من اعالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه (وعبقرى حسان) العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر اسم البلد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما (ذى الجلال والاكرام) وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما انعم الله عليه

*(سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اذا وقعت الواقعة) أى اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كأنها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لاجل وقعتها وفى حقها كذب أصلا بل كل ما ورد فى شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى (خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى (اذا رجت الارض رجا) أى زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك يخفض ما هو مرتفع

ويرتفع ما هو منخفض أو بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست أى ارتجت وذهبت (فكانت) أى فصارت بسبب ذلك (هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم) اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط (ازواجا) أى أصنافا (ثلاثة) فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أو فى الذكر فهو زوج وقوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ما هم أى أى شئ هم فى حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى (والسابقون السابقون) هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الاقسام وأقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات وأيا ما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبى النجم أنا أبو النجم وشعرى شعرى وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته أو السابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى (أولئك) اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل (المقربون) أى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ما ذكر فى اعراب هذه الجمل وأشهره والذى تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان أنفس الاقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامى أحوالهما فى الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بأن لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيبويه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن أصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان أن أمرا بديعا أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال فى ما أصحاب المشأمة وأما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار فى مقام الاضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الاول وما بعده خبره أو للثانى والجملة خبر للاول وقوله تعالى (فى جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره

أى كائنين فى جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه أن الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم
مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ فى جنة النعيم وقوله تعالى (ثلة من الاولين) خبر مبتدا محذوف
أى هم امة جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من
الانبياء العظام (وقليل من الآخرين) أى من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام ان أمتى
يكثرون سائر الامم فان أكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لا تمنع أكثرية تابعى هؤلاء من
تابعى اولئك ولا يرده قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين
فى أنفسهما لا تنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلتين من هذه الامة وقد روى مرفوعا
ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر
(على سرر موضونة) حال اخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة
المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج (متكئين عليها متقابلين)
حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم
من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب (يطوف عليهم) حال اخرى
أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون أبدا على شكل الولدان وطراوتهم
لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا
عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفى الحديث
أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) بآنية لا عرى لها ولا خراطيم (وأباريق) أى آنية
ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى خمر جارية من العيون قيل انما أفرد الكأس لانها لا تسمى كأسا
الا اذا كانت مملوءة (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون
أى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضا
(ولا ينزفون) أى لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله أو شرابه (وفاكهة مما يتخيرون) أى
يختارونه ويأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) أى يتمنون وقرئ ولحوم طير (وحور عين)
بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أو ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه
قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون
بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويؤتون حورا (كأمثال اللؤلؤ المكنون) صفة لحور أو حال
(جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء
(لا يسمعون فيها لغوا) أى باطلا (ولا تأثيما) أى ولا نسبة الى الاثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر (الا قيلا) أى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما أو صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام
فيسلمون سلاما بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا أو ردا وقرئ سلام سلام
على الحكاية وقوله تعالى (وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤنهم الفاضلة اثر
تفصيل شؤن السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما أصحاب اليمين) جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم
والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها اما الرفع على أنها خبر للمبتدا أو معترضة لا محل لها والخبر
قوله تعالى (فى سدر مخضود) وهو على الاول خبر ثان للمبتدا أو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف لبيان
ما أبهم فى قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر
النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو
رطب (وطلح منضود) قد نضد حمله من أسفله الى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز أو أم غيلان وله
انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على
رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحولها قال آى القرآن

لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل ممدود) ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) يسكب لهم اينما شاؤا وكيفما أرادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لا مقطوعة) فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهنالك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين (وفرش مرفوعة) أى رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرّة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء) وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا أو أبدعناهن من غير ولاد ابداء أو اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذلك قوله تعالى (فجعلناهن أبكارا) وقوله تعالى (عربا) جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام فى قوله تعالى (لاصحاب اليمين) متعلقة بأنشأنا أو جعلنا او بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أى مساوله فى السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا أى كائنات لاصحاب اليمين أو خبر مبتدأ محذوف أى هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة من الاولين وأمة من الآخرين وقد مرّ الكلام فيهما وعن أبى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين أى من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من أمتى (وأصحاب الشمال) شروع فى تفصيل أحوالهم التى أشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تعالى (فى سموم وحميم) والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود بهيم (لا بارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب أى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلاجرم عذبوا بنقائضها (وكانوا يصرّون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية عتوّهم وعنادهم (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله افلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوّهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى (أو آباؤنا الاوّلون)

لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون أن بعث
آبائهم الاولين أبعد من الوقوع وقرئ أو آباؤنا (قل) ردا لانكارهم وتحقيقا للحق (ان الاولين
والآخرين) من الامم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم
لبعث آبائهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعون) بعد البعث وقرئ
لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة (ثم انكم
أيها الضالون) عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا أو رتبة (المكذبون) أى بالبعث
والخطاب لاهل مكة وأضرابهم (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجر من زقوم) من
الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية
متعلقة بمضمر هو وصف لشجر أى كائن من زقوم (فمالئون منها البطون) أى بطونكم من شدة الجوع
(فشاربون عليه) عقيب ذلك بلا ريث (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية وتانيث ضمير الشجر أولا
وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى
(فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لا يكون شربكم شربا
معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم
وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على فعل كسحاب
وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم
ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم
من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح
وهو أيضا مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب (هذا) الذى ذكر من أنواع العذاب (نزلهم
يوم الدين) أى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم
القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفا والجملة
مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى
(نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء
لترتيب التحضيض على ما قبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه
ليس من التصديق فى شئ وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما
والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا (أفرأيتم ما تمنون) أى تقذفون فى الارحام من النطف وقرئ بفتح
التاء من منى النطفة بمعنى امناها (أأنتم تخلقونه) أى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون) له
من غير دخل شئ فيه وأم قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير
وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة (نحن قدرنا بينكم الموت)
أى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة
وقرئ قدرنا مخففا (وما نحن بمسبوقين) أى انا قادرون (على أن نبدل أمثالكم) لا يغلبنا أحد على
أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الخلق والاطوار ولا تعهدون
بمثلها قال الحسن رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم
فى الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما سبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته
وعلى أن نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض (ولقد علمتم
النشأة الاولى) هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب
(فلولا تذكرون) فهلا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانه أقل صنعا لحصول
المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثى
وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو

يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ما تحرثون) أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردّونه نباتاً يرف (أم نحن الزارعون) أى المنبتون لا أنتم والكلام فى أم كما مرّ آنفاً (لو نشاء لجعلناه حطاماً) هشيماً متكسراً متفتتاً بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله (فظلتم) بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترفتم لأجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون أى تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل (إنا لمغرمون) أى لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أى قائلين أو تقولون إنا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا أو محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذباً فراتاً وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأنتم أنزلتموه من المزن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) له بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجاً) ملحاً زعاقاً لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها فى الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإنزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلولا تشكرون) تحضيض على شكر الكل (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر لذلك وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها أى جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجاً من نار جهنم لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فإنه ليس بأبدع من إخراج النار من الشئ الرطب (ومتاعاً) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسد خلاتهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروى والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجباً من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكراً على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشئ ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم بحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وإنه لقسم

بين

بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (انه لقرآن كريم) أى كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة
فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته
وجواب لو اما متروك اريد به نفى علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه او لعملتم بموجبه (فى كتاب مكنون)
أى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح (لا يمسه الا المطهرون) اما
صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الاوزار أو للقرآن
فالمراد بهم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى أى لا ينبغى أن يمسه الا من كان على طهارة من
الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه
الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من
أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره (تنزيل من رب العالمين) صفة أخرى
للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا (أفبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة
الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى
يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم (انكم تكذبون) أى تضعون
التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم
تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما رزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله
تعالى حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل (فلولا
اذا بلغت الحلقوم) الخ تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من
القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر
أسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية أى فهلا اذا بلغت النفس
أى الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج (وأنتم حينئذ) أيها الحاضرون حول صاحبها
(تنظرون) الى ما هو فيه من الغمرات (ونحن أقرب اليه) علما وقدرة وتصرفا (منكم) حيث
لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن
تقدروا على دفع أدنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت (ولكن
لا تبصرون) لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤننا وقوله تعالى (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى غير مربوبين من
دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض
يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى (ترجعونها) أى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا
والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع ما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان
كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها
الحلقوم (ان كنتم صادقين) فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم
خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى (فأما ان كان من المقربين) الخ شروع فى بيان حال المتوفى
بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة أى فأما ان كان الذى بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم
بأجل أوصافهم (فروح) أى فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم
وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم) أى ذات تنعم (وأما ان كان من أصحاب اليمين) عبر عنهم
بالعنوان السابق اذ لم يذكراهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين
وقوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما ينبئ عنه
اللام لا حكاية انشاء سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف
(وأما ان كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان
أحوالهم بقوله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب
(فنزل) أى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل (وتصلية جحيم) أى

لدخل فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها (ان هذا) أى الذى ذكر فى السورة الكريمة (لهو حق اليقين) أى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب التسبيح أو الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

* ( سورة الحديد مكية وقيل مدنية وآيها تسع وعشرون ) *

* ( بسم الله الرحمن الرحيم ) *

(سبح لله ما فى السموات والارض) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الارض والماء اذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند ههنا الى غير العقلاء أيضا فان ما فى السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما أو جزءا منهما كما مر فى آية الكرسى أريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له أو للتعليل أى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه فى بعض الفواتح ماضيا وفى البعض مضارعا للايذان بتحققه فى جميع الاوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختيارى أن يسبحه تعالى فى جميع أوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون (وهو العزيز) القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شئ (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى (له ملك السموات والارض) أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى (يحيى ويميت) استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغى (وهو على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة (قدير) مبالغ فى القدرة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها (والآخر) الباقى بعد فنائها حقيقة أو نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية (والظاهر) وجوده لكثرة دلائله الواضحة (والباطن) حقيقته فلا تحوم حوله العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الاوقات والظهور والخفاء (وهو بكل شئ عليم) لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا (يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) مر بيانه فى سورة سبأ (وهو معكم أينما كنتم) تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) عبارة عن احاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى (له ملك السموات والارض) تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) أى اليه وحده لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) مر تفسيره مرارا وقوله تعالى (وهو عليم) أى مبالغ فى العلم (بذات الصدور) أى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته بأعمالهم التى يظهرونها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الاموال

والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم أنها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) حسبما أمروا به (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية وأعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل (وما لكم لا تؤمنون بالله) استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما أمروا به بانكار أن يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار أى أى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى أتضرب اباك وأخرى لانكار الوقوع كما فى أأضرب أبى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب أيضا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة أمر مفروض حتما قد أنكر ونفى سببه فانتفى نفسه أيضا وقوله تعالى (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه أى وأى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد أخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه (هو الذى ينزل على عبده) حسبما يعن لكم من المصالح (آيات بينات) واضحات (ليخرجكم) أى الله تعالى أو العبد بها (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى (وما لكم أن لا تنفقوا فى سبيل الله) توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم فى ذلك أيضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شئ لكم فى أن لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له فى الحقيقة وانما أنتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق أشد فى القبح وأدخل فى الانكار فان بيان بقاء جميع ما فى السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كأنه قيل وما لكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شئ بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم فى الانفاق بعد بيان أن لهم أجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحرى الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بأنه من أهم مواد الانفاق مع كونه فى نفسه من أفضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق أصلا وقسيم من أنفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة (أولئك) اشارة الى من أنفق والجمع بالنظر الى معنى من كما أن افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة

الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال (وكلا) أى وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى (والله بما تعملون خبير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأول من أنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أيقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافا (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض أو حملا على تقدير مبتدا أى فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو لقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى (بين أيديهم وبأيمانهم) وقيل هو هداهم وبأيمانهم كتبهم أى يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى أيمانهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهامه يطفئ تارة ويلمع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة (بشراكم اليوم جنات) مقدر بقول هو حال أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ما تبشرون به جنات أو بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك) أى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرئ أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) أى نستضئ منه وأصله اتخاذ القبس (قيل) طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) أى الى الموقف (فالتمسوا نورا) فانه من ثم يقتبس أو الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم (فضرب بينهم) بين الفريقين (بسور) أى حائط والباء زائدة (له باب باطنه) أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة (فيه الرحمة وظاهره) وهو الطرف الذى يلى النار (من قبله) من جهته (العذاب) وقرئ فضرب على البناء للفاعل (ينادونهم) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم (ألم نكن) فى الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر (قالوا بلى) كنتم معنا بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) فى أمر الدين (وغرتكم الامانى) الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس أمر الاسلام (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغركم بالله) الكريم (الغرور) أى غركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) فداء وقرئ تؤخذ بالتاء (ولا من الذين كفروا) أى ظاهرا وباطنا (مأواكم النار) لا تبرحونها أبدا (هى مولاكم) أى أولى بكم

وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم أو مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها (وبئس المصير) أى النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) استئناف ناع عليهم تثاقلهم فى أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الامر اذا جاء اناه أى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ ألما يأن وفيه دلالة على أن المنفى متوقع (وما نزل من الحق) أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وأنزل (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم (فطال عليهم الامد) أى الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال أى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من الكتابين (فقست قلوبهم) فهى كالحجارة أو أشد قسوة (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين (ان المصدقين والمصدقات) أى المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق أى الذين صدقوا الله ورسوله (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قيل هو عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فصلا بين أجزاء الصلة بأجنبى وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا وأخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولاسيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يا معشر النساء تصدقن فانى اريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف أى ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل أى يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها (ولهم أجر كريم) مر ما فيه من الكلام (والذين آمنوا بالله ورسله) كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم فى خاتمة سورة البقرة (أولئك) اشارة الى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى (هم) مبتدأ ثالث خبره (الصديقون)

والشهداء ) وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للاول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله تعالى أو هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان أو على الامم يوم القيامة وقوله تعالى ( لهم أجرهم ونورهم) بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للموصول أو الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء أى لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف وأما على الوجه الثانى فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك ) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة ( أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبدا ( اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ) بعدما بين حال الفريقين فى الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التى اطمأن بها الفريق الثانى وأشير الى أنها من محقرات الامور التى لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل ( كمثل غيث أعجب الكفار) أى الحراث (نباته) أى النبات الحاصل به (ثم يهيج) أى يجف بعد خضرته ونضارته (فتراه مصفرا ) بعد ما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك (ثم يكون حطاما) هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير فى لعب لانه فى معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة أمر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها أشير الى فخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا فى تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل (وفى الآخرة عذاب شديد) لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة (من الله ورضوان) عظيم لا يقادر قدره (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) أى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا ) أى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضمار (الى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) أى الى موجباتها من الاعمال الصالحة (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فاظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها (ذلك) الذى وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه) تفضلا واحسانا (من يشاء) ايتاءه اياه من غير ايجاب (والله ذو الفضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لا غاية وراءه (ما أصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى أنفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) أى الا مكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى أو فى اللوح (من قبل أن نبرأها ) أى نخلق الانفس أو المصائب أو الارض ( ان ذلك) أى اثباتها فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة (لكيلا تأسوا) أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا ( على ما فاتكم) من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتى ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما أتاكم من الاتيان وفى القراءة الاولى اشعار بأن فوات النعم يلحقها اذا خلت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلابد لهما من سبب يوجدها ويبقيها

وقرئ بما أوتيتم والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بأنه أقبح من الاسى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغنى (لقد أرسلنا رسلنا) أى الملائكة الى الانبياء أو الانبياء الى الامم وهو الاظهر (بالبينات) أى الحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى جنس الكتاب الشامل للكل (والميزان ليقوم الناس بالقسط) أى بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى (فيه بأس شديد) لان آلات الحروب انما تتخذ منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أى وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى (بالغيب) حال من فاعل ينصر أو مفعوله أى غائبا عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى (ان الله قوى عزيز) اعتراض تذييلى جئ به تحقيقا للحق وتنبيها على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل ما يريده (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) نوع تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر أى وبالله لقد أرسلناهما (وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) بان استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم (فمنهم) أى من الذرية أو من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين (مهتد) الى الحق (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا (وقفينا بعيسى ابن مريم) أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية (وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة فانه أعجمى لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرئ رآفة على فعالة (ورحمة) أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى شأن أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام رحماء بينهم (ورهبانية) منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا أن يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى

(ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى أصل الفعل وقوله تعالى (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمّهم حينئذ بقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لاسيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من أعمّ العلل أى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشئ من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم (فآتينا الذين آمنوا منهم) ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا بمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع الاجر (أجرهم) أى ما يخص بهم من الاجر (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حدّ الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرّض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام (يا أيها الذين آمنوا) أى بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وفي اطلاقه ايذان بأنه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لا على معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ (ويجعل لكم نورا تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) أى مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وأن في قوله تعالى (أن لا يقدرون على شئ من فضل الله) مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تعالى (وأن الفضل بيد الله) عطف على أن لا يقدرون وقوله تعالى (يؤتيه من يشاء) خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوّز أن يكون الامر بالتقوى والايمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين أحد من رسله وروى أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادّعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ أن لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذى هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطفا على أن لا يعلم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

* (سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قد سمع الله) باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين (قول التى تجادلك فى زوجها) أى تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك أى تسائلك (وتشتكى الى الله) عطف على تجادلك أى تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله أى تجادلك وهى متضرعة اليه

تعالى

تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك الا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفى رواية ما أراك الا قد حرمت عليه فى المرار كلها فقالت أشكو الى الله فاقتى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد اشعار بان الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ما عندى فى أمرك شئ وأنها كانت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى نظمها فى سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى المسئلة ومبالغتها فى التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالهما من دواعى الاجابة وقيل هى حال وهو بعيد وقوله عز وجل (ان الله سميع بصير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق أى مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل فى الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) شروع فى بيان شأن الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وقد مر تفصيله فى الاحزاب وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تعالى (ما هن أمهاتهم) خبر للموصول أى ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبأمهاتهم (ان أمهاتهم) أى ما هن (الا اللائى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبى عليه الصلاة والسلام فدخلن بذلك فى حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة (وانهم ليقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه أمر محقق بل كونه منكرا أى عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما (وزورا) أى محرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) أى مبالغ فى العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاما أوليا أى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أى الى ما قالوا بالتدارك والتلافى لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تعالى أن تعودوا لمثله أبدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما فى قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى الى نوح (فتحرير رقبة) أى فتداركه أو فعليه أو فالواجب اعتاق رقبة أى رقبة كانت وعند الشافعى رحمه الله تعالى يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر فى قوله تعالى ونرثه ما يقول أى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة (من قبل أن يتماسا) أى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى (ذلكم) اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره (توعظون به) أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات والمراد

بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم
فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه (والله بما تعملون) من الاعمال
التى من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار (خبير) أى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها
فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشئ منها (فمن لم يجد) أى الرقبة (فصيام شهرين) أى فعليه
صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا) ليلا ونهارا عمدا أو خطأ (فمن لم يستطع) أى الصيام لسبب
من الاسباب (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على
المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام (ذلك) اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه
عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أى
ذلك واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه
فى جاهليتكم (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة
(حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) أى الذين لا يعملون بها (عذاب أليم) عبر عنه بذلك
للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى
يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين كما أنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون
فى حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع
ما لا غاية وراءه (كبتوا) أى أخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو
ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى أتى أمر الله وقيل أصل الكبت
الكب (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام
(وقد أنزلنا آيات بينات) حال من واو كبتوا أى كبتوا لمحادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله
ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين)
أى بتلك الآيات أو بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا (عذاب مهين) يذهب
بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بمهين أو باضمار اذكر تعظيما
لليوم وتهويلا له (جميعا) أى كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين فى حالة واحدة (فينبئهم
بما عملوا) من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على
رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى (أحصاه الله) استئناف وقع
جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى
أعراض متقضية متلاشية فقيل أحصاه الله عددا لم يفته منه شئ فقوله تعالى (ونسوه) حينئذ حال من
مفعول أحصى باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به
ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير (والله
على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه أمر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلى مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى
(ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى
ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه وفى قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون أى ألم تعلم علما يقينيا متاخما
للمشاهدة أنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما وقوله تعالى
(ما يكون من نجوى ثلاثة) الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان
التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقى أى ما يقع من تناجى ثلاثة نفر أى من
مسارتهم على أن نجوى مضافة الى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها اما بتقدير مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة
أو بجعلهم نجوى فى أنفسهم مبالغة (الا هو) أى الله عز وجل (رابعهم) أى جاعلهم أربعة من حيث انه
تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة
(الا هو سادسهم) وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين

ولما

وامّا لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل (ولا أدنى من ذلك) أى مما ذكر
كالواحد والاثنين (ولا أكثر) كالستة ومافوقها (الا هو معهم) يعلم مايجرى بينهم وقرئ ولا أكثر
بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لا لنفي الجنس (أينما كانوا) من الاماكن
ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا
(ثم ينبئهم) وقرئ ينبئهم بالتخفيف (بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم
(ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين
فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة
للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى
(ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف عليه داخل فى حكمه أى بما هو اثم فى نفسه وعدوان
للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة
بين الخطابين المتوجهين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ ويتنجون بالاثم
والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك
أو انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين (ويقولون فى أنفسهم) أى فيما بينهم (لولا يعذبنا الله
بما نقول) أى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس
المصير) أى جهنم (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) فى أنديتكم وفى خلواتكم (فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التاءين
(وتناجوا بالبر والتقوى) أى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام
(واتقوا الله الذى اليه تحشرون) وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون
(انما النجوى) المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان (من الشيطان) لا من غيره فانه المزين لها
والحامل عليها وقوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر أى انما هى ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها
فى نكبة أصابتهم (وليس بضارهم) أى الشيطان أو التناجى بضار المؤمنين (شيأ) من الاشياء
أو شيأ من الضرر (الا باذن الله) أى بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم
فانه تعالى يعصمهم من شره وضرره (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا) أى توسعوا وليفسح بعضكم عن
بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى أى تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى (فى المجالس) متعلق بقيل
وقرئ فى المجلس على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافسا
فى القرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال
وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتى الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم
على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه
(فافسحوا يفسح الله لكم) أى فى كل ماتريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها
(واذا قيل انشزوا) أى انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال
الخير (فانشزوا) فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين (يرفع الله الذين آمنوا منكم)
بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة (والذين أوتوا العلم) منهم خصوصا
(درجات) عالية بما جمعوا من أثرى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة
لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره
وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير)
تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) فى بعض
شؤنكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه الصلاة والسلام (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) أى فتصدقوا

قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة (ذلك) أى التصدق (خير لكم وأطهر) أى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم الفقر من تقديم الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم ذلك (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه اشعار بأن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم وقيل بمعنى ان (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) أى فاذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة (وأطيعوا الله ورسوله) فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط (والله خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا (ألم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين أى ألم تنظر (الى الذين تولوا) أى والوا (قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه (ما هم منكم ولا منهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم أنه كذب فى غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت (أعد الله لهم) بسبب ذلك (عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة أى ايمانهم الذى أظهروه لاهل الاسلام (جنة) وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الاولى فهو عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى (فصدوا) أى الناس (عن سبيل الله) فى خلال أمنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيأ) من الاغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة (أصحاب النار) أى ملازموها ومقارنوها (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبدا (يوم يبعثهم الله جميعا) قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين (فيحلفون له) أى لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة (انهم) بتلك الايمان الفاجرة (على شئ)

من

من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم و يستجرون بها فوائد دنيوية (الا انهم هم الكاذبون) البالغون فى الكذب الى غاية لامطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين (استحوذ عليهم الشيطان) أى استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق أى ملكهم (فأنساهم ذكر الله) بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم (أولئك) الموصوفون بما ذكر من القبائح (حزب الشيطان) أى جنوده وأتباعه (الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) أى الموصوفون بالخسران الذى لاغاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الاليم وفى تصدير الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معافى موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد مالا يخفى (ان الذين يحادون الله ورسوله) استئناف مسوق لتعليل ماقبله من خسران حزب الشيطان عبرعنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم (أولئك) بما فعلوا من التولى والموادة (فى الاذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك (كتب الله) استئناف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به فقيل (لاغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة والسيف ومايجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلى بفتح الياء (ان الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لايغلب عليه فى مراده (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى أو الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى أنه لا ينبغى أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد (ولو كانوا) أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها (آباءهم) آباء الموادين (أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) فان قضية الايمان بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لو قد مر على التفصيل مرارا (أولئك) اشارة الى الذين لايوادونهم وان كانوا أقرب الناس اليهم وأمس رحما ومافيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره (كتب فى قلوبهم الايمان) أى أثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شئ من أعمال الجوارح يثبت فيه (وأيدهم) أى قواهم (بروح منه) أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى (ويدخلهم) الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان ألطافه الدنيوية أى ويدخلهم فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) أبد الآبدين وقوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى (ورضوا عنه) بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى (أولئك حزب الله) تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى (ألا ان حزب الله هم المفلحون) بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر فى مثلها * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

*(سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم) مر مافيه من الكلام فى صدر سورة الحديد

وقد كرر الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظارا لبعثة النبي عليه الصلاة والسلام وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبي الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله ابن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبى عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشأم الى اريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى ابن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات الى قوله والله على كل شئ قدير وقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعار الاسم الاشارة كما فى قوله تعالى قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به أى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه فى الجلد توليع البهق كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى أخرج الخ ففيه اشعار بأن فى الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى (لأول الحشر) أى فى أول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب الى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام (ما ظننتم) أيها المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبر الان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية (فأتاهم الله) أى أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب ابن الاشرف فانه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة وقيل الضمير فى أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم أى فآتاهم الله العذاب أو النصر (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها (يخربون بيوتهم بأيديهم) ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل (وأيدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها ازالة لتحصنهم وتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب النقض والهدم (فاعتبروا يا أولى الابصار) فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدى اليه الافكار واتقوا مباشرة ما أداهم اليه من الكفر والمعاصى أو انتقلوا من حال الفريقين الى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل فى موقعه (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف غير

متعلق

متعلق بجواب لولا جىء به لبيان أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة
(ذلك) أى ما حاق بهم وما سيحيق (بأنهم) بسبب أنهم (شاقوا الله ورسوله) وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من
القبائح (ومن يشاق الله) وقرئ يشاقق الله كما فى الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقته
عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى (فان الله شديد العقاب) وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد
الى من عند من يلتزمه أى شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب
وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كأنه قيل ذلك الذى
حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله
بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد (ماقطعتم من لينة) أى أى شئ قطعتم من نخلة وهى فعلة من
اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ماقبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى
النخلة الكريمة (أوتركتموها) الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى مايفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها (قائمة على أصولها) كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشئ ما وقرئ على أصلها اكتفاء على
الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرئ قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (فباذن الله) فذلك
أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى (وليخزى الفاسقين) أى وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وتركها
لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك
يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم واحراق زروعهم
زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخل
وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله) شروع فى بيان حال ما أخذ من
أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب
والقطع أى ما أعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وانما وقع
فى أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى
طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين (منهم) أى من بنى النضير (فما أوجفتم عليه) أى فما أجريتم على
تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) هى ما يركب من الابل خاصة كما أن الراكب
عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة
والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين من
المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى عليه الصلاة والسلام فافتتحها صلحا من غير أن
يجرى بينهم مسايفة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين (ولكن الله
يسلط رسله على من يشاء) أى سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد
سلط النبى عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا
شدائد الحروب فلا حق لكم فى أموالهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه
المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) بيان لمصارف الفىء بعد
بيان افاءته عليه عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة
التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم أيضا (فلله وللرسول ولذى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف فى قسمة الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله
الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة
والسلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه
كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على
الخلاف المذكور (كيلا يكون) أى الفىء الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال
وقرئ بفتحها وهى ما يدول للانسان أى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم
وبالضم من الملك بكسرها أو بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة أى كيلا يكون جدا (بين الاغنياء منكم)

يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة و يقولون من عزبز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على أن كان تامة أى كيلا يقع دولة على ما فصل من المقال (وما آتاكم الرسول) أى ما أعطاكوه من الفيء أو من الامر (فخذوه) فانه حقكم أو فتمسكوا به فانه واجب عليكم (وما نهاكم عنه) عن أخذه أو عن تعاطيه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفته عليه الصلاة والسلام (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيرا ومن أعطى اغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بنى النضير فتعسف ظاهر (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث اضطرهم كفار مكة وأحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده (وينصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله أو مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة وأى نصرة (أولئك) الموصوفون بما فصل من الصفات الجيدة (هم الصادقون) الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا (والذين تبوؤا الدار والايمان) كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوئهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه (من قبلهم) أى من قبل هجرة المهاجرين على المعانى الاول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الاخيرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعانى الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك (يحبون من هاجر اليهم) خبر للموصول أى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان (ولا يجدون فى صدورهم) أى فى نفوسهم (حاجة) أى شيأ محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما أوتوا) أى مما أوتى المهاجرون من الفيء وغيره (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين (على أنفسهم) فى كل شيء من أسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم (ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبى عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل ابن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى أن قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فان ذلك انما يستدعى شركة الانصار للمهاجرين فى الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم أو حالا من ضمير تبوؤا (ومن يوق شح نفسه) الشح بالضم والكسر وقد قرئ به أيضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فأولئك) اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين

انتقاما أوّليا (هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوقّ بالتشديد (والذين جاءوا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعدما قوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأيا ما كان فالموصول مبتدأ خبره (يقولون) الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوّة فى الدين والسبق بالايمان كما أن ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار أى يدعون لهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا) أى فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) وقرئ غمرا وهما الحقد (للذين آمنوا) على الاطلاق (ربنا انك رؤف رحيم) أى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا) حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى (يقولون) الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى (لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) للتبليغ والمراد بأخوّتهم اما توافقهم فى الكفر أو صداقتهم وموالاتهم واللام فى قوله تعالى (لئن أخرجتم) أى من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى (لنخرجن معكم) جواب القسم أى والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم) أى فى شأنكم (أحدا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدا) وان طال الزمان وقيل لا نطيع فى قتالكم أو خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى (وان قوتلتم لننصرنكم) أى لنعاونكم على عدوّكم على أن دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدّعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة أنها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب فى أن ما يفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز أن يدّعوا أن خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة فى الدين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) الخ تكذيب لهم فى كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فان ابن أبيّ وأصحابه ارسلوا الى بنى النضير بذلك سرا ثم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوّة واعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولنّ الادبار) فرارا (ثم لا ينصرون) أى المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمنّ اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لانتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبية على أنها مصدر من المبنىّ للمفعول (فى صدورهم من الله) أى رهبتهم منكم فى السرّ أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدّعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى (ذلك) أى ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أى شيأ حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم (جميعا) أى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن (الا فى قرى محصنة) بالدروب والخنادق (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبامالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى أنفسهم فان بأسهم بالنسبة الى أقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم من الرعب (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها (ذلك بأنهم) أى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) أى لا يعقلون شيأ

حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وأما ما قيل من أن المعنى لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى (كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع على ما قيل انهم أخرجوا قبل بنى النضير (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ (ذاقوا وبال أمرهم) أى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك فى الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهى ما نطق به قوله تعالى (كمثل الشيطان) فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم آخرا وقد أجمل فى النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند اليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) أى اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به (فلما كفر قال انى برىء منك) وقرئ أنا برىء منك ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى (انى أخاف الله رب العالمين) وان أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله الآية (فكان عاقبتهما) بالنصب على أنه خبر كان واسمها (أنهما فى النار) وقرئ بالعكس وقد مر أنه أوضح (خالدين فيها) وقرئ خالدان فيها على أنه خبران وفى النار لغو (وذلك جزاء الظالمين) أى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى فى كل ما تأتون وما تذرون (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى أى شئ قدمت من الأعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد أو الأول فى أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الأمر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى (ان الله خبير بما تعملون) أى من المعاصى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (أنفسهم) أى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم (أولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم أصحاب النار فى الذكر للايذان من أول الأمر بأن القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول والأعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على أن المسلم لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لأن المراد عدم الاستواء فى الأحوال الأخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى (أصحاب الجنة هم الفائزون) فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن) العظيم الشأن المنطوى على فنون القوارع (على جبل) من الجبال (لرأيته)

مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه (خاشعا متصدعا من خشية الله) أى متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه (هو الله الذى لا اله الا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الاجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو) كرر لابراز الاعتناء بأمر التوحيد (الملك القدوس) البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهى لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن بقلب همزته هاء (العزيز) الغالب (الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أى اصلحها (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لا يمكن أن يشاركه تعالى فى شئ منها شئ ما اصلا (هو الله الخالق) المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة (المصور) الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد (له الاسماء الحسنى) لدلالتها على المعانى الحسنة (يسبح له ما فى السموات والارض) ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

*(سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرءا ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابى لن يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره (تلقون اليهم بالمودة) أى توصلون اليهم المودة على أن الباء زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو تلقون اليهم أخبار النبى عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لاولياء وابراز الضمير فى الصفات الجارية على غير من هى له انما يشترط فى الاسم دون الفعل أو استئناف (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم أى كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سببا للكفر (يخرجون الرسول واياكم) أى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة. وقوله تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية (ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون اليهم المودة

أو الاخبار بسبب المودة (وأنا أعلم) أى والحال أنى أعلم منكم (بما أخفيتم وما أعلنتم) ومطلع رسولى على ما تسرون فأى طائل لكم فى الاسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون (ومن يفعله منكم) أى الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) أى ان يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم (وودوا لو تكفرون) أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضا (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم (يوم القيامة) بجلب نفع أو دفع ضر (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ أى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل بالنون (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (قد كانت لكم اسوة حسنة) أى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى (فى ابراهيم والذين معه) اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة أو خبر لكان ولكم للبيان أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف (اذ قالوا) ظرف لخبر كان (لقومهم انا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة (ومما تعبدون من دون الله) من الاصنام (كفرنا بكم) أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) أى هذا دأبنا معكم لا نتركه (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى أن يؤتسى به أصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر مما ينبغى أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهى أو لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهى لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وانبائه عن كونه مؤتسى به لولم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما أن مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وأن ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله فى الجملة وتجويز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله أو لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابى الآية لانها كانت هى الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى لورودها على طريق التوكيد القسمى وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه فى سورة التوبة وقوله تعالى (وما أملك لك من الله من شئ) من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لاستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع أمورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا

فتنة للذين كفروا) بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه (واغفر لنا) ما فرط منا من الذنوب (ربنا انك أنت العزيز) الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار هذا وأما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وأمرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم (لقد كان لكم فيهم) أى فى ابراهيم ومن معه (اسوة حسنة) تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) بدل من لكم فائدته الايذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من أقاربكم المشركين (مودة) بأن يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد لله فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم (والله قدير) أى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى (أن تبروهم) بدل من الموصول (وتقسطوا اليهم) أى تقضوا اليهم بالقسط أى العدل (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا على اخراجكم) وهم سائر أهلها (أن تولوهم) بدل اشتمال من الموصول أى انما ينهاكم عن أن تتولوهم (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى موضع العداوة أو هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب (يا أيها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) من بين الكفار (فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله (الله أعلم بايمانهن) لانه المطلع على ما فى قلوبهن والجملة اعتراض (فان علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتى من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) أى الى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة أو لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما أنفقوا) أى وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبى عليه الصلاة والسلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضى الله عنه (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) فان اسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار (اذا آتيتموهن أجورهن) شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا

بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب أي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا (واسألوا ما أنفقتم) من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور أزواجهم المهاجرات (ذلكم) الذي ذكر (حكم الله) وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى (وان فاتكم) أي سبقكم وانفلت منكم (شئ من أزواجكم الى الكفار) أي أحد من أزواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع في التعميم أو شئ من مهور أزواجكم (فعاقبتم) أي فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى هي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فأعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت أبي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت أبي جهل وكلثوم بنت جرول (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أي مبايعات لك أي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء (على أن لا يشركن بالله شيأ) أي شيأ من الاشياء أو شيأ من الاشراك (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) أريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها (ولا يعصينك في معروف) أي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن (فبايعهن) أي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها (واستغفر لهن الله) زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن (ان الله غفور رحيم) أي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهن يومئذ فروي أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله تعالى عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وروي أنه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما أمر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات

الى

الى آخر الآية فاذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن (ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا أحياء والاظهار فى موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

*(سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذى مر فى نظيره (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا بين الاختلال وروى أنهم قالوا يارسول الله لو نعلم أحب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل أدلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت فى المنتحل وقيل نزلت فى المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناه لاى شئ تقولون نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح فى أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أو ادعاه المنافق وأن مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما أشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) حال من المستكن فى الحال الاولى أى مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيأ واحدا وقوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك

وآذوه عليه الصلاة والسلام كل الاذية (ياقوم لم تؤذوننى) أى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفى سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ماظهر بيدى من المعجزات القاهرة التى معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته أنى رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى (فلما زاغوا) أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه (أزاغ الله قلوبهم) أى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقوله تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله من الازاغة ومؤذن بعلته أى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى مايوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمه دخولا أوليا وأياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى مافى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم وأما ماقيل بصدد بيان أسباب الاذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى (واذ قال عيسى ابن مريم) اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها (يابنى اسرائيل) ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة) فان تصديقه عليه الصلاة والسلام اياها من أقوى الدواعى الى تصديقهم اياه وقوله تعالى (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه الصلاة والسلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما مافى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أى أرسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول (اسمه أحمد) أى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدى بفتح الياء (فلما جاءهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) مشيرين الى ماجاء به أو اليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أى أى الناس أشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر أى هو أظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يرشدهم الى مافيه فلاحهم لعدم توجههم اليه (يريدون ليطفئوا نور الله) أى يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبا لك أو يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله (بأفواههم) بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة (ولو كره الكافرون) أى ارغاما لهم والجملة فى حيز الحال على ما بين مرارا (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو المعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفية (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جميع الاديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) ذلك وقرئ هو الذى أرسل نبيه (ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) استئناف وقع جوابا

عما

عمانشأ عماقبله كأنهم قالوا كيف نعمل أوماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر فى معنى الامر جئ به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر (ذلكم) اشارة الى ماذكر من الايمان والجهاد بقسميه ومافيه من معنى البعد لما مرّ غير مرة (خير لكم) على الاطلاق أومن أموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم من أهل العلم فان الجهل لايعتد بأفعالهم أوان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ماتحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر أولشرط أولاستفهام دلّ عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أوهل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل أدلكم بعيد لان مجرّد الدلالة لايوجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك) أى ماذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بماذكر من الاوصاف الجليلة (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه (وأخرى) ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطكم أوتحبون أومبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل أوبيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدا محذوف (وفتح قريب) أى عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص أوعلى المصدر أى تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أوعلى البدلية من أخرى على تقدير نصبها أى يعطكم نعمة أخرى نصرا وفتحا (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل ياايها الذين آمنوا وبشر أوعلى تؤمنون فانه فى معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم ياأيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا (ياايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرئ أنصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض أنصار الله وقرئ كونوا أنتم أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أوقل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة الدين (وكفرت طائفة) أخرى به وقاتلوهم (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى قوّيناهم بالحجة أوبالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام (فأصبحوا ظاهرين) غالبين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

## *(سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة)*

## *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض) تسبيحا مستمرا (الملك القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين) أى فى العرب لان أكثرهم لايكتبون ولايقرؤن قيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وهم من أهل الانبار (رسولا منهم) أى كائنا من جملتهم أميا مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) صفة أخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم على مايصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مرّ فى سورة البقرة وهو السرّ فى التعبير عن القرآن

تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة والسلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة (وآخرين منهم) عطف على الاميين أو على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين منهم أي من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين أي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون (وهو العزيز الحكيم) المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا أميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر (ذلك) الذي امتاز به من بين سائر الافراد (فضل الله) واحسانه (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة (مثل الذين حملوا التوراة) أي علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمثل الحمار يحمل اسفارا) أي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل اوصفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد أمر على اللئيم يسبني (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم اوبئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف أو بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على أن الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواضعين للتكذيب في موضع التصديق أو الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (قل يا أيها الذين هادوا) أي تهودوا (ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) أي فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة (ان كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بأنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار (ولا يتمنونه أبدا) اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى (بما قدمت أيديهم) متعلقة بما يدل عليه النفي أي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) أي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى (قل ان الموت الذي تفرون منه) فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه الصلاة والسلام لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) الذي لا تخفى عليه خافية (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة) اي فعل النداء لها اي اذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل اول من

سماها

سماها جمعة كعب بن لؤى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم ابن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة (فاسعوا الى ذكر الله) أى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم) أى السعى الى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من مباشرته فان نفع الآخرة أجل وأبقى (ان كنتم تعلمون) أى الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم أهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) أى أديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض) لاقامة مصالحكم (وابتغوا من فضل الله) أى الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع (واذكروا الله كثيرا) ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة (لعلكم تفلحون) كى تفوزوا بخير الدارين (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فما بقى معه عليه الصلاة والسلام الا ثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة أو لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما (وتركوك قائما) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم (والله خير الرازقين) فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

*( سورة المنافقون مدنية وآيها احدى عشرة )*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اذا جاءك المنافقون) أى حضروا مجلسك (قالوا نشهد انك لرسول الله) مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى (والله يعلم انك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير اليه واماطة من أول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم (جنة) أى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) أى فصدوا من أراد الدخول فى الاسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم أى

ما اظهروه على ألسنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى (انهم ساء ما كانوا يعملون) من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى ما تقدم من القول الناعى عليهم أنهم اسوأ الناس أعمالا أو الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الشر (بأنهم) أى بسبب أنهم (آمنوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام (ثم كفروا) أى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته أصلا (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم (وان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) فى حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لا محل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخبر وقرئ خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان أعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم أصلا فان الفاء فى قوله تعالى (فاحذرهم) لترتيب الامر بالحذر على كونهم أعدى الاعداء (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى (انى يؤفكون) تعجيب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال (واذا قيل لهم) عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة (تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أى عطفوها استكبارا (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن ذلك (سواء عليهم أستغفرت لهم) كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرئ استغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفا (أم لم تستغفر لهم) كما اذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر الله لهم) أبدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد اما هم بأعيانهم والاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق أو الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أوليا وقوله تعالى (هم الذين يقولون) أى للانصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من أنفض القوم اذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى (ولله خزائن السموات والارض) رد وابطال لما زعموا من أن عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه الصلاة والسلام ببيان أن خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤنه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى أن

قوله والخبر هكذا فى النسخ والذى فى البيضاوى والنظر اهـ

جهجاه بن سعيد أجير عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى حليف ابن أبىّ واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن أبىّ فقال للانصار لاتنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعزمنها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) أى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لالغيرهم (ولكن المنافقين لايعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون مايهذون روى أن عبد الله بن أبىّ لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله ابن عبد الله بن أبىّ وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبىّ عليه الصلاة والسلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لايشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عزوجل من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة كما فى قوله تعالى ولايجرمنكم شنآن قوم الخ (ومن يفعل ذلك) أى التلهى بالدنيا من الدين (فأولئك هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) أى بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لمامر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر (فيقول) عند تيقنه بحلوله (رب لولا أخرتنى) أى أمهلتنى (الى أجل قريب) أى امد قصير (فأصدق) بالنصب على جواب التمنى وقرئ فأتصدق (وأكن من الصالحين) بالجزم عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع أى وأنا اكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) أى ولن يمهلها (اذا جاء أجلها) أى آخر عمرها اوانتهى ان أريد بالاجل الزمان الممتد من أول العمر الى آخره (والله خبير بما تعملون) فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية * عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

## *(سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمانى عشرة)*

## *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض) أى ينزهه سبحانه جميع مافيهما من المخلوقات عما لايليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا (له الملك وله الحمد) لالغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء (هو الذى خلقكم) خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) أى فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ماتستدعيه خلقته (ومنكم مؤمن) مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد ومايتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه مايحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لمايدعوه اليه عما لايلائم المقام (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك فاختاروا منه مايجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية (وصوركم فأحسن صوركم) حيث برأكم فى أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة مانيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع

مخلوقاته في هذه النشأة (واليه المصير) في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له (يعلم ما في السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى (والله عليم بذات الصدور) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم أي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر (فذاقوا وبال أمرهم) عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الامور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أي ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره (ذلك) أي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة (فقالوا) عطف على كانت (ابشر يهدوننا) أي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدينا كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد أجمل في الحكاية فأسند القول الى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (فكفروا) أي بالرسل (وتولوا) عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الايمان بهم (واستغنى الله) أي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك (والله غني) عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم (حميد) يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة أي زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبدا (قل) ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه (بلى) اى تبعثون وقوله (وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) اى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين (وذلك) أي ما ذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى (فآمنوا) فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اى اذا كان الامر كذلك فآمنوا (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما أن النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بأمر الانزال (والله بما تعملون) من الامتثال بالامر وعدمه (خبير) فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم أو مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون أي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء (ذلك يوم التغابن) أي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بأن التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) أي عملا صالحا (يكفر) أي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة

(عنه سيئاته) يوم القيامة (ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرئ ندخله بالنون
(ذلك) أى ماذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه لانطوائه على
النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير) أى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن (ما أصاب من
مصيبة) من المصائب الدنيوية (الا باذن الله) أى بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان
متوقفة على اذنه تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى
يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد
الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ
قلبه بالهمزة أى يسكن (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها القلوب وأحوالها (عليم) فيعلم
ايمان المؤمن ويهدى قلبه الى ماذكر (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر الامر للتأكيد والايذان
بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى (فان توليتم) أى عن اطاعة الرسول
وقوله تعالى (فانما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ
المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه
الصلاة والسلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة
تشنيع التولى عنه (الله لا اله الا هو) جملة من مبتدإ وخبر أى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفى اضمار خبر
لا مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف (وعلى الله) أى عليه تعالى خاصة دون غيره
لا استقلالا ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) واظهار الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل
والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة (يا أيها الذين آمنوا
ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا
(فاحذروهم) الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لى أو للازواج والاولاد جميعا
فالمأمور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثانى اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر
عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو (وان تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور
الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير (وتغفروا) باخفائها
وتمهيد عذرها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين
أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما
هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين
لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا
الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة
(انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث لا تحتسبون (والله عنده أجر عظيم)
لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى فى تدبير مصالحهم (فاتقوا الله
ما استطعتم) أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره
(وأنفقوا) مما رزقكم فى الوجوه التى أمركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) أى ائتوا
خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور
المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا
للاوامر أى يكن خيرا لانفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام
(ان تقرضوا الله) بصرف أموالكم الى المصارف التى عينها (قرضا حسنا) مقرونا بالاخلاص وطيب
النفس (يضاعفه لكم) بالواحد عشرة الى سبعمائة وأكثر وقرئ يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة
الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل (حليم)

لايعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه خافية (العزيز الحكيم) المبالغ في القدرة والحكمة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

*(سورة الطلاق مدنية وآيها احدى عشرة او اثنتا عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لامته أيضا لتشريفه عليه الصلاة والسلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام اياهم وتغليبه عليهم لالان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة (فطلقوهن لعدتهن) أي مستقبلات لها كقولك أتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل (واتقوا الله ربكم) في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء (لاتخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن عند الفراق الى أن تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن (ولايخرجن) ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لايخرجن باستبداد منهن أما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لايعدوهما (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا أن يفحشن عليكم أو من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة (وتلك) اشارة الى ماذكر من الاحكام ومافي اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها (حدود الله) التي عينها لعباده (ومن يتعد حدود الله) أي حدوده المذكورة بأن أخل بشيء منها على أن الاظهار في حيز الاضمار لتهويل أمر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) أي أضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى (لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلابد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولايمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لاتدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه فانك لاتدري أيها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي أمرا يقتضي خلاف مافعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه رجعة او استئناف نكاح (فاذا بلغن أجلهن) شارفن آخر عدتهن (فأمسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن معاشرة وانفاق لائق (أو فارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة (وأشهدوا ذوي عدل منكم) عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا أمر ندب كما في قوله تعالى وأشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي أنه للوجوب في الرجعة (وأقيموا الشهادة لله) أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى (ذلكم) اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة أو على جميع مافي الآية (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى (ومن يتق الله) الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ماتقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من

الامور (يجعل له مخرجا) مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاما جىء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الى آخره فالمعنى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى أن عوف بن مالك الاشجعى أسر المشركون ابنه سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ففعل فبيناهو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه فى جميع أموره (ان الله بالغ أمره) بالاضافة أى منفذ أمره وقرئ بتنوين بالغ ونصب أمره أى يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع أمره على أنه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان أو بالغ خبر ان وأمره مرتفع به على الفاعلية أى نافذ أمره وقرئ بالغا أمره على أنه حال وخبر ان قوله تعالى (قد جعل الله لكل شئ قدرا) أى تقديرا وتوقيتا أو مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين (ان ارتبتم) أى شككتم وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) بعد لصغرهن أى فعدتهن أيضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه (وأولات الاحمال أجلهن) أى منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضى الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التى فى سورة البقرة وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجى (ومن يتق الله) فى شأن أحكامه ومراعاة حقوقها (يجعل له من أمره يسرا) أى يسهل عليه أمره ويوفقه للخير (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الفضل وافراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى (أمر الله أنزله اليكم) لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر فى قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله من سورة البقرة (ومن يتق الله) بالمحافظة على أحكامه (يكفر عنه سيئاته) فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له أجرا) بالمضاعفة وقوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى (من وجدكم) أى من وسعكم أى مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له (ولا تضاروهن) أى فى السكنى (لتضيقوا عليهن) وتلجئوهن الى الخروج (وان كن) أى المطلقات (أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن (فان أرضعن لكم) بعد ذلك (فآتوهن أجورهن) على الارضاع (وأتمروا بينكم بمعروف) أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة (وان تعاسرتم) أى تضايقتم (فسترضع له أخرى) أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) وان قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) جل أو قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد أكد

ذلك بالوعد حيث قيل (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى عاجلا أو آجلا (وكأى من قرية) أى كثير من أهل
قرية (عتت) أى أعرضت (عن أمر ربها ورسله) بالعتو والتمرد والعناد (فحاسبناها حسابا شديدا)
بالاستقصاء والتنقير والمناقشة فى كل نقير وقطمير (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا عظيما وقرئ
نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى
ونادى أصحاب الجنة (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) هائلا لا خسر وراءه (أعد الله
لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله
يا أولى الالباب) ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصابهم
عاجلا وقد جوز أن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأى (الذين
آمنوا) منصوب باضمار أعنى بيانا للمنادى أو عطف بيان له أو نعت وفى ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله
(قد أنزل الله اليكم ذكرا) هو جبريل عليه السلام سمى به لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر الذى هو القرآن كما ينبئ
عنه ابدال قوله تعالى (رسولا) منه أو لانه مذكور فى السموات وفى الامم أو أريد بالذكر الشرف
كما فى قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه فى نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف
عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو هو النبى عليه الصلاة والسلام وعليه الاكثر عبر عنه
بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح أو لانه
مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكرا
على اعمال المصدر المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى (يتلو عليكم آيات الله مبينات) نعت
رسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها أى حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام
وقرئ مبينات أى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام فى قوله تعالى (ليخرج الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) متعلقة بيتلو أو بأنزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ضمير
الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلا ما هم عليه الآن من
الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه سيؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى
(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات المبينات (يدخله جنات تجرى
من تحتها الانهار) وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى (خالدين فيها أبدا) حال من مفعول يدخله والجمع
باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى (قد أحسن الله له رزقا) حال
أخرى منه أو من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم
لما رزقه الله المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن)
أى خلق من الارض مثلهن فى العدد وقرئ مثلهن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف
فى كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض
مسافة كما بين السماء والارض وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض
من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبى والاول أصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من
أن كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال
حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين
وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر
من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق
قال اما ملائكة أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الاسلام بأهل الارض العليا دون من عداهم
وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون
السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثانى أنهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى
خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع أرضين

متفرقة

متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء (يتنزل الامر بينهن) أى يجرى أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير) متعلق بخلق أو يتنزل أو بمضمر يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شئ (وان الله قد أحاط بكل شئ علما) لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعلمه شئ ما أصلا وقرئ ليعلموا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

## *(سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة)*

## *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن النبى عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى امر امتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغى مرضاة أزواجك) اما تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك (والله غفور) مبالغ فى الغفران قد غفر لك هذه الزلة (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد ههنا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه) وهى حفصة (حديثا) أى حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة (فلما نبأت به) أى أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته اليها وقرئ أنبأت به (وأظهره الله عليه) أى اطلع الله تعالى النبى عليه الصلاة والسلام على افشاء حفصة (عرف) أى النبى عليه الصلاة والسلام حفصة (بعضه) بعض الحديث الذى أفشته قيل هو حديث الامامة روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباها (وأعرض عن بعض) أى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية (فلما نبأها به) أى أخبر النبى عليه الصلاة والسلام حفصة بما عرفه من الحديث (قالت من أنبأك هذا) أى افشاءها للحديث (قال نبأنى العليم الخبير) الذى لا تخفى عليه خافية (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب (فقد صغت قلوبكما) الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت (وان تظاهرا عليه) باسقاط احدى التاءين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا أى تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أى فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه وأعوانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد روى ذلك مرفوعا الى النبى عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده

بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) قيل أى بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين (ظهير) أى فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوه ولعل الانسب أن يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) أى يعطيه عليه السلام بدلكن (أزواجا خيرا منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ أن يبدله بالتشديد (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعة (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات لامر الرسول عليه الصلاة والسلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد أو مهاجرات وقرئ سيحات (ثيبات وأبكارا) وسط بينهما العاطف لتنافيهما (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرئ أهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أى قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) أى نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير (عليها ملائكة) أى تلى أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الافعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) أى أمره على أنه بدل اشتمال من الله أو فيما أمرهم به على نزع الخافض أى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه (ويفعلون ما يؤمرون) أى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أى يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما أمروا به (انما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعدما نهيتم عنهما أشد النهى وأمرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون فى قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلا عن على رضى الله عنه ان التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور أى ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا النصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) وورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن

العبد

العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة (يوم لا يخزي الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) أي على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى (يقولون) الخ وعلى الثاني خبر آخر للموصول أي يقولون اذا طفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذابا غليظا (وبئس المصير) أي جهنم أو مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى (امرأة نوح وامرأة لوط) أي حالهما مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح أي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشأن متمكنتين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى (فخانتاهما) بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي أي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى (فلم يغنيا) الخ بيان لما أدى اليه خيانتهما أي فلم يغن النبيان (عنهما) بحق الزواج (من الله) أي من عذابه تعالى (شيئا) أي شيئا من الاغناء (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) أي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهي في أعلى غرف الجنة وقوله تعالى (اذ قالت) ظرف لمحذوف أشير اليه أي ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قريبا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين روي أنها لما قالت ذلك أريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها (ونجني من فرعون وعمله) أي من نفسه الخبيثة وعمله السيء (ونجني من القوم الظالمين) من القبط التابعين له في الظلم (ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل أي وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا (التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه) وقرئ فيها أي مريم (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصل (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة أو بما أوحى الى أنبيائه (وكتبه) بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل (وكانت من القانتين) أي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لانها من أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام وعن النبي عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام * وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

*(سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآيها ثلاثون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(تبارك الذي بيده الملك) البركة النماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها

الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان مالا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيأ فشيأ وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ماسواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور (وهو على كل شئ) من الاشياء (قدير) مبالغ فى القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى (الذى خلق الموت والحيوة) شروع فى تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما للغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت فى صورة كبش أملح لايمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الامات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لاتمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الاحيى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمعنى خلقه حينئذ تقديره أو ازالة الحياة وأياما كان فالاقرب أن المراد به الموت الطارئ وبالحياة ماقبله ومابعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لاريب فيه مع أن نفس العمل لايتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما أن الاول أشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذى أثير وانما طريقها النظرى التفكر فى بدائع صنع الله تعالى والتدبر فى آياته المنصوبة فى الانفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لاتفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحدا لايقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الارض وتعليق فعل البلوى أى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول أصلا مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بأن المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة فى الباقين أيضا لكمال تعاضد الموجبات له وأما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها مالايخفى (وهو العزيز) الغالب الذى لايفوته من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى خلق سبع سموات) قيل هو نعت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والاوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما فى سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثانى فى كونه مدار الابلاء كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم

أيكم أحسن عملا وقوله تعالى (طباقا) صفة لسبع سموات أى مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول أو مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها أى طوبقت طباقا وقوله تعالى (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان فى ابداعها نعما جليلة أو استئناف والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفى أى ماترى فيه شيأ من تفاوت أى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض مافى الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولا بأنه لاتفاوت فى خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك أى رجعة بعد رجعة وان كثرت (ينقلب اليك البصر خاسئا) أى بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة (وهو حسير) أى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها أى وبالله لقد زينا أقرب السموات الى الارض (بمصابيح) أى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كأنها كلها مركوزة فيها مع أن بعضها فى سائر السموات وماذاك الالان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار فى فهمه الافكار وطراز فائق تهيم فى دركه الانظار (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولايساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مايرجم به (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير) بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم (وبئس المصير) أى جهنم (اذا ألقوا فيها سمعوا لها) أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى (شهيقا) لانه فى الاصل صفته فلما قدمت صارت حالا أى سمعوا كائنا لها شهيقا أى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق (وهى تفور) أى والحال أنها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى (تكاد تميز) أى تتميز وتتفرق (من الغيظ) أى من شدة الغضب عليهم فانه صريح فى أنه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فأين هو من شهيقهم الناشئ من شدة مايقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور أو خبر آخر وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج) استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم أيضا (قالوا) اعترافا بانه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية (بلى قد جاءنا نذير) جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجئ النذير وتحسرا على مافاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيدا لبيان ماوقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك أى قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة أو حكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا مانزل الله تعالى عليه من آياته (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى (وقلنا) فى حق ماتلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير (مانزل الله) على أحد (من شئ) من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم (ان أنتم) أى ماأنتم فى ادعاء أنه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (الا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب

كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوّح بعمومه حتما وأمّا اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر تحقيق يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجنايات لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج وأمّا اذا جعل حكاية عن الكل فالنذر امّا بمعنى الجمع لانه فعيل أو مصدر مقدّر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاوّل ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤن واختلط به الظنون وقد جوّز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمّل وكن على الحق المبين (وقالوا) أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل (لو كنا نسمع) كلاما (أو نعقل) شيأ (ما كنّا فى أصحاب السعير) أى فى عدادهم ومن أتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك (فاعترفوا بذنبهم) الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله (فسحقا) بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد امّا لفعل متعدّ من المزيد بحذف الزوائد كما فى تعدلنا الله أى فأسحقهم الله أى ابعدهم من رحمته سحقا أى اسحاقا أو لفعل مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فسحقوا أى بعدوا سحقا أى بعدا كما فى قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال الا مسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا واللام فى قوله تعالى (لاصحاب السعير) للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون عذابه غائبا عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره (وأسرّوا قولكم أو اجهروا به) بيان لتساوى السرّ والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما فى قوله سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبىّ عليه الصلاة والسلام فيوحى اليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسرّوا قولكم كيلا يسمع ربّ محمد فقيل لهم أسرّوا ذلك أو اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السرّ على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أوّل الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأنّ علمه تعالى بما يسرّونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فانّ علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لانّ مرتبة السرّ متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى (انه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله وتقرير له وفى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما تسرّونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سرّ من أسرارها وقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أى ألا يعلم السرّ والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفى أى ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى ألا يكون عالما من خلق لانّ الخلق

لايتأتى بدون العلم لخلوّ الحال حينئذ من الافادة لان نظم الكلام حينئذ ألا يكون عالما وهو مبالغ فى العلم
(هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع أن
حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فان ماحقه التقديم اذا أخر لا سيما عند كون المتقدم
مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن
والفاء فى قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها) لترتيب الامر على الجعل المذكور أى فاسلكوا فى جوانبها
أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل
الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله
تعالى (واليه النشور) أى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا فى شكر نعمه وآلائه (أأمنتم من
فى السماء) أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من فى السماء أمره وقضاؤه أو على
زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى فى السماء أى أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان
(أن يخسف بكم الارض) بعد ماجعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك
النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف
الجار أى من أن يخسف (فاذا هى تمور) أى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ماكانت عليه من الذل
والاطمئنان (أم أمنتم من فى السماء) اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر أى بل أأمنتم
من فى السماء (ان يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل
وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة (فستعلمون)
عن قريب البتة (كيف نذير) أى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ
فسيعلمون بالياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح
وعاد وأضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بانزال
العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة
فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه مالا يخفى (أولم يروا) أغفلوا ولم ينظروا
(الى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا
(ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن
الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات (ما يمسكهن) فى الجو عند الصف والقبض على خلاف
مقتضى الطبع (الا الرحمن) الواسع رحمته كل شئ بأن برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجرى
فى الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير فى يقبضن (انه بكل شئ بصير) يعلم كيفية ابداع المبدعات
وتدبير المصنوعات وقوله تعالى (أم من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) تبكيت لهم بنفى
أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن
الا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى ان أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم
آلهة تمنعهم من دوننا فى المعنيين معا خلا أن الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى
تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك
التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر
والالتفات للتشديد فى ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا
خبره والموصول مع صلته صفته كما فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وايثار هذا لتحقير المشار اليه
وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره
وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى من ينصرنى من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم
جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن
من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية مما لا

تقريب له أصلا وقوله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أى ما هم فى زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى (أم من هذا الذى يرزقكم ان أمسك) أى الله عز وجل (رزقه) بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى (بل لجوا فى عتو ونفور) منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى) الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل فى الكب كأقشع الغمام أى صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذى يؤمه (أم من يمشى سويا) أى قائما سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذى أنشأكم) انشاء بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤن الله عز وجل (والافئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة (قليلا ما تشكرون) أى باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم فى الارض) أى خلقكم وكثركم فيها لا غيره (واليه تحشرون) للجزاء لا الى غيره اشتراكا أو استقلالا فابنوا أموركم على ذلك (ويقولون) من فرط عتوهم وعنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون (ان كنتم صادقين) يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه الصلاة والسلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجئ الساعة والحشر فبينوا وقته (قل انما العلم) أى العلم بوقته (عند الله) عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربى (وانما أنا نذير مبين) انذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء فى قوله تعالى (فلما رأوه) فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الى آخره كما مر تحقيقه فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا أن المقدر هنالك أمر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى (زلفة) حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف أى ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مزدلفا أو على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه فى مكان ذى زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به (وقيل) توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم (هذا الذى كنتم به تدعون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على أنه

تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أهلكنى الله) أى أماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير آجالنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى لا ينجيكم منه أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به (قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم الى عبادته مولى النعم كلها (آمنا به) وحده لما علمنا أن كل ما سواه اما نعمة أو منعم عليه (وعليه توكلنا) لا على غيره أصلا لعلمنا بأن ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر (فستعلمون) عن قريب البتة (من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أصبح ماؤكم غورا) أى غائرا فى الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنه أحيا ليلة القدر

● (سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون) ●

● (بسم الله الرحمن الرحيم) ●

(ن) بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدى بأحد الطريقين المذكورين فى موقعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف فالواو فى قوله تعالى (والقلم) للقسم وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه وأيا ما كان فان أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان أريد به الجنس فاستحقاق ما فى أيدى الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وعلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون فى الواو (وما يسطرون) الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبرها والعامل فيها معنى النفى كأنه قيل أنت برىء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام والايذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عليه الصلاة والسلام عما كانوا ينسبونه عليه الصلاة والسلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه الصلاة والسلام فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأى (وان لك) بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة (لاجرا) لثوابا عظيما لا يقادر قدره (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم (فستبصر ويبصرون) قال ابن عباس رضى الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون فى الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما فى قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر (بأيكم المفتون) أى أيكم

الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد أى هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره (وهو أعلم بالمهتدين) الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى (فلا تطع المكذبين) لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه الصلاة والسلام وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب فى ذلك أو نهى عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما فى ضميره عليه الصلاة والسلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى (ودوا لو تدهن) فانه تعليل للنهى أو للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة فى الزجر والتنفير أى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور (فيدهنون) أى فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتى من بدئهم بالادهان على أن ادهانهم أمر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمنى وأيا ما كان فالمعتبر فى جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها وأما فى جانبه عليه الصلاة والسلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اضمار خلافها فليس فى حيز الاعتبار بل هم فى غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى المفهوم من ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر (مهين) حقير الرأى والتدبير (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية (مناع للخير) أى بخيل أو مناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق (معتد) متجاوز فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد من مثالبه (زنيم) دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية فى حلقها وفى قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا فى قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تطع أى لا تطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دلت عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ أأن كان على معنى ألأن كان ذا مال كذب بها أو أتطيعه لأن كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة (سنسمه على الخرطوم) بالكى على أكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة علامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة (انا بلوناهم) أى أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات أبوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين في الصباح (ولا يستثنون) أي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لأخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة (فطاف عليها) أي على الجنة (طائف) بلاء طائف وقرئ طيف (من ربك) مبتدأ من جهته تعالى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير (فأصبحت كالصريم) كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أي احترقت فاسودت وقيل كالنهار أي يبست وابيضت سميا بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال (فتنادوا) أي نادى بعضهم بعضا (مصبحين) داخلين في الصباح (ان اغدوا) أي اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أي اخرجوا غدوة (على حرثكم) بستانكم وضيعتكم وتعديته الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال أو الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاصدين للصرم (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها) أي الجنة (اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة لما في التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) أي على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك أي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة (فلما رأوها قالوا) في بديهة رؤيتهم (انا لضالون) أي طريق جنتنا وما هي بها (بل نحن محرومون) قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أي رأيا أو سنا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم أو لانه تنزيه له تعالى عن أن يجري في ملكه ما لا يشاؤه (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا أن يبدلنا) وقرئ بالتشديد أي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيرا منها انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروي أنهم تعاقدوا وقالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها

كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من اهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله تعالى قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا أدرى ايمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف فى أمرهم والاكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيرى (كذلك العذاب) جملة من مبتدا وخبره مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد أى مثل الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم وأشد (لو كانوا يعلمون) أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه (ان للمتقين) أى من الكفر والمعاصى (عند ربهم) أى فى الآخرة أو فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم وردّ لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (ما لكم كيف تحكمون) تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بأنه لا يصدر عن عاقل (أم لكم كتاب) نازل من السماء (فيه تدرسون) أى تقرؤن (ان لكم فيه لما تخيرون) أى ما تختارونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لانه مدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشىء واختياره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) أى عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم علينا أيمان أم أقسمنا لكم (سلهم) تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلهم مبكتا لهم (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أى قائم يتصدى لتصحيحه (أم لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شىء يتوهم أن يتشبثوا به حتى التقليد الذى لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة (يوم يكشف عن ساق) أى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشىء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان أى يوم يكشف عن أصل الامر فتظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل أو التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر أى دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أى اذكر يوم الخ أو مؤخر أى يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف (ويدعون الى السجود) توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلابهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أى فقارة واحدة (خاشعة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم (ذلة) شديدة (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلاة أو ما فيها من

السجود والدعوة دعوة التكليف (وهم سالمون) متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى كله الى فانى أكفيك أمره أى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه أن تكل أمره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى (سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى يكذب باعتبار لفظها أى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون أنه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم (وأملى لهم) وأمهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون أن ذلك لارادة الخير بهم (ان كيدى متين) لا يوقف عليه ولا يدفع بشئ وتسمية ذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد (أم تسألهم) على الابلاغ والارشاد (أجرا) دنيويا (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) أى غرامة مالية (مثقلون) مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أى اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أى يونس عليه السلام (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه أى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه أى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه (لنبذ بالعراء) بالارض الخالية من الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنفية لا النبذ بالعراء كما مر فى الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى (فاجتباه ربه) عطف على مقدر أى فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بأن رد اليه الوحى وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روى أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أى لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى أنه كان فى بنى أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أى وقت سماعهم القرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه (ويقولون) لغاية حيرتهم فى أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما فى تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة بأحكام الطبائع وتنفيرا للناس عنه (انه لمجنون) وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل (وما هو الا ذكر للعالمين) على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراءتهم على تفوه تلك العظيمة أى يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله

عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لاريب فيه * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

*(سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(الحاقة) أى الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجىء لامحالة أو التى يحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور أو لمن فيها من أولى العلم وأياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها (ما الحاقة) على أن ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ماهى أى أى شىء هى فى حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيد الهولها هذا ماذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق فى سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لابيان أن أمرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى (وما أدراك) أى وأى شىء أعلمك (ما الحاقة) تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لاتكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الاعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولامساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحالة التى تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام اثر تقرير أنه ما أدراه عليه الصلاة والسلام بها أحد كما فى قوله تعالى وما أدراك ماهيه نار حامية ونظائره خلا أن المبين هنالك نفس المسؤل عنها وههنا حال من أحوالها كما فى قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر فكما أن المبين هنالك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة أو الرجفة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها (عاتية) شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى (سخرها عليهم) الخ استئناف جىء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح أى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفىء الجمر وقيل ومكفىء الظعن (فترى القوم) ان كنت حاضرا حينئذ (فيها) فى مهابها أو فى تلك الليالى والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أى أصول نخل (خاوية) متآكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) أى بقية أو نفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية

(وجاء)

(وجاء فرعون ومن قبله) أى ومن تقدمه وقرئ ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرئ ومن
معه (والمؤتفكات) أى قرى قوم لوط أى أهلها (بالخاطئة) بالخطإ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطإ التى
من جملتها تكذيب البعث والقيامة (فعصوا رسول ربهم) أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا
يتعاطونه من القبائح (فأخذهم) أى الله عز وجل (أخذة رابية) أى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم
فى القبح من ربا الشئ اذا زاد (انا لما طغا الماء) بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم
فى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما أوحى اليه من الاحكام التى من جملتها أحوال القيامة (حملناكم) أى
فى أصلاب آبائكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء
أيام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف
هو حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه
تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى (لنجعلها) أى لنجعل الفعلة
التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع
وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته (وتعيها) أى تحفظها والوعى أن تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء أن تحفظه
فى غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف (أذن واعية) أى أذن من شأنها أن تحفظ
ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا
شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ أذن بالتخفيف (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة)
شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل
الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور
والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) أى قلعت ورفعت من
أماكنها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة (فدكتا دكة واحدة) أى فضربت الجملتان
اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة
واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش وبعير أدك وناقة دكاء
ومنه الدكان (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول
الملائكة (فهى) أى السماء (يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة (والملك) أى
الخلق المعروف بالملك (على ارجائها) أى جوانبها جمع رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم
فيلجأون الى اكنافها وحافاتها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء أو فوق
الثمانية (يومئذ ثمانية) من الملائكة عن النبى عليه الصلاة والسلام هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة
أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة
والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد
وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الاوعال ما بين أظلافها
الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على
عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم
أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من
الروح أو من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس
للقضاء العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤنه سبحانه أجل من كل ما يحيط به فلك
العبارة والاشارة (يومئذ تعرضون) أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان
العسكر لتعرف أحوالهم روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ
وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية
لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية (فأما من أوتى كتابه بيمينه) تفصيل لاحكام العرض (فيقول) تبجحا وابتهاجا (هاؤم اقرؤا كتابيه) ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات أجودهن هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان أو امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه أقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى علمت وانما عبر عنه بالظن للاشعار بأنه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع فى النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء أو الدرجات أو الابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر (دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول والجمع باعتبار المعنى (هنيئا) أكلا وشربا هنيئا أو هنئتم هنيئا (بما أسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) أى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام وروى يقول الله تعالى يا أوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية (وأما من أوتى كتابه بشماله) ورأى ما فيه من قبائح الاعمال (فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه) لما شاهد من سوء العاقبة (يا ليتها) يا ليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لامرى ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى فضمير ليتها للموتة ويجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أى يا ليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حيا (ما أغنى عنى ماليه) مالى من المال والاتباع على أن ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للانكار أى أى شئ أغنى عنى ما كان لى من اليسار (هلك عنى سلطانيه) أى ملكى وتسلطى على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات (خذوه) حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار (فغلوه) أى شدوه بالاغلال (ثم الجحيم صلوه) أى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها) أى طولها (سبعون ذراعا فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل بطريق الاستئناف التحقيقى ووصفه تعالى بالعظم للايذان بأنه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق أعظم العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه أو على اطعامه فضلا أن يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما أن أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) أى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان أولياءه يتحامونه ويفرون منه (ولا طعام الا من غسلين) أى من غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله (فلا أقسم) أى فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن

التحقيق

التحقيق فيرده تعين المقسم به بقوله تعالى (بما تبصرون ومالا تبصرون) كما مر في سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل (انه) أى القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو النبي أو جبريل عليهما السلام (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ما تؤمنون) ايمانا قليلا تؤمنون (ولا بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة اخرى (قليلا ما تذكرون) أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون على أن القلة بمعنى النفي أى لا تؤمنون ولا تتذكرون أصلا قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم وأنت خبير بأن ذلك أيضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرئ بالياء فيهما (تنزيل من رب العالمين) نزله على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (لاخذنا منه باليمين) أى بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(فما منكم) أيها الناس (من أحد عنه) عن القتل او المقتول (حاجزين) دافعين وصف لاحد فانه عام (وانه) أى وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين (وانه لحق اليقين) الذى لا يحوم حوله ريب ما (فسبح باسم ربك العظيم) أى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

## *(سورة المعارج مكية وآيها أربع وأربعون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(سأل سائل) أى دعا داع (بعذاب واقع) أى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحرث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر أو من السيلان ويؤيده أنه قرئ سال سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أى كائن للكافرين أو صلة لواقع أو متعلق بسأل أى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى (ليس له دافع) صفة اخرى لعذاب أو حال منه لتخصصه بالصفة أو بالعمل أو من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف (من الله) متعلق بواقع أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى (ذى المعارج) ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهى أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض (تعرج الملائكة والروح) أى جبريل عليه السلام أفرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (اليه) الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه أوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى أى الى حيث أمرنى به (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) مما يعده الناس وهو بيان لغاية

ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة أو لشدته على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأياما كان فذلك في حق الكافر وأما في حق المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر أو بسال سائل أو سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) أي العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع (بعيدا) أي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به (ونراه قريبا) هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل) متعلق بقريبا أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أي يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف أو بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل أو الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) أي لا يسأل قريب قريبا عن أحواله ولا يكلمه لاشتغال كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول أي لا يطلب من حميم حميم أو لا يسأل منه حاله (يبصرونهم) أي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم بحال أنفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول أدخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استئناف (يود المجرم) أي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى (لو يفتدي من عذاب يومئذ) أي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ (ببنيه وصاحبته وأخيه) حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب (وفصيلته) أي عشيرته التي فصل عنهم (التي تؤويه) أي تضمه في النسب أو عند الشدائد (ومن في الارض جميعا) من الثقلين والخلائق ومن للتغليب (ثم ينجيه) عطف على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير (انها) اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى (لظى) وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الاطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لان أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة

قوله الفلزات بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي جمع فلز وهو كما في الصحاح ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض اه

خبره (تدعو) أى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الىّ الىّ يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها (من أدبر) أى عن الحق (وتولى) أعرض عن الطاعة (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤدّ زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا (ان الانسان خلق هلوعا) الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى (اذا مسه الشر) أى الفقر والمرض ونحوهما (جزوعا) أى مبالغا فى الجزع مكثرا منه (واذا مسه الخير) أى السعة والصحة (منوعا) مبالغا فى المنع والامساك والاوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا (الا المصلين) استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لانبائه عن تمرّدهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حبّ العاجل وقصر النظر عليه (الذين هم على صلوتهم داءمون) لا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة (للسائل) للذى يسأله (والمحروم) الذى لا يسأله فيظن أنه غنىّ فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أى بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم مع مالهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجلّ كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغى لاحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين) سلف تفسيره فى سورة المؤمنين (فمن ابتغى) أى طلب لنفسه (وراء ذلك) وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات (فأولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله تعالى (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشئ من حقوقها (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس (والذين هم على صلوتهم يحافظون) أى يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما فى قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب فى المزدحم

ايذانا بأن كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تتمة للآخر (أولئك) اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره (فى جنات) أى مستقرون فى جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى (مكرمون) خبر آخر أو هو الخبر وفى جنات متعلق به قدّم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر أى مكرمون كائنين فى جنات. (فمال الذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين نحوك مادّى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستهزؤن بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا ايمان (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ (انا خلقناهم مما يعلمون) قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما فى قول الاعشى

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا * وشطت على ذى هوى أن تزارا

وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا فى دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل بالايمان والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولا يخفى ما فى الكل من التمحل والاقرب أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أى نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم (فذرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) فى باطلهم الذى من جملته ما حكى عنهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى (يوم يخرجون من الاجداث) بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج (سراعا) حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين (كأنهم الى نصب) وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد أيضا (يوفضون) يسرعون (خاشعة أبصارهم) وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها (ترهقهم ذلة) تغشاهم ذلة شديدة (ذلك) الذى ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

*(سورة نوح عليه السلام مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) أى بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل اليها الفعل فان حذفه مع أن وان مطرد وجعلت صلتها أمرا كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالانذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما فى الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على ارادة القول (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل فما فعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم (يا قوم انى لكم نذير مبين) منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) متعلق بنذير على الوجهين المذكورين (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فان الاسلام يجبه (ويؤخركم الى أجل مسمى) هو الامد الاقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم

الى

اليه بالايمان والطاعة صريح فى أن لهم اجلا آخر لايجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى (ان اجل الله) أى ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر (اذا جاء) وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر (لايؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجئ ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فانه أجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لايساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلابد أن يكون المنفى عند مجئ الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى (لو كنتم تعلمون) أى لو كنتم تعلمون شيأ لسارعتم الى ما أمرتكم به (قال) أى نوح عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد ما بذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل (رب انى دعوت قومى) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) أى دائما من غير فتور ولا توان (فلم يزدهم دعاءى الا فرارا) مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما فى قوله تعالى زادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) أى الى الايمان (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) أى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) أى بالغوا فى التغطى بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم (وأصروا) أى أكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصر الحمار على العانة اذا أصر اذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعى وطاعتى (استكبارا) شديدا (ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أشد من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد أو لتراخى بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه أحد نوعى الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم أو هو صفة لمصدر أى دعوتهم دعاء جهارا أى مجاهرا به أو مصدر فى موقع الحال أى مجاهرا (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصى (انه كان غفارا) للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع فى قلوبهم وأحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه (يرسل السماء عليكم مدرارا) أى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم) فيها (أنهارا) جارية (ما لكم لا ترجون لله وقارا) انكار لأن يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على أن الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له أى أى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطوارا) أى والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل أى ما لكم لا تؤملون له تعالى توقيرا أى تعظيما لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذى تستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد حتما وأما عدم

رجائهم لتعظيم الله اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع أن فى جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفى قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضى أن يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أخذكم بالعقوبة أى أى عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج أى لم أبال وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى متطابقة بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى منورا لوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل أو لأن كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل (وجعل الشمس سراجا) يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة (والله أنبتكم من الارض نباتا) أى أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أى أنبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز أن يكون الاصل أنبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الاخرى كما مر فى قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله (ثم يعيدكم فيها) بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لا ريب فيه (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها (قال نوح) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه أى قال مناجيا له تعالى (رب انهم عصونى) أى تموا على عصيانى فيما أمرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) أى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بأنهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالاسد (ومكروا) عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الضمائر الاول باعتبار لفظها (مكرا كبارا) أى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم فى الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على أذية نوح عليه السلام (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا

ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية (وقد أضلوا) أى الرؤساء (كثيرا) خلقا كثيرا أو الاصنام كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال و بعد الواو النائبة عنه أى قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتى من دعائه عليه الصلاة والسلام (مما خطيئاتهم) أى من أجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومما خطيئاتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم (اغرقوا) بالطوفان لا بسبب آخر (فأدخلوا نارا) المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها أو لانه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أى لم يجد أحد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الامر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح عليه السلام وأشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها الا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أى أحد وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا (انك ان تذرهم) عليها كلا أو بعضا (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) أى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريبا من ألف سنة (رب اغفر لى ولوالدى) أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (مؤمنا) بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من أهلك وقد مر تفصيله فى سورة هود (وللمؤمنين والمؤمنات) عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا (ولا تزد الظالمين الا تبارا) أى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم باراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

*(سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(قل أوحى الى) وقرئ أحى الى أصله وحى وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وأزن فى وعد ووزن (أنه) بالفتح لانه فاعل أوحى والضمير للشان (استمع) أى القرآن كما ذكر فى الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه (نفر من الجن) النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هى النفوس البشرية المفارقة

عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك وقد مر مافيه من التفصيل في الاحقاف (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا مقروءا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدي الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) أي بذلك القرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) حسبما نطق به مافيه من دلائل التوحيد (وأنه تعالى جد ربنا) بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أي عظم تمكنه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه (وأنه كان يقول سفيهنا) أي ابليس أو مردة الجن (على الله شططا) أي قولا ذا شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل أيضا بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا وأما تعلقهما بقوله تعالى (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أي كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أي قولا كذبا أي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) كان الرجل من العرب اذا أمسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى (فزادوهم) أي زاد الرجال العائذون الجن (رهقا) أي تكبرا وعتوا أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم (وانهم ظنوا) أي الانس (كما ظننتم) أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض (أن لن يبعث الله أحدا) وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب أنهما كذلك على كل تقدير عطفا على أنه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء) وما بعده من الجمل المصدرة بأنا ينبغي أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات أي طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) أي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل (شديدا) قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب (وأنا كنا نقعد) قبل هذا (منها) من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد أي لاجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أي مقاعد كائنة للسمع (فمن يستمع الآن) في مقعد من المقاعد (يجد له شهابا رصدا) أي شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوي شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا فقالوا ما هذا الا لامر أراده الله تعالى بأهل الارض وذلك قولهم (وانا لا ندري

أشر

أشر أريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشدا) أى خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره (وانا منا الصالحون) أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملاتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنا طرائق قددا) وأما حالهم بعد استماعه فيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون أى كنا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الاحوال أو كانت طرائقنا طرائق قددا أى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع (وانا ظننا) أى علمنا الآن (أن لن نعجز الله) أى أن الشأن لن نعجز الله كائنين (فى الارض) أينما كنا من أقطارها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء أو لن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن الذى هو الهدى بعينه (آمنا به) من غير تلعثم وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما أنزله (فلا يخاف) فهو لا يخاف (بخسا) أى نقصا فى الجزاء (ولا رهقا) ولا أن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك) اشارة الى من أسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) توخوا (رشدا) عظيما يبلغهم الى دار الثواب (وأما القاسطون) الجائرون عن سنن الاسلام (فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفرة الانس (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على أنه استمع والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) أى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة (وأن المساجد لله) عطف على قوله تعالى أنه استمع أى وأوحى الى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله (فلا تدعوا) أى لا تعبدوا فيها (مع الله أحدا) غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على أنه جمع المصدر الميمى (وأنه) من جملة الموحى أى وأوحى الى أن الشأن (لما قام عبد الله) أى النبى عليه الصلاة والسلام وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه (يدعوه) حال من فاعل قام أى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى سورة الاحقاف (كادوا) أى الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة

تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فأبى الله الا أن يظهره على من ناواه (قل انما ادعو) أى أعبد
(ربى ولا أشرك به) بربى فى العبادة (أحدا) فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق
على عداوتى وقرئ قال على أنه حكاية لما قوله عليه الصلاة والسلام للمتراكين عليه والاول هو الاظهر
والاوفق لقوله تعالى (قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا
فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر (قل انى لن يجيرنى من الله أحد) ان أرادنى بسوء (ولن أجد من
دونه ملتحدا) ملجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤن نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة
والسلام عن شؤن غيره وقوله تعالى (الا بلاغا من الله) استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد ونفع
وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أو من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجا الا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به
وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله
عليه (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته أى لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته
التى أرسلنى بها (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ بفتح
الهمزة على فجزاؤه أو فجزاؤه أن له نار جهنم (خالدين فيها) فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (أبدا)
بلا نهاية وقوله تعالى (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار
لانصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون
من فنون العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) وحمل ما يوعدون
على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى (قل ان أدرى) أى ما أدرى (أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا)
فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن
لا محالة وأما وقته فما أدرى متى يكون (عالم الغيب) بالرفع قيل هو بدل من ربى أو بيان له ويأباه الفاء فى قوله
تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا) اذ يكون النظم حينئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر عليه أحدا
وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف أى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من
عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أى فلا يطلع على غيبه
اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه (الا من ارتضى من
رسول) أى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى
بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادى رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من أركانها
وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها
فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور
الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت
قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة
وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب
الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لاحد من
الاولياء ما فى رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى (فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا) تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فانه يسلك من
جميع جوانب الرسول عليه السلام عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين
لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) متعلق
بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل
وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب
الذى أريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم
من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا
للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ

والجهاد

والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بأمرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما واتما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعدما أبلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى (وأحاط بما لديهم) أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وجى بها لتحقيق استغنائه تعالى فى العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال جميعا (وأحصى كل شئ) مما كان وما سيكون (عددا) أى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل أحصى عدد كل شئ وقيل هو حال أى معدودا محصورا أو مصدر بمعنى احصاء وأياما كان ففائدته بيان أن علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان أصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا أو كذب به عتق رقبة

*(سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة أو عشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(يا أيها المزمل) أى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فأدغم التاء فى الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن فامر بأن يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى فحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما فى قوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا أبا تراب ملاطفة له واشعارا بأنه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما هو أمر النبوة أى حمله والزمل الحمل وازدمله أى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام أو للامر به فان تحمله عليه الصلاة والسلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة (قم الليل) أى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وبفتحها (الا قليلا) استثناء من الليل وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل أى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر (أو انقص منه) أى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى (قليلا) أى نقصا قليلا أو مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف (أو زد عليه) أى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولا فلان الحقيق بالاعتناء الذى ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه وأما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بأن الحق هو الاول وقيل

قوله جئث هو زهى بمعنى فزع كذا فى القاموس اه مصححه

نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين
أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة
عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه
قليلا وقيل وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله أعلم بما في كتابه الجليل (ورتل القرآن)
في أثناء ما ذكر من القيام أي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف (ترتيلا) بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها
من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقي عليك) أي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى
(قولا ثقيلا) وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه
الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله
لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو
ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل في الميزان أو على الكفار والفجار
أو ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا (ان
ناشئة الليل) أي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة أي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض أو ان
قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو ان العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث أو ان ساعات
الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ (هي أشد وطأ) أي هي خاصة
أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء أي أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان أريد
بها النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه أن أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد
من الخشوع والاخلاص (وأقوم قيلا) وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات
(ان لك في النهار سبحا طويلا) أي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ
للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ
سبخا أي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه (واذكر اسم
ربك) ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن
ودراسة علم (وتبتل اليه) أي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك
الا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل
(تبتيلا) مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل (رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح وقيل على
الابتداء خبره (لا اله الا هو) وقرئ بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله
الا هو والفاء في قوله تعالى (فاتخذه وكيلا) لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به
تعالى (واصبر على ما يقولون) مما لا خير فيه من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بأن تجانبهم
وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى (وذرني والمكذبين) أي دعني
واياهم وكل أمرهم الي فاني أكفيكهم (أولي النعمة) أرباب التنعم وهم صناديد قريش (ومهلهم قليلا)
زمانا قليلا (ان لدينا أنكالا) جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر أي ان لدينا أمورا مضادة
لتنعمهم (وجحيما وطعاما ذا غصة) ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم (وعذابا أليما)
ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى (يوم
ترجف الارض والجبال) أي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو
صفة لعذابا أي عذابا واقعا يوم ترجف (وكانت الجبال) مع صلابتها وارتفاعها (كثيبا) رملا مجتمعا من كثب
الشيء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر وأسيل (انا أرسلنا اليكم)
يا أهل مكة (رسولا شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان (كما أرسلنا الى
فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه (فعصى فرعون الرسول)

الذي أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى (فأخذناه أخذا وبيلا) خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل أي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة (فكيف تتقون) أي كيف تقون أنفسكم (ان كفرتم) أي بقيتم على الكفر (يوما) أي عذاب يوم (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي (شيبا) شيوخا جمع أشيب اما حقيقة أو تمثيلا وأصله أن الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك (السماء منفطر به) أي منشق وقرئ متفطر أي متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر أي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أي ذات انفطار والباء في قوله تعالى (به) مثلها في فطرت العود بالقدوم (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله أو لليوم وهو مضاف الى مفعوله (ان هذه) اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أي أقل منهما استعير له الادنى لما أن المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفا على أدنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل (وطائفة من الذين معك) أي ويقوم معك طائفة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ أو بناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى (علم أن لن تحصوه) أي علم أن الشأن لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا (فتاب عليكم) بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية (علم أن سيكون منكم مرضى) استئناف مبين لحكمة أخرى داعية الى الترخيص والتخفيف (وآخرون يضربون في الارض) يسافرون فيها للتجارة (يبتغون من فضل الله) وهو الربح وقد عم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص (فاقرؤا ما تيسر منه) من غير تحمل المشاق (وأقيموا الصلوة) أي المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة وقيل هي زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أريد به الانفاقات في سبل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وانفعها للفقراء (وما تقدموا لانفسكم من خير) أي خير كان مما ذكر وما لم يذكر (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد أو فصل وان لم يقع بين معرفتين فان أفعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) في كافة أحوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

## * (سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا أيها المدثر) أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي أول سورة نزلت روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد

انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهرى ان أول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل فقال يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أى الذى دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفى حرف أبى المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل (قم) أى من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) أى افعل الانذار وأحدثه وقيل أنذر قومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين أو جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أى أى شئ حدث فلا تدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الاولى من الامر بالقيام أن يكبر به وينزهه من الشرك فان أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه (وثيابك فطهر) مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلاة وأولى وأحب فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها أيضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على القاذورات وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق (والرجز فاهجر) أى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثرا أى رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له أشرف الاخلاق وأحسن الآداب أو للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف أو ابدالا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا أذى لان من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار أن مع ابقاء عملها كقول من قال ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وقد قرئ باثباتها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع (ولربك) أى لوجهه تعالى أو لامره (فاصبر) فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا ما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وقوله تعالى (غير يسير) تأكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف فى أن المراد به يوم النفخة الاولى أو الثانية والحق أنها الثانية اذ هى التى يختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الاولى فحكمها الذى هو الاصعاق يعم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء فى الاخبار ان فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع فى تلك الثقب فى النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) حال اما من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه

فى الانتقام منه أو من التاء أى خالقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمّونه من مدحه الى جهة ذمّه بكونه وحيدا من المال والولد أو وحيدا من أبيه لانه كان زنيما كامرّ أو وحيدا فى الشرارة (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدّا بالنماء من مدّ النهر ومدّه نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثورى أربعة آلاف دينار وقال الثورى أيضا ألف ألف دينار (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف فى عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضورا فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد ابن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه امّا لانه لا مزيد على ما أوتى سعة وكثرة أو لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى (انه كان لآياتنا عنيدا) تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقى فانّ معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما أوتى ما أوتى استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذى لا يطاق وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أى فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدّر فى نفسه ما يقوله (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به أو حكاية لما كرّروه من قولهم قتل كيف قدّر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الاشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بأن يدعو عليه حاسد بذلك روى أنّ الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجنّ انّ له لحلاوة وانّ عليه لطلاوة وانّ أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأنّ قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل انا أكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أنّ محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرّقوا متعجبين بقوله متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها من التراخى الزمانى (ثم نظر) أى فى القرآن مرّة بعد مرّة (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر فى وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) أى يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوّه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى (ان هذا الا قول البشر) تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (وما أدراك ما سقر) أى أى شىء أعلمك ما سقر على أنّ ما الاولى مبتدأ وأدراك

خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ أى أى شئ هى فى وصفها لما مر مرارا من أن ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى (لاتبقى ولاتذر) بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما أدراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك أى لاتبقى شيأ يلقى فيها الا أهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لاتبقى على شئ ولاتدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لامحالة (لواحة للبشر) مغيرة لاعالى الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أى ملكا أو صنفا أو نقيبا من الملائكة يلون أمرها ويتسلطون على أهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالى الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن (وما جعلنا أصحاب النار) أى المدبرين لامرها القائمين بتعذيب أهلها (الاملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشدهم بأسا عن النبى صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت أى ما جعلناهم رجالا من جنسكم (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) أى ما جعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن أيضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتى من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف أو صف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد أو أن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بأنواع العذاب يتولاها الزبانية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) أى يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما أنزل (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفى لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون فى سلك أهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك أو نفاق فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة (والكافرون) المصرون على التكذيب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف فى الاصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء (ويهدى من يشاء) اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله

من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدى من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما (وما يعلم جنود ربك) أى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون (الا هو) اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة (وماهى) أى سقر أو عدة خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن أنكرها أو انكار ونفى لأن يكون لهم تذكر (والقمر والليل اذ أدبر) وقرئ اذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وانكشف (انها لاحدى الكبر) جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع فى جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة أى لاحدى البلايا أو لاحدى الدواهى الكبر على معنى أن البلايا الكبر أو الدواهى الكبر كثيرة وهذه واحدة فى العظم لا نظيرة لها (نذيرا للبشر) تمييز أى لاحدى الكبر انذارا أو حال مما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لان أو لمبتدا محذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) بدل من للبشر أى نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ فيكون فى معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا قيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء (الا أصحاب اليمين) فانهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيمانهم (فى جنات) لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم فى جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضميرهم فى قوله تعالى (يتساءلون) وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضا على أن يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت فى الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما فى قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما فى قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون (عن المجرمين) يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤل لكونه عين المسؤل عنه وقوله تعالى (ما سلككم فى سقر) مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أى يسألونهم قائلين أى شئ أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون (قالوا) أى المجرمون مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) للصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفى الاطعام لا على نفى استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء أضافوه الى الجزاء مع أن فيه من الدواهى والاهوال مالا غاية له لانه أدهاها وأهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم (حتى اتانا اليقين) أى الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا والفاء فى قوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين) لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد

موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعى الى الايمان به وقوله تعالى (كأنهم حمر مستنفرة) حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع مافيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى وقوله تعالى (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون (كلا) ردع لهم عن تلك الجراءة (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم (انه) أى القرآن (تذكرة) وأى تذكرة (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) وحاز بسببه سعادة الدارين (وما يذكرون) بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته فى أفعاله وقوله تعالى (الا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الاحوال أى وما يذكرون بعلة من العلل أو فى حال من الاحوال الا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا (هو أهل التقوى) أى حقيق بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة

## *(سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون)*

### *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(لا أقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها فى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقيل هى للنفى لكن لا لنفى نفس الاقسام بل لنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى فى نفى الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه فى قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفى ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الامر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وأيا ما كان فى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة مالا مزيد عليه وقد مر تفصيله فى سورة يس وسورة الزخرف (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى بالنفس المتقية التى تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن فى التقوى ففيه طرف من البراعة التى فى القسم السابق أو بالنفس التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعات أو بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ليتنى كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف أى أيحسب أن الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها فى أقطار الارض والقتها فى البحار وقيل ان عدى بن أبى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبى عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت

ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام (بلى) أى نجمعها حال كوننا (قادرين على أن نسوّى بنانه) أى نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوّى أصابعه التى هى أطرافه وآخر مايتم به خلقه وقرئ قادرون أى نحن قادرون (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) عطف على أيحسب اما على أنه استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا أو على أنه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام أى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه (يسأل أيان يوم القيامة) أى متى يكون استبعادا أو استهزاء (فاذا برق البصر) أى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهى لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق أى انفتح وانفرج (وخسف القمر) أى ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ) أى يوم اذ تقع هذه الامور (أين المفر) أى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر أى موضع الفرار وقد جوز أن يكون هو أيضا مصدرا كالمرجع (كلا) ردع عن طلب المفر وتمنيه (لاوزر) لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك (الى ربك يومئذ المستقر) أى اليه وحده استقرار العباد أو الى حكمه استقرار أمرهم أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ) أى يخبر كل امرئ برا كان أو فاجرا عند وزن الاعمال (بما قدم) أى عمل من عمل خيرا كان أو شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى (وأخر) أى لم يعمل خيرا كان أو شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به فى حياته وبما أخر فخلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) أى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التاء للمبالغة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الانسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى (ولو ألقى معاذيره) أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة أو من مرفوع ينبأ أى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر أى ولو أرخى ستوره * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى ثم يقفيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه فقيل (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك) عند القاء الوحى (لتعجل به) أى لتأخذه على عجلة مخافة أن يتفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شئ من معانيه (وقرآنه) أى اثبات قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له ولا تراسله (ثم ان علينا بيانه) أى بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه (كلا) ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له فى الاناة وأكد ذلك بقوله تعالى (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) على تعميم الخطاب للكل أى بل أنتم يا بنى آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون فى كل شئ ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة (وجوه يومئذ ناضرة) أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة فى قوله تعالى (الى ربها ناظرة) خبر ثان للمبتدأ أو نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة

مبتدأ لأن المقام مقام تفصيل لا على أن ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه أن يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بأن الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة (تظن) تتوقع أربابها (ان يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (اذا بلغت التراقى) أى بلغت النفس أعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال (وقيل من راق) أى قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى (وظن أنه الفراق) وأيقن المحتضر أن ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها (والتفت الساق بالساق) والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه (الى ربك يومئذ المساق) أى الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره (فلا صدق) ما يجب تصديقه من الرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن الذى نزل عليه أو فلا صدق ماله ولا زكاه (ولا صلى) ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى قوله تعالى أيحسب الانسان وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرآن (وتولى) عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فانه يلويه (أولى لك فأولى) أى ويل لك وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل هو أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فأولى) أى يتكرر عليه ذلك مرة بعد أخرى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى (ألم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق (ثم كان علقة) أى بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة (فخلق) أى فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة (فسوى) فعدل وكمل نشأته (فجعل منه) من الانسان (الزوجين) أى الصنفين (الذكر والانثى) بدل من الزوجين (أليس ذلك) العظيم الشأن الذى أنشأ هذا الانشاء البديع (بقادر على أن يحيى الموتى) وهو أهون من البدء فى قياس العقل * روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

* (سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(هل أتى) استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى (على الانسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر) أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية أصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان أى غير مذكور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف أى لم يكن فيه شيأ مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار فى قوله تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة) لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبى قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون

فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بيانا لخلق بنيه (أمشاج) أخلاط جمع مشج أو مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار وكياش وقيل أمشاج ألوان وأطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى (نبتليه) حال من فاعل خلقنا أي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي أو ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة الى آخره (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى (انا هديناه السبيل) بانزال الآيات ونصب الدلائل (اما شاكرا واما كفورا) حالان من مفعول هديناه أي مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا واما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا أو مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفورا بالاعراض عنه وقيل من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا أو كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب أي أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بأن الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط (انا أعتدنا للكافرين) من أفراد الانسان الذي هديناه السبيل (سلاسل) بها يقادون (وأغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب (ان الابرار) شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد قيل هو من يبر خالقه أي يطيعه وقيل من يمتثل بأمره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر (يشربون من كأس) هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية أو بيانية (كان مزاجها) أي ما تمزج به (كافورا) أي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى (عينا) بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف أي يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص وقوله تعالى (يشرب بها عباد الله) صفة عينا أي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن أبي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس (يفجرونها تفجيرا) أي يجرونها حيثما شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة أخرى لعينا وقوله تعالى (يوفون بالنذر) استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم (ويخافون يوما كان شره) عذابه (مستطيرا) فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر (ويطعمون الطعام على حبه)

قوله وقيل مفرد مقابل قوله جمع مشيج الخ وقوله كاعشار أي في قولهم برمة أعشار أي متكسرة كأنها صارت عشر قطع والبرمة القدر والاكياش بكاف وياء تحتية مثناة وشين معجمة ثوب غزل غزله مرتين يقال ثوب اكياش كما في الشهاب وزاده اهـ مصححه

أى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أو على حب الاطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كائنين على حب الله تعالى أو اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتى من قوله تعالى لوجه الله (مسكينا ويتيما وأسيرا) أى أسير فانه كان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه أو أسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون أى قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله (انا نخاف من ربنا يوما) أى عذاب يوم (عبوسا) يعبس فيه الوجوه أو يشبه الاسد العبوس فى الشدة والضراوة (قمطريرا) شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور أى انا نخاف عقاب الله تعالى ان أردناهما (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم منه (ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه ما شاؤا (وحريرا) يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبى صلى الله عليه وسلم فى ناس معه فقالوا لعلى رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخيبرى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى فى أهل بيتك فأقرأه السورة (متكئين فيها على الارائك) حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هى السرر فى الحجال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) اما حال ثانية من الضمير أو من المستكن فى متكئين والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طيئ والمعنى أن هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ما قبلها حال مثلها أو صفة لمحذوف معطوف على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كما فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على أنه خبر ظلالها والجملة فى حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة فى نعيمهم على معنى أنه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم مع أنه لا شمس ثمة ولا قمر (وذللت قطوفها تذليلا) أى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهى جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) الكوب الكوز العظيم الذى لا اذن له ولا عروة (كانت قواريرا قوارير من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثانى أيضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثانى بالرفع على هى قوارير

(قدروها

(قدروها تقديرا) صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيبه العرب وألذ ما تستلذ به (عينا) بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو نصب على الاختصاص (فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان أنها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع هو السلاسة (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعة بعضهم الى بعض (واذا رأيت ثم) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه ان بصرك أينما وقع فى الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) أى هنيئا واسعا وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيأ كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم (عاليهم ثياب سندس خضر) قيل عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس (واستبرق) بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثانى وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار (ان هذا) على اضمار القول أى يقال لهم ان هذا الذى ذكر من فنون الكرامات (كان لكم جزاء) بمقابلة أعمالكم الحسنة (وكان سعيكم مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأو للدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلابد أن يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وداوم على ذكره فى جميع الاوقات أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتظمهما (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له قطعا من الليل طويلا (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) وينهمكون فى لذاتها الفانية

(ويذرون وراءهم) أى أمامهم لايستعدون أو ينبذون وراء ظهورهم (يوما ثقيلا) لايعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شئ فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم) لاغيرنا (وشددنا أسرهم) أى أحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم) بعد اهلاكهم (تبديلا) بديعا لاريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) اشارة الى السورة أو الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء أن يتخذ اليه تعالى سبيلا أى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه أى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى (ان الله كان عليما حكيما) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى (يدخل من يشاء فى رحمته) بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر (أعد لهم عذابا أليما) أى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

## *(سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون)*

## *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الاقطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) للمحقين (أو نذرا) للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للاشعار بأن كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو اقسام برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فألقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فى اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة أى أرسلنا للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا أو على العلية وقرئا بالتثقيل (انما توعدون لواقع)

جواب للقسم أى انّ الذى توعدونه من مجىء القيامة كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محيت ومحقت أوذهب بنورها (واذا السماء فرجت) صدعت وفتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) جعلت كالحبّ الذى ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل أخذت من مقارّها بسرعة من انتسفت الشئ اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة (واذا الرسل اقتت) أى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما (لاىّ يوم أجلت) مقدر بقول هو جواب لاذا فى قوله تعالى واذا الرسل أقتت أو حال من مرفوع أقتت أى يقال لاىّ يوم أخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ ادراك خبره اى أىّ شئ جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أنّ ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لابالعكس كما اختاره سيبويه لانّ محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بديعا هائلا لايقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون أمر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه (ويل يومئذ للمكذبين) أى فى ذلك اليوم الهائل وويل فى الاصل مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعوّ عليه ويومئذ ظرفه أو صفته (ألم نهلك الاوّلين) كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل الفظيع (نفعل بالمجرمين) أى سنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ) أى يوم اذ أهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله تعالى وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أنّ الويل الاوّل لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا (ألم نخلقكم) أى ألم نقدركم (من ماء مهين) أى من نطفة قذرة مهينة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقلّ منها أو أكثر (فقدرنا) أى فقدرناه وقد قرئ مشددا أو فقدرنا على ذلك على أنّ المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل (فنعم القادرون) أى نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) الكفات اسم ما يكفت أى يضمّ ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضمّ ويجمع أى ألم نجعلها كفاتا تكفت (أحياء) كثيرة على ظهرها (وأمواتا) غير محصورة فى بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتا لانّ أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف أى كفاتا تكفتكم أحياء وأمواتا (وجعلنا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (شامخات) طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أو للاشعار بأنّ فيها ما لم يعرف (وأسقيناكم ماء فراتا) بأن خلقنا فيها أنهارا ومنابع (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) أى يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) فى الدنيا من العذاب (انطلقوا) خصوصا (الى ظلّ) أى ظلّ دخان جهنم كقوله تعالى وظلّ من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضى اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا أو كرها (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظلّ العرش قيل خصوصية الثلاث امّا لانّ حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لانّ المؤدى الى هذا العذاب هو القوّة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ والقوّة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب والقوّة

الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لا ظليل) تهكم بهم أورد لما أوهمه لفظ الظل (ولا يغني من اللهب) أي غير مغن لهم من حر اللهب شيأ (انها ترمي بشرر كالقصر) أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهي أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة (كأنه جمالة) قيل هو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة (صفر) فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال أو جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) اشارة الى وقت دخولهم النار أي هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي فصل واقع يوم لا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي أي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين الحق والباطل والمحق والمبطل (جمعناكم) خطاب لامة محمد عليه الصلاة والسلام (والاولين) من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث ظهر أن لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب (ان المتقين) من الكفر والتكذيب (في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) أي مستقرون في فنون الترفه وأنواع التنعم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر أي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة (انا كذلك) الجزاء العظيم (نجزي المحسنين) أي في عقائدهم وأعمالهم لا جزاء أدنى منه (ويل يومئذ للمكذبين) حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) مقدر بقول هو حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم مآله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) لزيادة التوبيخ والتقريع (واذا قيل لهم اركعوا) أي أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون اذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين) وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة (فبأي حديث بعده) أي بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

## *( سورة النبأ مكية وآيها أربعون أو احدى وأربعون )*

*( بسم الله الرحمن الرحيم )*

(عم) أصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس

قوله لا نجبي بالجيم والباء من التجبية وهي الانحناء على هيئة الراكع أو الساجد وهذا هو الذي رواه الزمخشري ووقع في بعض النسخ نخني من الانخناء وقوله فانها أي الهيئة أو التجبية المفهومة من الفعل وقوله مسبة أي عار يستوجب السب كذا في الشهاب اه مصححه

المعهودة أى عن أى شئ عظيم الشأن (يتساءلون) أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما فى المثال المذكور أو واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شئ يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى (عن النبإ العظيم) بيان لشأن المسئول عنه اثر تفخيمه بابهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبإ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هى متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وأيد ذلك بأنه قرئ عمه والاظهر أنه مبنى على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبإ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبإ العظيم والنبأ الخبر الذى له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى (الذى هم فيه مختلفون) بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسمانى فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف فى كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقى المسلمين والكافرين على أن سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى (كلا سيعلمون) الخ فانه صريح فى أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغى تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبى عليه الصلاة والسلام بأن يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر فى التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجرى فى كل منهما ما يجرى فى الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما فى قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذى

يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة أن يقال قد جعلنا الخ (أزواجا) أصنافا ذكرا وأنثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل (وجعلنا نومكم سباتا) أي موتا لانه أحد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذي فيه يقع النوم غالبا (لباسا) يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو أخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هربا من عدو أو بياتا له أو نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن (وجعلنا سراجا وهاجا) هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا أنه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي أيضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وأيا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه أو له أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأيا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت النار اذا أضاءت أو البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء (وأنزلنا من المعصرات) هي السحائب اذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كما في أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أو الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب وقرئ

بالمعصرات

بالمعصرات ووجه ذلك أن الانزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحائب أو الرياح فقد كان بها كما يقال أعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه أن الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبدأ للانزال (ماء ثجاجا) أي منصبا بكثرة يقال ثج الماء أي سال بكثرة وثجه أي أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه (لنخرج به) بذلك الماء (حبا) يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما (ونباتا) يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان (وجنات) الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير بن أبي سلمى

كأن عيني في غربي مقتلة ＊ من النواضح تسقي جنة سحقا

وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى (ألفافا) أي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم أن فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة أقدر وأقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى (ان يوم الفصل كان ميقاتا) شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا أي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في أنهما بمعزل من التقريب الذي أشير اليه على أن الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى (يوم ينفخ في الصور) أي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى (فتأتون) فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا (أفواجا) أي أمما كل أمة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أو زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح

من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء

(وفتحت السماء) عطف على ينفخ وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى (فكانت أبوابا) أى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست الا أبوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أى أمره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ (وسيرت الجبال) أى فى الجو على هيآتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أى تراها رأى العين ساكنة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذى يسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال

بارعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال على تلك الهيأة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سرابا) أى فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا أى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية (ان جهنم كانت مرصادا) شروع فى تفصيل أحكام الفصل الذى أضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه أى انها كانت فى حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها (للطاغين) متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا أى كائنا للطاغين وقوله تعالى (مآبا) بدل منه أى مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآبا على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة فى ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن فى للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى (أحقابا) ظرف للبثهم أى دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهى تلك الاحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون فيها شيأ ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون

فيها

فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم (جزاء) أى جوزوا بذلك جزاء (وفاقا) ذا وفاق لاعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على أنه فعال من وفقه كذا أى لاقه (انهم كانوا لا يرجون حسابا) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أى كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم (وكذبوا بآياتنا) الناطقة بذلك (كذابا) أى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه واتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا أى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه (وكل شئ) من الاشياء التى من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره (أحصيناه) أى حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر مؤكد لاحصيناه لما أن الاحصاء والكتبة من واد واحد أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا فى اللوح أو فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبى عليه الصلاة والسلام ان هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) شروع فى بيان محاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء أحوال الكفرة أى ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى (حدائق وأعنابا) أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا (وكواعب) أى نساء فلكت ثديهن وهن النواهد (أترابا) أى لدات (وكأسا دهاقا) أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة وقيل فى الكأس (لغوا ولا كذابا) أى لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف أى لا يكذبه أو لا يكاذبه (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيأ فشيأ مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم (عطاء) أى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء (حسابا) صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك وقوله تعالى (الرحمن) صفة له وقيل صفة للاول وأيا ما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على أنهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثانى نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثانى خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على رأى من يقول به والاوجه أن يكون كلاهما مرفوعا على المدح أو يكون الثانى نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما فى البدلية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثانى على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدا مضمر وما بعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض أى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما فى شئ ما والمراد نفى قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب أو زيادة الثواب

قوله فلكت أى استدارت مع ارتفاع يسير اه

من غير اذنه على أبلغ وجه وآكده وقيل ليس فى أيديهم مما يخاطب الله به ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل الروح خلق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبى صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوى وقيل هم أشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال أى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى (لا يتكلمون) وقوله تعالى (الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى أهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان أهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من أذن الله تعالى له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا أى حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراما لا على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفا للا يملكون فقد اشتبه عليه الشؤن واختلط به الظنون وقيل الا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا فى حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا أى حقا هو التوحيد واظهار الرحمن فى موضع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) أى الثابت المحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء فى قوله تعالى (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا أى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر فى قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا (انا أنذرناكم) أى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهى أو بها وبسائر القوارع الواردة فى القرآن (عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لانه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) فانه اما بدل من عذابا أو ظرف لمضمر هو صفة له أى عذابا كائنا يوم ينظر المرء أى يشاهد ما قدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أى شئ قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما فى قوله تعالى (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشئ الذى احتقره

حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده

## *( سورة والنازعات مكية وآيها خمس أو ست وأربعون )*

*( بسم الله الرحمن الرحيم )*

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أو أرواح الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بأرواح الكفرة الى النار وبأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيؤها لادراك ما أعدلها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب فى المزدحم

للاشعار بأن كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بأن يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء فى الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما فى قوله

يا لهف زيابة للحرث الـ * ـصابح فالغانم فالآيب

وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى اغراقا فى النزع حيث تنزعها من أقاصى الاجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير وأصول القدمين ثم تغرقها فى جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها فى جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه فى وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا أيضا على المصدرية وأما أمرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون فى مضيهم أى يسرعون فيه فيسبقون الى ما أمروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز أن يكون اقساما بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط فى أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر أمرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التى تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون أمرها أو بخيلهم التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه هذا والذى يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الاجرام الساكنة أى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهى النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى (تتبعها الرادفة) أى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث أى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين

عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حى الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) أى يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهى صفة للقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى (أبصارها) أى أبصار أصحابها (خاشعة) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر القلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار أصحابها سواء فى المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على أن الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشدهما فضلة مما لا عهد له فى الكلام وأيضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة أى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجلة وقال السدى زائلة عن أماكنها كما فى قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار أى يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا فى الحافرة أى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته أى فى طريقته التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى فى عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة وقوله تعالى (أئذا كنا عظاما نخرة) تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شئ من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر أو اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الاجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير (قالوا) حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع (تلك اذا كرة خاسرة) أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى (فانما هى زجرة واحدة) تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها وقيل هى راجع الى الرادفة فقوله تعالى (فاذا هم بالساهرة) حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هى وجه الارض وقيل هى أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى أرض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هى اسم الارض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال

وهب

وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة يعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك ان اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام فى استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه انا أخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما (طوى) بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوّله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى (اذهب الى فرعون) على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء أى ناداه اذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله أن اذهب لان فى النداء معنى القول (انه طغى) تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به (فقل) بعدما أتيته (هل لك) رغبة وتوجه (الى أن تزكى) بحذف احدى التاءين من تتزكى أى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه (فتخشى) اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء فى قوله تعالى (فأراه الآية الكبرى) فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه عليه الصلاة والسلام ما أراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى أن قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير أو التعريف فان اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر الى الظاهر كما أن نسبتها الى نون العظمة فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها أوهما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله فى سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الاعراف ولا ريب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعد (فكذب) بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا (وعصى) الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر فقط (ثم أدبر) أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس (يسعى) أى يجتهد فى معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل أدبر هاربا من الثعبان فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه وقيل انها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه أن ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى (فحشر) أى فجمع السحرة لقوله فأرسل فرعون

فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أى مايكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس (فنادى) فى المجمع بنفسه أو بواسطة المنادى (فقال أنا ربكم الاعلى) قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطى مايفضى اليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا وقيل مصدر لاخذ أى أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار أن مافيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى مايؤدى اليها لا محالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله أنا ربكم الاعلى وقوله ماعلمت لكم من اله غيرى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب (ان فى ذلك) أى فيماذكر من قصة فرعون ومافعل وما فعل به (لعبرة) عظيمة (لمن يخشى) أى لمن من شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى (أأنتم أشد خلقا) خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد مابين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب فى تقديركم (أم السماء) أى أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى (بناها) الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفى عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عزوجل مالا يخفى وقوله تعالى (رفع سمكها) بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان اذا أصلحه (وأغطش ليلها) أى جعله مظلما يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا فى قوله تعالى واذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) أى أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان افاضة النور بعد الظلمة أتم فى الانعام وأكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها (والارض بعد ذلك دحاها) اى بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم فى أقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها (أخرج منها ماءها) بأن فجر منها عيونا وأجرى أنهارا (ومرعاها) أى رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والاخفش كما فى قوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم (والجبال) منصوب بمضمر يفسره (أرساها) أى أثبتها وأثبت بها الارض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عزوجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع مافيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق السماء ومافيها كما روى عن الحسن من أنه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس

كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مرّ في سورة حم السجدة أنّ قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسوّاهنّ سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أنّ العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأمّا الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأمّا الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهنّ يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالاقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في ألسنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من أنّ انتصاب الارض بمضمر مقدّم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر امّا التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى أحوال السماء وامّا الاشعار بأنه أدخل في الالزام لما أنّ المنافع المنوطة بما في الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ما روى عن الحسن نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأمّا اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدّم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى (متاعا لكم ولانعامكم) امّا مفعول له أي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لانّ فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى أنعامهم فانّ المراد بالمرعى ما يعمّ ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فانّ قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى (فاذا جاءت الطامّة الكبرى) أي الداهية العظمى التي تطمّ على سائر الطامّات أي تعلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار شروع في بيان أحوال معادهم اثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع (يوم يتذكر الانسان ما سعى) قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر أنه منصوب بأعني كما قيل تفسيرا للطامّة الكبرى فانّ الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلا من الطامّة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شرّ بأن يشاهده مدوّنا في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية (وبرّزت الجحيم) عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على أحد (لمن يرى) كائنا من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أنّ فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى (فأمّا من طغى) الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فامّا يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأمّا من الخ والذي تستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل أنّ الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده

العيون كما مرّ فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أى فأمّا من عتا وتمرّد عن الطاعة وجاوز الحدّ فى العصيان (وآثر الحيوة الدنيا) الفانية التى هى على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الاخروية الابدية بالايمان والطاعة (فانّ الجحيم) التى ذكر شانها (هى المأوى) أى هى مأواه واللام سادّة مسدّ الاضافة للعلم بأنّ صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى امّا ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية فى النضر وأبيه الحرث المشهورين بالغلوّ فى الكفر والطغيان (وأمّا من خاف مقام ربه) أى مقامه بين يدى مالك أمره يوم الطامّة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل اليه بحكم الجبلّة البشرية ولم يعتدّ بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغترّ بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها (فانّ الجنة هى المأوى) له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أباعزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا مايدلّ عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى فاذا جاءت الطامّة الكبرى يتذكر الانسان ماسعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ماقدمت وأخرت فيكون قوله تعالى وبرّزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حالا من الانسان باضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين ولن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأمّا من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذى يتذكر ماسعى وتقسيما له بحسب أعماله الى القسمين المذكورين (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكوّنها وقيل أيان منتهاها ومستقرّها كما أنّ مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقرّ فيه وقوله تعالى (فيم أنت من ذكراها) انكار وردّ لسؤال المشركين عنها أى فى أىّ شئ أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفىّ عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ لانّ ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فانّ ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى (الى ربك منتهاها) على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنهها وتفاصيل أمرها ووقت وقوعها لا الى أحد غيره وانما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأمّا على الوجه الاوّل فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شئ ما كائنا من كان فلاىّ شئ يسألونك عنها وقوله تعالى (انما أنت منذر من يخشاها) على الوجه الاوّل تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فانّ انكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شئ من ذكراها مما يوهم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيح ذلك ببيان أنّ المنفىّ عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى انما أنت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذى لم يفوّض اليك فمالهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثانى هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكراها ببيان أنّ ارساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجئ الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقنى وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضى تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) امّا تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجئ المنذر به لا سيما على الوجه الثانى أى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أو ضحاه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه الى عشيته وامّا ردّ لما أدمجوه فى سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم

يرونها

يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الاعشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث فى الدنيا أو فى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورداً لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار حال من ضمير المفعول فى يحشرهم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا الاساعة خلا أن التشبيه هناك فى الاحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الاتلك المدة اليسيرة وعلى الثانى مستأنفة لامحل لها من الاعراب * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عزوجل فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم

*(سورة عبس مكية وآيها احدى وأربعون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(عبس وتولى أن جاءه الاعمى) روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابى ربيعة الفهرى وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرأيين أى لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات فى قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فان المشافهة أدخل فى تشديد العتاب أى وأى شئ يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى (لعله يزكى) استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بأن له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بأنه تعالى يدريه ذلك أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام للتنبيه على أن الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلا وقوله تعالى (أو يذكر) عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله تعالى (فتنفعه الذكرى) بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر أى أو يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى انك طمعت فى أن يتزكى أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع (أما من استغنى) أى عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فأنت له تصدى) أى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى له داع من الحرص والتهالك على اسلامه (وما عليك أن لا يزكى) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار أى أى شئ عليك فى أن لا يتزكى ومآله النفى أيضا (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو يخشى) أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى

قوله بالقوم متعلق بمحذوف أى وتشاغله بالقوم اه

أى يلهيك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصا لا ينبغى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (كلا) ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدى لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا فى الاهتمام بأمره متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى (انها تذكرة) أى موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى (فمن شاء ذكره) أى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بأمره فالضميران للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة أو للآيات السابقة والثانى للتذكرة والتذكير لانها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الادب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى (فى صحف) متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جىء به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لان (مكرمة) عند الله عز وجل (مرفوعة) أى فى السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر (مطهرة) منزهة عن مساس أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) أى كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدى رسل من الملائكة يسفرون بالوحى بينه تعالى وبين الانبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقى من الوحى لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهى وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون أضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد بما فى قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة (كرام) عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم (بررة) أتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر فى يمينه (قتل الانسان) دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى (ما أكفره) تعجب من افراطه فى الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى (من أى شئ خلقه) شروع فى بيان افراطه فى الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفى الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى (من نطفة خلقه) تحقير له أى من أى شئ حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه (فقدره) فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقه وقوله تعالى (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن يتنكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم (ثم اذا شاء أنشره) أى اذا شاء انشاره أنشره على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة وفى تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بأن وقته غير متعين

بل

بل هو تابع لها وقرئ أنشره (كلا) ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى (لما يقض ما أمره) بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره اذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب فى أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفى لا على نفى العموم اما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند الى الكل كما فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع فى اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه احد أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أى حقا لم يعمل بما أمره به (فلينظر الانسان الى طعامه) شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر الى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى (أنا صببنا الماء صبا) أى الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ أنى بالامالة أى كيف صببنا الى آخره أى صببناه صبا عجيبا (ثم شققنا الارض) أى بالنبات (شقا) بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء فى قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا) فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار أصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما الترتيب بين الامطار وبين الشق بالنبات على التراخى المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه فى حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى (وعنبا) عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض (وقضبا) أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع (وزيتونا ونخلا) الكلام فيهما وفى أمثالهما كما فى العنب (وحدائق غلبا) أى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لانها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) أى مرعى من أبه اذا أمه أى قصده لانه يؤم وينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم ولانعامكم) اما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعا أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا أى تمتعا كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة فى معنى التمتيع (فاذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق أى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا أصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصخ الآذان أى تصمها لشدة وقعها وقيل

هي مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه وقوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) اما منصوب بأعني تفسيرا للصاخة أو بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ أي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا الاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيأ أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به وأما الفرار حذرا من مطالبتهم أو بغضا لهم كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي عليه الصلاة والسلام من أمه ويفر ابراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما روي أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أي يهمه من عناه الامر اذا أهمه أي أوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أي مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي غبار وكدورة (ترهقها) أي تعلوها وتغشاها (قترة) أي سواد وظلمة (أولئك) اشارة الى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغبره (هم الكفرة الفجرة) الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

*(سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اذا الشمس كورت) أي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على أن المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان الثوب اذا أريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء واما لف ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الاقطار على أنه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم زوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا ألقاه على الارض وعن أبي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنهما تكويرها ادخالها في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء (واذا النجوم انكدرت) أي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (واذا الجبال سيرت) أي عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية (واذا العشار) جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) أي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد (واذا

(البحار سجرت) أى أحميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) أى قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءودة) أى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن قيل كان الرجل منهم اذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته (سئلت بأى ذنب قتلت) توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين وقرئ سألت أى خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وانما قيل قتلت لما أن الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية (واذا الصحف نشرت) أى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور (واذا الجحيم سعرت) أى أوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى آدم وقرئ سعرت بالتخفيف (واذا الجنة أزلفت) أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) جواب اذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما فى سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم فى كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا أنه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا يرى أن العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان وأيا ما كان فاسناد احضارها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما عملتها فى الدنيا فكأنها أحضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على ما هى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف

ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للايذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل أحد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذى أشير الى بعض بدائع شؤنه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال قد أترك القرن مصفرا أنامله وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادى فى تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فمن لوائح النظر الجليل الا أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول كثيرا ما يود وفى الثانى كثيرا ما أترك وفى الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل أما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون هى تلك التى علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع (فلا أقسم بالخنس) أى الكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما عدا النيرين من الدرارى الخمسة وهى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى وصفت بقوله تعالى (الجوار الكنس) لانها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو البيت الذى يتخذه من أغصان الشجر وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها (والليل اذا عسعس) أى أدبر ظلامه أو أقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل هى لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه أوفق لقوله تعالى (والصبح اذا تنفس) لانه أول النهار وقيل ادباره أقرب من تنفس الصبح ومعناه أن الصبح اذا أقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح (انه) أى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى أداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من أول الخلق الى آخر زمان التكليف (عند ذى العرش مكين) ذى مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان (مطاع) فيما بين ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه (ثم أمين) على الوحى وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف (وما صاحبكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه الصلاة والسلام انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) أى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الغيب) على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بضنين) أى

بخيل لا يبخل بالوحى ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرئ بظنين أى بمتهم من الظنة وهى التهمة (وما هو بقول شيطان رجيم) أى قول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب (ان هو) ما هو (الا ذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى (أن يستقيم) مفعول شاء أى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وما تشاؤن) أى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات (الا أن يشاء الله) أى الا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة أى المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها (رب العالمين) مالك الخلق ومربيهم أجمعين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

*(سورة انفطرت مكية وآيها تسع عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اذا السماء انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا والكلام فى ارتفاع السماء كما مر فى ارتفاع الشمس (واذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضى الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل أيضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان (واذا القبور بعثرت) أى قلب ترابها وأخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى (علمت نفس ما قدمت وأخرت) جواب اذا لكن لا على أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خيرا وشرا وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضا ما قدم من معصية وأخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ما قدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلى حسبما ذكر فيما مر مرارا (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أى أى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى التامة والعراقيل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى (الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدأ قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد أى صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه (فى أى صورة ما شاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا

للشكر والطاعة وقوله تعالى (بل تكذبون بالدين) اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا أو بدين الاسلام الذى هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كأنه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور ثم قيل أنتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم (كراما) لدينا (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفى تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى (يصلونها) اما صفة لجحيم أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها (يوم الدين) يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به (وما هم عنها بغائبين) طرفة عين فان المراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة لما مر مرارا من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفى لا نفى الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفى لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أى صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم أى وأى شئ جعلك داريا ما يوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأى سيبويه لما مر من أن مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب فى أن مناط افادة الهول والفخامة ههنا هو ما لا يوم الدين أى أى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة لما مر غير مرة أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال فى الجواب كاتب أو طبيب وفى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيأ من الاشياء الخ أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة ما يفيده ما قبله كما أن ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم

* (سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ويل للمطففين) قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقيل وقيل وأياما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شئ طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام

وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للاشارة الى أنه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شئ بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضي أن يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدار الذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان أو مآلا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حقا وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خبير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الافراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى (واذا كالوهم أو وزنوهم) للناس أي اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه (يخسرون) أي ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره فحذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا أي جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه وأولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشئ متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد أي ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون (ليوم عظيم) لا يقادر قدره عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مما يخالجه الشك والوهم لا يكاد يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أي لحكمه وقضائه منصوب باضمار أعني وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبرا لمبتدأ مضمر أو مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب

وتفاقم الاثم فى التطفيف وأمثاله مالا يخفى (كلا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى (ان كتاب الفجار لفى سجين) الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دوّن فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفى ذلك الكتاب المدوّن فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى (وما أدراك ما سجين) تهويل لامره أى هو بحيث لا يبلغه دراية أحد وقوله تعالى (كتاب مرقوم) أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (الذين يكذبون بيوم الدين) اما مجرور على أنه صفة ذامّة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم (وما يكذب به الا كل معتد) أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء (أثيم) أى منهمك فى الشهوات الخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها (اذا تتلى عليه آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه (أساطير الاوّلين) أى هى حكايات الاوّلين قال الكلبى المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أاذا تتلى على الاستفهام الانكارى (كلا) ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان لما أدى بهم الى التفوّه بتلك العظيمة أى ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدا فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسودّ قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرئ بادغام اللام فى الراء (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم انهم لصالوا الجحيم) أى داخلوا النار وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة (ثم يقال) لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية (هذا الذى كنتم به تكذبون) فذوقوا عذابه (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام فى قوله تعالى (وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) كما مرّ فى نظيره وقوله تعالى (يشهده المقربون) صفة أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة (ان الابرار لفى نعيم) شروع فى بيان محاسن أحوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مرّ فى شأن الفجار (على الارائك) أى على الاسرة فى الحجال ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة (ينظرون) أى الى ما شاؤا مدّ أعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أى بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من

قوله الخدجة أى الناقصة مخدجة باطلة لا يعتد بها من أخدجت الناقة اذا جاءت بولدها ناقص الخلق ... شيخ زاده اه

الخطاب

الخطاب للايذان بأنّ مالهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء (يسقون من رحيق) شراب خالص لا غش فيه (مختوم ختامه مسك) أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أى ما يختم به ويقطع (وفى ذلك) اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده أو الى ماذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته أو لكونه فى الجنة أى فى ذلك خاصة دون غيره (فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشئ أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها أرفع شراب فى الجنة واما لانها تأتيهم من فوق روى أنها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى أوانيهم (عينا) نصب على الاختصاص وجوز أن يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى (يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى من وقوله تعالى (ان الذين أجرموا) الخ حكاية لبعض قبائح مشركى قريش جئ بها تمهيدا لذكر بعض أحوال الابرار فى الجنة (كانوا) فى الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى أفى الله شك أو لمراعاة الفواصل (واذا مروا) اى فقراء المؤمنين (بهم) أى بالمشركين وهم فى أنديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا (يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (واذا انقلبوا) من مجالسهم (الى أهلهم انقلبوا فكهين) ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين (واذا رأوهم) أينما كانوا (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد (وما أرسلوا عليهم) على المسلمين (حافظين) حال من واو قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما فى قولك حلف لافعلن (فاليوم الذين آمنوا) أى المعهودون من الفقراء (من الكفار) أى من المعهودين وهو الاظهر وان أمكن التعميم من الجانبين (يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة أى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى (على الارائك ينظرون) حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) فانه صريح فى أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام فى الثاء ● وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

## *(سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون)*

### *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اذا السماء انشقت) أى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة (وأذنت لربها) أى واستمعت أى انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى أتينا طائعين فى الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما أشير اليه فيما سلف (وحقت) أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لا على أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الامور فحق الجملة أن تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه (واذا الارض مدت) أى بسطت بازالة جبالها وآكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أو زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى أمده أى زاده (وألقت ما فيها) أى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تكلفت فى ذلك أقصى جهدها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلى (وحقت) أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا فى الوقت الممتد الذى هو مدلولها قد مر سره فيما مر (يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه (فملاقيه) أى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) الخ قيل جواب اذا كما فى قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يأيها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه أو للتعويل على دلالة ما مر فى سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يأيها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يأيها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه (وينقلب الى أهله مسرورا) أى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى أهله فى الجنة من الحور والغلمان (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) أى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) أى يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه أوانك وأنى له ذلك (ويصلى سعيرا) أى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما فى قوله تعالى ونصليه جهنم (انه كان فى أهله) فيما بين أهله وعشيرته فى الدنيا (مسرورا) مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى (انه ظن أن لن يحور) تعليل لسروره فى الدنيا أى ظن أن لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف (بلى) ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى (ان ربه كان به بصيرا) تحقيق وتعليل له أى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الاشد وأخيه الاسود (فلا أقسم بالشفق) هى الحمرة التى نشاهد فى أفق المغرب بعد الغروب أو البياض

الذى

الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب (والليل وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق أي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة (لتركبن طبقا عن طبق) أي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت ومابعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لاباعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء أي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا الطبق أوحال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين أومجاوزا أومجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى (فمالهم لايؤمنون) لترتيب مابعدها من الانكار والتعجيب على ماقبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجبة للايمان والسجود أي اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأي شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أي شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ماقبلها أي فأي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ماسجدت الابعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضي الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لايخضعون عند تلاوته (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أوبما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب علما فعليا (فبشرهم بعذاب أليم) لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أوممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

## * (سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والسماء ذات البروج) هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أومنازل القمر أوعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أوأبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) أي يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق ومايحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما أو للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن مامن يوم الاوينادي اني يوم جديد واني على مايعمل في شهيد فاغتنمني فلوغابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام (قتل أصحاب الاخدود) قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال

حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا فما ان من حديث ولا صالي

وقيل تقديره لقد قتل وأيا ما كان فالجملة خبرية والاظهر أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الاشياء انهم أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الايمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلاقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسدا فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ماهي الا غميضة فصبرت قيل أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب بالناس فتقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الاخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الاخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا (النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى (اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روي أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق (وما نقموا منهم) أي ما أنكروا منهم وما عابوا (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تلام بنسيان الاحبة والوطن

ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض) للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى (والله على كل شيء شهيد) وعد لهم

قوله قرقور وهو كما في القاموس كعصفور السفينة أو الطويلة أو العظيمة اه مصححه

ووعيد

ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما أصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا أوليا (ثم لم يتوبوا) أي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى (فلهم عذاب جهنم) جملة وقعت خبرا لان أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف الاخفش والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهي نار أخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها الانهار) ان أريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا (ذلك) اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا أشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وأيا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي ذلك المذكور العظيم الشأن (الفوز الكبير) الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله (ان بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد (انه هو يبدئ ويعيد) أي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب وآمن (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على أنه صفة ربك (المجيد) العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود) استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالاشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود (فرعون وثمود) بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا أمثالهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة (والله من ورائهم محيط) تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد) رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب

الالهيـة فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيـد (فى لوح محفوظ) أى من التحريف ووصول الشـياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع عـلى أنه صفة قرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء أى مافوق السماء السـابعة الذى فيه اللوح * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسـنات

*(سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والسماء والطارق) الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليـل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ماظهر بالليل كائنا ما كان ثم أتسـع فى التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال

طرق الخيال ولا كليلة مدلج * سدكا بأرحلنا ولم يتبرج

والمراد هـهنا الكوكب البادى بالليل اما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيـل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى (وما أدراك ما الطارق) تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين فى نظائره أى وأى شئ أعلمك ما الطارق وقوله تعالى (النجم الثاقب) خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيـل ماهو فقيل النجم المضئ فى الغاية كأنه يثقب الظلام أو الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوأ ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيـل هو الثريا وقيـل هو الجـدى وقيـل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحـل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفى ايراده عنـد الاقسام به بوصف مشـترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله مالا يخفى وقوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جئ به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما فى قوله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا وقيـل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة عـلى أن ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة أى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء فى قوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق) للتنبيه على أن ما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان أن يتفكر فى مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له أن من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر عـلى اعادته بل أقدر على قياس العقل فيعـمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه ما يرديه وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيـل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى (يخرج من بين الصلب والترائب) أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عنـد البيضتين فالدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط فى الجماع الضعف فيـه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيـه لغة رابعة هى صالب (انه) الضمير للخالق

تعالى

قوله ولم يتبرج فى بعض النسخ ولم يتعرج ولعل الاول أوفق فتأمل اه

قوله وهو زحل وعليه فهو عين القول الاول تأمل اه مصححه

تعالى فان قوله خلق يدل عليه أى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر (على رجعه) أى على اعادته بعد موته (لقادر) لبين القدرة (يوم تبلى السرائر) أى يتعرف ويتصفح ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه (فما له) أى للانسان (من قوة) فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ينتصر به (والسماء ذات الرجع) أى المطر سمى رجعا لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوبا أو لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات أو مصدر من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما فى أنفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع من التنزيل لا فى تشققها بالعيون (انه) أى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدإ حال الانسان ومعاده (لقول فصل) أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل (وما هو بالهزل) ليس فى شئ منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة (انهم) أى أهل مكة (يكيدون) فى ابطال أمره واطفاء نوره (كيدا) حسبما تفى به قدرتهم (وأكيد كيدا) أى أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لا يعلمون (فمهل الكافرين) أى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك أو لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى (أمهلهم) بدل من مهل وقوله تعالى (رويدا) اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلهم امهالا رويدا أى قريبا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أو قليلا كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو فى الاصل تصغير رود بالضم وأنشد

كأنها ثمل تمشى على رود

أى على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر أرود بالترخيم وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا أو كونه حالا نحو سار القوم رويدا أى متمهلين وفى ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى * وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات والله أعلم

---

*(سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(سبح اسم ربك الاعلى) أى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شئ فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى (والذى قدر) اما صفة أخرى للرب كالموصول الاول أو معطوف عليه وكذا حال ما بعده أى قدر أجناس الاشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) أى فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا أو اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ما تحار فيه العقول روى أن الافعى اذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة

طو يله فتطو يهـا حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الزرابنج لا تخطئها فتصلح عينها بورقهـا وترجع باصرة باذن الله عزوجـل ويروى أن التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأ كله من فمه حيث قيض الله له طائرا قد رغذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأ كل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير (والذى أخرج المرعى) أى أنبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف (فجعله) بعد ذلك (غثاء أحوى) أى درينا اسود وقيل أحوى حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين اما للتا كيد واما لان المراد اقراء ما أوحى الله اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء أى سنقرئك ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والاتقان مع أنك أمى لا تدرى ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية أخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالغيبات وقيل فلا تنسى نهى والالف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله تعالى (الا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لا تنسى مما تقرؤه شيأ من الاشياء الا ما شاء الله أن تنساه أبدا بأن نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على القلة والندرة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة والسلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل فى النفى فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفى رأسا لا ما قد ينسى ثم يذكر (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ما أوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسرلى أمرى للايذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما فى قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) أى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز فى الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يخص التذكير بمواد النفع فى الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى أنه مما لا يكون والاول أنسب لقوله تعالى (سيذكر من يخشى) أى سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى أمر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان

قوله درينا هو بوزن امير ويقال أيضا بوزن غمامة يبس كل حطام حمض أو شجر أو بقل كما فى القاموس اه مصحح

بمعنى اذ كما فى قوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم وقيل هى بمعنى ما أى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هنا محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجانى والزهراوى (ويتجنبها) أى الذكرى (الاشقى) من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ابى ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) أى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه وثم للتراخى فى مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أفظع من الصلى (قد أفلح) أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) أى تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) أقام الصلوات الخمس كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه أى كبره يوم العيد فصلى أى صلاته (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية أو للكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الانسان غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى (والآخرة خير وأبقى) حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير فى نفسها لما أن نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره (ان هذا) اشارة الى ماذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا (لفى الصحف الاولى) أى ثابت فيها معناه (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفى ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روى أن جميع ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور والفرقان * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

---

*(سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(هل أتاك حديث الغاشية) قيل هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل أتى على الانسان الآية قال قطرب أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهى القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هى النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضا وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) الى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقى كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتانى حديثها فما هو

فقيل وجوه يومئذ أى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه اذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار ووهادها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها فهى يومئذ فى نصب منها وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة وقوله تعالى (تصلى) أى تدخل (نارا حامية) أى متناهية فى الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب فى أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية فى الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحر كما فى قوله تعالى وبين حميم آن (ليس لهم طعام الا من ضريع) بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعداد الشبع والسمن الا أنه لا يفيدهم شيأ منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى أحشائهم الى ادخال شئ كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق الى مطعوم ما أو التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفى وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) شروع فى رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لانه أدخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكى حسنا وبهجة والكلام فى اعراب الجملة كالذى مر فى نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة (لسعيها راضية) أى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته (فى جنة عالية) مرتفعة المحل أو علية المقدار (لا تسمع) أى أنت أو الوجوه (فيها لاغية) لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فان كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية (فيها عين جارية) أى عيون كثيرة تجرى مياهها كقوله تعالى علمت نفس (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو المقدار (وأكواب) جمع كوب وهو اناء لا عروة له (موضوعة) أى بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابى) أى بسط فاخرة جمع زربية (مبثوثة) أى مبسوطة (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما

هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الابل أى أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كل حين الى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيآتها اللائقة بتأتى ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير (والى السماء) التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف رفعت) رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك (والى الجبال) التى ينزلون فى أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها (كيف نصبت) نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل ولا تميد (والى الارض) التى يضربون فيها ويتقلبون عليها (كيف سطحت) سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء فى قوله تعالى (فذكر) لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر أى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى (انما أنت مذكر) تعليل للامر وقوله تعالى (لست عليهم بمصيطر) تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار أى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى (الا من تولى وكفر) استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول أنه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى (ان الينا ايابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر أى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من أوب كقتال من قتل ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فأدغمت الياء الاولى فى الثانية (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وفى تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

## *(سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والفجر) أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته (وليال عشر) هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) أى الاشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها وقد روى أن النبى عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد

كثرت فيهما الاقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء (والليل اذا يسر) أى يمضى كقوله تعالى والليل اذا دبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق (هل فى ذلك قسم) الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الاقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو الى الاقسام بها وأياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الاشياء قسم أى مقسم به (لذى حجر) يراه حقيقا بأن يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وانما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر أو هل فى اقسامى بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة أيضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) الخ فانه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام فى الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون كأنه قيل ألم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف وقوله تعالى (ارم) عطف بيان لعاد للايذان بأنهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم أو أهل ارم على ما قيل من أن ارم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وأياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم (ذات العماد) صفة لارم أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا أو ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الاساطين على أن ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم أى بعاد أهل اعلام ذات العماد على أنها اسم بلدتهم وقرئ أرم ذات العماد أى جعلها الله تعالى رميما بدل من فعل ربك وقيل هى جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة أخرى لارم أى لم يخلق مثلهم فى عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى (وثمود) عطف على عاد وهى قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عاصر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من

العاربة

العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم أو لتعذيبه بالاوتاد (الذين طغوا فى البلاد) اما مجرور على أنه صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم أى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وكذا الكلام فى قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أى بالكفر وسائر المعاصى (فصب عليهم ربك) أى أنزل انزالا شديدا على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أى عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى أن ذلك بالنسبة الى ما أعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع أو جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب وقيل السوط خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة أيضا لان السوط يطلق على كل منها لغة فلا حاجة حينئذ فى تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما فى المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعانى مما يقبل الاستمرار فى نفسه وقوله تعالى (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وايذان بأن كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وأنهم لا يفوتونه وقوله تعالى (فأما الانسان) الخ متصل بما قبله كأنه قيل انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيرا وشرا فأما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها (اذا ما ابتلاه ربه) أى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء فى قوله تعالى (فأكرمه ونعمه) تفسيرية فان الاكرام والتنعيم من الابتلاء (فيقول ربى أكرمن) أى فضلنى بما أعطانى من المال والجاه حسبما كنت أستحقه ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدا الذى هو الانسان والفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الانسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من أول الامر بأن الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى (وأما اذا ما ابتلاه) أى وأما هو اذا ما ابتلاه ربه (فقدر عليه رزقه) حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة (فيقول ربى أهانن) ولا يخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الاهانة فى شئ بل التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ أكرمنى وأهاننى باثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف (كلا) ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى لكرامته على ولم أبتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء أقواله الى بيان سوء أفعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس أى بل لكم أحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون (ولا تحاضون) بحذف احدى التاءين من تتحاضون أى لا يحض بعضكم بعضا (على طعام المسكين) أى على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء (وتأكلون التراث) أى الميراث وأصله وراث (أكلا لما) أى ذا لم أى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم

أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء (كلا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) الخ استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع أي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأيا ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية (وجاء ربك) أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيبته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل (والملك صفا صفا) أي مصطفين أو ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الانسان) أي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ وقوله تعالى (وأنى له الذكرى) اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أوانه وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أي وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بأنها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول ياليتني قدمت لحياتي) وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتني عملت لاجل حياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة أنتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى أن كان ممكنا منه فربما يوهم أن من صرف قدرته الى أحد طرفي الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته الى أي طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة (فيومئذ) أي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله تعالى أي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواه اذ الامر كله له أو للانسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان أيضا وقيل المراد به أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى (ياأيتها النفس المطمئنة) حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدإ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤنها عن غيره بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة أي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت (ارجعي الى ربك) أي الى موعده أو الى أمره (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل (فادخلي في عبادي) في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي (وادخلي جنتي) معهم أو انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بأنوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث

وقرئ

وقرئ فادخلى فى عبدى وقرئ فى جسد عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى حبيب بن عدى رضى الله عنهما والظاهر العموم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

*(سورة البلد مكية وآيها عشرون)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الانسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى (وأنت حل بهذا البلد) اما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام به أو للتنبيه من أول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه فى هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وأنت حل به فى المستقبل كما فى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر (ووالد) عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى (وما ولد) اسمعيل والنبى صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى أنه متحقق فى حالتى الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا أن التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده (لقد خلقنا الانسان فى كبد) أى تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده وأصله كبده اذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير فى قوله تعالى (أيحسب) لبعضهم الذى كان عليه الصلاة والسلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الاشد بن كلدة الجمحى وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه أى أيظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين (أن لن يقدر عليه أحد) أن مخففة من أن واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف أى أيحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد (يقول أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما انفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) أى طريقى الخير والشر أو الثديين وأصل النجد المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التى هى الطريق فى الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى أى شئ أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة (فك رقبة) أى هو اعتاق رقبة (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) أى مجاعة (يتيما ذا مقربة) أى قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أى

قوله ومقيس أى على وزن منبر كما فى القاموس وقوله ابن ضبابة هكذا فى النسخ والذى فى القاموس حبابة بالحاء المهملة لا بالضاد فليحرر اهـ مصححه

اقتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضى فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات (أولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل أى أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة (أصحاب الميمنة) أى اليمين أو اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) أى الشمال أو الشؤم (عليهم نار مؤصدة) مطبقة من آصدت الباب اذا أطبقته وأغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من أوصدته * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

*(سورة والشمس مكية وآيها خمس عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والشمس وضحاها) أى ضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر اذا تلاها) بأن طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها فى الاستدارة وكمال النور (والنهار اذا جلاها) أى جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها (والليل اذا يغشاها) أى الشمس فيغطى ضوءها أو الآفاق أو الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا فى قولك أقسم بالله حققن أن يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا (والسماء وما بناها) أى ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى (والارض وما طحاها) أى بسطها من كل جانب كدحاها (ونفس وما سواها) أى أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الانسب للجواب (فألهمها فجورها وتقواها) أى أفهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل (قد أفلح من زكاها) أى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى (وقد خاب من دساها) لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به أيضا أصالة أى خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى (كذبت ثمود بطغواها) عليه كأنه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرائه على الله تعالى أو صلة للتكذيب أى كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالرجعى (اذ انبعث أشقاها) منصوب بكذبت أو بالطغوى أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان أفعل التفضيل اذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضا به (فقال لهم) أى لثمود (رسول الله) أى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى اضافة

الناقة

الناقة الى الله تعالى فى قوله تعالى (ناقة الله) أى ذروا ناقة الله (وسقياها) ولا تذودوها عنها فى نوبتها (فكذبوه) أى فى وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضميرلهم للاشقين ولا يلائمه ذكرسقياها (فعقروها) أى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس (فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) أى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أوفسوى ثمود بالارض أوسواها فى الاهلاك (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شأنه الخوف والواو للحال أو للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف ٭ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

٭(سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون)٭

٭(بسم الله الرحمن الرحيم)٭

(والليل اذا يغشى) أى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها أو النهار أوكل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أوتبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذى خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) جواب القسم وشتى جمع شتيت أى ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) الخ تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها أى فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهى الايمان أوبالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها (وأما من بخل) أى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير (واستغنى) أى زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة (وكذب بالحسنى) أى بما ذكر من المعانى المتلازمة (فسنيسره للعسرى) أى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بأن كلا منهما أصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثانى بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى (وما يغنى عنه) أى ولا يغنى أو أى شئ يغنى عنه (ماله) الذى يبخل به (اذا تردى) أى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك أوتردى فى الحفرة اذا قبر أوتردى فى قعر جهنم (ان علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله أى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى اليه من طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا (وان لنا للآخرة والاولى) أى التصرف الكلى فيهما كيفما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما فى الدنيا والآخرة فلا يضرنا تركم الاهتداء بهدانا (فأنذرتكم نارا تلظى) بحذف احدى التاءين من تتلظى أى تتلهب وقرئ على الاصل (لا يصلاها) صليا لازما (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى (الذى كذب وتولى) أى كذب بالحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها) أى سيبعد عنها (الاتقى) المبالغ

في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها أوصليها الابدي وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق (الذي يؤتي ماله) يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى (يتزكى) اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتي أي يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى أي ليس لاحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فمر به النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله عنه ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمر أي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجلها اذ به يتحقق الرضا وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

## *(سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما في قوله تعالى أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا (والليل) أي جنس الليل (اذا سجى) أي سكن أهله أو ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى (ما ودعك ربك) جواب القسم أي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف أي ما تركك (وما قلى) أي وما أبغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل أو للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للفواصل * روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى أنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأن ما سيؤتيه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل (وللآخرة خير لك من الاولى) لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتي عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع أنه عندما أعد له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أي لنهاية أمرك خير من بدايته لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى (ولسوف

يعطيك ربك فترضى) عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه الصلاة والسلام وفى أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احداهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقال أبو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيدا القائم بل هى التى فى قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نونى التأكيد فكأنه قيل وليعطينك وكذلك اللام فى قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفى وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فأوى وهو اما من أواه بمعنى آواه أو من أوى له اذا رحمه وقوله تعالى (ووجدك ضالا) عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما أشير اليه أو على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التى لا تهتدى اليها العقول كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب وقيل ضل فى صباه فى بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبى عليه الصلاة والسلام قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل أضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب يروى أن ابليس أخذ بزمام ناقته فى ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الهند ورده الى القافلة (فهدى) فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية فى تضاعيف ما أوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك (ووجدك عائلا) أى فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بمال حصل لك من ربح التجارة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل أقنعك وأغنى قلبك (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر أى فلا تعبس فى وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريد الآخرة يجىء الى باب أحدكم فيقول أتبعثون الى أهليكم بشئ وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسأل عن الدين (وأما بنعمة ربك فحدث) بشكرها واشاعتها واظهار آثارها وأحكامها أريد بها ما أفاضه الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التى من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تعالى وهداك وأغناك فمهما يكن من شئ فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك فى هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه

من الكتاب والحكمة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

*(سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(ألم نشرح لك صدرك) لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية أي ألم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤن الحق وقيل أريد به ماروى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسماني مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من أول الامر بأن الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) عطف على ما أشير اليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب أطراف النظم الكريم أي حططنا عنك عبأك الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى (فان مع العسر يسرا) تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين أي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا أعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا أو جنسا وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالاول (فاذا فرغت) أي من التبليغ وقيل من الغزو (فانصب) فاجتهد في العبادة وانعب شكرا لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك (والى ربك) وحده (فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرئ فرغب أي فرغب الناس الى طلب ما عنده * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

*(سورة والتين مكية وقيل مدنية وآيها ثمان)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والتين والزيتون) هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما

لاختصاصهما

لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لافضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبوذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبى عليه الصلاة والسلام سل من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلوقلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولولم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لادهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهود لها فى التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الانبياء قبلى وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعى وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبى (وطور سينين) هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك أضيف اليهما وسينون كبيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية (وهذا البلد الامين) أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين (لقد خلقنا الانسان) أى جنس الانسان (فى أحسن تقويم) أى كائنا فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شاءت فاذا أرادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو أعدل الارواح وأصفاها وأقربها منها وأقواها مناسبة الى عالم المجردات القاء روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما فى الشرايين من الارواح الى الدماغ الذى هو منبت الاعصاب التى فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزه عن كونه داخلا فى العالم أو خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شؤنهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة فى العالم الانسانى الذى هو نسخة للعالم الاكبر وأنموذج منه وقوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) أى جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أعلى عليين وقيل رددناه الى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وأياما كان فأسفل سافلين اما حال من المفعول أى رددناه حال كونه أسفل

سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه مكاناً أسفل سافلين والاول أظهر وقرئ أسفل السافلين وقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى (فلهم أجر غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب فى قوله تعالى (فما يكذبك بعد بالدين) للرسول عليه الصلاة والسلام أى فأى شئ يكذبك دلالة أو نطقاً بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت أى فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وانكاره بعد هذه الدلائل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتحويله من حال الى حال كمالاً ونقصاناً من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبه أيها الانسان (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والتين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام فى دار الدنيا واذا مات أعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

* (سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اقرأ) أى ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعاً وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالامر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أولا والاقرب أن هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم أول ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهرى المشهور وقوله تعالى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبساً باسمه تعالى أى مبتدئاً به لتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى (الذى خلق) لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى انشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شئ وقوله تعالى (خلق الانسان) على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو أشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الاول أيضاً خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روماً لتفخيم فطرته وقوله تعالى (من علق) أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على أن الانسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولاً ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى (اقرأ) أى افعل ما أمرت به تأكيداً للايجاب وتمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الاكرم) الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما أنا بقارئ

يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمّي فقيل له وربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم (الذي علم بالقلم) أي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى (علم الانسان مالم يعلم) بدل اشتمال من علم بالقلم أي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر بباله وفي حذف المفعول أولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم مالا تحيط به العقول مالا يخفى (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى (ان الانسان ليطغى) أي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في أبي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى (أن رآه استغنى) مفعول له أي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على أن استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية أيضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى (ان الى ربك الرجعى) تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أي ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روى أن أبا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستقباح النهي وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما ما في قوله تعالى (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى) وما في قوله تعالى (أرأيت ان كذب وتولى) فقلبية معناه أخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التي هي كونها أمرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لأرأيت لا يكون الا جملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أو مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) أي يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما أفرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى أخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة

الله تعالى أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى عن الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثانى للكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى أمرا بالتقوى أتنهاه وقيل هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع للناهى اللعين وخسوء له واللام فى قوله تعالى (لئن لم ينته) موطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كامسى وأصلها زبانى فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبى عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع بعد ردع وزجر اثر زجر (لا تطعه) أى دم على ما أنت عليه من معاصاته (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترب) وتقرب بذلك الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

*(سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(انا أنزلناه فى ليلة القدر) تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر فى جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فانه بيان اجمالى لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفى اظهار ليلة القدر فى الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روى أنه انزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى عليه السلام نجوما فى ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبى وقيل المعنى أنزلناه فى شأن ليلة القدر وفضلها كما فى قول عمر رضى الله عنه خشيت أن ينزل فى قرآن وقول عائشة رضى الله عنها لأنا أحقر فى نفسى من أن ينزل فى قرآن فالانسب أن يجعل الضمير حينئذ للسورة التى هى جزء من القرآن لا للكل واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى أوتارها وأكثر الاقوال أنها السابعة منها ولعل السر فى اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالى وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير أو لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل

ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا الليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبى عليه السلام أعمار الامم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق فى سورة النبا ما قيل فى شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة أى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض أو الى السماء الدنيا (باذن ربهم) متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين باذن ربهم أى بأمره (من كل أمر) أى من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه (سلام هى) أى ما هى الا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير وأما فى غيرها فيقضى سلامة وبلاء أو ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم فى محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر فى الجار • عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

• (سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان) •

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم وايراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم (والمشركين) أى عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول (منفكين) أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور فى كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشئ عن الشئ أن يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه (حتى تأتيهم البينة) التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين أى تلت وقوله تعالى (رسول) بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى (من الله) متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى (يتلو) صفة أخرى له أو حال من الضمير فى متعلق الجار (صحفا مطهرة) أى منزهة عن الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) صفة لصحفا أو حال من ضميرها فى مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق

والصواب وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان أن ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي أهل الكتاب وايذانا بأن انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى (الا من بعد ما جاءتهم البينة) استثناء مفرغ من أعم الاوقات أي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أي والحال أنهم ما أمروا بما أمروا في كتابهم الا لاجل أن يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى أن أي الا بأن يعبدوا الله ويعضده قراءة الا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) أي جاعلين دينهم خالصا له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين (حنفاء) مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) ان أريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التي هما من جملتها (وذلك) اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته (دين القيمة) أي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا عنه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك عما أنا فيه حتى أستغني فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وأنت خبير بأن هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما أجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير أن يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا فتأمل (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم) بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا أنها ظهرت في هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف (خالدين فيها) حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها ألوان (أولئك) اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر أي أولئك البعداء المذكورون (هم شر البرية) شر الخليقة أي أعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاما ومصيرا

فيكون

فيكون تأكيد القطاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل (انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لمحاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب (أولئك) المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة (هم خير البرية) وقرئ خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد (جزاؤهم) بمقابلة مالهم من الايمان والطاعة (عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار) ان أريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأيا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود (خالدين فيها أبدا) متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفى تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه فى مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ذلك) أى ماذكر من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فانّ الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤن الله عزوجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

* (سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اذا زلزلت الارض) أى حرّكت تحريكا عنيفا متكررا متداركا (زلزالها) أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره أو زلزالها الداخل فى حيز الامكان وقرئ بفتح الزاى وهو اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عزوجل (وأخرجت الارض أثقالها) أى ما فى جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض فى موقع الاضمار لزيادة التقرير أو للايماء الى تبدل الارض غير الارض أو لانّ اخراج الاثقال حال بعض أجزائها (وقال الانسان) أى كل فرد من أفراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة (مالها) زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاوّل على أنّ المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب (يومئذ) بدل من اذا وقوله تعالى (تحدّث أخبارها) عامل فيهما ويجوز أن يكون اذا منتصبا بمضمر أى يوم اذ زلزلت الارض تحدّث الخلق أخبارها امّا بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج أثقالها وامّا بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشرّ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ أخبارها وقرئ تنبئ من الانباء (بأنّ ربك أوحى لها) أى تحدّث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره اياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل تحدّث بأخبارها بأنّ ربك أوحى لانّ التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى اليها (يومئذ) أى يوم اذ يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشتاتا) متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مرّ فى قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) أى أجزية أعمالهم خيرا كان أو شرّا وقرئ

ليروا بالفتح وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره) تفصيل ليروا وقرئ يره والذرّة النملة الصغيرة وقيل ماترى في شعاع الشمس من الهباء وأياما كان فعنى رؤية مايعادلهما من خير وشرّ اما مشاهدة جزائه فن الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوّة وماقيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يردّه قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولاعدمه بل يفوّض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرّا الا أراه الله تعالى اياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيردّ حسناته تحسيرا ويعاقبه بسيئاته * عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرّات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم

---

## *(سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة)*

---

### *(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدوّ وقوله تعالى (ضبحا) مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها أي تضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها أو بالعاديات فانّ العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي ضابحات (فالموريات قدحا) الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة (فالمغيرات) أسند الاغارة التي هي مباغتة العدوّ للنهب أو القتل أو للاسر اليها وهي حال أهلها ايذانا بأنها العمدة في اغارتهم (صبحا) أي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدوّ ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى (فأثرن به) عطف على الفعل الذي دلّ عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن به أي فهيجن بذلك الوقت (نقعا) أي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر أنّ الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله درّ شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لانّ التأثير فيه معنى الاظهار (فوسطن به) أي توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع (جمعا) من جموع الاعداء والفاآت للدلالة على ترتب مابعد كل منها على ماقبلها كما في قوله

يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى (انّ الانسان لربه لكنود) أي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض أفراده روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاريّ وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبيّ عليه الصلاة والسلام بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ماهم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء في حق أربابها ما أرجفوا انهم مبالغون في الكفران (وانه على ذلك) أي وانّ الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه (وانه لحب الخير) أي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا (لشديد) أي قويّ مطيق مجدّ في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقويّ له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل أي انه لاجل حبّ المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى أن من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حبّ المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون أموالهم ويحوزون من

الغنائم نصيبا وقوله تعالى (أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور) الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل (وحصل) أي جمع محصلا أو ميز خيره من شره وقرئ وحصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا (ما في الصدور) من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية (ان ربهم) أي المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما أشير اليه هنالك (بهم) بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور (لخبير) أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك أن ربهم بهم يومئذ خبير

● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

## ●(سورة القارعة مكية وآيها عشر)●

●(بسم الله الرحمن الرحيم)●

(القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة) على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة أي أي شئ عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى (وما أدراك ما القارعة) تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الاول أي وأي شئ أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند

النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام فى سورة النمل وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) الخ بيان اجمالى لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الاعمال التى هى أعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان أى فمن ترجحت مقادير حسناته (فهو فى عيشة راضية) أى ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه) أى فمأواه (هاوية) هى من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان أهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبى ان المعنى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى (وما أدراك ماهيه نار حامية) فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

*(سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى أفنانا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء (حتى زرتم المقابر) أى حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريرى (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة (سوف تعلمون) سوء مغبة ما أنتم عليه اذا عاينتم عاقبته (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الاول أو الاول عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى (لترون الجحيم) جواب قسم مضمر أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد ابهامه تفخيما (ثم لترونها) تكرير للتأكيد أو الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها أو المراد بالاولى المعرفة وبالثانية

المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين

(ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

*(سورة والعصر مكية وآيها ثلاث)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة (ان الانسان لفى خسر) أى خسران فى متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) أى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها أو على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به أو لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا وباطنا * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

*(سورة الهمزة مكية وآيها تسع)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة لمزة) وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعى خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم (الذى جمع مالا) بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه حيا والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومناه الامانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فى الدنيا وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى الحياة الابدية والنعيم المقيم فأما المال

فليس بخالد ولا بمخلد وروى أنّ الاخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى (لينبذنّ) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أى والله ليطرحنّ بسبب تعاطيه للافعال المذكورة (فى الحطمة) أى فى النار التى شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما أنّ شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى (وما أدراك ما الحطمة) لتهويل أمرها ببيان أنها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى (نار الله) خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشأن المسؤل عنها أى هى نار الله (الموقدة) بأمر الله عز سلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه (التى تطلع على الافئدة) أى تعلو أوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما أنّ الفؤاد ألطف ما فى الجسد وأشده تألما بأدنى أذى يمسه أو لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة من أوصدت الباب وآصدته أى أطبقته (فى عمد ممددة) اما حال من الضمير المجرور فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدا مضمر أى هم فى عمد أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم أجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

* (سورة الفيل مكية وآيها خمس) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أى ألم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فانّ ذلك من الارهاصات لما روى أنّ القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى عليه الصلاة والسلام وتفصيلها انّ أبرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمنّ الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففرّوا فهلكوا فى كل طريق ومنهل وروى أنّ أبرهة تساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل انّ أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شأنها فلما رآه أبرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى حيث جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر لا تكلمنى فيه ألهاك عنه ذود أخذت لك فقال عبد المطلب أنا رب الابل وانّ للبيت ربا يحميه ثم رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ما هى نجدية ولا تهامية

قوله المغمس هو كما فى القاموس بوزن معظم ومحدث اسم موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة اهـ مصححه

فأرسل

فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وعن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد في اظهار أثر الجازم وقوله تعالى (ألم يجعل كيدهم في تضليل) الخ بيان اجمالي لما فعله الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بأن دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أي طوائف وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها (ترميهم بحجارة) صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذي يكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته أشير اليه بأول أحواله * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ والله أعلم

## *(سورة قريش مكية وآيها أربع)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(لايلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك أصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا ألفته وقرئ لالاف قريش أي لمؤالفتهم وقيل يقال ألفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع أن المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول أولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد به القحط الذي أكلوا فيه الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

## *(سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(أرأيت الذي يكذب بالدين) استفهام أريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه

والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى (فذلك الذي يدع اليتيم) جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالاسلام ان لم تعرفه أو ان أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلية الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو أبو جهل كان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم أي يتركه ويجفوه (ولا يحض) أي أهله وغيرهم من الموسرين (على طعام المسكين) واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى (فويل) الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل (للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراءون) أي يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) أي الزكاة أو ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان أن لهم قبائح أخر غير ما ذكر * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكاة مؤديا

*(سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(انا أعطيناك) وقرئ انطيناك (الكوثر) أي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخير الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي عليه الصلاة والسلام انه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى في صفته انه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى (فصل لربك وانحر) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطها أحدا من العالمين مستوجب للمأمور به أي استيجاب أي فدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وأبي الاحوص (ان شانئك) أي مبغضك كائنا من كان (هو الابتر) الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وأياما كان فلا ريب في عموم الحكم * عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

*(سورة الكافرون مكية وآيها ست)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(قل يا أيها الكافرون) هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الايمان أبدا روى أن رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه أى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما أن الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما فى ما أعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور أولا وقوله تعالى (لكم دينكم) تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى (ولى دين) تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى أيضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى الحصول لكم أيضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم أو استلامى اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز أن يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك فتأمل * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

*(سورة النصر مدنية وآيها ثلاث)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(اذا جاء نصر الله) أى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك (والفتح) أى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجئ سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجئ للايذان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنهما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قريب روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار أن بعض ما فى حيزها أعنى رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع

النبي عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ ولذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن (ورأيت الناس) أى أبصرتهم أو علمتهم (يدخلون فى دين الله) أى ملة الاسلام التى لادين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى (أفواجا) حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام أفواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أو فتعجب لتيسير الله تعالى مالم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظاما للنعمه لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له حامدا على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمان ركعات أو فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على أن صدق وعده أو فأثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضى الله عنها انه كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنه عليه السلام انى لاستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها النبي عليه الصلاة والسلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لامته (انه كان توابا) منذ خلق المكلفين أى مبالغا فى قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

* (سورة تبت مكية وآيها خمس) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(تبت) أى هلكت (يدا أبى لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبالك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه عليه السلام به (وتب) أى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدى والثانى اخبار عن هلاك نفسه

وقيل

وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الأول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب وقرئ أبي لهب بسكون الهاء (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي لم يغن عنه حين حل به التباب على أن ما نافية أو أي شئ أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي عليه الصلاة والسلام أو عمله الذي ظن أنه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما أخبر به القرآن (سيصلى) بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة (نارا ذات لهب) أي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في أنه لا يؤمن أبدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن أن يكون مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي عليه الصلاة والسلام وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النار (حمالة الحطب) بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الاضافة غير حقيقية اذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريته بالتصغير للتحقير (في جيدها حبل من مسد) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من أي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل وأوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

## *(سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها أربع)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(قل هو الله أحد) الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق

على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الربط لانها عين الشأن الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفى ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم فانها أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احداهما تخفيفا وقال ثعلب ان أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى أن قريشا قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدا محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى (الله الصمد) مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده أى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين أولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل (لم يلد) تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى أى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شئ ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه (ولم يولد) أى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى أنهما متلازمان اذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه (ولم يكن له كفوا أحد) أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشتات المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها ورد فى الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه * روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد أى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة * وعنه عليه السلام أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

## * (سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض

عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وأما الاشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ فى قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها (من شر ما خلق) أى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدار الاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد وأما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى الى الاعاذة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى (اذا وقب) أى دخل ظلامه فى كل شئ لان حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه (ومن شر النفاثات فى العقد) أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير ألف وتعريفها اما للعهد أو للايذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم انه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه الصلاة والسلام وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام فأعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فدفنها فى بئر اريس فمرض النبى عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل عليه الصلاة والسلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما أنشط من عقال فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبى عليه الصلاة والسلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا أن يكون شيأ هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها (ومن شر حاسد اذا حسد) أى اذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا أو فعلا والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى

## *(سورة الناس مختلف فيها وآيها ست)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(قل أعوذ) وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (رب الناس) أي مالك أمورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى (ملك الناس) عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى (اله الناس) فانه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوتيته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ به وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لامحالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة (الخناس) الذي عادته أن يخنس أي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (الذي يوسوس في صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع أو النصب على الذم (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقد جوز أن يكون بيانا للناس على أنه يطلق على الجن أيضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته * وتناوله واسع رحمته * عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره * ووفقنا لاداء حقوق شكره * (قال) العبد الذليل * متضرعا الى ربه الجليل * اللهم يا ولي العصمة والارشاد * وهادي الغواة الى سنن الرشاد * باريء البرية مالك الرقاب * عليك توكلي واليك متاب * أنت المغيث لكل حائر ملهوف * والمجير من كل هائل مخوف * ألوذ بحرمك المأمون * من غوائل ريب المنون * وألتجئ الى حرزك الحريز * وآوي الى ركنك العزيز * وأسألك من خزائن برك المخزون * في مكامن سرك المكنون * خير ما جرى به قلم التكوين * من أمور الدنيا والدين * وأعوذ بك من فنون الفتن والشرور * لاسيما الاطمئنان بدار الغرور * والاغترار بنعيمها وزهرتها * والافتتان بزخارفها وزينتها * فأعذني بحمايتك * وأعني بعنايتك * وأفض علي من شوارق الانوار الربانيه * وبوارق الآثار السبحانيه * ما يخلصني من العوائق الظلمانيه * ويجردني من العلائق الجسمانيه * وهذب نفسي الابية من دنس الطبائع والاخلاق * ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق * ليستعد للعبور على مرائر الانس * ويتهيأ للحضور في حظائر القدس * وثبتني على مناهج الحق والهدى * وأرشدني الى مسالك البر والتقى * واجعل أعز مرامي ابتغاء رضالك * وأشرف أيامي يوم لقائك * يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا * واحشرني مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا *

يقول من جرى تصحيح هذا الكتاب على يديه * وبذل فى ذلك من الوسع ما لديه * المفتقر الى رحمة ربه المنان * محمد قطة العدوى ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن * مصحح الكتب والوقائع العربيه * بدار الطباعة المصريه * بعد الاعتراف بالقصور عن أداء ما يجب للكريم الجليل * من حسن الثناء والوصف بالجميل * حيث لا تحصى نعمه علينا ولا تحد * فأنى يكافئها منا شكر وحمد * واهداء صلوات يتدفق بالرحمات المقرونة بالتعظيم ودقها * وتحيات يتألق بالبركات المصحوبة بالتكريم برقها * الى من أنزل عليه القرآن * هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان * فبين للناس ما نزل اليهم * وأرشدهم الى ما يجب عليهم * بآيات أعجزت البلغاء * وأفحمت الفصحاء * فتبدلت بنور الهداية ظلمة الغوايه * فيا حبذا هذا الارشاد والهدايه * وكذلك آله السادة * واصحابه أهل السياده * والدعاء بدوام العز والاقبال * وبلوغ جميع الآمال * للحضرة الداوريه * الخديوية السعيديه * التى بلغت بها الديار المصرية شأو الفخار * وتباهت بها على سائر الاقطار * لازالت تهمى هوامع مراحمها على الرعايا * بجميل المكارم وجزيل العطايا * ولا برحت مصر بهمة تلك الحضرة عماينها متحليه * وعماينها من نعمائها وآرائها متحليه * آمين * بجاه سيد كل أمين * ان من القضايا المسلمه * التى لا ترد منها كلمه * أن القطر المصرى كان فى قديم الزمان * محل التمدن والعمران * ومطلع شموس الفنون والمعارف * ومنبع بحار العلوم واللطائف * كما هو معلوم مشهور * وفى كتب التاريخ مرقوم مسطور * وقد قيض الله تعالى له فى هذا العصر * الذى هو غرة فى جبهة الدهر * حضرة الداور الاكرم والخديو الاعظم * فتشبث باحياء رسومه * وبذل جهده فى اعادة فنونه وعلومه * سالكا فى ذلك مسلك أبيه * يقصد سبيل المشروعات الخيرية ويقتفيه * مشمرا عن معصم الجد وساعده * ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده * اوليست دار الطباعة على ذلك من أقوى الدلائل * واعظم الوسائط والوسائل * بها تنشر العلوم والمعارف * التالد منها والطارف * كيف لا وقد عطرت الارجاء بنشر هذا الكتاب * الذى طالما كان يتطلبه الطلاب * المسمى بارشاد العقل السليم * الى مزايا الكتاب الكريم * لما أودع فيه من رموز المعانى والبيان * وكنوز الكشف والتبيان * وتفسير الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه * باسلوب رائق يعجز كل فصيح عن استيعاب وصفه * ونكات بديعه * واستنباطات رفيعه * وأفهام ثاقبه * واستظهارات صائبه * وعبارات يعترف لفصاحتها سحبان * ويطرح لبلاغتها قس فى زوايا النسيان * وغير ذلك من الاوصاف التى يضيق عن حصرها نطاق التعبير * ويحصل بها الارشاد الى فهم مزايا كتاب اللطيف الخبير * فلعمرى ان اسمه طابق مسماه * ووافق مدلوله ومعناه * كما يعرف ذلك الناقد النحرير * ولا ينبئك مثل خبير * ولما بلغ طبعه حد التمام * وحظى تمثيله بحسن الختام * بدار الطباعة المذكوره * التى هى بحسن الطبع وجودة التصحيح معروفة مشهوره * على ذمة كل من جناب الحاج عبد الرحمن حافظ افندى الخربوطلى * واسمعيل افندى حقى * ملحوظا بنظر ناظرها * القائم بحسن ادارتها وتدبيرها * من اقتض ابكار المعارف بثاقب فكره * وحلى جيد الطروس بدرر شعره ونثره * حضرة على افندى جوده * اجزل الله تعالى له عطاءه ورفده * موافقا ذلك اواخر شعبان * من عام خمسة وسبعين بعد المائتين والالف من هجرة سيد ولد عدنان * صلى الله عليه وسلم * وشرف وكرم وعظم * وكان ذلك من مآثر مصر الجليله * وآثارها العظيمة الجليله * بأنفاس صاحبها الصدر السعيد * بلغه الله تعالى كل ما يريد * قلت مؤرخا ذلك * ومعلوما لما هنالك * وان لم اكن من فرسان هذه الحلبه * ولا ازن معهم مثقال حبه

لى نور الارشاد من مصر يبدو * حيث منها نشر العلوم مجدّ
كيف لا تنشر المعارف منها * وهى للعلم والتمدن مهد
فضلها مجمع عليه قديما * واليها الرحال كانت تشد
فلكم من معارف وفنون * نشرتها لم يحصها قط عد

اولبث دارالطباعة فيها * كل وقت تذيع مالا يعد
من فنون قدزانها حسن طبع * تجذب القلب لالحاظ وقد
وعليها تزاحمت رغبات * تبسط الكف نحوها وتمد
تمنى بالقرب تحظى وقدما * ل عليها من التباعد عهد
هالذ يا خاطب المعارف كتبا * كنت من اجلها تروح وتغدو
هى عند النهى عرائس تزهو * مالها فى حلى الملاحة ند
قد تحلت بكل معنى بديع * درة زان جيدها منه عقد
وكتاب الارشاد واسطة العقد * بهاء وجوهر فيه فرد
حبذا من ابى السعود كتاب * هو نور لكل عقل ورشد
هو باصاح بالتقدم اولى * هو عندى الامير والغير جند
هو هذا الارشاد حقا ودع ما * يزعم الجاهل الغبى الالد
اسمه طابق المسمى وهذا * باتفاق قضية لا ترد
اوما ارشد العقول الى فهم * كتاب اعجازه لا يحد
وهداها سبل البلاغة منه * بنكات عن حصرها ضاق سرد
يجزى الله مصر خيرا فكم بالطبع * منها أهل النهى تستمد
كيف لا والسعيد شاد علاها * فلها من سناه جد وسعد
ولها من نداه نيل غزير * ولها من حلاه فضل ومجد
خلد الله حكمه لبنيها * وحباها من جوده ما تود
ما ترنمت قائلا صاح أرخ * لى نور الارشاد من مصر يبدو
٢٢ ٢٣٠٩٠ ٥٣٧ ٢٥٦ ٤٠
سنة ١٢٧٥

لازالت مصر بهمة ولى النعم تجدد مناقبها ومآثرها * وتتوالى عليها من سحائب
مكارمه سواكبها ومواطرها * ولا برحت دار الطباعة المصرية تعطر الارجاء
بطيب نشرها * وتبث من جليل الفوائد ما يقضى بدوام حمدها
وشكرها * ونسأله تعالى حسن الختام * بجاه
انبيائه ورسله الكرام * عليهم أفضل الصلاة
واتم السلام * ماطلعت شمس
النهار ولاح بدر
التمام